



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقاه

مدخلية النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته (دراسة تحليلية)

أطروحة مقدّمة إلى مجلس كُليّة العلوم الإسلاميّة / جامعة كربلاء، وهي جزء من
متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلاميّة

كُتِبَتْ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبِ
عدنان خابط سرحان دهش

بإشراف
أ. د. فاضل مدب متعب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ
وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة النحل: الآية ١٨٩)

م/ إقرار مشرف

أشهد أن الأطروحة الموسومة (مدخلية النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته - دراسة تحليلية) التي قدمها طالب الدكتوراه (عدنان خابط سرحان دهش) قد تم إعدادها تحت إشرافي، في جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلامية.


التوقيع:

المشرف: أ. د. فاضل مدب متعب

مكان العمل: جامعة الكوفة - كلية الفقه

التاريخ: ٢٠٢٤/٢/٥

بناء التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة


التوقيع:
الاسم: د. محمد ناصر محمد الخضير

التاريخ: ٨٠ ٦/٥/٢٠٢٤

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة/أطروحة الطالب/هـ (الموسومة
بـ (مدخلية النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته
دراسة تحليلية) وقومتها لغوياً واجد أنها صالحة للمناقشة .


التوقيع:

المرتبة العلمية: مدرس دكتور

الاسم: آصال عبد الحسن تايه

مكان العمل: جامعة كرن بلاور/كلية إيلدم

التاريخ: ١٤٤٥ / ٦ / ٦

الاسم: آصال عبد الحسن تايه

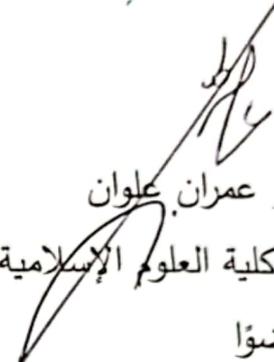
إقرار لجنة مناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (مدخلية النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته - دراسة تحليلية) وناقشنا الطالب (عدنان خابط سرحان دهش) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (**جيد جداً**) لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلامية.



أ. د اقبال وافي نجم

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا



أ. د عامر عمران علوان
جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا



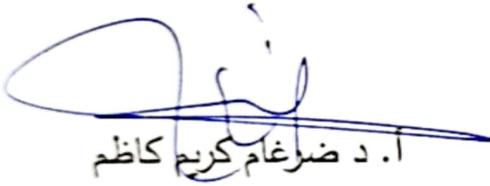
أ. م. د. عمار محمد حسين

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا



أ. م. د احمد حنون ميس

جامعة المستنصرية / كلية العلوم الإسلامية
عضوًا



أ. د ضراغام كريم كاظم

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
رئيسًا



أ. د فاضل مدب متعب

جامعة الكوفة / كلية الفقه
عضوًا ومشرّفًا

صُدِّقت في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع: 
الاسم: أ. د محمد حسين عبود الطائي
العميد

التاريخ: ١٥ / ٨ / ٢٠٢٤

الإهداء

إلى من خوطبوا بالنص القرآني فبيّنوه محمد وآله الكرام؛ حباً وولاءً.
إلى مؤسس علوم القرآن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)؛ وفاءً واتباعاً.
إلى من شاركتهم فتوى الجهاد الكفائي؛ نصراً وكرامةً.
إلى من احسست بفقده منذ الصغر، أباي؛ غفراناً ورحمةً.
إلى من جعل الله الجنة تحت اقدامها، ووفقت بدعائها، ويرحمني الرب من أجلها، أمي؛ حناناً وبراً.
إلى من فقدتهم أثناء كتابة الأطروحة، سيد بادي الزاملي، أياذ القريشي، ابن العم الشاب حمزة
نعيم، أختي، خالي، خالتي؛ دعاءً ومغفرةً.
إلى كل من خدم القرآن الكريم؛ ذكراً وتدبراً.
إلى الآباء المرّبين أساتذ قسم الدراسات القرآنية والفقهِ؛ احتراماً وتوقيراً.
إلى زوجي العزيزة، وإلى ثمار الفؤاد حوراء، أحمد، محمد، فاطمة؛ حفظاً وتوفيقاً.
إلى جميع إخوتي، وأخواتي، وأصدقائي؛ سنداً وذخراً.
أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكرُ وعرْفانُ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين...

بعد أن أنهيت كتابة هذه الاطروحة، أعلنتُ حط الرحال بعد رحلة طويلة بين النص القرآني؛ لأستخرج شيئاً من درره الثمينة بدراسة لمدخليته في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته، لابد أن اشكر كل من مد يد العون والمساعدة لي؛ فالشكر الأول والأخير لله تعالى لتوفيقه إياي لإكمال هذه الاطروحة.

ومن منطلق من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، أخص بالشكر بكل ما تحمل اللفظة من معنى الى الأستاذ والمربي (الأستاذ الدكتور فاضل مدب متعب) المشرف على هذه الاطروحة الذي كان نعم الناصح والمرشد الحصيف؛ إذ كان لتوجيهاته دور كبير في وصول الاطروحة إلى ما هي عليه، بعد أن أنار لي طريقي بقبسٍ من علمه، وجعلني أسير على هدي من أمري، أنار الله طريقه في الدنيا والآخرة، وجزاه عني خير الجزاء.

الشكر والتقدير لجميع أساتيد قسم الدراسات القرآنية والفقهِ في كلية العلوم الاسلامية جامعة كربلاء، شكراً لكلٍ حرفٍ نطقتموه، ولكلٍ كلمة نصح وارشاد اعطيتموها، والشكر لكل منتسب في الكليّة الأم (العلوم الاسلامية) جامعة كربلاء متمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور (محمد حسين عبود الطائي)، والشكر موصول إلى السيد رئيس قسم الدراسات القرآنية والفقهِ الأستاذ المساعد الدكتور (محمد ناظم المفرجي)؛ لما أجاد عليّ به في هذه الاطروحة، ولسعة صدره في تقديم العون والمساعدة لطلبة الدراسات العليا، والشكر موصول إلى كل من الأستاذ الدكتور: (ضرغام كريم كاظم) إذ كان بابه مفتوحاً لي كلّما قصدته، وقد أجاد عليّ بالعلم والمعرفة، والأستاذ الدكتور: (حكمت عبيد الخفاجي) الذي كان نعم العون لي في تصويباته وآرائه السديدة، والشكر موصول إلى كل أساتذتي الأعزاء لما أبدوه من نصح وارشاد، والذين كانوا مثلاً لحملة لواء العلم والمعرفة، جزاهم الله خير الجزاء، وأتقدّم بالشكر والعرفان إلى الأساتيد الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تفضّلهم بقراءة اطروحتي، وقبولهم مناقشتها؛ ليرفدوها بآرائهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة، وما سيهدونه من حُسن التوجيه والإرشاد والتقويم لتصبح الأطروحة على أفضل صورة، جزاهم الله كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، والشكر موصول إلى (الدكتور حيدر جاسم الديناوي)، والاخ (أحمد سالم اللامي)،

الشكرُ والعرفانُ

والشكر كلّ الشكر لكلّ من أسدى إليّ معروفاً بكلمة أو دعاءً في ظهر الغيب، أو أعانني وساعدني على إكمال هذه الأطروحة، أسأل الله تعالى لي ولهم الأجر والتوفيق والغفران بحق محمد وآله الأطهار.

واخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الباحث

عدنان خابط سرحان

الخلاصة

القرآن الكريم هو كتابُ الله الخالدِ ومعجزةُ النبي (ﷺ) الباقيةُ ما بقيتِ الدنيا، ومن خصائصِ هذا الكتابِ أنَّه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، وقد نزلَ القرآنُ الكريمُ صوتاً على صدرِ نبيِّنا محمدٍ (ﷺ)، ولم ينزلْ مخطوطاً، بل اتَّخذَ من الصدورِ مقرّاً له، وقد انضوتْ تحتَ أصواتِهِ وتآلفِها مفاهيمٌ عديدةٌ، وإشاراتٌ متنوعةٌ تكشفُ عن مكنونِهِ مِنَ العلومِ والحقائقِ الواردةِ فيه، وما نحاولُ دراسته في هذا البحثِ بيانَ الدورِ الإيجابيِّ للقرآنِ الكريمِ باعتباره نصّاً اعجازياً خالداً في تحديدِ مفاهيمِ علومِ القرآنِ ومصطلحاته.

وعليه فإنَّ هناك عددٌ من المفاهيمِ والمصطلحاتِ لعلومِ القرآنِ التي تناولها النصُّ القرآني، وعدةٌ من علومِ القرآنِ ومباحثه المهمة التي خدمتِ النصُّ القرآني في إيضاحه وبيان آياته، ومن المعلومِ أنَّ علماءِ علومِ القرآنِ قد أكثرُوا في تصنيفِ هذه العلومِ أو المباحثِ كلُّ حسبِ اجتهاده وما فتح اللهُ عليه من نورِ العلمِ، وسيحاولُ الباحثُ الوقوفَ على مدى مدخليةِ النصِّ القرآني في تحديدِ هذه المفاهيمِ والمصطلحاتِ من أجلِ الكشفِ على علومِ القرآنِ التي أشارَ إليها النصُّ القرآني سواءً بالمفهومِ أو بالمصطلحِ الصريحِ، والتي كان موضوعها النصُّ القرآني؛ لكونِ هذه العلومِ منها ما أُنبتَ منه، ومنها ما خرجَ عنه إلا أنها علومٌ خادمةٌ للنصِّ القرآني، ومنها ما صنفه العلماءُ أنها من علومِ القرآنِ ووجدت في النصِّ القرآني وأشارَ إليها إلا أنَّ موضوعها ليسَ القرآنُ الكريمُ بل تعتمدُ على العلومِ التجريبية، أو المنطقية، أو الحسابيةِ الرياضية، وغيرها فتخرجُ تخصصاً، فكلُّ علمٍ لا يكونُ موضوعه القرآنُ الكريمُ لا يكونُ من علومه وأنَّ ذكرَ أو أشارَ إليه النصُّ القرآني، فههدفُ الباحثِ من الأطروحةِ تحديدِ علومِ القرآنِ وتاريخه التي كان للنصِّ القرآني مدخليةً في تحديدها والتأسيسِ لها؛ ليكونَ النصُّ القرآني الضابطُ الأولُ في تحديدِ علومٍ أو مباحثِ علومِ القرآنِ؛ كونه المرجعِ والمؤسسِ الأولِ للمفاهيمِ والمصطلحاتِ بصورةٍ عامة، ولعلومِ القرآنِ بصورةٍ خاصة.

وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الكرام، وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

المحتويات

أ الآية القرآنية
ب الإهداء
ت شكرٌ وعرْفانٌ
ج الخلاصة
ح المحتويات

١ المقدمة
٨ التمهيدي: الإطار المفاهيمي لعنوان الأطروحة
٩ المبحث الأول: التعريف بالمدخلة
٩ أولاً: التعريف بالمدخل لغة واصطلاحاً
١٠ ثانياً: بين المدخلة والأثر
١٢ المبحث الثاني: التعريف بالنص
١٢ المدخل
١٣ أولاً: التعريف بالنص لغة واصطلاحاً
١٩ ثانياً: عناصر النص
٢٠ ثالثاً: مفهوم النص القرآني
٢٣ المبحث الثالث: التعريف بالمفهوم
٢٣ المدخل
٢٤ أولاً: التعريف بالمفهوم لغة واصطلاحاً
٢٥ ثانياً: المفهوم عند علماء المنطق
٢٦ ثالثاً: المفهوم عند علماء الأصول
٢٦ رابعاً: المفهوم عند علماء علوم القرآن
٢٧ خامساً: خصائص المفهوم
٣٠ المبحث الرابع: التعريف بالمصطلح
٣٠ المدخل:

المحتويات

أولاً: التعريف بالمصطلح لغةً واصطلاحاً	٣١
ثانياً: التعريف بالمصطلح القرآني.....	٣٤
ثالثاً: أهمية علم المصطلح	٣٦
رابعاً: شروط علم المصطلح.....	٣٨
خامساً: الفرق بين المفهوم والمصطلح	٤٠
المبحث الخامس التعريف بعلم القرآن.....	٤٧
أولاً: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح.....	٤٧
ثانياً التعريف بالقرآن لغة واصطلاحاً.....	٤٧
ثالثاً: التعريف بعلم القرآن	٤٩

الفصل الأول: أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم وضوابطها	٥١
توطئة	٥٢
المبحث الأول: ضوابط علوم القرآن	٥٤
المدخل:	٥٤
المطلب الأول: التعريف بالضابط لغةً واصطلاحاً.....	٥٤
المطلب الثاني: ضوابط علوم القرآن	٥٥
المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة	٦٤
المدخل	٦٤
المطلب الأول: التعريف بالانبثاق لغة واصطلاحاً.....	٦٤
المطلب الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة	٦٥
المبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة.....	١٠١
المدخل	١٠١
المطلب الأول: التعريف بتاريخ القرآن.....	١٠٢
المطلب الثاني: علوم تاريخ القرآن الكريم الخادمة له، والمرتبطة به بصورة غير مباشرة.....	١٠٥
المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن ...	١١٩
المدخل	١١٩

المحتويات

المطلب الأول: التعريف بالإشارة لغة واصطلاحاً:..... ١١٩

المطلب الثاني: العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخه..... ١٢٠

الفصل الثاني: توظيف علوم القرآن في معرفة مقاصد القرآن الكريم..... ١٣٢

توطئة:..... ١٣٣

المطلب الأول: التعريف بالتوظيف لغة واصطلاحاً..... ١٣٣

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد لغة واصطلاحاً..... ١٣٥

المبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن..... ١٣٧

المدخل:..... ١٣٧

المطلب الأول: التعريف بالعقائد لغة واصطلاحاً..... ١٣٨

المطلب الثاني: التوظيف العقدي لعلم المحكم والمتشابه من علوم القرآن..... ١٤٠

المطلب الثالث: التوظيف العقدي لعلم التأويل من علوم القرآن..... ١٤٧

المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن..... ١٥٥

المدخل:..... ١٥٥

المطلب الأول: التعريف بالفقه لغة واصطلاحاً..... ١٥٥

المطلب الثاني: التوظيف الفقهي لعلم العام والخاص من علوم القرآن..... ١٥٨

المطلب الثالث: التوظيف الفقهي لعلم المطلق والمقيد من علوم القرآن..... ١٦٣

المطلب الرابع: التوظيف الفقهي لعلم المجمل والمفصل من علوم القرآن..... ١٧١

المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن..... ١٧٧

المطلب الأول: التعريف بالسياسة لغة واصطلاحاً..... ١٧٨

المطلب الثاني: التوظيف السياسي لعلم التفسير من علوم القرآن:..... ١٨١

المطلب الثالث: التوظيف السياسي لعلم العام والخاص من علوم القرآن..... ١٨٥

المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن..... ١٩٤

المدخل:..... ١٩٤

المطلب الأول: التعريف بالاجتماع لغة واصطلاحاً..... ١٩٥

المطلب الثاني: التوظيف الاجتماعي لعلم أسباب النزول من علوم القرآن..... ١٩٩

المحتويات

المطلب الثاني: التوظيف الاجتماعي لعلم العام والخاص من علوم القرآن ٢٠٧

الفصل الثالث: أثر النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته ٢١٤

توطئة: ٢١٥

المبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم ٢١٦

المدخل: ٢١٦

المطلب الأول: التعريف بالمرجعية لغةً واصطلاحاً ٢١٦

المطلب الثاني: إثبات مرجعية القرآن الكريم ٢١٨

المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم ٢٣٥

المدخل: ٢٣٥

المطلب الأول: مفاهيم علوم القرآن من القرآن الكريم ٢٣٦

المطلب الثاني: مفاهيم تاريخ القرآن من القرآن الكريم ٢٦٧

المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم ٢٨١

المدخل: ٢٨١

المطلب الأول: مصطلحات علوم القرآن من القرآن الكريم ٢٨١

المطلب الثاني: مصطلحات تاريخ القرآن من القرآن الكريم ٣٢٤

الخاتمة وأهم النتائج ٣٣٨

المصادر والمراجع ٣٤٣

الخلاصة باللغة الإنجليزية a

المَقْدِمَةُ

المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى محمد وآله خير الورى، واللجنة على أعدائهم شرٍ من فوق الأرض وتحت الثرى.

وبعدُ:

القرآن الكريم هو الكتاب المنزل من الله تعالى على صدر النبي محمد (ﷺ)، الكتاب الذي عجز فصحاء العرب عن مجاراته، أو الاتيان بمثله، كتابٌ كم أفواه البلغاء والفصحاء فأعجزهم، فمعارضته لم تزد أصحابها الا خسراناً مبيناً، وزاده وضوحاً وجلالاً، كيف لا وهو الذي وُصف في كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بقوله: "ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يُضِلُّ نهجه، وشعاعاً لا يُظلم ضوءُه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبيناً لا تُهدم أركانه، وشفاءٌ لا تُخشى أسقامه، وعزاً لا تُهزم أنصاره، وحقاً لا تُخذل أعوانه،... وعِلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى" (١)، فالكتاب الذي يُوصف بما تقدم حريُّ بذى لب أن يخوض فيه وينهل منه.

فقد دأب العلماء المسلمون على تدبر آياته، والتأليف فيه بشتى المجالات والعلوم؛ بوصفه أشرف كتابٍ، فيه طهارة للجسد والروح، ونورٌ للوجه، وطمأنينة للقلب؛ فهو من أشرف الكتب على الاطلاق الذي لا يقاس به أيُّ كتابٍ آخر، لهذا نجد أن الدراسات فيه توسعت، وأصبحت شاملة لجمع ما وجد فيه من العلوم والفنون، ومن هذه العلوم بالخصوص "علوم القرآن" و "تاريخ القرآن" التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني، وألّفت بها المؤلفات والكتب فكثرت علومه ومباحثه، ومصطلحاته المرتبطة فيه، لهذا فضلت أن أتخصص بهذا العلم بأن أخوض هذا الغمار لبيان مدخلية النص القرآني الخالد المعجز في التأسيس لمفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته، وهذه النافذة بعنوان لأطروحة أُطلقت عليها (مدخلية النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته دراسة تحليلية).

أسباب اختيار الموضوع:

وممكن أن يطرح سؤالٍ لم تم اختيار هذا الموضوع؟، وفي مقام الجواب أقول: إنّ القرآن الكريم بيان لكل شيء، فمن أجل إثبات أن مباحث علوم القرآن هي امتداد لما وُجد في القرآن الكريم كان

(١) نهج البلاغة، ٤٢٨، خطبة: ١٩٨.

اختيار هذا الموضوع لإثبات أنّ ما تم دراسته من قبل علماء علوم القرآن هو فيض من النبع الصافي، ومن أجل الوقوف على مجموعة من الحقائق والمسلمات العقائدية تجاه القرآن الكريم:

(أ) نيل شرف دراسة القرآن الكريم؛ لكون دراسته غاية الشرف والعلو والمنزلة، وأشرف دراسة هي دراسة العلوم التي وجدت فيه وبالخصوص تحت مسمى "علوم القرآن"، الأمر الآخر حب الباحث للقرآن الكريم منذ صغره بتعلم القرآن وتعليمه، لهذا كان تخصصي بعد التخرج من معهد اعداد المعلمين في واسط معلم التربية الإسلامية.

(ب) الاعتماد في تحديد علوم القرآن على النص القرآني ببيان مدى مدخلية النص القرآني بتحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته؛ لكون القرآن الكريم هويته التعريفية بأنه كتاب سماوي معجز منزل من الله تعالى عن طريق الوحي الإلهي معصوما من كل شيء؛ وكون النص القرآني يحمل خصيصة كونه مؤسساً لجميع العلوم، وخصوصاً علوم القرآن، وكونه نازلاً بلسان عربي مبين فهو المبيّن لما يريد الله تعالى من الخلق اجمعين، كل هذه الاعتبارات كشفت للباحث ضرورة الاستناد إلى النص القرآني في التأسيس المفاهيمي والاصطلاحي لعلوم القرآن، فمن وثاقة نقله نتج الوثاقة بما يصدر منه من مفاهيم لعلوم القرآن ومصطلحات، وهذا التوسع لعلوم القرآن جعله يشمل جميع حقول المعرفة والاعتبارات والتقسيمات، فلا تحد ولا تحجم علوم بتقسيم دون آخر.

(ت) تعدد الأبعاد في بعض الآيات القرآنية بحيث لا يمكن فهمها إلا من هذه النظرة الشمولية، إذ تتوقف هذه العملية على معرفة مثلا الناسخ والمنسوخ منها والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والظاهر والباطن، وهذه العلوم من مباحث علوم القرآن التي يكون لها الأثر البارز في فهم الآيات القرآنية، وعليه سعى الباحث إلى إثبات مدى التوافق بين هذه المباحث ورؤية النص القرآني لها.

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية الموضوع في عدة نقاط نذكرها على النحو الآتي:

أولاً: يسعى الباحث إلى إثبات الإعجاز للقرآن الكريم من الأساليب التي جاء بها.

ثانياً: تعميق الفهم لدى الباحثين في الدراسات القرآنية عن مدى سلطة النص القرآني وحاكميته في مباحث علوم القرآن الكريم.

ثالثاً: رفد المكتبة الإسلامية بدراسة جديدة في بابها، من حيث الوقوف على مباحث علوم القرآن واثبات كونها تأثرت بشكل تام بالنص القرآني، وكذلك معرفة مدى التوافق بين المعنى الذي أراده الله تعالى من هذه المباحث، ومدى توافقه للمعنى الذي أشار إليه علماء علوم القرآن ومن تأثر بهم.

رابعاً: جلاء الصورة حول العلاقة بين النص القرآني ومباحث علوم القرآن وتاريخه؛ إذ أنّ هناك ضبابية حول تلك العلاقة فهي علاقة إيجابية تفاعلية ام لا، وهذا ما جعل الباحث يسعى لكشف النقاب عنه.

فائدة البحث:

لا شك أنّ الخوض في هكذا موضوع لا يخلو من فوائد؛ إذ إنّ **الفائدة الأولى** التي يمكن أن تجنى من هذا البحث هي تنوير عقول الباحثين عن مدى العلاقة بين النص القرآني ومباحث علومه، لهذا يسعى الباحث إلى أن يسلط الضوء على هذا الموضوع ودراسته من جوانبه المتعددة وابرازه للدارسين وكشف الالتباس وإزالة الاشتباه والوقوف على الحقيقة الكامنة وراء ذلك.

أما **الفائدة الثانية** في هذا البحث فهي تكمن في إبراز المباحث، والمناهج الإسلامية الأصيلة، والابتعاد عن المنهجية الغربية الدخيلة، فضلاً عن فتح المجال لنقدها والرد عليها.

ولاريب أنّ **الفائدة الثالثة** تكمن في فتح باب النقد البناء لمثل تلك العلاقات بين النص القرآني وتلك المباحث خاصةً إذا كانت تلك المباحث ابتعدت عن المنهج العلمي والموضوعي وخضعت لأهواء العالم، وتأثره بعقيدته التي يؤمن بها كل ذلك على حساب الفهم الصحيح للنص القرآني.

اهداف البحث:

ومن أهم اهداف هذه الأطروحة بيان الإعجاز للقرآن الكريم من الأساليب التي جاء بها، وأنّ القرآن الكريم جاء بألفاظ، وعلوم مبيّنة للمعنى المراد ايصاله، وأنّ هذه الألفاظ كاشفة عن مباحث قرآنية تمت الإشارة إليها بصورة عامة غير مباشرة (**مفاهيم**)، وبصورة مباشرة (**مصاديق**) كل ذلك بما يلائم السياق القرآني، وإثبات أنّ الدراسة لهذه المفاهيم والمصاديق تكشف عن المعنى المراد للفظة بالاشتراك مع العلوم الأخرى، كاشفاً عن أنّ هناك ألفاظاً وعلوماً في القرآن الكريم يتجدّد معناها بتجدّد العصور والدهور، فأعطت الفكر البشريّ الحرّيّة في الإبحار في معانيها والتوصّل من خلالها إلى ما يريد الخالق تعالى، فاللفظة في النص القرآنيّ غضة طرية تلائم جميع الأزمان والعصور والأماكن.

فرضيات البحث:

ويقوم البحث على جملة من الفرضيات منها:

اولاً: أهذه المباحث القرآنية كانت اجتهادية استنباطية من العلماء، أم كانت توقيفية من قبل النص القرآني، الامر الاخر مدى موافقة ما ذهب إليه علماء علوم القرآن من مفاهيم، ومصطلحات مع ما جاء في النص القرآني.

ثانياً: أهذه المباحث وجدت في عصور متأخرة عن عصر نزول النص القرآني، ام انها كانت وليدة ومقارنة لزمان نزوله؟

ثالثاً: كثير من المباحث القرآنية سواء التي أشار إليها النص القرآني بالمفهوم، أو بالمصطلح قد أشار إليها وبينها أهل البيت (عليه السلام)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر روايات أهل البيت (عليه السلام) التي يظهر منها أنّ فهم القرآن أمر مُشكّل لا يتسنى لأيّ أحد، ومنها: ما ورد عن عبد الرحمن السلمي أنّ علياً (عليه السلام) مرّ على قاض فقال: " هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟"، قال: لا، فقال (عليه السلام): " هلكت وأهلكت تأويل كل حرف من القرآن على وجوه " (١).

مشكلة البحث:

وكون الموضوع يتصف بالحدثية، وقلة ما كُتِبَ فيه، كل ذلك كان من أهم الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذه الأطروحة، إلا أنّ الله تعالى قد منّ عليّ بأستاذي ومعلمي المشرف الأستاذ الدكتور فاضل مدب متعب (حفظه الله وسدّد خطاه) الذي دَلّل كلّ الصعوبات، عن طريق النصّح، والإرشاد، والتوجيه إلى المصادر المهمة التي تُعينني في كتابة هذه الأطروحة، فبمعونته استطعت أن أحصل على مصادر تُثري الأطروحة بالمعلومة كونها متنوعة، فاعتمدت على مصادر مختلفة شملت الكتب المعجمية، والنحوية، والكتب الأصولية، وكتب علوم القرآن، وكتب تاريخ القرآن، وكتب التفسير سواء للمتقدمين أم المتأخرين من الأعلام، والكتب التي درست المفهوم والمصطلح سواء العربية أو الأجنبية، وقد أعطى هذا التنوع بالمصادر إثراءً للمادة العلمية في نقل المعلومة، وقوة لما أتوصل إليه في إثبات مدخلية النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته، وإن كانت هناك دراسات عدة في بيان منهجية علماء علوم القرآن في وضع مصطلحات علوم القرآن، الا أن دراستها بالرجوع إلى النص القرآني وتحديدها وإثباتها قرآنيّاً لم يتطرق إليها أحد - في حدود علمي -، مما زادني إصراراً، وعزيمة على الخوض في هكذا موضوع، والغوص في ذلك البحر المتلاطم بأموج المعاني.

الدراسات السابقة:

ويمكن القول إنّ بعض فصول هذه الأطروحة درسها العلماء بصورة مغايرة عما درسته منها كأطروحة الدكتوراه لمشرفي الدكتور فاضل مدب متعب ("وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين، عام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، جامعة الكوفة، كلية الفقه) ، الذي درس وظائف علوم القرآن كما هو واضح بين المفسرين والأصوليين، أما في هذه الأطروحة فقد تم دراسة التوظيف من الناحية العقديّة والفقهية

(١) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، ١٢/١.

والسياسية، والاجتماعية، وهي دراسة مغايرة أثبتت من خلالها أنّ لعلوم القرآن وظائف متعددة لا تحددها بوظيفة دون أخرى، واكتفيت بذكر أربع وظائف للاختصار، وفتح المجال أمام الباحثين للتوسع بالتوظيف لمجالات أخرى.

منهجية البحث:

ولا شك أنّ الخوض في هكذا عنوان يحتاج لمنهج تحليلي يحل النص القرآني، لهذا سيكون المنهج المتبع بهذه الأطروحة هو (المنهج التحليلي) مع الاستعانة بالمناهج الأخرى بما يخدم الأطروحة، وقد اعتمدت المنهج التحليلي في هذه الأطروحة من أجل الوصول لمداخلية النص القرآني من خلال تحليل مفاهيم علوم القرآن والمصطلحات التي أشار إليها النص القرآني فقامت بتحليلها بغية الوصول إلى مداخلية النص القرآني فيها.

وقد اشتملت الأطروحة على ثلاثة فصول، مسبوقة بمقدمة، وفصل تمهيدي عزّفت فيه الألفاظ والمصطلحات الواردة في عنوان الأطروحة تحت مسمى (الإطار المفاهيمي لعنوان الأطروحة)، وبعد الفصل التمهيدي ثلاثة فصول:

الفصل الأول تحت عنوان (أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم وضوابطها) اشتمل على أربعة مباحث بيّنت بالمبحث الأول ضوابط علوم القرآن، أما المبحث الثاني فقد بيّنت فيه علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة، أما المبحث الثالث فقد كان تحت عنوان علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة، والمبحث الرابع كان عن علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن الذي خُتم فيه الفصل.

الفصل الثاني: تحت عنوان (توظيف علوم القرآن في معرفة مقاصد القرآن الكريم) اشتمل على توطئة بينت فيها أولاً: التعريف بالتوظيف لغةً واصطلاحاً، وثانياً: التعريف بالمقاصد لغةً واصطلاحاً، تلاها المبحث الأول بيّنت فيه التوظيف العقدي لعلوم القرآن، وجاء بعده المبحث الثاني تحت عنوان التوظيف الفقهي لعلوم القرآن، ثم المبحث الثالث التوظيف السياسي لعلوم، وختم الفصل بالمبحث الرابع وهو التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن، بيّنت في هذا الفصل بعض العلوم التي وظفت للمباحث المذكورة للاختصار أولاً، ولفسح المجال أمام الباحثين والمهتمين بالشأن القرآني من التوسعة بالتوظيفات لعلوم القرآن.

وكان الفصل الثالث: تحت عنوان (أثر النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته) اشتمل على توطئة للفصل، واشتمل على ثلاث مباحث، المبحث الأول درست فيه مرجعية القرآن

الكريم، ثم المبحث الثاني تحت عنوان التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم، ثم المبحث الثالث التأسيس المصطلحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم الذي حُتم فيه الفصل، ولكون هذا الفصل هو روح الاطروحة كانت صفحاته أكثر من بقيت الفصول الأخرى.

ثم ختمت الاطروحة بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها. وهناك أمر لا بدّ من الإشارة إليه وهو أن الباحث قد رتب مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته وتاريخه بحسب الترتيب الهجائي (أ ب ت)؛ ليكون منهجاً ثابتاً في إيراد هذه العلوم لهذه الأطروحة. أسأل الله الذي منّ عليّ بهذه الدراسة لكتابه الكريم أن يتقبّل هذا الجهد المتواضع بقبوله الحسن، وان يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وينفع به غيرنا، ويجعله في ميزان حسناتنا ليوم القيامة، ولكل من أعاننا على إكماله، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبي الرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين.

الباحث

التمهيد

الإطار المفاهيمي لعنوان الأطروحة

- المبحث الأول: التعريف بالمدخلية
- المبحث الثاني: التعريف بالنص
- المبحث الثالث: التعريف بالمفهوم
- المبحث الرابع: التعريف بالمصطلح
- المبحث الخامس: التعريف بعلوم القرآن

التمهيد

الإطار المفاهيمي لعنوان الاطروحة

في كلّ عنوان لابدّ من بيان المفردات الواردة فيه، من أجل رفع الضبابية أمام المتلقي، وكذلك بيان المسار الذي أسير فيه، والهدف المنشود من العنوان المراد التوصل إليه، ومن أجل الوقوف على المفاهيم الواردة في عنوان الاطروحة عقدت هذا الفصل، والذي سأبين فيه ما يأتي:

المبحث الأول

التعريف بالمدخلية

نزل القرآن الكريم صوتاً على صدر نبينا محمد (ﷺ)، ولم ينزل مخطوطاً، بل اتخذ من الصدور مقراً له، وقد انضوت تحت أصواته وتآلفها مفاهيم عديدة، وإشارات متنوعة تكشف عن مكنونه من العلوم والحقائق الواردة فيه.

وقد شغل التآلف الحاصل بين كلمات وحروف، وحركات القرآن الكريم، فضلاً عن جمال تراكيبه، وغزارة معانيه...، الباحثين حتى غاصوا في أعماقه بحثاً عن اللآلئ المكنونة فيه، تحليلاً لتراكيبه وكشفاً لما فيها من علوم وأساليب بلاغية وقواعد نحوية، وقبل الخوض في مكنون القرآن الكريم لابد لي من الوقوف على المعاني اللغوية والاصطلاحية لبعض مفاهيم العنوان.

أولاً: التعريف بالمدخل لغة واصطلاحاً:

تصدر عنوان الاطروحة لفظة "مدخلية"، ومن أجل بيانها، سأتطرق إلى ما يأتي:

(١) تعريف بالمدخل لغة:

عُرِفَت لفظة (المدخلية) حسب الجذر الثلاثي (دخل)، وجاء في معناها "الدَّخْل: ما دَخَلَ ضيعة الإنسان من المنالة، ودُخِلَ فلان فهو مَدْخُولٌ،... والدَّخَلَ في غار وتَدَخَّلَ فيه يصف شدة دخوله. ودخيلك: الذي تدخله في أمورك" (١)، فهي الدخول في الشيء ومنه المدخلية، كما نقول "دخلت الدَّارَ وَغَيْرَهَا أدخَلَ دُخُولًا وأدخَلتُ غَيْرِي إدخالًا" (٢).

وهي نقيض الخروج، قال صاحب المحيط: "والدُّخُول: نَقِيضُ الخُرُوجِ، وأدخَلَ في غار وتَدَخَّلَ فيه" (٣)، فإنَّ المعنى "[دخل] دَخَلَ دُخُولًا، يقال: دَخَلْتُ البيت. والصحيح فيه أن تريد دَخَلْتُ إلى البيت

(١) العين، الخليل، ٤/ ٢٣٠.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد، ١/ ٥٨٠.

(٣) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، مادة (دخل)، ١/ ٣٥٥.

التمهيدالمبحث الأول: التعريف بالمدخلية

وحذفت حرف الجرّ فانصب انتصاب المفعول به" (١) فهو الدخول إلى البيت بمعنى الدخول فيه ومنه يأتي معنى المدخلية "والمَدْخَلُ بالفتح: الدُخُولُ، وموضعُ الدُخُولِ أيضاً. وتقول: دخلت مدخلا حسنا، ودخلت مَدْخَلَ صِدْقٍ، والمُدْخَلُ بضم الميم: الإدْخَالُ، والمفعول من أَدْخَلَهُ، تقول: أَدْخَلْتُهُ مَدْخَلَ صِدْقٍ" (٢)، ويأتي بمعنى الموضع الذي يُدخَل منه "المَدْخَلُ" بالفتح: الدُخُولُ، وموضعُ الدُخُولِ أيضاً.

(٢) التعريف بالمدخلية اصطلاحاً:

مما تقدم وبعد اطلاعي على مصادر اللغة العربية لمست تواسجا واضحا بين أقوال العلماء حول معنى المدخلية فهي لا تخرج عن كونها الدخول في الشيء، أو هي نقيض الخروج (٣)، أما من ناحية الاصطلاح فهو أيضا الدخول في الموضع، وكل ذلك يتضمن معنا حسيا لبيان نوع المدخل الذي يُدخَل به "المدخل) بفتح الميم الدخول وموضع الدخول أيضا تقول: دخل مدخلا حسنا ودخل مدخل صدق. و(المدخل) بضم الميم الإدخال والمفعول أيضا من أدخل تقول: أدخله مدخل صدق" (٤)، والعكس صحيح، فإنّ النص القرآني له المدخلية العليا والشرف غير المتناهي بعلوم القرآن الكريم سواء كان في تحديد المفهوم أم المصطلح لعلوم القرآن.

مما تقدم أرى أنّ معنى المدخلية كل ما كان له حضور في غيره، فالآيات القرآنية كاشفة وموضحة عن بعض مفاهيم علوم القرآن الكريم ومصطلحاته.

ثانياً: بين المدخلية والأثر:

ومدخلية النص تختلف عن قولنا: أثر النص؛ لأن الأثر كما عُرف في اللغة هو: "بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يبقي علقه" (٥)، وقد تعددت معاني الأثر في اللغة، إذ عرفها ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بقوله: " (أثر) الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي... والأثر بقية ما يرى من كل شيء وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقه، والآثار الأثر، كالفلح والفلح، والسداد والسدد، أثر السيف ضربته، والآثارة: البقية من الشيء، والجمع أثارات" (٦)، وذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) أنّه بمعنى البقية، بقوله: " الأثر: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وَأَثُورٌ،

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مادة (دخل)، ٤/ ١٦٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ١٦٩٦.

(٣) يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١٣٩/٥.

(٤) الكليات، الكفوي، ٨٨١. يُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١٥٠٠.

(٥) العين، الخليل، ٨/ ٢٣٦.

(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٥٣، وما بعدها.

التمهيدالمبحث الأول: التعريف بالمدخلية

وَحَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ وَفِي أَثَرِهِ أَي بَعْدَهُ، وَأَنْتَرْتُهُ وَتَأْتَرْتُهُ: تَتَّبَعْتُ أَثْرَهُ؛... وَالْأَثْرُ، بِالتَّحْرِيكِ: مَا بَقِيَ مِنْ رَسْمِ الشَّيْءِ، وَالتَّأْتِيرُ: إِبْقَاءُ الْأَثْرِ فِي الشَّيْءِ، وَأَنْتَرَ فِي الشَّيْءِ: تَرَكَ فِيهِ أَثْرًا " (١).

يتضح مما تم ذكره من تتبع معاني الأثر في لغة العرب أنّ للأثر معاني متعددة وهي: بقية الشيء، العزم في فعل الشيء، اقتناء الأثر، الخبر، العلامة، تفضيل الغير على النفس.

وهذا الاختلاف بتعريف الأثر كل حسب العلم المنتمي له قد أجبر صاحب التعريفات بإيراد عدة معانٍ منها ما هي لغوية، والأخرى اصطلاحية الخاصة بأهل الاصطلاح من علماء الفقه فقال: " الأثر له أربعة معانٍ الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الخبر، والرابع ما يترتب على الشيء، وهو المسمى بالحكم عند الفقهاء " (٢)، فالأثر النتيجة والعلامة والخبر وما يترتب على الشيء، أو الحكم عند علماء الفقه، فالأثر مفهوم يتحدد بحسب العلم الذي يوظف فيه مثل "علم الأصول، وعلم الحديث، وعلم الفقه، ... "، وفي جميع معانيه سواء اللغوية ظام الاصطلاحية لا يخرج عن معنى "بقية الشيء" أي هو النتيجة المترتبة في سياق النص، وكل ذلك بعيدة عن العنوان فيما لو قلنا أثر النص القرآني بدل مدخلية النص القرآني.

وبذلك اتضح أنّ الأثر يفيد معنى الجزء من الكل، ولا يمكن قولنا ذلك في النص القرآني المبارك؛ لأنّ وقع النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن، ومصطلحاته واضح وجلي، ولا يمكن تحديد هذه المفاهيم بمعزل عن الآيات القرآنية المباركة، ولهذا أردت من قولي المدخلية هو الاندماج والاختلاط بين الحروف والمعاني ودخول بعضها ببعض لتعطي خليطاً عجز عن الإتيان بمثله فصحاء العرب وفحول العربية، لذلك قلت مدخلية النص، ولم أقل أثر.

مما تقدم بيانه في معنى بيان المدخلية وفرقها عن الألفاظ ذات الصلة: كالأثر والولوج، ينكشف أنّ قول "مدخلية النص القرآني" أجلى وأوضح لبيان المطلوب بهيمنة النص القرآني على جميع العلوم لا سيّما علوم القرآن، فمدخلية النص القرآني قصد بها الباحث ما كان للنص حضور فيه، فيؤثر عليه، ويكون تابعاً له؛ كونه هو المؤثر في إظهاره، والمدخل في التأسيس له، وهذا الأمر ما سيتم بيانه وإثباته في طيات هذه الأطروحة إن شاء الله تعالى؛ بأنّ للنص القرآني التأثير المباشر في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤ / ٥-٦. يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٣٤١. ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ٥. مختار الصحاح، الرازي اللغوي، ١٣.

(٢) الشريف الجرجاني، ١١.

المبحث الثاني التعريف بالنص

المدخل:

النص نقطة التلاقي للعديد من المجالات المعرفية؛ فإنه موجود في كل مجال، إلا أنه يختلف من حيث النظر، وطريقة العمل به، وهذا الاختلاف من مجال إلى آخر، وحسب ما سوف يتم بيانه، إن هذا الشيء راجع لتعدد تعاريفه مما يؤدي لتعدد دلالات معناه من علم لآخر، فضلاً عن التطور التاريخي له؛ وأن الحصول على تعريف للنص جامع مانع يحتاج إلى بذل جهد بالإضافة إلى دراسة شاملة وواسعة قد يصعب على بعض المتخصصين التتبع الشامل لها بالحقول اللسانية، وهذا الأمر راجع إلى الاختلاف بالاتجاهات والمنطلقات الفكرية لتعريف النص، واختلاف الطرق التي تتبع بدراسة وتحليل النص، والسبب أن لكل باحث منهجاً، يتحقق هذا الشيء بأهداف وغايات خاصة (١)، وعليه لا بد أن يبنى " مفهوم النص من جملة المقاربات النقدية التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيمولوجية الحديثة " (٢).

فقد تتعدد التعريفات للنص وذلك بحسب التوجهات النظرية والمعرفية لبعض الباحثين، الأمر الآخر الذي أدى إلى تعدد التعريفات هو المراحل النقدية التي يمر بها، كما أشار إليه فرولان بارت مثلاً " تعددت تعريفاته للنص الأدبي بتعدد المراحل النقدية التي مرّ بها، منذ المرحلة الاجتماعية، وحتى المرحلة الحرة، مروراً بالبنيوية، والسيمائية " (٣)، وهذا التنوع في تعريف النص " يدل على عدم استقرار المفهوم من جهة وتباين طرقه الإجرائية في حقول معرفية مختلفة من جهة أخرى " (٤)، بل " إن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة، حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم " (٥).
مما تقدم ينبغي أن هناك عدم توافق تام حول تعريف النص، وهذا الأمر راجع لاختلاف تصورات العلماء، وطرق البحث لديهم، ومن أجل الإلمام بمفهوم النص سأتطرق لما يأتي:

(١) مفهوم النص وقرآته في الفكر العربي المعاصر، د. مسعود احمد، ١١.

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص عالم المعرفة، صلاح فضل، العدد ١٦٤، غشت ١٩٩٢، ٢١١.

(٣) النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ١٤.

(٤) نظرية النص من بنية المعنى الى سيمائية الدال، حسين خمري، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٧، ٣٥.

(٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ١٠٧.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

أولاً: التعريف بالنص لغة واصطلاحاً:

(١) التعريف بالنص لغة:

للفظة "النص" في المعاجم اللغوية العربية معانٍ متنوعة تتنوع بكثرة دلالات المعنى المرتبط بها، لهذا جاء في مقاييس اللغة: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء...".^(١)، فمعناه الارتفاع، والارتفاع في الشيء، ويجعل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) المعنى الحقيقي أو المعنى الرئيس في (النص) هو الرفع والانتصاب، وما سوى هذا المعنى من المجاز^(٢)، بمعنى ما زاد عن معنى الانتصاب والرفع فإنه من المعنى المجازي للنص، أما ابن منظور (ت ٧١١هـ) فيقول: النص: رَفْعُ الشَّيْءِ. نَصَّ الْحَدِيثَ يُنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ ... وَأَصْلُ النَّصِّ أَقْصَى الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ"^(٣)، مما تقدم يتضح أنه لا يوجد اختلاف في بيان معنى (النص) عند علماء المعاجم اللغوية العربية القديمة. وهناك أمر لا بد من الإشارة إليه أن أقرب معنى اصطلاحياً إلى (النص) عند القدماء هو مصطلح (المتن) الذي يقابل الإسناد عند علماء مصطلح الحديث، وقد أشار (هانز فير) إلى هذا الأمر في معجمه^(٤).

أما علماء اللغة العربية المعاصرون فقد عرفوا النص بأنه: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"^(٥)، ومعنى ذلك أنهم يكتفون بأن المعنى هو صيغة الكلام للمؤلف دون القول، فالمعنى لديهم أن النص هو الكتابة إلا أن هذا المعنى غير صحيح؛ كون العرب بينوا أن النص صيغة الكلام التي نقلت حرفياً سواء نطقاً أم كتابة.

مما تقدم بيانه يُلاحظ أن معاني النص متنوعة الدلالة؛ فتارة يأتي بمعنى الرفع أو الانتهاء من الشيء، والانتصاب، والمعنى الحقيقي والأصلي يتجلى بالرفع والظهور وهو المقصود. إنَّ النص هو ما ارتفع وظهر على جميع النصوص؛ وهذا الأمر ينطبق على النص القرآني، كونه نصاً لا يقاس مع النصوص الأخرى؛ لعلو ارتفاعه وقوة ظهوره.

(٢) التعريف بالنص اصطلاحاً:

عُرف النص اصطلاحاً بأنه " ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٥٧/٥.

(٢) يُنظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ٦٣٥-٦٣٦، مادة (نص).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٩٨/٧ وما بعدها. يُنظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٨ / ١٧٩-١٨٠.

(٤) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، هانز فير: وضع ج. ملتون كوان، ٨٩٠.

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ٩٢٦، مادة (نص).

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصاً في بيان محبته. النص: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التأويل" (١)، وجاء في الكليات في تعريف النص: "أصله أن يتعدى بنفسه لأن معناه الرّفْعُ البَالِغُ، وَمِنْهُ مَنْصَةُ الْعُرُوسِ، ثُمَّ نَقَلَ فِي الْإِضْطِرَاحِ إِلَى الْكُتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْيَاسِ مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا، وَمَعْنَى الرّفْعِ فِي الْأَوَّلِ ظَاهِرٌ" (٢)، فشرط النص عدم الاحتمال إلا معنى واحداً، أو أنه لا يحتمل التأويل، وسأحاول بإيجاز تسليط الضوء على مفهوم النص اصطلاحاً كالآتي:

(أ) التعريف بالنص اصطلاحاً عند العرب:

ثمة اختلاف بالمعنى الاصطلاحي للنص، والسبب في ذلك اختلاف المجال المعرفي الذي يدرسه:

أولاً: تعريف النص عند علماء الأصول:

لم يهتم من القدماء بالنص سوى علماء الأصول، ولعل الشافعي يعدُّ أول من أشار إلى مفهوم النص عندما بين نظريته عن البيان حيث قال عن النص أنه "ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره" (٣)، أو هو "ما رُفِعَ في بيانه إلى أبعد غايته" (٤)، كما أنَّ للنص تعريفاً "آخر عند الأصوليين؛ إذ يستعملون هذا اللفظ فيما ورد في بحوثهم من اصطلاحات مثل: عبارة النص وإشارة النص ... إلخ يفهم منها أنهم يطلقونه على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء أكان ظاهراً أو نصاً أو مفسراً، أي أن كل ما ورد عن صاحب الشرع فهو نص" (٥).

مما تم بيانه وإيراده يتضح أنَّ المعيار الذي اعتمد عليه الأصوليون هو "الدلالة" أول وهلة، إلا أنَّ هذه الدلالة تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنص أو اللفظ المركب على حد سواء المنطوق أم المكتوب.

ثانياً: النص في اصطلاح المُحدثين:

أما النص في اصطلاحات المُحدثين، فقد تنوعت تعريفاته بتنوع التخصصات العلمية، وبتنوع الاتجاهات، والمدارس المختلفة، ومن أبرز تعريفات النص في العربية المعاصرة محاولة الدكتور طه عبد الرحمن؛ إذ عرفه على أساس منطقي بأنه: "بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات، وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين" (٦)، فالنص

(١) التعريفات، الجرجاني، ٢٤١.

(٢) الكليات، الكفوي، ٩٠٨.

(٣) الرسالة، الشافعي، ٣٢.

(٤) كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، ١٢.

(٥) التصور اللغوي عند الأصوليين، أحمد عبد الغفار، ١٤٦.

(٦) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٣٥.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

مركب من جمل متعددة إلا أنّها سليمة ومرتبطة، وهذا الارتباط يكون بين جملتين أو أكثر، وعرفه سعيد يقطين بأنه: "بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة"^(١)، وعرفه محمد عزام من جهة أدبية بأنه "وحدات لغوية، ذات وظيفة تواصلية - دلالية، تحكمها مبادئ أدبية، وتنتجها ذات فردية أو جماعية"^(٢)، فهو بنية دلالية أو وحدات لغوية لها وظيفة تواصلية إلا أنّها تحكمها المبادئ الأدبية، سواء أنتجتها ذات فردية أم اجتماعية. ويُعبّر عن النص بأنّه سلسلة لغوية غير محدودة؛ لأنّ النص "مجموعة السلسلة اللغوية اللا محدودة بسبب إنتاجية المنظومة"^(٣)، وفي بعض الحالات يضيق النص عندما يطبق على "عمل كاتب أو مجموعة من الوثائق المعروفة أو الشهادات التي تم جمعها، وفي هذه الحالة يكون النص مرادفاً للمتن"^(٤)، أما محمد مفتاح فيرى أنّ النص هو "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"^(٥)؛ فالنص وحدات متسقة منسجمة، كما أنه يعطيه ويعرفه عن طريق إدراج بعض المقومات الأساسية، إذ يعدّه مدونة كلامية، كما أنّه حدث تفاعلي، وتواصلية، فيه بداية ونهاية، أي أنه مغلق كتابياً.

(ب) التعريف بالنص اصطلاحاً في اللغات الأوروبية:

ارتبطت لفظة "النص" باللغة الفرنسية بالنسيج^(٦)، ويحاول بعض الباحثين التقريب بين أصل كلمة "النص" في اللغة العربية وفي بعض اللغات الأخرى التي يعود أصل كلمة النص فيها إلى "النسج"^(٧)؛ والسبب في ذلك عودة اللفظة إلى معنى النسيج "في المجال المادي الصناعي، وقد نتج عنها اشتقاقات لا تخرج عن هذا المعنى الأصلي، ثم نقل هذا المعنى إلى نسيج النص، ثم اعتُبر النص نسجاً من الكلمات"^(٨)، لهذا ارتبطت لفظة "النسيج" بدلالات متنوعة قربت من المعنى الاصطلاحي للنص ومنها: "دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد، والقصد، والكمال والاستواء"^(٩)، فإنّ معنى النص في اللغة الفرنسية

(١) انفتاح النص الروائي: النص و السياق، سعيد يقطين، ٣٢.

(٢) النص الغائب، ٢٦.

(٣) دينامية النص الروائي، أحمد البيوري، ١٤.

(٤) المصدر نفسه، ١٤.

(٥) التشابه والاختلاف، ١٥.

(٦) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هنيه من، ديتر فيهجر، ترجمة فالح العجمي، ٤.

(٧) يُنظر: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملقوظ نصاً)، الأزهر الزناد، ١٢، ويُنظر: المقدمة التي كتبها الدكتور محمد الهادي

الطرابلسي، ٦. ودراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى صلاح قطب، ٤٧٧.

(٨) المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، ١٦.

(٩) يُنظر: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، ١٧. وأصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند

العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م، ٧.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

مشتق من الاستخدام للفظة النسيج والحياكة، لهذا عدّ (نصر حامد أبو زيد) المعنى الدلالي واللغوي للنص في اللغات الأجنبية يكون أكثر ارتباطاً بالمعنى الاصطلاحي للفظة النص بعكس المعنى الدلالي في اللغة العربية التي ابتعدت عن المعنى الحقيقي للنص، رغم أنه يمكن تلمس طريق للربط بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية، وكيف انتقل المفهوم إلى دلالاته الحالية^(١)، وهذه المقارنة لا تكون دقيقة؛ لأنّ الفرق واضح بين المعنى العربي، والمعنى الأوربي، وهذا الشيء واضح؛ لأنه راجع إلى الاختلاف في وضع المصطلحات كل بلد بحسب ما يشاع أو يتوصل إليه علماء البلد نفسه كل بتخصصه.

لقد بحث في (النص) ودلالاته مجموعة من النقاد والباحثين، من الاتجاهات النقدية المختلفة، فإنّ التعريفات الغربية للنص كثيرة، فمن التعريفات ذات الاتجاه البنيوي أنّ النص عبارة عن: "بناء لمعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معانٍ خارج البناء الذي يضمها"^(٢)، ويعرّف الباحث السيمولوجي الروسي يوري لوتمان (النص) انطلاقاً من ثلاثة معايير هي: التعبير، حيث يتم التعبير من طريق علامات اللغة الطبيعية؛ والمعيار الثاني هو التحديد؛ أما المعيار الثالث فهو الخاصة البنيوية^(٣)، فهو يرى أنّ النص اتخذ بعداً سيميائياً وثقافياً قائماً على الحوارية وتداخل النصوص داخل كون سيميائي معين، أساسه التفاعل والانفتاح والتجاور والحوار، وفي هذا الصدد يقول: "يتم انتقال النصوص في الواقع في كل الاتجاهات، تيارات كبيرة وصغيرة تتقاطع وتترك آثارها الخاصة بشكل متزامن، تجد النصوص نفسها موصولة ليس بواسطة واحد، ولكن بواسطة عدد كبير من مراكز سيميائية الكون، وسيميائية الكون الحقيقية تعد متحركة داخل حدودها الخاصة تحدث هذه السيرورات نفسها في نهاية الأمر على مستويات متعددة: المراحل التي يغزو فيها الشعر النثر، تتناوب والمراحل التي يغزو فيها النثر الشعر؛ إنّها مراحل توتر متبادل بين الدراما والرواية، بين الثقافة الشفوية والثقافة المكتوبة، بين الثقافة العالمية والثقافة الشفوية"^(٤)، وعليه " فهو يحقق دلالة ثقافية محددة، وينقل دلالاتها الكاملة "^(٥)، والخاصية البنيوية تعني أنّ النص بنية منظمة وليس مجرد متوالية من العلامات، بل التنظيم الداخلي ضروري للنص وأساس في تكوينه.

في حين نجد (ميشيل آريفييه) يرصد معنى النص سيميائياً قائلاً: " إذا حاولنا تعريف النص سيميائياً، فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى التمييز بين خطابين بيدوان متوافقين، وبالنسبة للسيميائيين

(١) يُنظر: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ١٩٩٠.

(٢) المرآيا المحدبة، عبدالعزيز حمودة: سلسلة عالم المعرفة ٢٣٢، الكويت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ١٦٠ نقلاً عن بيرمان آرت.

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) سيميائية الكون، يوري لوتمان، ترجمة الدكتور عبد المجيد النوسي، ٨٠ و ٨١.

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، عدد ١٦٤، ١٩٩٢م، ٢١٦.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

البنويين يبدو- رغم بعض الاختلافات المصطلحية- أن الاتفاق قد تم حول تحديد النص بوصفه مجموعة يؤلفها الخطاب، الحكاية، والعلاقات القائمة بين هذين الموضوعين المحددين كطبقات دلالية مستقلة نسبياً وقابلة بدورها إلى أن تنتضد في أصعدة متعددة وفي السيميائية التحليلية، يحدد النص كعملية لسانية تجاوزية تتشكل في اللغة وتكون غير قابلة للاختزال إلى المقولات المعروفة الخاصة بكلام التبليغ موضوع اللسانيات " (١)، وتعريف النص الأخير مأخوذ أو منقول عن (جوليا كريستيفا) التي بينته، ووضّحته توضيحاً أكثر من خلال قولها: " النص جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، والمتزامنة معه" (٢)، فالنص من حيث الإنتاج يتعالق مع النصوص الأخرى، كما أنه لا يعدّ منتوجاً فحسب، بل يتعداه أن يكون دليلاً متعدد الدلالات، كما أن بنيته لا يمكن مقاربتها في إطار نص لساني ذي بنية مسطحة، بل عن طريق توليد مسجل في البنية اللسانية لا يمكن أن يقبل القراءة إلا عن طريق تكوينات متعددة لا تكتفي بالمكون اللساني (٣).

وهناك من عرف النص عن طريق الرجوع إلى المنطلقات اللسانية، وخصوصاً تعريفات النص في ميدان علم اللغة النصي، فعلى سبيل المثال يشير (ديفيد كريستال) إلى أهمية امتداد النص كمتوالية، وكونه منطوقاً أو مكتوباً، كما يشير إلى أهمية الوظيفة الاتصالية (٤)، ويُعرّف النص بطريقة مبسطة بوصفه: "تتابعاً منظماً أفقياً من الإشارات اللغوية التي تُقهم على أنها توجيهات من مرسل معين إلى مخاطب معين" (٥).

في حين نجد (جانوس. س. بيتوفي) يقوم بإخراج النص من النظام اللغوي مقتصرأ بأنه يتم استخدامه في المجال اللغوي الفعلي؛ لهذا فإن النص عنده "هو موضوع رمزي-علائقي تغلب عليه السمة الكلامية ذو شكل مكتوب يدوياً أو مطبوع في شكل أو هيئة مادية... وعلى الرغم من أن الأشكال المادية المكتوبة يدوياً أو المطبوعة هي المواضيع الرئيسية في عملية معالجة النص، إلا أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الشكل السمعي المحتمل أيضاً" (٦).

(١) السيميائية الأدبية، ميشيل آريفييه، ترجمة د. رشيد مالك ضمن كتاب (السيميائية أصولها وقواعدها)، ٩٦. والتعريف الثاني منقول عن جوليا كريستيفا.

(٢) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، ٢١.

(٣) يُنظر: انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، سعيد يقطين، ٢٠-٢١.

(٤) الوظيفة التواصلية، ديفيد كريستال، موسوعة كامبردج للغة، ١١٦.

(٥) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، زتسييسلاف واورزنيك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، ١٥.

(٦) اللغة وسيلة مكتوبة، جانوس. س. بيتوفي، ضمن الموسوعة اللغوية، تحرير ن.ي. كولنج، ترجمة محيي الدين حميدي، وعبدالله الحميدان، ٢٠٩/١.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

مما تقدم في التعريفين السابقين يُلاحظ أنّ الأول قد أغفل الناحية الدلالية للنص، بينما الثاني انطلق من الناحية الدلالية من أجل تمييز النص من سواه.

والتداولية النصية لها حصة في تعريف النص بأنه "سلسلةٌ لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية، ولا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل، أو من جملة وحيدة، أو من جزء من الجملة"^(١)، التعريف يؤكد على أهمية التواصل، وفي الوقت نفسه لا يهتم بمعايير نصية أخرى تتعلق بالشكل المادي للنص.

كذلك عُرف النص بأنه " كلمة تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي قطعة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت ... والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة ... وأفضل نظرة إلى النص أنه وحدة دلالية " ^(٢)، من أجل ذلك فقد اهتمتا بتماسك طرائق الوحدة الدلالية؛ لأنه عن طريق التماسك يؤدي النص وظيفته.

مما تقدم يتبين أنّ النص هو القول اللغوي الذي اكتفى بذاته، واكتمل دلاليًا، وهو ينطبق على "الكلمة" و"الجملة" و"الكتاب الكامل"، وهذا الأمر ذهب إليه (هيلمسليف) العالم اللساني عند استعماله للفظ "النص" بالمعنى الشامل والواسع بحيث أطلقه على كل ملفوظ سواء كان قديماً أم حديثاً، وسواء مكتوباً أم محكياً، قُصرَ أم طالَ، بحيث إنّ كلمة قف لديه هي نص كامل لديه، كما أن الرواية نصٌّ أيضاً ^(٣)، لهذا فإنّ النص عند العالم اللساني (هلمسليف) يرتبط بالملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب، طويلاً كان أو قصيراً، "فعبارة stop أي قف هي في نظر هالمسليف نصّ" ^(٤). وعند تودوروف "النصّ إنتاج لغوي منغلق على ذاته، ومستقل بدلالاته، وقد يكون جملة، أو كتاباً بأكمله" ^(٥)، فإنّ النص وحدة واحدة لا تختلف من حيث الكمية بأن نعد الكلمة من الوحدات الصغيرة، والجملة من الوحدات الكبيرة، والنص أكبر منهما، فلا الطول أو الكبر أو الحجم يُحدد النص، بل نقول إنّ الفارق نوعي وتميزه يكون بالاستقلال والكمال.

فيما تقدم بيان لمعنى النص عند العرب، وكذلك عند الغربيين، فما ثبت ووضح هو نص، وكذلك القرآن الكريم؛ بوصفه نصاً ثابتاً بالتواتر كما سيأتي، وهو معصوم من الخطأ، وإنّ النص القرآني يُعدُّ نصاً "مكتوباً" و "ملفوظاً"، وإنّ التعامل معه بوصفه نصاً مكتوباً يكون أيسر وأدقّ، وهو نصّ مقصود

(١) النص، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، جان ماري سشايفر، ١١٩.

(٢) هاليدى ماك ورقية حسن، التماسك بالإنجليزية، لونجمان، ١-٢.

(٣) يُنظر: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، ٥٤.

(٤) المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، ١٨.

(٥) النص الغائب، محمد عزام، ١٤.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

بجميع ألفاظه وجمله وسوره وآياته، إلا أنّ التعامل معه لا بد أن يكون بعلمية وحذر، وقوانين وأسس؛ كونه نصاً مقدساً جامعاً لجميع العلوم، ومرجعاً أساسياً في تقعيد القواعد الواجب توفرها في النص، وهناك أمر مهم لا بد من الإشارة إليه، وهو أنّ النص القرآني لا يقاس معه غيره من النصوص من جهة التركيب والبنية؛ والسبب أنه نصّ سماوي، وغيره من النصوص بشرية يحقّها الخطأ، والميولات الشخصية، وعقيدة الكتّاب، وما سيتم الكشف عنه في هذه الأطروحة هو كيف تعامل علماء علوم القرآن الكريم مع النص القرآني في وضع مفاهيمه ومصطلحاته.

ثانياً: عناصر النص:

النص يتكون من عناصر وهي من الأمور الأساسية التي توجد بشكلٍ أساسي في النص على اختلاف أشكاله، ومن هذه "العناصر ما يلي^(١):

١- الألفاظ: تعدّ أصغر وحدة في النص ومكوناته، وهنا لا نشير إلى اللفظة المفردة لأنها بلا قيمة إذا كانت بمفردها، فإنّ الإشارة هنا إلى الألفاظ المنتظمة ضمن سياق محددة، ومترايط مع عدد من الكلمات ومجموعة من الألفاظ الأخرى؛ لهذا يرى (محمد مفتاح) أنّ النص عبارة عن "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"^(٢)، ويرى (الزناد) أنّ النص ما احتوى على الجملة وما فوقها أو ما هو دونها^(٣)، لهذا فإنّ قاعدة الربط عنده في النص: "إذا توفر في أي نص جملتان أو أكثر ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطاً بأداة أو بغير أداة"^(٤)؛ فالنص عنده "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، ويمثل علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال والمدلول"^(٥)، فالنص ما تكون من مجموعة ألفاظ وكلمات منسجمة ومتسقة.

٢- الأفكار: وهي من أهم العناصر "المعنوية"، ومهمتها ربط العناصر فيما بينها؛ لأن الأفكار هي الأداء والعلاقة، والدافع الأساسي لإنتاج النص، فإن النص من وجهة "أجريكولا" يقوم على "الفكرة الأساسية أو الرئيسية التي تتضمن معلومة المحتوى الهامة المحددة للبناء في كل النص بشكل مركز ومركز"^(٦)، و "سلامة وصول الفكرة يتطلب سلامة التراكيب اللغوية وفقاً لما اتفق عليه أبناء اللغة وما

(١) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، الدكتور فايز محاسنة، ٥٧ وما بعدها.

(٢) التشابه والاختلاف، محمد مفتاح، ١٩٩٦م، ١٥.

(٣) نسيج النص، الزناد الأزهر، ١٦.

(٤) المصدر نفسه، ٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ١٢.

(٦) علم لغة النص، بحيري، ٥٠.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

ثبت في قواعدها، التي هي بالنسبة للغة العربية صارت بحكم أثر القرآن الكريم ثابتة لا تغيير عليها، نظراً لثبات الدين الإسلامي في هوية الأمة واعتمادها القرآن الكريم المرجع الأساسي في لغتها" (١).

٣- المعاني: وهي من أوسع عناصر النص، وبواسطته يتم الحكم على النص من حيث القوة والضعف، والجمال والقبح، وبواسطته ينكشف إبداع الكاتب وقيمه، ومدى مستواه العلمي.

٤- الخيال: هذه الضرورة يعتمد عليها الكاتب من أجل إفراغ ما يتقل نفسه في النص بواسطة الخيال، وهذه الأمر لا ينطبق على النص القرآني بوصفه نصاً مقدساً مبنياً على حقائق لا شك ولا ريب فيها.

٥- الصور البيانية: عُدَّت من أقدم عناصر النص؛ لأنها تجسد كل ما ارتبط بالنص من أمور معنوية، وبها يصبح النص مفهوماً لدى القارئ.

٦- العاطفة: وهي ما تجعل التغيير والتنوع في الألفاظ، والأساليب والمعاني، والصور.

٧- الأساليب: وهو الذي يفترض فيه أن يجمع بين الوضوح والقوة، والجمال.

٨- الإيقاع الموسيقي: وهو من الأمور الجمالية في النص، وهو عنصر جذب ومنتعة للقارئ تلقيه للنص.

بيّناً فيما تقدم العناصر المهمة الواجب توفرها في النص، وهي من الأمور المهمة في تكوين النص وإبرازه، وإظهاره من حيز الأفكار والمعاني إلى حيز الوجود والظهور والألفاظ الخارجية، وبدوره يتم إيصال ما يُراد إيصاله للمتلقي بكل سهولة، والتي ممكن أن تطبق على النص القرآني مع الأخذ بالاعتبار بأنه لا يقاس به أي نص، بل إنه يُؤسس عليه بوصفه النص الأكمل والأقدس.

ثالثاً: مفهوم النص القرآني:

إنّ "القرآن الكريم المتداول بين المسلمين هو مجموع ما نزل على النبي (ﷺ) في مدة نبوته ورسالته، باعتباره كلاماً إلهياً دون زيادة أو نقصان، وهو ما نسميه بثبوت النص القرآني وسلامته من التحريف بالزيادة أو النقصان" (٢)، فإنّ النص القرآني هو ذلك النص الإلهي الذي نزل به الأمين جبريل (ﷺ) شفويّاً على صدر النبي محمد (ﷺ)، ونطق لسان النبي (ﷺ) بآياته، وسوره، المعجز بأسلوبه وبيانه وتنزيله المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، ثم كتب ودون بين الدفتين كما هو الآن، والذي أصبح المصدر الأول للمسلمين في فهم دينهم، وتسيير مجالات حياتهم كافة من الأمور العقديّة والفقهية والأخلاقية والاجتماعية، لهذا شرعوا في تفسيره وبيان معانيه واستخراج علومه.

(١) علم لغة النص، بحيري، ٢٦.

(٢) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ٣٠٨.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

فإنّ النصّ القرآني هو ما خاطب الله تعالى به نبيه الكريم مُحَمَّدًا (ﷺ)، ومن ثمّ إلى الناس أجمعين، كل ذلك من أجل التدبر به، وبيان معانيه، وقد اختص العرب في بيانه؛ لأنه نزل بلسانهم، وهم من خاطبهم النبي الأكرم (ﷺ) به، وأعجزهم بيانه، وسحروا بفصاحته، مع كونهم أهل الفصاحة والبيان والبلاغة، لهذا فقد أحاطه المسلمون وذوو الألباب من غيرهم بقدسية خاصة لم يشهداها أي كتاب سماوي آخر، ومن أجل الغوص بمكنونه انطلقوا من نصه ليكشفوا ويأسسوا لعلوم شملت جميع العلوم والمجالات، وعليه فمن أجل الوقوف على مراد الله تعالى من آياته المنزلة على قلب، وصدر نبيه مُحَمَّد (ﷺ) لا بدّ من الخوض في نصه المبارك الذي له كل المدخلية في جميع ما استُخِرَ من علوم القرآن فيه؛ لكون النصّ القرآني له هوية منفردة ومستقلة من تركيبه اللغوي، ودلالاته، وما جاء فيه من مضامين، وعلوم مختلفة، كلها تصب في مراد الله تعالى، مبتعدة عن كل تأويل لكونه؛ ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١)، فلا نص منسجم ومتماسك وجامع سوى النصّ القرآني، فهو الذي يُقَعَد ويؤسس، وله المدخلية في جميع العلوم لا سيما العلوم الدينية.

يخلص الباحث أنّ النصّ القرآني متميزاً عن جميع النصوص، ولا يقاس عليه أي نص آخر، فإنّ مبدأ مقابلة النصّ القرآني مع غيره من النصوص مرفوض رفضاً قاطعاً؛ لأنه لا يجوز مقابلة النصّ السماوي المعجز المعصوم من أي خطأ أو زيادة أو نقصان مع غيره من النصوص البشرية التي لا تخرج عن كونها نصوص بشرية أنشأها وابتكرها مخلوق ضعيف، لهذا يقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مَفْرَعُ حُذَاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"^(٢)، فالنصّ القرآني بألفاظه هو اللبّ من كلام العرب، وقد اعتمد عليه العلماء والشعراء والبلغاء إلاّ أنّه يبقى "النصّ القرآني من عند الله تبارك وتعالى، ولذا لا يخضع لمؤثرات النصّ المنتج بشرياً هذا مع أن النصّ يعالج الواقع، ولكنه يصلح لكل زمان ومكان؛ لأنّه ينظر إلى الجانب الممتد من هذا الواقع. إنّ النصّ القرآني وإن جاء في بعض الأحيان جواباً على حدث، ولكن صياغة الجواب تنصب على القدر المشترك بين الحدث المذكور ونظائره عبر التاريخ، أي إنّ النصّ القرآني مشروع مستقبلي، وليس استجابة آلية تستسلم لغول الزمن فيجمد في حينه"^(٣)، وعليه يثبت ويتقرر بأنّ النصّ القرآني هو كلام إلهي، فلا يضره أي نص آخر، ولا ينقصه أي نص آخر، بل على العكس، فإنّ النصوص الأخرى تُبرز إعجازه الإلهي الرباني؛ لأنّ

(١) سورة فصلت، ٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٦.

(٣) مداخل جديدة للتفسير، غالب حسن، ١٠٧.

التمهيدالمبحث الثاني: التعريف بالنص

"الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ" (١).

وهذا ما دفع الباحث بأن يبحث عن مدخلية هذا النص المقدس المعجز فيما وضعه علماء علوم القرآن الكريم من مفاهيم ومصطلحات له، لأنّ "جميع ما يتزوّد به المفسّر من علوم ومعارف ينبغي أن يقع ما يصحّ منها في خدمة النصّ القرآني، لا أن يقع النصّ القرآني في خدمتها إثباتاً وتوكيداً؛ بمعنى: عدم حمل النتائج المعرفية للمعارف والعلوم المتنوّعة على النصّ القرآني وتطويع النصّ القرآني لخدمة تلك النتائج إثباتاً وتوكيداً، فإنّ للنصّ القرآني معطياته الخاصّة به التي ينبغي أن تكون حاكمةً لا محكومة، وإلا سننتهي إلى القول بالتفسير بالرأي، المذموم شرعاً، بعبارة أخرى: عدم تمكين النصّ القرآني في ضوء النتائج المعرفية المستقاة من معارف وعلوم أخرى في رتبة سابقة، فإنّ هذا يعني تععيد النصّ القرآني في قوالب أعدت سلفاً ومصادرة معطياته وهذا بدوره يُفضي إلى نتائج فرضتها طبيعة تلك المعارف والعلوم المختلفة وليس النصّ القرآني نفسه" (٢)، وما يجري على تفسير القرآن الكريم يسري إلى جميع علوم القرآن.

مما تقدم تتجلي أهمية مدخلية النصّ القرآني بعلوم القرآن، وهذا الأمر لا يمكن الكشف عنه إلا بتفسيره، وبيانه من النبع الصافي وهم محمد وآل محمد (عليهم السلام)؛ كونهم من خوطبوا به، والسبب في ذلك لا يكون بمعنى تصدير ما أنتجه العلماء من علوم تختص بالنصّ القرآني، وإنما يبقى هذا النتاج بشرياً غير معصوم، مُحاطاً بالخطأ، لهذا كان الاعتماد كل الاعتماد بأخذ كل ما أنتج من علوم في القرآن الكريم من محمد وآل محمد (عليهم السلام).

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٤٨.

(٢) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ٩٣ / ١.

المبحث الثالث

التعريف بالمفهوم

المدخل:

حاول الإنسان جاهداً منذ بداية وجوده، فهم هذا العالم، مستعيناً بما وقع بين يديه من أدوات ووسائل، معتمداً على مدركاته الحسية، فضلاً عن خبراته المكتسبة، والمواقف التي مرَّ بها، كل هذه الأمور دفعت له لأن يعمل مقارنة بين كل ما شاهده، وعمله وتعامل معه بمختلف المواقف، من أجل الوصول إلى أوجه التشابه أولاً، بالإضافة إلى أوجه الاختلاف، ثم يقوم بتصنيف كل ما حصل عليه اعتماداً على أوجه التشابه أو الاختلاف بينهم، ممّا يوصله إلى فهم الأشياء، والأحداث التي تمر به في المستقبل كل ذلك يبني على ما تم فهمه من المواقف، والأحداث التي مرَّ بها، ومن هذه التصنيفات التي حصل عليها والمواقف والتجارب التي مرَّ بها اختصر كثيراً من الأشياء والجزئيات، وبهذا أصبح لدى الإنسان القدرة على استيعاب الأشياء المتشابهة والمختلفة بالوقت ذاته؛ لكونها أصبحت مفهومة عنده فيميز بينهما.

ثم تطوّرت المفاهيم عنده، ومع تطور قدرات الإنسان العقلية عن طريق التجارب التي مرَّ بها على طول حياته، تطورت لديه المفاهيم وتوسعت بشكل ملحوظ، وانتقل من الحسي إلى غير الحسي فادركها بواسطة المفاهيم التي تعلمها، وهكذا إلى ان تطورت المفاهيم لديه واتسعت (١).

مما تقدم بيانه يتضح أنّ المفهوم له مدخلية في تفكير الإنسان، ومعرفة الأشياء من حوله، إلا أنّ "المفاهيم وانظمتها قد تختلف من ثقافة لأخرى، فهي ليست متطابقة في جميع الثقافات، فمدلول المصطلح، أو المفهوم الذي يُعبر عن ذلك المصطلح يتباين من لغة إلى أخرى" (٢)، وعليه كان اختلاف في المفاهيم بين ثقافة وثقافة أخرى، وبين دولة ودولة أخرى، فإنّ " هذه الظاهرة تشكل إحدى الصعوبات الشائكة في عملية الاتصال وتبادل المعلومات على الصعيدين القومي والعالمي" (٣)، والخوض في بيان المفهوم من الأمور التي وصفت بالصعوبة، إلا أنّه من أجل تذليل هذه الصعوبات، ولتذليل هذه الصعوبات والإحاطة بلفظة المفهوم سأتطرق إلى ما يأتي:

(١) يُنظر: تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية، جودت أحمد سعادة، وجمال يعقوب يوسف، ٥٨-٥٩.

(٢) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ٣٠٨.

التمهيدالمبحث الثالث: التعريف بالمفهوم

أولاً: التعريف بالمفهوم لغةً واصطلاحاً:

(١) التعريف بالمفهوم لغةً:-

حينما نتتبع أصل هذه اللفظة "المفهوم" نجدها وردت تحت جذر "فهم" والتي أراد بها الخليل (ت ١٧٠هـ) معنى " فَهِمْتُ الشَّيْءَ [فَهَمًا وَفَهْمًا] عَرَفْتُهُ وَعَقَلْتُهُ، وَفَهَّمْتُ فَلَانًا وَأَفْهَمْتُهُ: عَرَفْتُهُ" (١)، أما في المقاييس فالمعنى هو العلم بالشيء " الفاء والهاء والميم علمُ الشيء" (٢)، وزاد على المعنى المذكور بأنَّ المعنى هو المعرفة القلبية كما جاء في لسان العرب "فهم: الفهمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءِ بِالْقَلْبِ. فَهَمَهُ فَهْمًا وَفَهَمًا وَفَهَامَةً: عَلِمَهُ؛ الْأَخِيرَةُ عَنْ سَبِيوِيهِ. وَفَهِمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ. وَفَهَّمْتُ فَلَانًا وَأَفْهَمْتُهُ، وَتَفَهَّمْتُ الْكَلَامَ: فَهَمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهْمٌ: سَرِيعُ الْفَهْمِ، وَيُقَالُ: فَهَمَّ وَفَهَّمَ. وَأَفْهَمَهُ الْأَمْرَ وَفَهَّمَهُ إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُهُ. وَاسْتَفْهَمَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُفْهَمَهُ. وَقَدْ اسْتَفْهَمَنِي الشَّيْءَ فَأَفْهَمْتُهُ وَفَهَّمْتُهُ تَفْهِيمًا" (٣)، وهذا المعنى أكده صاحب القاموس " فَهَمَهُ، كَفَرَحَ، فَهَمًا وَيُحَرِّكُ، وَهِيَ أَفْصَحُ، وَفَهَامَةٌ (وَيُكْسَرُ) وَفَهَامِيَّةٌ: عَلِمَهُ، وَعَرَفَهُ بِالْقَلْبِ" (٤)، أمَّا المحيط في اللغة فلم يخرج عن المعنى السابق بقوله: "فهم الفهمُ المَعْرِفَةُ بالشيء، فَهَمَ ذَلِكَ عَقْلَهُ، وَأَنَا أَفْهَمُهُ فَهْمًا وَفَهَمًا وَفَهَامَةً. وَاسْتَفْهَمَنِي فَأَفْهَمْتُهُ" (٥)، ومن تتبعت مادة (فهم) في المعاجم يُلاحظ أنَّها لا تتجاوز المعاني الثلاثة: العقل، والعلم، والمعرفة، فيقال فهمتُ الشيء بمعنى عقلته وعلمته وعرفته، والحاصل من هذه المعاني اللغوية أنَّ المفهوم في اللغة هو المعقول، أو المعلوم، أو الشيء الذي حصلت صورته في الذهن، والمفهوم ليس محصورًا فيما عبر عنه باللفظ؛ فهو أوسع، فيمكن أن يكون لفظًا، أو نصًّا، أو حدثًا، ويمكن أن يكون مصرحًا، به أو غير مصرح به.

إنَّ محور دراستنا هي مفاهيم علوم القرآن التي ذُكرت بصورة كلية في النص القرآني، وتم دراستها وترجمتها على أرض الواقع بوصفها علومًا من قبل العلماء المتخصصين بعلوم القرآن الكريم.

(٢) التعريف بالمفهوم اصطلاحاً:

عرّفه الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) بقوله: "المفهوم: هُوَ الصُّورَةُ الذهنية سَوَاءً وَضَع، بِإِزَائِهَا الْأَلْفَاظُ أَوْ لَا، كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى هُوَ الصُّورَةُ الذهنية من حَيْثُ وَضَع بِإِزَائِهَا الْأَلْفَاظُ وَقِيلَ: هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ لَا

(١) العين، الخليل، ٤ / ٦١، مادة (فهم).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤ / ٤٥٧، مادة (فهم).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٤٥٩ / ١٢ - ٤٦٠، مادة (فهم).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤ / ١٦٢، مادة (فهم).

(٥) المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ١ / ٣١٢.

التمهيدالمبحث الثالث: التعريف بالمفهوم

في محل النطق" (١)، فالمفهوم صورة ذهنية وُضعت للفظ، اما التهانوي (ت ١١٥٨ هـ) فقال في موسوعته إن: "المفهوم هو ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق بأن يكون حكماً لغير المذكور وحالا من أحواله" (٢)، فالمفهوم هو كلُّ ما يُفهم من تركيب الكلمات مما يكون المعنى حكماً لغير المذكور، ولا يكون اللفظ ذاته حكماً لما لم يُذكر (٣).

ينجلي مما تقدّم من تعريف المفهوم عند علماء الاصطلاح بأنّه الصورة الكلية في الذهن، سواء وضع لها ألفاظاً أم لا، ومن جهة المعنى فهو أيضاً صورة في الذهن، وأيضاً سواء وضع لها لفظ بإزائها أم لا، فالمفهوم هو "عملية عقلية يقوم بها المتعلم لاستنتاج العلاقات التي يمكن أن توجد بين مجموعة من المثيرات ويتم بناؤه على اساس التمييز بين تلك المثيرات" (٤)، فهو استنتاج للعلاقات بين المفهوم؛ لأنّ المفهوم "مصطلح عقلي للخصائص المشتركة لمجموعة من الأشياء أو الأحداث التي تميزها عن غيرها، ويعطى هذا التصور اسماً أو مقترحاً" (٥)، فالمفهوم خصائص تميّز الأشياء أو الأسماء بعضها عن بعض، وهذه الخصائص جوهرية؛ لأنّ المفهوم عبارة عن "سمات أو الخصائص الجوهرية التي تميز الأشياء أو الأحداث أو الأسماء من بعضها البعض وترسم صورة ذهنية لمنطوق الشيء ذاته" (٦)، يتبين مما تقدم أنّ المفهوم ما وجد في الذهن أو الفكر.

ثانياً: المفهوم عند علماء المنطق:

عُرف المفهوم بأنّه "نفس المعنى بما هو، أي نفس الصورة الذهنية المنتزعة من حقائق الأشياء، فالصورة الذهنية لمسمى "محمد" مفهوم جزئي، والشخص الخارجي الحقيقي مصداقه. والصورة الذهنية لمعنى "الحيوان" مفهوم كلي، وأفراده الموجودة وما يدخل تحته من الكليات -كالإنسان والفرس والطيور- مصاديقه، والصورة الذهنية لمعنى "العدم" مفهوم كلي، وما ينطبق عليه -وهو العدم الحقيقي- مصداقه... وهكذا" (٧)، فهو صورة ذهنية كلية في الذهن لها مصاديق في الخارج، ومن أشهر التعريفات

(١) الكليات، ٨٦٠.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١٦٥٩.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ٢/ ١٦٦٠-١٦٦١.

(٤) الاتجاه المعاصر في تدريس العلوم، فتحي الديب، ٩٥.

(٥) مفاهيم العلوم العامة والصحة في الصفوف الاربعة الاولى، خليل يوسف وآخرون، ١٠.

(٦) دراسة مقارنة بين امتلاك المعلمين لمفاهيم مناهج التربية الاسلامية للصف السادس الابتدائي وبين اكتساب طلبتهم لها في المدارس

الحكومية ووكالة الغوث الدولية في محافظة اربد - الاردن، محمد محمود الخوالدة، ومحمد عقيل الطيبي، رسالة الخليج العربي، العدد

٢٦، السنة الثامنة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨ م. ١٢٥.

(٧) المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، ٧٣.

التمهيدالمبحث الثالث: التعريف بالمفهوم

المتداولة للمفهوم، قولهم: "المفهوم معناه المنطقي هو مجموع الصفات والخصائص التي تحدّد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديداً يكفي لتميزها عن الموضوعات الأخرى؛ فمفهوم الإنسان بالمعنى الأرسطي -مثلاً- هو أنّه حيوان ناطق، ومصاديقه هم: أحمد ومحمد، وسائر أفراد الناس" (١)، فهو ما وجد في الذهن بصورة كلية، له مجموعة صفات وخصائص حددت الموضوع، وميزته عن سائر الموضوعات الأخرى.

ثالثاً: المفهوم عند علماء الأصول:

عرّفه الأصوليون بأنّه "هو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق" (٢)، وهنا يعني أنّ المفهوم يفهم من اللفظ فهو مدلول لا دلالة، ودلالة المفهوم هي إحدى الدلالات اللفظية الالتزامية بمعنى دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه، لكنه لازم له (٣)، وعُرف المفهوم بأنّه "المفهوم هو: ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق" (٤)، وأضاف ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) "بأنّ يكون حكماً لغير المذكور وحالاً من أحواله" (٥)، وهنا رجح المفهوم بأنه من قبيل الدلالة لا مدلول "والفرق بين الدلالة والمدلول: أن الدلالة كون اللفظ. بحيث يفهم منه المعنى، أما المدلول فهو نفس معنى اللفظ. ولا شك أن الجمهور لا يقصر المنطوق على الحكم بل يعديه ليشمل الذوات" (٦)، وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): "إنّ المنطوق: ما نطق به، والمفهوم: ما لا ينطق به" (٧)، فما يفهم معناه من دون النطق به فهو مفهوم؛ كونه كلي في الذهن فلا معرفة به الا بمصاديقه الخارجية.

رابعاً: المفهوم عند علماء علوم القرآن:

عرفه السيوطي (ت ٩١١هـ) بأنه "ما دلّ عليه اللفظ في غير محل النطق" (٨)، وجاء أيضاً أنّ

(١) بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية الجزء الأول: إبراهيم بيومي، وآخرون، ٣١.

(٢) الأحكام، الأمدي، ٦٦/٣.

(٣) يُنظر: المستصفي من علم الأصول، الغزالي، ٧٤/١. والمحصل في علم الأصول، الرازي، ٢١٩/١. والإحكام في أصول

الأحكام، الأمدي، ١٥/١. وشرح الكوكب المنير، الفتوحى (المشهور بابن النجار)، ١٢٨/١.

(٤) مختصر ابن الحاجب (مختصر المنتهى)، جمال الدين (المشهور بابن الحاجب)، ١٧١/٢. يُنظر: جمع الجوامع، السبكي، ٢٤٠/٢.

أصول ابن مفلح، شمس الدين محمد بن مفلح، ١٠٥٦/٣. وشرح الكوكب المنير، الفتوحى، ٤٨٠/٣.

(٥) مختصر المنتهى مع شرح العضد بحاشية التقنازاني، ابن الحاجب، ١٧١/٢.

(٦) الموسوعة القرآنية المتخصصة، محمود حمدي زقزوق، ١٤٢.

(٧) عناية الأصول، السيّد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، ١٦٠:٢.

(٨) الإتقان، ٢ / ٣٢.

التمهيدالمبحث الثالث: التعريف بالمفهوم

المفهوم "هو حكم دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق، وبتعريف آخر: هو حكم غير مذكور" (١)، فإنّ "المعنى المدلول عليه لم يؤخذ من اللفظ المنطوق مباشرة بل هو مسكوت عنه، وإنّما أخذ من الذهن والمعنى الذهني هو المنفذ الوحيد لدالاته" (٢).

تبيّن مما تقدم أنّ هناك تعريفات مختلفة للمفهوم يمكن القول إنّها تلتقي في المفهوم الذهني أي الشيء الكلي الموجود في الذهن، وعليه لا بدّ من العمل بدقة من أجل تشخيص المفهوم الذي ينطبق على مصاديقه، أو مصطلحاته الخارجية لأنّه "لا نستطيع ان نعرّف المفهوم بدقة ما لم نحدّد موقعه من النظام المفهومي للمجال العلمي الذي ينتمي إليه. فالمفاهيم تنتظم في أنظمة مفهومية تعطيها معناها وتهبها دلالاتها" (٣)، فإنّ معرفتنا الشاملة للمفاهيم القرآنية من طريق تحديد موقعه من النصّ القرآني نحكم على عملنا بأننا سائرون بالاتجاه الصحيح؛ لأنّ النصّ القرآني هو الموقع المفهومي الذي تنطلق منه المفاهيم القرآنية التي سيتم ان شاء الله تعالى الكشف عنها، وإثبات أنّ النصّ القرآني له مدخلية في تحديدها، والمجال مفتوح لإثبات ذلك لأنّ "كل حقل علمي أو نظام مفهومي قابل للتوسع، فتضاف إليه كل منظومات مفهوميّة جديدة" (٤).

فالمفهوم هو المعلوم عند أهل العلم والاختصاص من الألفاظ الدالة على العلوم المتنوعة، وجمعها مفاهيم، وبذلك تكون مفاهيم علوم القرآن هي مجموعة العنوانات الدالة على العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمكي والمدني وأسباب النزول، وغيرها من العلوم، ومصطلحات علوم القرآن هي العنوانات التي تصالح عليها المسلمون وأهل الاختصاص، وعدوها ممن ينضوي تحت هذا العلم.

خامساً: خصائص المفهوم:

وهي مجموعة العناصر التي ساعدت في تحديد صفات الاشياء التي يمثلها ذلك المفهوم (٥)، وبذلك فان المفهوم يتميز عن الحقائق العلمية بخصائص، فإنّ للمفهوم صفاته التي يمكن بواسطتها أن نعبر عن شيء بأنّه "مفهوم" دون سواه.

(١) أصول الفقه، محمّد رضا المظفر ١: ١٠٩. التعريف الأول منسوب إلى الحاجي، والثاني منسوب إلى العضدي. يُنظر: عناية الأصول، ١٦٠:٢.

(٢) هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ١٩١/٤.

(٣) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٢٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ٢٨٨.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه، ٣٣١.

التمهيدالمبحث الثالث: التعريف بالمفهوم

وقبل التطرق لخصائص المفهوم لابدّ من التطرق للفرق بين "المفهوم" و "الحقيقة" لهذا فقد ميز "جراغ وجاسم" ما بين الحقيقة والمفهوم من الخصائص الآتية:

- ١- "التمييز: أي أنّ المفهوم عبارة عن تصنيف الأشياء أو المواقف ويتم التمييز بينها وفقاً لعناصر مشتركة، وبذلك يكون المفهوم أكثر امكانية في تلخيص المعارف والخبرات الإنسانية.
- ٢- التعميم: فالمفهوم لا ينطبق على شيء أو موقف واحد كما هو الحال في الحقيقة، بل ينطبق على مجموعة من الأشياء والمواقف وبذلك فهو أكثر شمولية من الحقيقة.
- ٣- الرمزية: فالمفهوم يرمز فقط لخاصية أو مجموعة من الخصائص المجردة ولذلك فهو أكثر تجريداً من الحقيقة." (١).

وهناك عدد من الخصائص الأخرى التي تميّز المفهوم عن الحقيقة وهي:

- ١- "إنها قليلة العدد نسبياً إذا ما قورنت بالحقائق، إذ يحتوي العلم على عدد من المفاهيم أقل من الحقائق العلمية.
 - ٢- إنّ المفاهيم أكثر ثباتاً من الحقائق، فالحقائق قابلة للتعديل والتغيير، والمفاهيم وإن كانت كذلك إلا أن سرعة تغيرها أقل نسبياً من الحقائق.
 - ٣- إنّ المفاهيم تساعد على ربط الكثير من الحقائق بعضها ببعض لذلك فهي يمكن أن تستخدم في توفير علاقة بين الحقائق المختلفة وجعلها مترابطة بصورة يسهل تعلمها.
 - ٤- إنّها أكثر استخداماً من الحقائق، فالمفاهيم يمكن استخدامها كثيراً في تفسير الظواهر وفي مواجهة بعض المواقف التعليمية ولذلك فإنها تكون أسهل تذكر من الحقائق ولا تنسى سريعاً" (٢).
- بعد هذا البيان يميّز المفهوم عن الحقيقة بعدة خصائص منها التمييز، والتعميم، والرمزية، وبأنّها قليلة إذا ما قورنت بالحقائق العلمية، كذلك ان المفاهيم أكثر ثباتاً، وإنّ المفهوم يربط الكثير من الحقائق فيما، والمفاهيم أكثر استخداماً من الحقائق.

كذلك بين الدكتور علي القاسمي خصائص المفهوم بالآتي:

- ١- "تستخدم الخصائص لمقارنة المفاهيم بعضها ببعض، وتصنيفها، وصياغة تعريفها، وبالتالي وضع المصطلحات التي تعبر عنها بدقة.
- ٢- تساعد الخصائص كذلك على تمييز المفهوم عن غيره من المفاهيم المجاورة له التي تشترك

(١) تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية، جودت أحمد سعادة، وجمال يعقوب، ٦٠. يُنظر: بناء المفاهيم (المقارنة المفاهيمية)، اعداد هيئة التأطير: الأستاذ محمد بن يحيى زكريا، وآخرون، ٢٠-٢٢.

(٢) طرائق تدريس العلوم لمعاهد المعلمين، نادر سعد عبد الوهاب، وآخرون، ١٩ و ٢٠.

التمهيدالمبحث الثالث: التعريف بالمفهوم

معها في بعض السمات الدلالية مثل مفهومي "كرسي" و "أريكه".

٣- تستعمل الخصائص كذلك في بناء المنظومات المفهومية، وفي هذه الحال يطلق عليها اسم الخصائص التصنيفية. ويتم اختيار الخصائص التصنيفية في ضوء بنية وطبيعة الحقل العلمي الذي تنتمي إليه المفاهيم المراد تصنيفها.^(١)

مما تقدم يتضح أنّ خصائص المفهوم هي: (التمييز، والتعميم، والرمزية...) التي ميزت المفهوم عن غيره من المفاهيم، وهذه الخصائص جلتها وجدت في النص القرآني فمفهومه مميز، ومقارن، وبناء للمنظومات المفاهيمية، ومعقد للمفاهيم، وغيرها بل يزيد على ما ذكر أنه مؤسس بنصه لجميع المفاهيم فلا يقاس به نصاً آخر.

يخلص الباحث إنّ ما يُقصد بمفاهيم علوم القرآن هو تلك المفاهيم التي أشار إليها النص القرآني بالمفهوم الكلي الموجود في الذهن، والتي لها مصاديق متعددة في الخارج، ونسبت مفاهيم علوم القرآن إلى القرآن الكريم بوصفه موضوعاً لهذه المفاهيم، فلا تخرج هذه المفاهيم عن النص القرآني، وكذلك يمكن أن نتوصل مما تقدم بان للمفهوم خصائص، وقواعد لابدّ من توافرها فيه؛ لينتج لنا مفهوماً صحيحاً وواضحاً، توافرت فيه ما تم ذكره من خصائص، وبما أنّ مفاهيم علوم القرآن قد صدرت من النص القرآني فإنها ستأسس لمفاهيم إسلامية عربية علمية من شأنها وضع اللبنة الأولى، والأساس الرصين لمفاهيم ستكون قاعدة لكثير من المفاهيم الأخرى؛ وسبب هذه الثروة العلمية هو ارتباطها بأقدس الكتب السماوية، وخاتمها ألا وهو القرآن الكريم، وهذا ما سوف يتم إثباته بحول من الله تعالى في هذه الأطروحة بان للنص القرآني المدخلية في تحديد مفاهيم علوم القرآن الكريم.

(١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٣٣١.

المبحث الرابع التعريف بالمصطلح

المدخل:

علم المصطلح له الأثر البارز والمهم في حياة الإنسان حتى شمل حياته العامة والخاصة، ويُعدُّ من أهم المنظومات التواصلية لبني البشر في جميع الأمور العلمية، والمواقف التي يمر بها الإنسان، لما تقدم في بيان المفهوم بأنه ما يوجد في الذهن بالمعنى العام، ومن أجل نقل المعنى الذهني للمفهوم من الكلمات التي تدل عليه في الخارج، وهذا الشيء الناقل للمفهوم من الذهن إلى الخارج هو المصطلح. إنَّ المصطلحات لا توضع اعتباطاً، أو عبثاً، أو ارتجالاً من دون أي دراسة مسبقة، وقواعد استند إليها بولادة المصطلح، فضلاً عن وجود الأسباب الموجبة لظهور المصطلح، ومن أبرز الأسباب التعلم والوصول بالمصطلح للمعنى الذي أراده المتكلم، وهذا الأمر يكون جلياً فيما لو وقفنا على مدخلية النص القرآني في تحديد مصطلحات علوم القرآن، وللمصطلح أهمية؛ لأنه يساعد كثيراً باستقرار المعرفة بأي شيء؛ لهذا يعدُّ من الركائز المهمة في قضية التعليم والمعرفة، فإنَّ " من المؤكد أنَّ المصطلحات هي رحيق العلوم، إن صح التشبيه؛ فهي خلاصات معرفية يفترض فيها أن تمثل صوراً مصغرة وافية للمفاهيم التي تعبر عنها؛ حيث تتوب الكلمة الاصطلاحية الواحدة عن عشرات الكلمات اللغوية الغائبة التي من شأنها أن تعرف المفهوم المعرفي المرجو تقديمه" (١).

وهناك عدد من المواد اللغوية التي درسها العلماء وسالت أحبار أعلامهم لها من أجل إنارة الطريق أمام المتلقي، ومن هذه المواد وأهمها "المصطلح" لهذا نجدهم اهتمامهم البالغ بتعريفه، وإعطاء خارطته العلمية بوصفه علماً مستقلاً بذاته عن غيره من العلوم الأخرى، فقد حاولوا بكل جهد لديهم من رسم ملامحه ودعائمه، وإثبات ماهيته بجميع الطرق العلمية في إثبات الأشياء، ولهذا سيتم الوقوف على عدد من المحاور في بيان المصطلح على النحو الآتي:

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، ٦٩.

أولاً: التعريف بالمصطلح لغةً واصطلاحاً:

(١) التعريف بالمصطلح لغةً:

المعاجم اللغوية أرجعت أصل لفظة "مصطلح" إلى الجذر الثلاثي من "صلح"، وعليه فـ "الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد"^(١)، فإذا زال الخلاف تصالحوا بمعنى زوال الفساد في الأمر المتنازع عليه، وجاء في معناه انه يطلق على الشخص الذي يصلح نفسه بعد فسادها، وتعطي أيضاً معنى المصالحة مع العدو، ويطلق على كل أمر يراه فيه مصلحة من قبل الإمام أو الحاكم بأن يرى فيه مصالح للمسلمين، كذلك تطلق على كل شخص هو من أهل الصلاح^(٢)، إذ قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "أن الصلاح ضد الفساد والصلح السلم وقد اصطلحو واصلحو وتصالحو واصالحو"^(٣)، فهو ضد الفساد، وبمعنى السلم، وقد جاء أن معنى "الاصطلاحُ: اتِّفاقُ طائفةٍ مَخْصُوصَةٍ على أمرٍ مَخْصُوصٍ"^(٤)، وهذا الاتفاق هو المعنى المراد في دراستنا بمعنى أن المصطلح يدرس ما اتفق عليه علماء علم ما،

إنَّ كلَّ التعريفات أشارت إلى أنَّ معنى لفظة "المصطلح" هو السلم، والمصالحة مع الغير، والاتفاق، والمواضعة، وكل أمر نقيض الخلاف والفساد، وما يهمننا من المعاني الواردة هو ما تصالح عليه قوم وتوافقوا عليه بالوضع.

مما تقدم ينبغي أن المصطلح هو ما اتفق عليه قوم واصطلحو عليه فيما بينهم ليدلَّ على شيء يعرف بينهم، ولا يختلفوا فيه من حيث إنَّ المصطلح يبين لهم المفهوم الذي يُشار إليه.

(٢) التعريف بالمصطلح اصطلاحاً:

عُرف المصطلح بتعريفات متعددة، فقال الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في بانه: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها"^(٥)، فهو اتفاق على تسمية بعدها أضاف طرق وضعه بقوله: "إخراج اللفظ من معنى إلى آخر، لمناسبة بينهما"^(٦)، فأعطى شرط إخراج اللفظ معنى لغيره هو المناسبة بينهما، ثم قال: "الاصطلاح

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/٣٠٣.

(٢) يُنظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ١/٥٥٤، مادة (صلح).

(٣) لسان العرب، ٢٧٦، مادة (صلح). يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٦/٥٤٧ - ٥٤٨، مادة (صلح).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، ٦/٥٥١، مادة (صلح). يُنظر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ١-٢/٥٤٥. المصطلح النحوي، عوض حمد القوزي، ٣٩.

(٥) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، ١٣.

(٦) التعريفات، ٢٨.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الاول، واخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى لغوي آخر، لبيان المراد. وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين^(١)، وبهذا أعطى أكثر من معنى للمصطلح بكونه اتفاقاً على تسمية شيء، أو هو إخراج اللفظ بمعناه اللغوي إلى آخر بشرط وجود مناسبة بينهما، وفي بعض الحالات يقول اخراج الشيء، أو إنه اصطلاح بين قوم معينين، اما الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) فعرف الاصطلاح بقوله: "هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"^(٢)، يُلاحظ أنّها شابها ما أورده الجرجاني بكون المصطلح محوره هو الاتفاق على وضع شيء بين قوم، أو اخراج معنى لغوي من معنى إلى معنى آخر كل ذلك لوجود مناسبة بينهما.

مما تقدم يمكن القول أنّ الاصطلاح فيه أركان ثلاثة وهي:

(١) مُصطَلَح: وهو الذي يقوم بوضع المصطلح. (الواضع).

(٢) مصطلح عليه: ويقصد به ما اتفق عليه. (المعنى).

(٣) ومصطلح: ويقصد به ما أنتج عن الاصطلاح بمعنى تسمية المتفق عليه.

يتبع المصطلح العلم الذي أُصطلح فيه؛ بوصفه "اتفاق جماعة على أمر مخصوص وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح إن تم بين جماعة المحدثين تفتق عن مصطلح في الحديث، وإن قام بين جماعة الفقهاء على مسائل في الفقه نتج عنه مصطلح في الفقه، وإن كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحويًا، وقل مثل ذلك في سائر العلوم"^(٣).

فالاصطلاح هو ما اتفق عليه جماعة من أهل الاختصاص بأي علم من العلوم من وضع لفظ مناسب للمعنى، وما تقدم من تعريفات للمصطلح تعطي معنى الاتفاق بين مجموعة مختصين بوضع لفظ لمعنى مناسب له، فكل علم يختص بمصطلحاته الخاصة به؛ كونه اتفاقاً لغوياً بينهم لميدانهم الخاص، وهذا الأمر ينطبق على أشرف اختصاص ألا هو علوم القرآن الكريم الذي انبرى علماء الاختصاص بوضع المصطلحات المناسبة للنص القرآني؛ لأنّ النص القرآني نصاً مقدساً فلا بد من الكشف عن مدخليته في تحديد مصطلحات علوم القرآن.

إنّ "المصطلحات إذاً هي تلك الألفاظ المتفق عليها في الاستعمال للتعبير عن الأفكار والمعاني

(١)التعريفات، الجرجاني، ٤٤.

(٢) الكليات، الكفوي، ١٢٩. يُنظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/١١٢.

(٣) المصطلح النحوي، عوض حمد القوزي، ٣٩.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

العلمية في أي علم من العلوم، وهي لا تستقر برأي فرد أو جماعة، وإنما يستقر بالإجماع أو ما يشبه الإجماع، بين العلماء المشتغلين به، والمنتهجين بمزايها^(١)، فما اتفق عليه من ألفاظ في أي علم من العلوم هو مصطلح، وشرطه الإجماع عليه بين علماء ذلك العلم.

وعليه يمكن القول بأنَّ المصطلح بحده العام هو: "كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمي مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"^(٢).

وكذلك عُرِفَ علم المصطلح بأنه "الدراسة العلمية للمفاهيم وللمصطلحات التي تعبر عنها في اللغات الخاصة"^(٣)، وعليه فهو "العلم الذي يبحث في المفاهيم، والألفاظ التي تُعبر عنها"^(٤)، فإنَّ المصطلح يدرس المفاهيم، فعلم المصطلح يجمع بين المفاهيم، وعلم اللغة، وعليه فهو "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تُعبر عنها"^(٥)، فالمصطلح يشمل المفاهيم واللغة اما "دراسة المصطلحات في من اختصاصات علم اللغة"^(٦).

كذلك عُرِفَ علم المصطلح بأنه "دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية، ويشتمل علم المصطلح من جهة على وضع نظرية ومنهجية لدراسة مجموعات المصطلحات وتطورها، ويشتمل من جهة أخرى على جمع المعلومات المصطلحية ومعالجتها، وكذلك على تقييسها عند الاقتضاء سواء أكانت هذه المعلومات أحادية اللغة أو متعدّتها"^(٧)، فإنَّ "المصطلح في أصله يعني اتفاق أناس على تخصيص لفظٍ ما لحقل معرفي معين يليق بالدلالة التي يودون الانتهاء إليها من أجل مصلحة يجنونها خلاف ذلك الاستعمال...، ونلاحظ أن مفهوم المصطلح في اللغة العربية لا يطابق مفهوم المصطلح في اللغات الأجنبية من حيث الاشتقاق والمعنى، ولكنه يطابقه من حيث الوظيفة والدلالة"^(٨).

(١) معجم اللسانية: د.بسام بركة، ٢٠١.

(٢) مقدمة في علم المصطلح، علي القاسمي، ٢١٥.

(٣) علم المصطلح أسسُهُ النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٩.

(٤) المصدر نفسه، ٣٥٥.

(٥) توصية المنظمة العالمية للتقييس بجنيف رقم ١٠٨٧ المعدلة من قبل اللجنة الكندية الاستشارية المكونة من خبراء دائرة اللغة الفرنسية وهكذا. ويُنظر: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، الدكتور علي القاسمي، ٢٩٤.

(٦) علم المصطلح أسسُهُ النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٩.

(٧) مفردات المصطلحات، ايزو آر، ١٠٨٧. ويُنظر: علم المصطلح أسسُهُ النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٣٢٤.

(٨) صناعة المصطلح في العربية، عبد الملك مرتاض، مجلة اللغة العربية، فصلية يصدها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، عدد ٢،

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

فالمصطلح الخاص بعلوم القرآن بناءً على ما تقدم هو ما اصطحه النص القرآني باللفظ الصريح المباشر؛ لأنه أشار وأسس لعلوم القرآن بالمصطلح الصريح تارة، وبالمفهوم تارة أخرى. إنَّ البحث في المصطلحات القرآنية أمر مهم؛ لأنه يرتبط بالمفاهيم التي لها الدور المهم في تقدم الأمم، أو لا سامح الله انحطاطها؛ كون المفهوم يُعدُّ الوعاء الذي يحوي ويعبر عن ثقافتها، وفكرها، وهذا الشيء يعطي أهمية للمصطلح القرآني الذي يحدد المفاهيم الإسلامية والقرآنية؛ لأنَّ القرآن الكريم يُعدُّ الأساس في بناء وصناعة الفكر الإسلامي.

ثانياً: التعريف بالمصطلح القرآني:

من المعروف أنَّ جميع العلوم الإسلامية انطلقت من الوحي الإلهي المعصوم للنص القرآني، وكذلك ما صح من السنة النبوية المطهرة، ويعدُّ النص القرآني مفتاحاً للتبديل والتغيير فكذلك المصطلحات القرآنية تعدُّ مفاتيح لجميع العلوم الإسلامية التي نشأت منه، فإنَّ المصطلح القرآني يعدُّ النواة والبذرة الأولى لفهم القرآن الكريم، والأساس الذي ينطلق منه للعمارة وبناء الحضارة الإسلامية، والمنبع الصافي للعلوم والمعارف على مر العصور والازمان، والأساس الذي يجب أن تبني عليه جميع العلوم والمعارف، والوقوف على علم المصطلح يمكن المتدبر بالنص القرآني من الفهم الصحيح والدقيق لألفاظ القرآن الكريم، كل ذلك مشروط باتباع الخطوات الصحيحة لإنتاج مصطلح قرآني مبين للمفاهيم التي وردت في القرآن الكريم.

ومما تقدم يتبيَّن أنَّ المصطلح هو ذلك اللفظ الذي يستتبط من المجال اللغوي من أجل الدلالة على مفهوم خاص يخص مجالاً علمياً محدداً ومعيناً، أما المصطلح القرآني فقد عرف بتعريفات عديدة إلا أنه ممكن القول إنَّ أبرزها تعريف الدكتور البوشيخي، إذ قال: "كلُّ أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تقول بالاسمية"^(١)، فالمصطلح القرآني "إجمالاً هو: كلُّ لفظ قرآني عبّر عن مفهوم قرآني، وتفصيلاً: هو كلُّ لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفرداً كان أم مركباً اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية، جعلت منه تعبيراً عن مفهوم معيّن له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي"^(٢)، وعُرف أيضاً بأنه ما دلَّ على "ألفاظ الوحي التي تُعبّر عن

(١) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة، د. الشاهد البوشيخي، ١٣٠.

(٢) القرآن والدراسة المصطلحية، دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، ٢٠.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

مفاهيم خاصة ضمن تصورات الوحي عامة^(١).

إنَّ "المصطلح القرآني" يتميز بتعاضده مع غيره في داخل النسق البنيوي للقرآن الكريم، ولا يمكن بأي وجه من الوجوه فهمه إلا من داخل النص القرآني، وهو بهذه الخصيصة يتفرد، ويتميز عن سائر المصطلحات التي ولدت ونشأة في بقية العلوم، هذا الأمر يؤكد أنَّ كل ما ارتبط بالنص القرآني من مفهوم، أو مصطلح لابد ان يكون منشأه على دراية شاملة بعلم المصطلح، وألا يحكم هواه، أو اعتقاده في إطلاق مفهوم، أو مصطلح يرتبط بالنص القرآني.

إنَّ "المصطلح القرآني" قد أحدث ثورة دلالية في المعنى، والتي تعدّ الأساس والمنطلق لشتى مجالات العلوم للمسلمين، وهذا الامر يبين عظم الإنجاز الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية وسعت حجمه؛ والسبب أن المصطلح قد ارتبط بالقرآن الكريم مما جعله المصدر المؤسس لجميع علوم الدولة الإسلامية، وهذا الأمر يؤكد على أمر مهم وهو: أنَّ المصطلح يكون قوياً إذا ارتبط بالنص القرآني، واستنتج بصورة صحيحة، وفق ضوابط، وشروط معينة، أمّا إذا تم مخالفة شروط المصطلح، وضوابطه فإنَّ النتيجة تكون ولادة مصطلح يبعدها عن الفهم الصحيح والدقيق للنص القرآني، وهذا الأمر ما سوف أحاول الكشف عنه في هذه الأطروحة بمدى ملاءمة المفهوم والمصطلح لعلوم القرآن للنص القرآني، ومدى مدخلية النص القرآني في تحديد المفاهيم، والمصطلحات التي أشار إليها علماء علوم القرآن الكريم.

يتبن مما تقدم أنَّ إغفال مصدرية النص القرآني في إنشاء العلوم والمعارف والمصطلحات، والبحث عن خارج نصه المعجز يؤدي هذا الامر إلى جعلنا النص القرآني كتاباً لا يهدي والعياذ بالله إلى الحق ولا الخروج من الظلمات إلى النور؛ والسبب أننا جعلنا من مصطلحاته موصلة إلى علوم لا ترتبط بعلوم القرآن الكريم، وخارج دائرته، وقد اتينا بمفاهيم، ومصطلحات مغايرة لمفاهيم ومصطلحاته، وهذا الامر يؤدي بالأمة الإسلامية إلى تأصيل لعلوم ومعارف خارجة، وبعيدة عن النص القرآني، وهذا الأمر لا يزيدنا إلا خسارة قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوشَفَاءٌ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَايَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّاخْسَارًا﴾^(٢).

إنَّ دراسة المصطلح القرآني من مدخلية النص القرآني في ولادته، ونشأته له أثر مهم في البناء المعرفي والعلمي، والحضاري، وهذا الأمر الذي دفع العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن يهتموا بالمفهوم والمصطلح القرآني أشد الاهتمام؛ لأنَّه الطريق والسبيل الوحيد الموصل لمعانيه.

فإنَّ الاهتمام بالمصطلح القرآني، وألفاظ القرآن الكريم، وبيان دلالاتها ترجع جذورها إلى مرحلة

(١) مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، د. أمحمد الينبجي، ٥٤.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٨٢.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

مبكرة ارتبطت بنزول القرآن الكريم، إذ "لا يخفى أن ما أحدثه نزول القرآن الكريم وبيان السنة النبوية من تغييرات جذرية في بنية الألفاظ التي كانت سائدة من قبل، بتزويدها بالمضامين الشرعية، قد خلق واقعاً لغوياً وعقدياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً وسلوكياً جديداً كان سمة الأمة المخرجة إلى الناس" (١)، وهذا الأمر جعل الأمة الإسلامية تتميز عن غيرها بغزارة الألفاظ، والمعاني، والمفاهيم، والمصطلحات، لأن الخوض في مدلول اللفظ يوصل للمعنى المراد، ولا بد "أن يكون الاعتناء بالمعاني الموثقة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود" (٢)، وعليه كان بيان المفاهيم بمصطلحات نوعاً من أنواع البيان للمعنى المراد.

فالنص القرآني له أثر مهم في ظهور المصطلح، ونشأته في جميع العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم كعلوم القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية النحو والبلاغة والصرف، والمعاجم اللغوية، وعلم الكلام، وأصول الفقه، وغيرها من العلوم.

ثالثاً: أهمية علم المصطلح:

يُعدُّ علم المصطلح ذا أهمية كبيرة؛ كونه إذ يُعتمد عليه في تجديد وولادة مفردات تلائم، وتساهم في تحصيل العلوم وإدراكها وضبطها، فإنَّ فهم مصطلحات النص يؤدي إلى فهم النص نفسه، وهذا الفهم راجع لسبب أن المصطلح لفظ يُعبر به عن مفهوم، فهو بيان لما وجد في النص من مفاهيم، أنَّ التهانوي (ت ١١٥٨هـ) أشار إلى أهمية المصطلح بقوله: "إن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإنَّ لكل علم اصطلاحاً به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهمه دليلاً" (٣)، كذلك فإنَّ لعلم المصطلح أهمية هي:

- ١- "المصطلحات هي مفاتيح العلوم.
- ٢- إن فهم المصطلحات نصف العلم؛ لأنَّ المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم والمعرفة مجموعة المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة.
- ٣- المصطلح ضرورة لازمة للمنهج العلمي، إذ لا يستقيم منهج إلا إذا بُني على مصطلحات دقيقة.
- ٤- وقد ازدادت أهمية المصطلح وتعاظم دوره في المجتمع المعاصر الذي أصبح يوصف بأنه

(١) المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، د. سعيد شبار، ١.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ٢ / ١٣٨.

(٣) كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ٢٨.

التمهيد.....المبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

(مجتمع المعلومات) أو (مجتمع المعرفة) حتى أن الشبكة العالمية للمصطلحات في (فيينا) بالنمسا اتخذت شعار (لا معرفة بلا مصطلح).

٥- اللغة وعاء المعرفة، والمصطلح هو الحامل للمضمون العلمي في اللغة، فهو أداة التعامل مع المعرفة، وأسس التواصل مع مجتمع المعلومات" (١).

وهناك أهمية للمصطلح بأن من يقصر عن تحصيل العلم فعليه بعلم المصطلح "معرفة المصطلح هي اللازم المحتم والمهم والمقدم لعموم الحاجة إليه واقتصار القاصر عليه" (٢).
فالمصطلحات تعدّ مفاتيح العلوم بمعنى أنه لا يمكن الولوج لأيّ علم إلا عن طريق المصطلح، لهذا عدّ فهم المصطلح نصف العلم، وعليه عدم فهم المصطلح يؤدي بالفرد إلى فقدان نصف العلم؛ وسبب ذلك أنّ المصطلح هو اللفظ الذي يعبر عن المفهوم، وكما معروف أنّ المعارف مجموعة من المفاهيم المرتبطة فيما بينها، وكذلك من أهمية المصطلح أنّه يمثل ضرورة في بناء المنهج العلمي، فلا استقامة لأيّ منهج إلا إذا أسس على مصطلحات صحيحة ودقيقة، وتكمن أهمية المصطلح في أنّ "لا معرفة بلا مصطلح" إذ إنّ اللغة وعاء المعرفة، والمصطلح هو الذي يحمل المضمون الفقهي للغة، فالمصطلح أداة للتعامل مع المعرفة.

إنّ ما تقدم يمثل أهمية علم المصطلح الذي كشف عن أنّ المصطلح هو مفتاح لكل علم، وأداة تواصلية بين العلماء المتخصصين في علم ما، ويعدّ أيضاً قناة للتفاهم.

وتكمن أهمية علم المصطلح في الفكر الإسلامي في أنّ كلّ حضارة لا تكون مزدهرة، ومتألّقة إلا إذا واكبت جنباً إلى جنب المصطلح العلمي؛ كونه يحدد الإطار العام لفكر أيّ أمة، ويقيس تقدمها، وعقلانيتها "لا يمكن فيما أعتقد أن تكون حضارة مزدهرة متألّقة في أمة من الأمم ما لم تواكبها جنباً إلى جنب حضارة المصطلح العلمي، الذي يُكوّن بحد ذاته الإطار العام لفكر تلك الأمة وعقلانيتها وتقدمها الإنساني، كي تتبلور لها عندئذ سمات الثقافة الحقّة في حياتها المتشعبة، لتصل في النهاية إلى تحقيق غاياتها المثلى في النظر والعمل معاً لبناء صرحها الحضاري الشامخ... فكلما أحسنت الأمة الدقة والرؤية والعمق في تعريفاتها وتحدياتها ورسومها بدت أكثر تألقاً ونضارة على غيرها من الأمم المعاصرة لها" (٣)، وهذا ما لاحظته علماء الإسلام في بداية عصر الإسلام بأنّ التفتوا إلى أهمية المصطلح في

(١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، الدكتور علي القاسمي، ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، احمد بن علي القلقشندي، ٥٥.

(٣) الفارابي في حدوده ورسومه، د. جعفر آل ياسين، ١٤.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

بناء صرحها الحضاري الشامخ، فقد "عني أسلافنا من قديمٍ بالكشفِ عن اصطلاحات العلوم والفنون"^(١)، وإنَّ هناك أهمية لعلم المصطلح بأنه: لا يمكن تحديد الجغرافية اللغوية من دون وجود مفاتيح اصطلاحية التي تكشف عن هوية المقال او النص؛ لان المصطلحات عرفت بانها مفاتيح العلوم "إن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القسوى"^(٢)، فالمصطلح يعدُّ جوهر لكل علم، لأنه مفتاح لكل علم، والمصطلح كينونيته تتجلى داخل كل حقل لساني بواسطة طريقة التواصل له.

يخلص الباحث إنَّ أي حضارة إذا أرادت أن تحافظ على مكانتها وتألقها وتأثيرها بأفرادها وغيرها فلا بد لها من الاهتمام بمصطلحاتها، وخصوصا الحضارة الإسلامية، ويجب عليها أن لا تتأثر بالحضارات الغربية، وكذلك لا تساق خلف أي مصطلح يظهر أو يولد، فلا بد من التحري والبحث الجيد من أجل فرز المصطلح الملائم الذي يواكب الحضارة الإسلامية، والمصطلح غير الملائم الذي يبعد الحضارة الإسلامية عند هدفها السامي بوصفها مصدر اشعاع فكري تهتدي به جميع الشعوب؛ لأنها حملت الدين الإسلامي الذي يعدُّ آخر الأديان السماوية، وكما مرَّ سابقا أن المصطلح هو مفتاح لجميع العلوم، وعليه لا بد من الحذر كل الحذر من كل حضارة، أو شخص يصطلح مصطلح غايته تسويق لحضارته وابرزها وجعلها بالمركز الأول بين الحضارات، وإلغاء الحضارة الإسلامية التي تعدُّ كالأمر لجميع الحضارات في التقنين والتوظيف الصحيح للمصطلح.

رابعاً: شروط علم المصطلح:

الشرط في المصطلح من الأمور المهمة التي تثبته، وتؤكدده؛ لكونه مصطلحاً يعتمد عليه في تحديد المفاهيم، وكذلك "ليس وضع المصطلح بالأمر الهين اليسير"^(٣)، وسبب ذلك أنه "يتطلب تمكنا من المادة وفقها في اللغة، وإحاطة بالتاريخ، ووقوفاً على النشاط العلمي المعاصر"^(٤)، لهذا فقد "جرت العادة أن يقيد المصطلح بجملة من الشروط العامة التي تميزه عن الكلمات اللغوية العادية"^(٥). وعليه لا بد لكل علم من العلوم شروط توضع له، وأحكام وضوابط تحكمه لهذا نجد الأمين العام للمجمع العلمي العراقي الدكتور أحمد مطلوب قد بين الشروط التي تضبط علم المصطلح على النحو الآتي:

(١) المصطلح ومشكلات تحقيقه، د. إبراهيم كايد محمود، مجلة التراث العربي، دمشق، سنة ٢٠٠٥م، العدد ٩٧، ٢٥.

(٢) في المصطلح ولغة العلمي، مهدي صالح سلطان الشمري، ٥٩.

(٣) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، ٦٩.

(٤) لغة العلم المعاصر، إبراهيم مذكور، مجلة مجمع اللغة العربية الأدينى، عمان، س ١٠، ع ٣٠، ١٩٨٦م، ١٠.

(٥) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، ٦٩.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

(١) "اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلميّة.

(٢) اختلاف دلالاته الجديدة عن دلالاته اللغويّة الأولى.

(٣) وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغويّ (العام)" (١).

ولابدّ للباحث في علم المصطلحات أن يتعمق في علم العلامات " ولما كان كثير من المصطلحات

العلمية والتقنية على شكل مختصرات ومختزلات ورموز، فإنه لابد للباحث في علم المصطلح من التعمق في السيميائيات (علم العلامات)" (٢).

وهناك من أضاف أيضاً شروطاً أخرى وهي:

١ - " ضرورة وجود مناسبة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي والمدلول الاصطلاحي

ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

٢ - وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون والحقل الواحد.

٣- تجنب تعدد الدلالات لمصطلح واحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.

٤ - استقرار وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو استقر منه من المصطلحات العلمية العربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد من ألفاظ معربة.

٥- استعمال الرسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي: التراث فالتوليد (مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).

٦ - تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتوارثة عن الكلمات المعربة.

٧ - تجنب الكلمات العامية إلا عند الحاجة، ويشترط أن تكون مشتركة بين اللهجات العربية، وإن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين " (٣).

كذلك نجد منذر العياشي يضع شروطاً في المصطلح هي:-

(١) "مراعاة قدرة الألفاظ المختارة على حمل المفاهيم المرادة والقدرة على أدائها بصورة جيدة وملائمة

شرط دقة هذه الألفاظ المنتمجة إليها، وأن تكون علاقة المصطلح بالمصطلحات المشتركة معه في حقل واحد، واضحة للوضع ذهنياً لحظة اختيار اللفظ.

(١) في المصطلح النقدي، احمد مطلوب، ٨. ويُنظر: بحوث مصطلحية، احمد مطلوب، ٩. وعلم المصطلح أُسسُهُ النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٢٦٧.

(٢) علم المصطلح أُسسُهُ النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، ٩.

(٣) الخطاب النقدي قراءة التراث تكاملية، إبراهيم أحمد ملحم، ١٥٩.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

(٢) من الأمور المؤثرة في اختيار اللفظ مراعاة الذوق العربي وهذا الأمر يساعد على استقرار المصطلح وذيوعه بين المتخصصين.

(٣) البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح متداول للدلالة عن المعنى المقصود ترجمته، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد مثال: الجواهر^(١). وهناك مبادئ أساسية وضعها الدكتور حسام الخطيب في الوضع الاصطلاحي، وهي^(٢):-

- ١- الشرح الدلالي للمصطلح الجديد وترجمته من خلال صيغته اللغوية "الأجنبية".
- ٢- الاستعانة بالتراث العربي الإسلامي لترجيح المصطلح المناسب كلما أمكن ذلك.
- ٣- احترام المحاولات السابقة إن وجدت، وإقرار الرائج منها حتى لو لم يكن دقيقاً.
- ٤- مراعاة مبدأ أمن اللبس والابتعاد عن المصطلحات التي تحمل دلالات مزدوجة.
- ٥- مراعاة القواعد والتوجهات التي أقرتها المجامع اللغوية.
- ٦- الإسراع في طرح المصطلحات الجديدة قبل أن تسبقها مصطلحات غير متناسبة مع اللغة العربية.

ويقول دكتور يوسف وغليسي: "وبعد استيفاء مجمل هذه الشروط، تبقى حياة المصطلح مرهونة بمدى الاتفاق عليه وحجم استعماله ودرجة شيوعه"^(٣).

مما تقدم يظهر أنّ الشروط الواجب توفرها في وضع المصطلح قد تنوعت، وتعددت، مما تؤكد أهمية هذا العلم، وقوة تأثيره في العلوم؛ لهذا كثرت شروطه من أجل تقويته، وندرة وجوده، وبيان حجم الجهد الذي يبذله العلماء في وضع مصطلح ما وفق ما تقدم، وتكون المهمة أصعب فيما إذا تعلق المصطلح بالقرآن الكريم.

خامساً: الفرق بين المفهوم والمصطلح:

قبل الولوج في المائز بين "المفهوم" و "المصطلح" لا بدّ من القول بأنّ هناك رأياً يجعل من كليهما مترابطين، بمعنى أنّه لا مصطلح من غير مفهوم، ولا مفهوم ممكن أن يعرف من غير تسميته بمصطلح، وأنّهما يتكونان من مكونات مفاهيمية ودلالية صغرى، ولهذا من أجل أن ندرك حدود محتوَاهما لا بد من أدراك وحداتهما وكذلك معرفتها بواسطة تجزأتها إلى معانٍ، بعدها مركبة لـ "المفهوم" و "المصطلح"،

(١) اللسانيات والدلالة، منذر العياشي، ٣٦.

(٢) مصطلحات النص المفرع في إطارها الدلالي والتراثي، حسام الخطيب، ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ٧٠.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

وعليه يعدّ التحديد الدلالي في المستوى التركيبي للمصطلح هو: "حصر للمفهوم"، وكذلك عزله عن مفاهيم مجاورة ومغايرة عاملة في حقول أخرى معرفية (١)، فإنّ هناك علاقة ترابطية بينهما فلا مصطلح بلا مفهوم، ولا مفهوم يعرف من غير وجود مصطلح يظهره من الذهن إلى الواقع.

ويظهر مما تقدم إنّ هناك غموضاً وتمائزاً بين "المصطلح" و "المفهوم"، وأسباب هذا الشيء ترجع دلالة المفهوم والاضطراب الحاصل فيها، لهذا نجد أنّ هناك تعريفات متعددة لـ "المفهوم" ومتنوعة أدت إلى عدم دقة تحديد معناه، فتارة يطلق على المعنى المجرد العام، وتارة أخرى يطلق على التصور الذهني، وتارة يطلق على مجموعة الخصائص والصفات التي تكون المعنى العام، أو تطلق على البناء العقلي الذي يصنف الموضوعات الفردية للعالم الداخلي والخارجي، هذه الأمور تخلق وتكون نوع من أنواع الاضطراب؛ لأنه يجعل من "المفهوم" و"المصطلح" اسمان لمسمى وشيء واحد، فاحدهما يسميه ويطلق عليه باعتبار مضمونه، والأخر يسميه ويطلق عليه باعتبار لفظه، هذا الشيء والامر أكدته جملة من الدراسات التي ذهبت بأن "المفهوم" من جهة الصيغ اللغوية له هو "المصطلح"، أو لأنّ "المصطلح" وحدة لغوية عملها تسمية مفهوماً محدداً، أو أنّ "المصطلح" هو ذلك اللفظ الذي يعبر عن "المفهوم"، أو كون "المفهوم" هو مضمون "المصطلح"، وهذا الأمر يجعل من علاقتهما شبيهة بالعلاقة التي تربط الدلالة بالدليل اللغوي، والمعنى باللفظ، فإنّ "المصطلحات" من هذا المنظور تكون دوالاً على المفاهيم، فهي أطر تعبيرية وتصوريّة للمفاهيم، وإن إطاريتها هذه تقوم في اللغة وبها؛ لأن اللغة توصف بكونها نظاماً من الإشارات (٢)، وعليه لوجود هذا الاضطراب في دلالة "المفهوم" يؤدي إلى أنّ "المصطلحات" تفرق عن المفهوم بأنها تكون دالة عليه ومعبرة ومصورة للمفهوم بالخارج.

إنّ الذي يهمننا هو الوقوف على الفرق بينهما، والمائز بين كل واحد منهما، وعليه يتبين ممّا تقدم من تعريفات "المفهوم والمصطلح" أنّ المفهوم يرتكز ويستند على الصورة الذهنية، أما المصطلح فإنّه يرتكز ويستند إلى الدلالة اللفظية للمفهوم؛ وعليه يكون المفهوم سابقاً للمصطلح، بل أنّ المصطلح ارتكز على المفهوم من أجل الظهور والولادة، فإنّ ما يميز المفهوم عن المصطلح هو كون المفهوم يسبق المصطلح زمنياً بمعنى أنّ المفهوم أسبق للمصطلح في الوجود، ويعدّ الركن الأساسي والأساس في عمل أي مصطلحي يستند إليه المختصون في العلوم والآداب، لهذا أول من عرفه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) قائلاً: "الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب" (٣)، وعليه فالمفهوم ما تمثل ووجد بالعقل للأشياء

(١) يُنظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، ١٣٣، وعلم المصطلح بين المعجميّة وعلم الدلالة، عثمان طالب، ٨٤

(٢) يُنظر: الدراسة المفهوميّة، مقارنة تصوّريّة ومنهجية، سعاد كوريم، ٣ - ٤.

(٣) التعريفات، ١٦٨.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

الفردية، وهو قد يشمل مجموعة أو يشتمل على واحد من الأشياء الفردية، وقد يمثل المفهوم مجموعة أو شيئاً واحداً من الفردية، كلها تتوفر فيها صفات مشتركة بها يتولد المصطلح مستقبلاً^(١)، وهناك تعريف مشهور للمفهوم هو: "المفهوم معناه المنطقي هو مجموع الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديداً يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى"^(٢)، فإنَّ المفهوم سابق بالوجود المصطلح؛ لأنَّ مجموعة من الصفات أو الخصائص التي حددت الموضوع وأنطبق عليها اللفظ مما جعله متميزاً عن الموضوعات الأخرى.

وقد لخصت الباحثة "سعاد كوريم" الفرق بين "المفهوم المصطلح" على النحو الآتي:

بان ما امتاز به المصطلح عن المفهوم بأنَّ المصطلح تتوفر به ميزتان هما:

(١) حصول الاتفاق.

(٢) بلوغ مرحلة النضج.

إنَّ الميزة الأولى نجدها واضحة وجلية عند من عرف المصطلح، إلاَّ أنَّ ما أضافته "سعاد كوريم" لهذه الخصيصة والميزة بأنه لا يشترط بالمصطلح من كونه ناشئاً من اجتماع واتفاق طائفة من العلماء بدلالة لفظة ما على معنى معين، بل أنه من الممكن ان ينشأ المصطلح على يد عالم واحد فقط من العلماء، ثم يأخذ المصطلح طريقه إلى الشيوخ، فإنَّه في هذه الحالة أما ان يستقر ويثبت، ثم يشيع بين العلماء، أو أن يترك ويهمل، ويستعاض بغيره، فإنَّ الأساس في الاتفاق عن مصطلح ما أما مباشر أو ضمناً أو تاريخياً، وأن المصطلح مصدره الجماعة، اذن فإن المعيار في كسب المصطلح الاصطلاحية هو "الاتفاق"، فمن دون الاتفاق نكون أمام مفهوم لم يتم الاتفاق ومنتازع عليه، فيبقى ما كان عليه من قبل الاتفاق فيسمى "مفهوماً"، وما بعده نسميه "مصطلح"، وعلى هذا الأساس فإنَّ المفهوم يستعمل بما لم يتم الاتفاق عليه ومختلف فيه، أما المصطلح يستخدم بما اتفق عليه من الألفاظ^(٣).

أما الخصيصة والمائز الثاني "النضج" الذي تميز به المصطلح عن المفهوم فتعدُّها "سعاد كوريم" أساساً وشرطاً في حصول مائز الاتفاق، بمعنى أن المصطلح يكتسب صلاحيته وثباته عندما يحظى بالاتفاق، وحين يبلغ ذروته في النضج يصبح متفقاً عليه، وعليه يتحقق وجود المصطلح بالنضج، لأنه عند غياب النضج يصبح أمام لفظ لغوي مجرد من كل حمولة مفهومية مصطلحية، وعليه عندما يحضر

(١) مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب، مصطفى طاهر، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع: ٦٩، س: ٢٠٠٥، ٢٩، م: ١٠.

(٢) بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، إبراهيم بيومي، أسامة محمد القماش، السيد عمر، ٣١/١.

(٣) يُنظر: الدراسة المفهومية، مقارنة تصويرية ومنهجية، سعاد كوريم، ٤٠ - ٤١. وعلم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في

العربية، د.ممدوح محمد خسارة، ١١.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

النضج حضوراً غير تام، فإنه في هذه الحالة يتحول اللفظ اللغوي إلى مفهوم، أما في حالة كون النضج كامل الحضور، فإن المفهوم أو اللفظ ينتقل إلى مرحلة المصطلح^(١)، لهذا نجد القرآن الكريم بين الاختلاف بين المفهوم والمصطلح، بل إن القرآن الكريم وضع منهج نتعامل مع المفاهيم والمصطلحات وعدم الخلط بينهما، مع التأكيد وضرورة الفرق بينهما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْتَ وَفُؤُولًا أَنْظَرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قَل لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْمَأْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأَيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)، ففي الآيتين يوجهنا الله تعالى بأن نستبدل الفاظ بألفاظ، وكذلك إلى التمييز بينهما والدقة.

وهناك من يرى أنّ "المصطلح" في الوضع المتعارف عليه يُنتج على أثر استحضار القصد الذهني، فـ " التمثيل الذهني للمصطلح لا يتصل بموضوع المعرفة الواقعي، بل يتصل بإدراك المتصور الذهني الذي له موضوع قصدي يتجلى في المعيش القصدي لحظة تكوّن المصطلح معرفياً ودلالياً، ويركّز التمثيل الذهني على العلاقة الرابطة بين إدراك المتصورات واستحضارها لحظة إنتاج المصطلح"^(٤)، فـ "المصطلح" يعرّف بواسطة "مفهوم" سابق الوجود، وله وضع يكون قريباً من الوضع لوحدات التصنيف، من حيث ان جانب الوجود الخطابي للوحدات لا يكون معتبراً على حساب جوانب تصنيف المفاهيم والتوحيد^(٥)، وعليه عندما يتولّد "المصطلح" لسانياً فيكون "مفهوماً ذهنياً" و "متصوراً" ينتقل ويتحول من نشأته الفكرية إلى الصناعة اللسانية شاملة لجميع المستويات المعرفية في الدرس اللساني^(٦)، بعدها تتكون بنيته بواسطة المعنى الذي يشكل ويعدّ النواة الأساسية المخصوصة، وتضاف إليه أيضاً مجموعة خصائص عبر التغيّر القصدي، مما تؤدّي إلى ضبط ماهيته بما هو أساس بالمعنى الرئيس، وكذلك بوصفه مضافاً في المعنى الموضوعي، ثم تقوم البنية الكلية لـ "المصطلح" بدورها الثابت الذي يميّز بين المعنى الموضوعي الذي يتجه باتجاه الوجود "المصطلحي في اللغة"، وبين المتصور الإدراكي المقوم لعملية الإنتاج، والبنية الكلية لـ "المصطلح" تعتمد على تحليل الظاهرة بمستوياتها الدلالي المعجمي والمتصوري الإدراكي، بعدها يأتي "مفهوم المصطلح" جامعاً للصورتين الماديّة اللسانية والذهنيّة^(٧). فإنّ

(١) يُنظر: الدراسة المفهومية، مقارنة تصويرية ومنهجية، سعاد كوريم، ٤٠ - ٤١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٤) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) يُنظر: المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصياغة، مانويل سيليو كونسيساوا، ترجمة: محمد إمطوش، ٣٩.

(٦) يُنظر: المصدر نفسه، ١٣٢.

(٧) ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، ٢٠٦.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

ما يتميز به "المفهوم" عن "المصطلح" بأنَّ الأول صورة ذهنية في الذهن، أما "المصطلح" فهو لفظ وضع بالخارج للدلالة عن المفهوم، فلا ولادة للمفهوم الذهني ما لم يكن له "مصطلح" خارجي يبينه ويضع أسسه وشروطه.

وبيّن الدكتور طه العلواني الفرق بين المفهوم والمصطلح بقوله: "إذا كان المفهوم مغايراً للأسماء من حيث الدلالة والوظيفية المعرفية، وإن كان اسماً من حيث الإعراب؛ فإنه مغاير للمصطلح كذلك، فالمصطلح بمثابة الاسم: يصطلح جماعة من الناس تجمعهم حرفة أو مصلحة أو سواها على إطلاق لفظ بإزاء معنى أو ذات، لا يتنازعون فيما اصطلحوا عليه حيث لا مشاحة في الاصطلاح. أما المفهوم فهو شيء آخر يختلف عن الاسم، ويختلف عن المصطلح، إنه أشبه بوعاء معرفي جامع يحمل من خصائص الكائن الحي أنه ذو هوية كاملة قد تحمل تاريخ ولادته "ويغلب أن يكون تقريباً" وسيرورته وتطوره الدلالي، وما قد يعترضه أثناء سيرورته من عوامل صحة أو مرض وعمليات شحن وتفريغ وتخلية وتحلية؛ ولذلك كانت دائرة المفاهيم أهم ميادين الصراع الفكري والثقافي بين الثقافات عبر التاريخ وستظل كذلك حتى ظهور الهدى ودين الحقّ على الدين كلّه" (١)، فالفرق بينهما أنّ "المفهوم" يشبه بالوعاء المعرف الجامع فهو عام بمعانيه، أمّا "المصطلح" فهو ما يصطلحه جماعة من الناس تجمعهم وتربطهم حرفة أو مصلحة أو علم بواسطة إطلاق لفظ على معنى أو ذات، وهذا المعنى أو الذات هو "المفهوم".

ويفترق المفهوم عن المصطلح بأنَّ الأول يدرس اللفظ الذي يحمل مفهوماً يعوزه الاتفاق والنضج، أما الثاني فيدرس اللفظ الذي يحمل مصطلحاً ناضجاً ومحلّ اتفاقٍ، وعليه لما كان "المفهوم" سابقاً بوجوده "المصطلح"، وفي العلاقة التناسبية فهي مرحلة قبله، فإنّ "المفهوم" لا بدّ أن تقع قبل "المصطلح" مرحلياً، أما العلاقة بينهما فلأنّ "المفهوم" يعد منطلق لعمل "المصطلح" وفي العلاقة التناسبية يعدّ أساسه، كل ذلك يجعل من "المفهوم" مقدمة أساسية لـ "المصطلح" وركناً من أركانه (٢)، فالركن الأساسي للمصطلح ومقدمته الأساسية هو "المفهوم"، وهذا الأمر يعدّ مائزاً بينهما، والمفهوم يحمل مفهوماً ذهنياً يحتاج إلى الاتفاق والنضج، أما المصطلح فإنه يدرس اللفظ وهو بدوره يحمل مصطلحاً ناضجاً ومحلّ اتفاق، وهذا الأمر أيضاً يميز بينهما.

وهناك اختلافاً بأن المفهوم عملية ذهنية كما عرّفه (وارن) بقوله: "عملية ذهنية تشير إلى مجموعة

(١) نحو منهجية قرآنية معرفية، ١٢٤، وبناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، مجموعة من المؤلفين، ١ / ٨.

(٢) يُنظر: الدراسة المفهومية، مقارنة تصوّرية ومنهجية، سعاد كوريم، ١١.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

من الموضوعات أو الخبرات، أو إلى موضوع واحد في علاقته بغيره من الموضوعات، ويعد المعنى الكلي كلياً لأنه يمثل افراداً مختلفين، وفكراً مجرداً؛ لأنه يمثل الصفة السائدة في هؤلاء الافراد" (١)، كما عُرِف بأنه "الصورة الذهنية سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا، كما أنّ المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ" (٢)، وجاء بأنه "ما حصل في العقل، أي من شأنه ان يحصل في العقل، سواء حصل بالفعل، أو بالقوة. ثم المفهوم والمعنى متّحداً بالذات، فإنّ كلاهما هو الصورة الحاصلة في العقل أو عنده ومختلفان باعتبار القصد والحصول. فمن حيث إنّها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنّها تحصل في العقل سميت بالمفهوم" (٣)، كما أنه "صورة ذهنية يمكن تحويلها إلى مصطلح، ومن ثمّ تسميتها لسانياً" (٤).

يختلف المفهوم عن المصطلح؛ لأنه "يركز على الصورة الموجودة في الذهن، اما المصطلح فانه يهتم بالدلالة اللفظية للمفهوم، فإنّ المفهوم لا يعدّ هو المصطلح وانما هو دلالة المصطلح في ذهن المتعلم، وهو مضمون هذه الكلمة؛ لهذا فان التعريف بالمصطلح هو "الدلالة اللفظية للمفهوم"، وعليه يمكن التمثيل بكلمة "الصلاة" التي هي مصطلح لمفهوم معين قد نتج من خلال إدراكنا لعناصر مشتركة بين عدة حقائق فيها التكبير، وقراءة السورتين، والقيام، والركوع، والسجود، والتشهد، والتسليم، أما كلمة الحج فهي عبارة عن مصطلح لمفهوم معين قد نتجه من خلال الإدراك لعناصر مشتركة وهي المواقف، ومواقيت الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف في عرفة، وعليه عند ملاحظة الكلمتين "الصلاة والحج" نرى اننا نعرفنا على أوجه الشبه والاختلاف بينهما بخصائص كل كلمة، بعدها العناصر والخصائص المتشابهة، ثم وضعها في فئات أو مجموعات أطلق عليها "الصلاة-الحج" (٥)، لهذا يمكن القول إنّ المصطلح عملة لها وجهان، يتشكل من التسمية أولاً، أمّا المفهوم فهو تصور يحيل إلى تلك التسمية ثانياً (٦)، لهذا عرّفه الدكتور عبد اللطيف بقوله: "تسمية تختص بالدلالة على مفهوم علمي أو تقني أو حضاري في مجال محدد" (٧)، ومعنى ذلك أنّه "يجب أن يتميز المفهوم بتسمية خاصة به، سواء كانت

(١) بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)، اعداد الاساتذة: محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة، ١٧.

(٢) الكليات، الكفوي، ٨٦٠.

(٣) كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ١٦ / ٢ و ١٧.

(٤) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم: د. خليفة الميساوي: ٥٤.

(٥) التربية الإسلامية وتنمية المفاهيم الدينية، وجيه مرسي أبو لبن، الموقع التربوي للدكتور وجيه المرسي أبو لبن،

<http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/268140>

(٦) نقل المصطلحات الترجمي الى اللغة العربية، خديجة هناء ساحلي، رسالة ماجستير من كلية الآداب واللغات/ جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠م - ٢٠١١م، ٩.

(٧) المنهجيات المصطلحية العربية في العصر الحديث في ضوء النظرية العامة لعلم المصطلح، مجلة التعريب- دمشق، ع: ٢٧، ٢٠٠٤م، ٦١.

التمهيدالمبحث الرابع: التعريف بالمصطلح

تسمية قديمة موجودة في اللغة او تم اعادة احيائها او توليدها بأدوات التوليد، ويجب ألا تطلق هذه التسمية على اي مفهوم اخر، واذا لم يرس العمل المصطلحي على هذا المبدأ "العلاقة الاحادية بين المفهوم والتسمية" فستقصد المصطلحات صفة المصطلحية وتصبح مجرد كلمات يصاحبها الترادف " (١). لهذا يمكن القول: تتعدّد التعريفات بتعدد المسالك والطرق النظرية التي تتبع في بيان المعرف، وعليه اذا كان التعريف مسلكه منطقياً فإنه يهدف إلى الإحاطة بالمعرف جامعة مانعة، فيسمى التعريف "حداً منطقياً"، فيما إذا كان مسلك الحد تداولياً فإنه يتبع التغيرات التي يحدثها بالاستعمال، وفي هذه الحالة يسمى التعريف اصطلاحياً، أما إذا كان مسلك التعريف لغوياً فإنه يبحث عن المعنى، فيسمى التعريف "الدراسة المفهومية"، لهذا فإنّ العلاقة بين هذه التعاريف "المنطقي والاصطلاحى والمفهومي" عموم وخصوص؛ وعليه نقول "كل حد مصطلح وكل مصطلح مفهوم، وليس كل مصطلح حداً، ولا كل مفهوم مصطلح" (٢).

إنّ ما تقدم بيانه بين الفرق بين "المفهوم" و "المصطلح" وما يميّز أحدهما عن الآخر، وما سيتم الكشف عنه في هذه الأطروحة هو ما تم وضعه من علماء علوم القرآن من مفاهيم ومصطلحات، وبيان مدى مدخلية النص القرآني فيها، ومدى ملائمة ما درسه ووضعها العلماء من مفاهيم ومصطلحات لعلوم القرآن الكريم مع ما أشار إليه النص القرآني لهما.

فمصطلح علوم القرآن قصدت فيه كل مصطلح أورده النص القرآن باللفظ الصريح المباشر، وبهذا يكون متميزاً عن مفاهيم علوم القرآن؛ كون الأخير ورد في النص القرآني بالمفهوم الكلي في الذهن من دون إشارة بلفظ صريح عليه.

(١) إشكالية المصطلح اللساني والسيميائي من الفرنسية الى العربية، بن مالك أسماء، رسالة ماجستير في الترجمة، الجزائر، جامعة ابي

بكر بن بليقاد-تلمسان-، ٢٠١٣/٢٠١٤م، ١٨.

(٢) يُنظر: الدراسة المفهومية، مقارنة تصوّرية ومنهجية، سعاد كوريم، ٣ - ٤.

المبحث الخامس

التعريف بعلوم القرآن

علوم القرآن من الجمل التركيبية التي تتألف من لفظتين "العلم" و "القرآن" ومن أجل بيان المعنى التركيبي لابد من تعريف كل لفظة على حده، بعدها أعرف علوم القرآن بوصفه مركباً:

أولاً: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح:

(١) عُرِف العلم في اللغة بأنه العلامة المميزة للشيء^(١)، ويدل أيضاً على نقيض الجهل أو اليقين^(٢)، وعُرِف بالمعرفة^(٣)، فالمعنى اللغوي متعدد العلامة والمعرفة واليقين، واقرب المعاني المعرفة.

(٢) أما العلم اصطلاحاً: فعرف عند الحكماء بقولهم: "حضور صورة الشيء عند العقل"^(٤)، وقسموه إلى علم حصولي وحضوري، أما المتكلمين فعُرف "صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض"^(٥)، وهنا قصدهم تعريف بصفة العلم للخالق تعالى، وذلك من أجل التفريق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية^(٦). وعرفه الأصوليون بـ "الحكم الجازم الذي لا يقبل التشكيك"^(٧)، وهذا التعريف عند كلامهم عن حجية الأدلة من أجل التمييز بين القطع والظن؛ لأن العلم هو اليقين والجزم بالحكم.

أما تعريف العلم عند إضافته لموضوع محدد فهو مجموعة من الأصول والقواعد المشتركة في دراسة موضوع محدد واحد بشرط أن هذه الأصول أو القواعد لها قابلية التعلم، وتساعد على معرفة هذا العلم المضاف وتحيط به^(٨)، وهذا المعنى هو المقصود من إضافة "علوم القرآن"؛ لأن لها قواعدها واصولها وموضوع محدد -القرآن الكريم- يكون مجموعة من المباحث، والعلوم في القرآن الكريم.

ثانياً التعريف بالقرآن لغة واصطلاحاً:

القرآن في اللغة أما مأخوذ من مصدر مهموز "قرأ"، أو من فعل غير مهموز "قري"، وفي اللغة له

(١) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ١٩٩٠/٥.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ١٩٩٠/٥.

(٣) يُنظر: المصباح المنير، الفيومي، ٤٢٧/٢.

(٤) المنطق، المظفر، ١٣.

(٥) المواقف، الايجي، ٥٩/١.

(٦) يُنظر: دروس في العقيدة، مصباح الايزدي، ٩٤/١.

(٧) قوانين الأصول، الميرزا القمي، ٣٤٣/٢.

(٨) يُنظر: دروس في علوم القرآن، يحيى عالي ياسين، ٥.

معنيان:

- (١) الجمع: سواء أكان مشتق من الفعل المهموز^(١)، أو كان من الفعل غير المهموز^(٢).
- (٢) التلاوة والقراءة: ومعناه النطق بالمكتوب من الآيات^(٣)، وهناك مَنْ فرّق بين القراءة والتلاوة " الفرق بين التلاوة والقراءة وذلك أنّ التلاوة لا تكون في الكلمة الواحدة والقراءة تكون فيها تقول قرأ فلان اسمه ولا تقول تلا اسمه وذلك أن أصل التلاوة من قولك تلا الشيء الشيء يتلوه إذا تبعه فإذا لم تكن الكلمة تتبع أختها لم تستعمل فيها التلاوة وتستعمل فيها القراءة لأن القراءة اسم الجنس هذا الفعل"^(٤)، وجاء أنّ الفرق هو "أن التلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً والقراءة تكون للكلمة الواحدة يقال قرأ فلان اسمه ولا يقال تلا اسمه وذلك أنّ أصل التلاوة اتباع الشيء الشيء يقال تلاه إذا تبعه فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصح فيها التلو"^(٥).
- يتبين مما سبق أنّ القرآن الكريم يكون معناه الجمع؛ لأنّ التلاوة معناها ما جمع من الكلمات من خلال ضم بعضها إلى البعض الآخر.

أما القرآن في الاصطلاح فقد عُرف بتعريفات متعددة منها "ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة، نقلاً متواتراً، ونعني بالكتاب القرآن المنزل"^(٦)، كما جاء بأن معناه "وكتاب الله هو كلامه... وهو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً"^(٧)، وأيضاً عُرف "الكلام المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً"^(٨)، وعُرف كذلك بأنه "كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً"^(٩)، وعرفه العطار (ت ١٤٠٣هـ) بقوله: "وحي الله المنزل على النبي محمد (ﷺ) لفظاً ومعنى وأسلوباً، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر"^(١٠)، في حين نجد السيد الحكيم (ت ١٤٢٤هـ) عرفه بقوله: "القرآن الكريم هو الكلام المعجز المنزل وحيّاً على النبي (ﷺ) المكتوب في المصاحف، المنقول

(١) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٦٥/١. ولسان العرب، ابن منظور، ١٢٩/١.

(٢) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٧٨/٥.

(٣) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٦٥/١. ولسان العرب، ابن منظور، ١٢٨/١.

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ٦٣-٦٤.

(٦) المستصفي من علم الأصول، الغزالي، ٨١.

(٧) روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة، ٢٦٦/١.

(٨) ارشاد الفحول، الشوكاني، ٢٩.

(٩) دروس في أصول فقه الإمامية، الفضلي، ١٣٨/١.

(١٠) موجز علوم القرآن، العطار، ١٧.

التمهيد المبحث الخامس: التعريف بعلوم القرآن

عنه بالتواتر المتعدد بتلاوته"^(١)، والباحث يرى أن تعريف العطار جاء جامعاً مانعاً؛ لشموله كل حيثيات القرآن الكريم.

يمكن القول إنّ القرآن الكريم الكتاب المنزل من الله تعالى بوساطة الوحي على صدر النبي محمد (ﷺ) المنقول عن طريق التواتر المعجز على مرّ العصور ببيانه وأسلوبه ونظمه، المكتوب بالمصحف الذي يبدأ بسورة الفاتحة ويختم بسورة الناس.

فهو القرآن الكريم الذي بين أيدينا الآن الذي سيدرسه الباحث ليرى مدى مدخليته في تحديد مفاهيم ومصطلحات علوم القرآن.

ثالثاً: التعريف بعلوم القرآن:

عُرِّفت "علوم القرآن" بوصفه مركباً إضافياً بأنها "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك"^(٢)، وعُرِّفت بأنها "جميع المعلومات، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم"^(٣)، ولم يبتعد مناع القطان (ت ١٤٢٠هـ) عن تعريف الزرقاني^(٤)، وعرفها الشيخ معرفة (ت ١٤٢٧هـ) بقوله: "مصطلح خاص لمجموعة مباحث دارت حول مختلف شؤون القرآن الكريم، لغاية معرفة هذه الشؤون معرفة فنية وفق أصول وضوابط"^(٥)، والتعريف الأخير جعل لعلوم القرآن أصولاً وضوابط لا بدّ من اتباعها فلا يترك الأمر مفتوحاً بجعل أو نسبة كلّ علم إلى علوم القرآن، والباحث في الفصل الأول من هذه الأطروحة سيدرس ضوابط علوم القرآن التي إذا أخذ بها ستكون بمثابة الميزان الذي يقبل العلم ويضمه لعلوم القرآن أو يرده لمخالفته الضوابط، الأمر الآخر أنّ الباحث يصبو إلى اثبات أنّ النص القرآني الحاكم الأول والمؤسس الأول لعلوم القرآن، وعليه لا بد من إثبات مدخليته في تحديد مباحث علوم القرآن.

وعرّف الدكتور فاضل مدب علوم القرآن بأنها "مجموعة من الأبحاث الكلية العلمية المنبثقة من القرآن، والمرتبطة به من جهة كونه موضوعاً لها"^(٦)، فعلم القرآن لديه معناها "اصطلاحياً خاص بعلم

(١) علوم القرآن، الحكيم، ١٧.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ٢٧/١.

(٣) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ٢١١.

(٤) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ١١.

(٥) التمهيد في علوم القرآن، ١٥/١.

(٦) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٢٧.

التمهيد المبحث الخامس: التعريف بعلوم القرآن

مدون يُعرف ب (علوم القرآن) وهو علم يضم أبحاثاً كلية هامة تتصل بالقرآن الكريم من نواحٍ شتى يمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً " (١)، حيث بيّن أنّ سبب اختياره لهذا التعريف الاصطلاحي دون اللغوي؛ لجامعيته وشموليته وعلميته، لأنّ "القرآن اعتبارات متعددة، وهو بكل واحدة من تلك الاعتبارات موضوع لبحت خاص" (٢)، وهو بهذا المعنى "يختلف في مبانيه اختلافاً واضحاً عن سائر البحوث المتعلقة بالقرآن وهي بأجمعها لا تلتقي في دلائلها ولا في نتائجها، بل أصبحت تلك المباحث علوماً متنوعة، يجمع بينها موضوع واحد هو البحث في شؤون القرآن الكريم" (٣)، وما يميل إليه الباحث في تعريف علوم القرآن ما ذهب إليه الدكتور فاضل مدب بأن علوم القرآن هي الأبحاث الكلية التي أشار إليها النص القرآني فانبتت منه؛ كونه موضوعها وأساسها، وعلوم ارتبطت به بصورة غير مباشرة؛ كون القرآن ليس موضوعها، الا أن لها تأثيراً بالعلوم المنبثقة منه كما في أسباب النزول التي أثرت مثلاً بالعام والخاص أو المطلق والمقيد.

أما ما قصدته بمصطلحات علوم القرآن هي تلك العلوم أو المباحث التي أشار إليها النص القرآني باللفظ الصريح، وكان موضوعها القرآن الكريم؛ وبما أنه يجب أن يكون كل مصطلح تابعاً إلى موضوعه، فالنتيجة أنّ كل علم لا يكون موضوعه القرآن الكريم لا يصح نسبته إلى علوم القرآن، وهذا الأمر ما سيتم الكشف عنه بإخراج بعض العلوم التي نسبت إلى علوم القرآن إلا أنّ موضوعها لم يكن النص القرآني، وهذا الأمر ما سيتم دراسته في الفصل الأول من هذه الأطروحة عند تناول أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم بحول من الله وقوته.

وتأسيساً على ما تقدم فإنّ الباحث قصد بعنوان الأطروحة العلوم والمباحث لعلوم القرآن وتاريخه التي كان النص القرآني موضوعها ومؤسساً لها، أو العلوم التي ارتبطت به بصورة غير مباشرة، ولها تأثير بالعلوم المنبثقة، وللنص القرآني المدخلية في تحديدها سواء أشار إليها بالمفهوم أو بالمصطلح الصريح، وغايتها البيان والكشف عن مراد الله تعالى، وهذا الأمر لا يشمل مطلق العلوم التي وجدت في النص القرآني، وعليه فكل علم لا يكون النص القرآني موضوعاً له لا يُنسب إلى علوم القرآن وإنّ أشار إليه النص القرآني؛ وهذا ما سوف يبيّنه الباحث في الفصل الأول من هذه الأطروحة من خلال بيان أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم.

(١) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٢٧.

(٢) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم / ٢٣.

(٣) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٢٧.

الفصل الأول

أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم وضوابطها

- المبحث الأول: ضوابط علوم القرآن
- المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
- المبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة
- المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن

الفصل الأول

أنواع العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم وضوابطها

توطئة

يهدف هذا الفصل إلى إيراد العلوم التي وجدت في النص القرآني، وأشار إليها إشارة صريحة وواضحة أو على نحو إجرائي تطبيقي عملي، والكشف عن هذه المصطلحات التي بينها علماء علوم القرآن الكريم في مؤلفاتهم؛ لأنَّ من المعلوم كل علم يؤلف يضم بين طياته مجموعة من المسائل والقضايا التي تدور مدار العلم المدروس، ويطلق على هذا الشيء "موضوع العلم" الذي عُرف بأنه "الذي يبحث عن عوارضه الذاتية"^(١)^(٢)، كذلك يمكن تعريفها "ما يكون أهل العلم بصدد بيانه والبحث عن عوارضه، فهو الجهة الجامعة لمسائل كل علم والرابطة بين مبادئ تلك المسائل، كموضوع الوجود في علم الفلسفة، والكلمة في علم النحو، ونحو ذلك"^(٣)، وعليه يمكن القول إن "موضوع العلم" ما يجهد المؤلف نفسه ويهدف لبيانه بأن يجمع مسائل العلم الذي يدرسه ويبينها ويضع المصطلحات المناسبة لها التي تلائم المسائل المستخرجة منه.

فتحديد موضوع العلم أمر ضروري، ولا بدَّ من وجوده في كل فن وعلم، وهذا الأمر اشتهر^(٤) بين العلماء، وفيه تلتقي موضوعات العلم ومسائله، فيكون الموضوع مورد البحث بأطواره وأحواله، وآثاره وخصوصياته، وأحكامه^(٥)، فموضوع العلم "إنَّما احتيج إليه ليربط بعض المسائل ببعض ارتباطاً يحسن مَعَهُ جعل تلك المسائل الكثيرة علماً واحداً"^(٦)، وعليه ترتبط علوم القرآن ارتباطاً وثيقاً

(١) العوارض الذاتية هي: "التي تلحق الشيء لما هو، كالتعجب اللاحق لذات الإنسان أو لجزئه كالحركة بالإرادة اللاحقة للإنسان بوساطة أنه حيوان، أو بوساطة أمر خارج عنه مُساو له، كالضحك العارض للإنسان بوساطة التعجب"، التعريفات الجرجاني / ١٣٠.

(٢) حاشية رد المختار، ابن عابدين: ١/٤٠، ويُنظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، الانصاري: ٣/٥٠٧.

(٣) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٧.

(٤) في قبال هذا المشهور هناك دعوى مناقضة، مفادها عدم ضرورة وجود موضوع لكل علم هدفه الدوران في مسائله، وأنما الخصوصية تكون في المسائل نفسها تجمع بينها، وعليه فلا يوجد لأي علم موضوع يتقدم عليه، وما يسند من مواضيع لأي علم فهي من باب المجاز لا الحقيقة، وقد استدلوا أصحاب هذا الرأي بقول ابن سينا في الشفاء، ٤/١١٠: ((إنا ما ورثنا عن تقدمنا في الأقيسه إلا ضوابط غير مفصلة، وأما تفصيلها وإفراد كل قياس بشروطه وضروره فهو أمر كددنا فيه أنفسنا وأسهرنا أعيننا حتى استقام على هذا الأمر)). يُنظر: أجود التقريرات، النائيني: ٣/١. وأصول المظفر، ٢/١. ومحاضرات في أصول الفقه، الخوئي، ١/٢٨. وحاشية كفاية الأصول، القوجاني، ٢/١.

(٥) يُنظر: الاحكام، الأمدي ١٧. وارشاد الفحول، الشوكاني، ٢٣. ودروس في علم الاصول، محمد باقر الصدر، ١٢/٢. والمباحث الاصولية، الفياض، ١/٦٢.

(٦) التقرير والتجبير، ابن سير الحلبي، ٥٤.

الفصل الأول توطئة

من جهة موضوعها بالقرآن الكريم من جهة التفسير والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، وغيرها من الموضوعات، وعليه يتضح للباحث أن موضوع علوم القرآن هو النص القرآني، يتميز اعتباراته في تلك العلوم (١).

ويمكن القول إن العلم -أي علم- لا يمكن أن يوصف بهذا الوصف ما لم يكن فيه موضوعاً تدور حوله مسأله، وبه يتميز عن غيره من العلوم.

والمعلوم أنّ علوم القرآن موضوعها القرآن الكريم، وهي تتميز عن غيرها من العلوم في موضوعها، فكل علم من علوم القرآن موضوعه القرآن بلا شك مثل "علم الخاص والعام" الذي يكون موضوعه الآيات ذات الحكم العام وما يخص ذلك العام القرآني، وهكذا بالمطلق والمقيد فموضوعها الآيات المطلقة وما يقيدها من ذلك الاطلاق في النص القرآني وهكذا في سائر علوم القرآن.

وعليه لابد من بيان مدخلية النص القرآني فيما وضعه علماء علوم القرآن من مفاهيم ومصطلحات في مؤلفاتهم؛ لأنّ القرآن الكريم هو الأساس في موضوع علوم القرآن، فمسائل علوم القرآن نشأت وحددت من القرآن الكريم، فأصبحت موضوعاً للعلم المؤلف واصطلاح عليه بـ "علوم القرآن"، فإنّ هناك كثيراً من العلوم وجدت في مصنفات علماء علوم القرآن، ونسبت إلى القرآن بوصفه موضوعاً لهذه العلوم، ومن أجل بيان ما ارتبطت من علوم القرآن بالنص القرآن بصورة مباشرة، وموضوعه القرآن، وبين ما لا يكون القرآن موضوعه، وارتبطت بالقرآن بصورة غير مباشرة، وبين علوم أشار إليها النص القرآني إلا أنها ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن، فالباحث هنا سيورد أنواع علوم القرآن التي ارتبطت بالقرآن الكريم، مسبقة بضوابط لعلوم القرآن، ومن أجل الوصول للمراد ساصنف الفصل هذا حسب المباحث الآتية:

(١) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ١١. وعلوم القرآن، الحكيم، ٢٢. والتمهيد في علوم القرآن، معرفة، ١٥/١.

المبحث الأول ضوابط علوم القرآن

المدخل:

لكل علم من العلوم ضوابط تحكمه، وتضبطه، وهذا الأمر يشمل البحوث في الشأن القرآني ولاسيما في علومه، فمن الضرورة الإتيان بها والسير على خطاها؛ لأنه " شاع في عصرنا مصطلح علوم القرآن ويعنى به طائفة من البحوث المتعلقة بالقرآن ولم أجد من حدده بدقة، والأفضل أن يقال إنه العلم الباحث حول أحوال النص القرآني كتابة وقراءة، ومعنى، وبذلك تخرج بحوث المواضيع القرآنية من التوحيد مثلا فإنها ليست من أحوال النص بل من معاني ومواضيع القرآن. ويشتمل هذا المصطلح بحوث رسم القرآن والقراءات والناسخ والمنسوخ وكذلك البحث في الفرق في التأويل والتفسير واقسامهما حيث أنها من أحوال النص القرآني" (١)، فمع وجود جملة من العلوم ترتبط بالقرآن الكريم التي سوف أشير إليها في هذا الفصل ستكون هذه الضوابط كالبوصلة التي اسير إليها لتحديد أنواع علوم القرآن التي ذكرها النص القرآني، وتصنيفها الى علوم منبثقة أو خادمة أو خارجة، لهذا فقد ارتأيت أن اتطرق في هذا المبحث عن "ضوابط علوم القرآن" والكشف عنها؛ لكونها بتماس مباشر مع عنوان الاطروحة، والعلم بها سيعطي الركائز الأساسية لهذا العلم، والأمر الآخر أن وضع ضوابط لعلوم القرآن سوف يحدد مساحة وضع المصطلحات التابعة للنص القرآني، وبها يتم الكشف عما هو تابع لعلوم القرآن مما هو غير تابع، والكشف أيضا عن وجود بعض الأمور الاجتهادية في وضع هذه المباحث أو المصطلحات؛ والسبب وضع العلماء ضوابط خاصة بهم في التأسيس لهذه العلوم، ومن أجل بيان هذه الضوابط سيتم التطرق إلى الأمور الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالضابط لغةً واصطلاحاً:

(١) تعريف الضابط لغةً:

الضابط مفرد جمعه (ضوابط) وهي بمعنى حبس الشيء ولزومه (٢)، ومعنى لزومه بمعنى عدم مفارقتها في كل شيء (٣)، فالمعنى ما لزم الشيء فلا يفارقه مهما حصل، وعليه فالمعنى المختار لـ "ضوابط

(١) دراسة حول القرآن الكريم، محمد حسين حسيني جلاي، ٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٧ / ٣٤٠.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ٧ / ٣٤٠. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٨٧٢.

الفصل الأول.....المبحث الأول: ضوابط علوم القرآن

علوم القرآن" ما لزم هذه العلوم من ضوابط وشروط لا تنفك عنها، وتكون ملزمة للغير بوجود وجودها.

(٢) تعريف الضابط اصطلاحاً:

عُرِف الضابط اصطلاحاً بأنه "حكم كلي ينطبق على جزئيات. والفرق بين الضابطة والقاعدة أنّ القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى والضابطة تجمعها من باب واحد، هكذا في الفن الثاني من الأشباه والنظائر" (١)، فالمعنى ما كان حكماً كلياً منطبقاً على جميع جزئياته، فمعنى الضابط "كل ما يحصر جزئيات أمر معين" (٢)، فإنّ الضابط يختص بباب أو علم واحد (٣) وهذا الأمر أشار إليه بعض الأعلام (٤)، والأمر الآخر أنّ الضابط كونه يضبط موضوعاً واحداً لا يوجد فيه شذوذ فلا شذوذ ولا تسامح فيها (٥)، فالضوابط تحكم العلوم من دخول الأغيار أو العلوم التي لا تتسجم وموضوع العلم المؤلف، كما هو في علوم القرآن الذي موضوعه هو النص القرآني.

واستناداً إلى ما سبق ذكره، فالضابط مفرد جمعها (ضوابط) ومعناها مجموعة من الأمور الملازمة للشيء التي لا تنفك عنه، وما سيتم البحث والكشف عنه هو إيراد الضوابط التي تحكم علوم القرآن، والتي تكون ملازمة لهذه العلوم ولا يمكن الفصل والانفكاك فيها، فإن هذه الضوابط ستقيد العالم الذي يخوض في علوم القرآن؛ لأنّ الأمر راجعاً لضوابط يسير عليها لا لمطلق حريته بالتفكير والكتابة.

المطلب الثاني: ضوابط علوم القرآن:

تماشياً مع ما تم ذكره من بيان معنى "الضوابط" فما سيجاول الباحث الكشف عنه هو إيراد "ضوابط علوم القرآن" التي تشكل القواعد الكلية التي تتدرج تحتها مباحث علوم القرآن؛ لأنّ "علوم القرآن مصطلح علمي، يدلّ على فنّ عظيم، جليل، وهو كالمقدمة لا بد منها لمن أراد دراسة القرآن الكريم وفهمه، وهو بهذا مركّب إضافي يشتمل على كثير من المعارف والفنون المتعلقة بالقرآن الكريم سواء كانت تخدم معاني القرآن مباشرة أو تحوم حوله، أو تستمدّ منه وتستند إليه مثل علم أسباب النزول، والمناسبات والقراءات وإعراب القرآن وإعجازه، وسائر علوم اللغة والبلاغة وغير ذلك. هذا هو المشهور عند الأقدمين، إذ كل علم من هذه العلوم، صنّف فيه العلماء كتباً كثيرة، كلٌّ تناول القرآن من زاويته

(١) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١١١٠.

(٢) القواعد الفقهية، د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، ٥٨ وما بعدها.

(٣) القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، ٤٦.

(٤) يُنظر: الأشباه والنظائر، السبكي، ١٩٢. والأشباه والنظائر، أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ٧/١. والكليات، أبو البقاء،

٤٨. وحاشية اللبناني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، اللبناني، ٢/ ٢٩.

(٥) القواعد الفقهية، الندوي، ٥١.

الفصل الأول.....المبحث الاول: ضوابط علوم القرآن

الخاصة ثم نقل بعد ذلك من المعنى الإضافي وجعل علماً على الفن المدوّن، الذي يجمع كل هذه العلوم أو الفنون في كتاب" (١)، إنّ الموضوع الذي تدور حوله هذه العلوم هو "النص القرآني" فلا بد أن تكون هذه الضوابط نابعة وصادرة منه، وأن هناك مجموعة من العلوم والمسائل التي ذكرها علماء علوم القرآن التي استندت إلى القرآن الكريم في استنباطها؛ لأنّ موضوعها النص القرآني، وكل علم تابع إلى موضوعه.

ويرى الباحث أنّ من مدخلية النص القرآني في التأسيس لعلوم القرآن، يمكن القول بأنّ هناك ضوابط ممكن استنباطها عند مقابلة النص القرآني مع علوم القرآن، فلا يؤخذ منها إلا ما أشار إليه النص القرآني، وهذه الضوابط على النحو الآتي:

(١) ورود المصطلح في القرآن الكريم مطلقاً - أي منصوفاً عليه في النص القرآني - من دون شرط أو قيد؛ لـ "أن لأستاذنا الدكتور الصغير رأياً في حصر مصطلح علوم القرآن، بالعلوم والمعارف التي تعرف من القرآن في نصوصه ومن أعماقه ليس غير. فهو يرى أن "مصطلح علوم القرآن" لا ينطبق إلا على العلوم التي تستنبط من صميم النص القرآني وحده، لا التي تدور حوله، بل التي تستخرج من داخله فحسب، وما تعلق به خارجياً وفي ضوئه ومن محوره في وحي القرآن، ونزول القرآن، وقراءات القرآن، وشكل القرآن، وتدوين القرآن، وكتابة القرآن ورسمه، وسلامة القرآن من التحريف، كلها من تاريخ القرآن لا من علوم القرآن، وبذلك يفرق بين النص داخلياً، وبين ما يبحث في إطاره خارجياً، وبذلك يمكن فرز علوم القرآن من العلوم التي تسخر لفهم القرآن، أو التي توظف لمعرفة ما يدور في فلك القرآن وهي ليست من علومه" (٢)، وهنا الدكتور الصغير (ت ١٤٤٤ هـ) (رحمه الله تعالى) فرق بين علوم القرآن وتاريخيته، وهذا الأمر سوف يبيّنه الباحث في الفصل الثالث من هذه الأطروحة من أنّ هناك بعض العلوم اختلف بها هل هي تابعة لعلوم القرآن أم لتاريخيته، أما أنها تابعة لعلوم القرآن تحت مسمى تاريخ القرآن، المهم هنا الإشارة أن الضابط هنا لا بد أن يكون العلم التابع لعلوم القرآن الكريم مذكور بالمصطلح في النص القرآني كالمحكم والمتشابه والتفسير والتأويل وغيرها من المصطلحات التي تم ذكرها في المبحث الاول من هذا الفصل.

(١) الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف شرجي، ٤٩٩.

(٢) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٠٨. مقابلة شخصية مع الدكتور محمد حسين علي الصغير في ٢٣ رمضان / ١٤٢٩ هـ، كلية الفقه / جامعة الكوفة.

(* الدلالة المطابعية: (وهي دلالة اللفظ على تمام المعنى الذي وضع له، كدلالة لفظ دار على جميع مرافقها)، (معجم مصطلحات المنطق، السيّد جعفر باقر الحسيني، مطبعة بقیع، ط١، دار إعتصام، ١٤٦)، أي: أنه متى ما أطلق لفظ الدار فهم منه جميع مرافق الدار وليس جزءاً منها، أو أنّ المعنى هو: (الدلالة الأصلية للألفاظ التي لأجلها مباشرة وضعت معانيها) " (المنطق، محمد رضا المظفر، مطبعة النعمان - النجف الأشرف، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ٣٣/١.

الفصل الأول.....المبحث الأول: ضوابط علوم القرآن

(٢) ورود المصطلح القرآني بالمدلول المطابقي(*) لأنه يشكل ضابطة كلية لمعالجة أمور متعددة في القرآن الكريم، وهذا ما يتم الكشف عنه من جهة "إطلاقه كعلم للعلم المدون المخصوص: فهو ما نُقل من المعنى التركيبي وجعل عَلمًا، وأصبح مدلوله فناً قائماً بذاته، وهو أخص من مدلوله بالمعنى التركيبي، فيختزل القول بأن علوم القرآن: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم في ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده وخاصه وعامه ومجمله ومفصله، ومبهمه ومبينه، وقصصه وأمثاله، وفنه الجدلي، وما قارب ذلك"^(١)، فعلم القرآن لا بد أن تكون منبثقة من النص القرآني وتعرف منه، وقد أخرج الدكتور الصغير بهذه الضابطة علوم القرآن التاريخية ك "اسباب النزول والوحي وترتيب المصحف... الخ"؛ لكونها علوم لا تنسب للقرآن بل تدور في فلك القرآن^(٢)، وانطلاقاً من هذا الأساس فقد عرف الدكتور الصغير رحمه الله تعالى علوم القرآن بقوله: "تلك العلوم والفنون التي تُستخرج من القرآن الكريم، وتستتبط من معارفه الكبرى، وهي تشمل كل علم تم استحياءه من القرآن، وكل فن يتعلق بصميم القرآن داخلياً"^(٣).

فهذه الضابطة تدل على ورود المباحث القرآنية التابعة لعلوم القرآن في النص القرآني، وهي ضابطة كلية تعالج أموراً متعددة في القرآن الكريم كالعالم والخاص والمطلق والمقيد من حيث إطلاق بعض الأحكام وتقييد بعض الأحكام التي وردت مطلقة في مواضع متفرقة في القرآن الكريم، أو تخصيص بعض الآيات مع كونها قد وردت عامة في مواضع أخرى، وعليه فهذه العلوم أعطت ضابطة كلية تسري على بعض مباحث القرآنية بالدلالة المطابقية.

(٣) ما دل عليه القرآن الكريم من علوم سواء بالمدلول الالتزامي(*) مع اشتراط الضابطة الكلية، والذي يمكن من طريقه معالجة بعض الآيات القرآنية؛ والسبب يرجع أن "علوم القرآن بمعناه التركيبي يشمل سائر العلوم التي توظف لفهم المراد، والعلوم التي يستنبطها القرآن مما لا يمنع الدين من إضافتها للقرآن. ولا شك أن علوم القرآن كانت محفوظة في صدور المسلمين قبل التدوين. وأول من حاز قصب السبق في هذا المضمار الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد كان أول من جمع القرآن

(١) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣١٠. يُنظر: مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن، د. محمد حسين الصغير، بحث منشور في مجلة مآب القرآنية، العدد ٢، ٢٠٠٧م، ٦.

(٢) يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٠٨.

(٣) مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن، د. محمد حسين الصغير، بحث منشور في مجلة مآب القرآنية، العدد ٢، ٢٠٠٧م، ٦.
(*) (الدلالة الالتزامية): وهو: بأن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له لازم له يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته، كدلالة لفظ الدواة على القلم، (المنطق، محمد رضا المظفر، ٣٨/١. ويُنظر: شرح الإمام السَّعد النَّقَازانيّ على الشمسية في المنطق للإمام الكاتبى، ١٢٠).

الفصل الأول.....المبحث الأول: ضوابط علوم القرآن

وعلى هامشه الكثير من تفسير مجمله وتبيين معضله، وأسباب النزول وبيان مواقعه وتواريخه والأفراد أو الجماعات الذين نزلت فيهم الآيات كما كان قد أشار إلى مواقع عموم الآيات من خصوصها ومطلقاتها ومقيداتها وناسخها ومنسوخها ومجملها ومبينها، بل وجميع ما يحتاج إليه المفسر وغيره لأجل فهم الآيات" (١)، وهنا تكون علوم القرآن "مباحث كلية تتعلق بالقرآن الكريم من عدة نواح، يمكن عدّ كل منها علماً قائماً بذاته" (٢)، ومن الجدير بالذكر أن العلوم "المتعلقة بالقرآن أو المباحث هي: نزول القرآن الكريم، وجمعه، وترتيبه، وتدوينه، ورسمه في المصاحف، وأسباب نزوله، وتناسب آياته وسوره، وأساليب خطابه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه... ونحو ذلك" (٣)، وهذه الضابطة كشفت عن أنّ هناك مباحث لعلوم القرآن اعطت ضابطة كلية بالدلالة الالتزامية بأته متى ما دل النص على علم من العلوم فهم بالدلالة الالتزامية بوجود علم ملازم له كما في إيراد بعض الحوادث التاريخية التي حدثت في زمن النبي محمد (ﷺ) فلم يصدر بها حكماً حتى نزل النص القرآن مبين تلك الحادثة وحكمهان فعلم بالتلازم بين الحادثة ونزول النص أنّ هناك مبحثاً يطلق عليه "اسباب النزول".

وعليه لا بدّ من وجود ضوابط تحدد هذه العلوم؛ من أجل تمييز ما هو من علوم القرآن وما هو ليس منها، إذا علمت بأنّ هناك كثيراً من العلوم التي قال عنها العلماء أنّها من علوم القرآن وهي لا تمت للنص القرآني بأي صلة؛ لأنّها خارجة عن موضوعه، فيلحظ تعددها إلى العشرات بل إلى الالاف (٤)، وعليه لا بد من الإشارة إلى ضوابط علوم القرآن التي توجه العلوم نحو بوصلة كونها تدخل تحت مسمى "علوم القرآن" أم لا، وزيادة عن ما ذكرته سابقاً من ضوابط فقد اشار الشاطبي (ت ٧٩٠) إلى ضوابط عدة، وهي محل نظر، والتي يمكن تلخيصها بما يأتي (٥):

(١) أن يكون العلم المصطلح لعلوم القرآن مما عرفه العرب وتعارف لديهم، وبهذا الضابط تخرج جميع العلوم التي لا عهد للعرب بها، ولا بصر؛ لأنّها لم تنشأ عندهم كعلم المنطق وعلم الفلسفة، فمثل هكذا علوم لا يمكن نسبتها لعلوم القرآن فهي خارجة عنها، إذ "كل معنى مستنبط من القرآن، غير جار على اللسان العربي؛ فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك؛ فهو في دعواه مبطل" (٦)، وكذلك نقل "أنّ قوله: (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض

(١) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٠٩. يُنظر: كنز الدقائق، محمد المشهدي، ١/٥.

(٢) الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف شرجي، ٤٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ٥٠٠.

(٤) يُنظر: وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٤٧-٤٩.

(٥) يُنظر: الموافقات، الشاطبي، ١/٥٩، ٢/١٠٩ - ١٣١.

(٦) المصدر نفسه، ٣/٣٩١.

الفصل الأول.....المبحث الأول: ضوابط علوم القرآن

وما خلق الله من شيء) [الأعراف: ١٨٥] لا يدخل فيه من وجوه الاعتبار علوم الفلسفة التي لا عهد للعرب بها، ولا يليق بالأميين الذين بعث فيهم النبي الأمي -صلى الله عليه وسلم- بملة سهلة سمحة، والفلسفة -على فرض أنها جائزة الطلب- صعبة المأخذ، وعرة المسلك، بعيدة الملتمس، لا يليق الخطاب بتعلمها كي تتعرف آيات الله ودلائل توحيده للعرب الناشئين في محض الأمية " (١)، وهذا الكلام فيه نظر؛ لأن نعت العرب بالجاهلية لا يحمل على العلم، وإلا كيف ينزل بينهم القرآن الكريم إلا أن يكونوا أهل بلاغة وفصاحة وثقافة لغوية عالية ملمين بالعلوم الأخرى، وعليه فيكون هذا الضابط مردوداً، فنذهب بهذا الرأي لعدم الاخذ بهذه الضابطة إلى ما ذهب إليه الدكتور فاضل مدب بأنها ضابطة غير جامعة ولا مانعة؛ لأن هناك علوماً لم يكن للعرب اهتمام بها نحو "المحكم والمتشابه" (٢).

(٢) ان يكون العلم المصطلح مما اهتم به السلف الصالح من المهتمين بالشأن القرآني واصلوا له في كلامهم ومؤلفاتهم (٣)، وهذا الشيء ظاهر فيما اظهره الرعيل الأول من المسلمين من علوم ومعارف قرآنية.

(٣) أن تكون علوم القرآن وسيلة لفهم مراد الله تعالى في كتابه الكريم، كون " العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم على أقسام: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك؛ فهذا لا نظر فيه هنا. ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن، وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيلة بالحقيقة، فإن علم العربية، أو علم الناسخ والمنسوخ، وعلم الأسباب، وعلم المكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم أصول الفقه، معلوم عند جميع العلماء أنها معينة على فهم القرآن " (٤)، واستدل على ما سبق عندما نقل قوله تعالى " (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) [فصلت: ٤٤]، وقد علم أنهم لم يقولوا شيئاً من ذلك؛ فدل على أنه عندهم عربي، وإذا ثبت هذا؛ فقد كانوا فهموا معنى ألفاظه من حيث هو عربي فقط، وإن لم يتفقوا على فهم المراد منه؛ فلا يشترط في ظاهره زيادة على الجريان على اللسان العربي " (٥)، وهنا تدخل العلوم المنبثقة من القرآن الكريم سواء في المفهوم أو المصطلح كما أشرنا في المبحثين الأوليين من هذا الفصل؛ كونهما يخدمان

(١) الموافقات، الشاطبي، ٦٥/١.

(٢) يُنظر: وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٥٣-٥٤.

(٣) يُنظر: الموافقات، الشاطبي، ٥٩ / ١ و ١٠٩ - ١٣١.

(٤) المصدر نفسه، ١٩٨ / ٤.

(٥) المصدر نفسه، ٢٢٤ / ٤.

الفصل الأول.....المبحث الاول: ضوابط علوم القرآن

القرآن الكريم في فهمه وبيان معانيه.

وعلى ما تقدم ذكره من ضوابط أضاف الدكتور فاضل مدب ضابطاً آخر قد استتبطه من الضابط الثالث، وأضافه لما ذكر من ضوابط للشاطبي، ليكون ضابطاً رابعاً، وهذا الضابط هو (١):

(٤) أن يكون العلم منبثقاً من النص القرآني بحيث لا ينتسب إلى غيره من العلوم كعلم رسم المصحف وضبطه ونقطه وأسماء سوره، فان هكذا علوم لا تبحث الا في القرآن الكريم، لا كعلم الهيئة الذي يشترك مع غيره من العلوم (٢).

مما سبق يتبين أنّ الضوابط التي أوردها الشاطبي لا بد من اعمال النظر والفكر بها وعدم الأخذ بها بالتسليم المطلق، وهذا الامر أشار إليه الدكتور فاضل مدب بقوله: "ولا تخلو ضوابط الشاطبي المتقدمة من نظر إذ حصر علوم القرآن بما عرفته العرب، وبما كان للسلف فيه عناية، وهو تكلف واضح: فإنّ القرآن الكريم بحر لا يسبر أغواره، ولا يحاط بدرره، ولا تنقصى خزائنه، يقول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): "آيات القرآن خزائن العلم فكلما فتحت خزائنه فينبغي لك أن تنظر فيها" (٣)، ويقصد من النظر التفكير والتدبر، وإلى ذلك أشار الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: "ولما كانت علوم القرآن لا تتحصر ومعانيه لا تستقصى" (٤)، فلا يمكن حصرها بهذه الضوابط التي بدت ضعيفة؛ إذ لا دليل من عقل أو شرع عليها وإنما هي وجهة نظر تخص الشاطبي وحده" (٥)، فإنّ ما أورده الشاطبي من ضوابط لم تكن ضوابط؛ لكونها خرقت فلا تصلح أن تكون ضابطة يستند إليها في تحديد علوم القرآن، ويذهب الباحث إلى ما ذهب إليه الدكتور فاضل مدب بأن "يكون الضابط في دخول علم ما في علوم القرآن مستندا إلى موضوع ذلك العلم وغايته والغرض منه، فما كان موضوعه القرآن وغايته فهم القرآن الكريم والغرض منه الكشف عن مراد الله تعالى، فلا إشكال في كونه من علوم القرآن وغير ذلك أما من العلوم الخادمة للقرآن كعلم اللغة وعلم الأصول، أو مما هي دائرة حول القرآن الكريم كعلم الطب والهيئة" (٦)، فإنّ هذه الضابطة تدخل جميع علوم القرآن ومنها التاريخية، والدلالية، والموضوعية؛ كون الجميع يشترك بموضوع واحد وهو النص القرآني، وجميع العلوم مجتمعة تساعد على معرفة وفهم ذلك العلم.

(١) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٣٥.

(٢) يُنظر: الموافقات، الشاطبي، ٥٩/١.

(٣) ذكره ابن فهد الحلبي في عدة الداعي / ٢٦٧، برواية حفص بن غياث، عن الزهري، قال: سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول... الحديث.

(٤) البرهان، الزركشي: ١/٩.

(٥) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ٣٦.

الفصل الأول.....المبحث الاول: ضوابط علوم القرآن

إنَّ الضابطة الحاكمة لعلوم القرآن هي التي أشار إليها الدكتور فاضل مدب بأنَّ علوم القرآن لا بد من أن تنبثق من النص القرآني، وهذا الأمر حمل الباحث على أن يشير إلى مدى مدخلية النص القرآني في تحديد علوم القرآن سواء التي أشار إليها بالمفهوم أم بالمصطلح الصريح، كما سيأتي بيانه في الفصل الثالث من هذه الاطروحة إن شاء الله تعالى.

وهناك ضابط عمل به علماء علوم القرآن ويرى الباحث بأنه أدى إلى كثرة المباحث بعلوم القرآن، فلا بد من الالتفات إليه ودراسته بكل حيادية وموضوعية، وهذا الضابط هو ما نص عليه علماء علوم القرآن من دون النظر بكونه قد ورد في النص القرآني أم لا، أي أنه محل نظر؛ لكونه خاضعاً لاجتهاداتهم، يتجلى هذا الضابط عند الرجوع إلى المعنى التركيبي لعلوم القرآن الذي نتج من إضافة "علوم" إلى "القرآن" الذي يُشير إلى "جميع البحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم" (١)، ومعنى ذلك أنَّها العلوم "المرتبطة بمختلف أنواع العلوم والمعارف، سواء أكانت تُوظف لفهم القرآن بمسائلها أم أحكامها أم مفرداتها، أو أن القرآن دلّ على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها" (٢)، وهذا الاختلاف في العلوم وتنوعها راجع إلى ما جاء في القرآن الكريم من اعتبارات التي جعلت منه موضوع لبحث خاص فعلم التفسير بوصفه كلاماً ذا معنى، وعلم آيات الاحكام بوصفه المصدر الأول من مصادر التشريع، وعلم الاعجاز بوصفه دليلاً على نبوة النبي محمد (ﷺ)، وعلم اعراب القرآن والبلاغة بوصفه نصا نزل باللغة العربية، وعلم اسباب النزول لارتبطه بوقائع وحوادث في زمن النبي محمد (ﷺ)، وعلم الرسم القرآني بوصفه لفظاً مكتوباً، وعلم القراءة بوصفه كلاماً مقروءاً، فكل هذه العلوم المتنوعة تشترك وتلتقي باتخاذها القرآن الكريم موضوعاً لدراساتها، وتختلف حسب النظرة التي لوحظت فيها من النص القرآني (٣)، وهذا التنوع أشار إليه الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) بتعريفه لعلوم القرآن بقوله: "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفح الشبه عنه، ونحو ذلك" (٤)، وبهذا التعريف جعل من علوم القرآن مفتوحة؛ كونها تشمل كل ما تعلق بالقرآن الكريم.

ويبدو مما تقدم أنَّ الضابطة الخاصة بعلماء علوم القرآن جعلت الزركشي (ت ٧٩٤هـ) يذكر (٤٧) نوعاً جعلها موضوعات خاصة بكتابه "البرهان" بعدها قال: (واعلم انه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه، لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كل نوع على

(١) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ١٩.

(٢) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٠٨.

(٣) يُنظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ٢٠ و ٢١.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٤٢/١.

الفصل الأول.....المبحث الاول: ضوابط علوم القرآن

اصوله، والرمز إلى بعض فصوله)^(١)، ثم جاء بعد قرن من الزمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) بعد أن أكد ما قاله الزركشي بقلة التأليف في هذا العلم فقال: (ولقد كنت في زمن الطلب أتعجب من المتقدمين، إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث)^(٢)، فأشار في كتابه "التحبير في علم التفسير" بأنه صنف (١٠٢) نوع ثم بعدها اجتهد بعد استعراضه الأنواع (٤٧) التي ذكرها الزركشي في كتابه اجتهد بإيراد (٨٠) نوعاً من علوم القرآن في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"^(٣)، ولكل عالم اجتهاده الخاص فيها بما فتح الله عليه في كتابه الكريم، فالمعنى شامل لجميع العلوم والمعارف سواء التي وظفت لفهم القرآن، أو دلت على أن القرآن الكريم أشار إلى مسائلها واحكامها، أو أرشد إليها؛ فيكون المعنى كلياً شاملاً لعلوم القرآن وغيرها، فإن "الذي نقصده بذلك أن نثبت أن العلماء لم يحددوا علوم القرآن بعدد معين لا مزيد عليه، وبالتالي فإن باب علوم القرآن مفتوح إلى يوم الدين، فهذا السيوطي لم يقتصر على عدد العلوم التي صنفها الزركشي، وإنما زاد عليها في التحبير ما يزيد عن المائة، ثم دمج بين بعضها فجعلها تقارب الثمانين، أي إن الزيادة في عدد علوم القرآن راجعة إلى الموضوعات المتجددة في حياة الناس و في القرآن الكريم و دليل عليها و هداية لها، فيكون الاجتهاد الجديد في علوم القرآن مما يؤسس لأصول علمية لاستنباط أحكام شرعية متجددة تعالج الحاضر، وتمتد الثقافة الإسلامية بالقدرة على مواجهة تحديات العصر ورد شبهات المغرضين"^(٤)، ولا بد في اجتهادات العلماء أن تُقنن وفق ضوابط فلا تؤخذ على اطلاقها إلا إذا وافق ما جاء في القرآن الكريم من حيث الإشارة إليها بالمفهوم أو المصطلح، فهذه الضابطة محل نظر.

ومن زاوية أخرى "لا بد أن نتذكر أن كل علوم القرآن التي صنفها العلماء كانت من اجتهاداتهم، والزيادة فيها والدمج بينها أو التقليل منها هو من جهود العلماء أنفسهم أيضاً، لأنها علوم متعلقة بالقرآن وليست هي القرآن الكريم، والأنواع التي أوردها العلماء في كتبهم كانت معينة لهم في زمن اجتهادهم على فهم القرآن فعلاً، والمسلمون اليوم بحاجة إلى العلوم التي تعينهم على فهم وتدبر كتاب ربهم تبارك وتعالى، طالما أن العلوم السابقة هي من اجتهادات العلماء، وطالما أن الحاجة إلى التجديد فيها مطلوبة، كما كانت الحاجة عند السيوطي مطلوبة فزاد على أنواع الزركشي، وبالتالي فلا نرى مانعا يحول دون فتح التجديد في علوم القرآن وأنواعها بما يحتاجه العصر الحالي و كل عصر قادم، حتى لو لم تكن من العلوم التي

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٢/١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/١.

(٣) المصدر نفسه، ٣٠/١.

(٤) الوحدة التاريخية للسور القرآنية، عمران سميح نزال، ٣٨ و ٣٩.

الفصل الأول.....المبحث الاول: ضوابط علوم القرآن

صنّفها العلماء من قبل".^(١)، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ أنواع علوم القرآن التي ذكرها العلماء مبنية على اجتهادات وفهم توصلوا إليه من دراستهم للقرآن الكريم، لذلك ينبغي القول إنّ هناك علوماً خارجة عن علوم القرآن؛ لأنّ الاجتهاد محل اختلاف كما هو معلوم، فممكن أن يتفق أهل العلم على بعض العلوم التي تكون بتماس مباشر مع النص القرآني من إشارة النص القرآني عليها بالمصطلح أو المفهوم، ويختلفوا بغيرها لكونها خارجة عن علوم القرآن كما سيتم الإشارة إليها في هذا الفصل، فلا عجب لما ذكر "إذا علمت أن طريقة أولئك المؤلفين في تأليفهم كانت طريقة استيعاب واستقصاء بحيث يقصد أصحابها أن يحيطوا بجزئيات القرآن من الناحية التي كتبوا فيها بقدر طاقتهم البشرية"^(٢)، والجهد البشري يناقش وينقح؛ لكونه غير مقدس أو معصوم بخلاف ما يصدر من النبي محمد (ﷺ) واهل بيته المعصومين (عليه السلام)؛ لأنّ العمل بالرأي من دون الاستناد إلى الأدلة أمر مذموم، فإنّ العمل بما جاء في القرآن الكريم بالرأي قد نَمَّ في بعض الحالات، وفي بعضها جائز^(٣)، لهذا بيّن الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ما يجوز ابداء الرأي فيه بقوله: "ما كان جارياً على موافقة كلام العرب، وموافقة الكتاب والسنة... فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما"^(٤)، وهذا الأمر يدل على إثبات ما تقدم من ضوابط لعلوم القرآن التي أشرت إليها بأن يكون المصطلح ذكره باللفظ الصريح، أو المفهوم بالدلالة التطابقية أو الالتزامية، فما لا يستند لما تقدم فإنّه خارج عن علوم القرآن.

وتأسيساً على ما سبق يُلاحظ عدم وجود ميزان دقيق يُعرف به ما هو داخل في علوم القرآن ممّا هو خارج عنها، وما سيتم بيانه في هذا الفصل تقسيم علوم القرآن الى علوم منبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة، وعلوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة، وعلوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخه، ونتيجة هذه التصنيف للعلوم بأن بعض علوم القرآن غير داخلية فيها، والنتيجة مراجعة ما نُسب إلى النص القرآني من علوم، فكان لزاماً من البحث عن ضوابط تحكم هذه العلوم، التي من شأنها فرز ما هو من علوم القرآن من غيرها، لذلك ينبغي مقابلة جميع العلوم التي ذكرها العلماء مع ما تم ذكره من ضوابط في هذا المبحث، فما وافقها أخذ به وما خالفها يُطرح على أنها علوم خادمة للنص القرآني لا من علومه، لذا يرى الباحث أنّ ما جمعه من ضوابط ممكن أن تضع لبنة لفرز علوم القرآن من غيرها.

(١) الوحدة التاريخية للسور القرآنية، عمران سميح نزال، ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ٤٠.

(٣) يُنظر: الموافقات، الشاطبي، ٣/ ٤٢١. وعلوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٤٢١. ويُنظر: المصدر نفسه، ١٥٦.

المبحث الثاني

علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

المدخل:

سيدرس الباحث في هذا المبحث علوم القرآن المنبثقة من النص القرآني، وأقصد بها العلوم التي وجدت في داخل القرآن الكريم، وموضوعها القرآن الكريم، ولها علاقة وثيقة ببيان النص القرآني وتفسيره، ومن أجل بيان علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم لابد من الوقوف على الآتي:

المطلب الأول: التعريف بالانبثاق لغة واصطلاحاً:

ولابد من بيان مفردة "المنبثقة" كي تتوضح الصورة للمتلقي من دون إبهام أو إرباك، فالانبثاق لغة مأخوذ من الفعل الثلاثي "بثق: البثقُ كسر شط النهر فَيَبْثِقُ الماء، وقد بَثَّقَهُ أَبْثَقَهُ بَثْقاً" (١)، فالمعنى كسر الشط وخروج الماء منه فالمعنى هنا ما خرج من الشيء، فما يخرق ويشق ثم ينفجر يسمى انبثاقاً (٢).

وعرفت اللفظة بما تضاف إليه، "انبثق الماء: نَبَع؛ اندفع فجأةً، وتدقق. انبثق الكلام: تدقق في طَلَاةً". انبثق الفجر: بدا وبزغ وانتشر نوره ... انبثق عن الاستخدام ونحوه: صدر ونتج عنه" (٣)، فالمعنى انبثق من القرآن الكريم صدر ونتج منه، والمعنى ما صدر ونتج من النص القرآني من علوم للقرآن، وموضوعها القرآن الكريم، وهو المقصود بهذا المبحث.

أما اصطلاحاً فلم يخرج عن معناه اللغوي بدلالاته على الانفجار والكسر، والخروج (٤)، فالانبثاق يدل على ما يخرج من الشيء، وقد ركز البحث على مفردة "المنبثقة"؛ لصلتها بالتمييز بين مصطلحات علوم القرآن المنبثقة من القرآن عن غيرها التي تدور حول القرآن الكريم وهي خادمة له، فالمقصود هنا العلوم المنبثقة داخل القرآن الكريم، وموضوعها القرآن، ولها علاقة بتفسير وبيان النص القرآني ثم أخرجها العلماء وجعلوها مصطلحات لعلوم القرآن، وهذا ما سوف يتم الكشف عنه إن شاء الله تعالى.

(١) العين، الخليل، ٥/ ١٣٩. يُنظر: جمهرة اللغة، ابن ريد، ١/ ٢٦٠. وتهذيب اللغة، الأزهري، ٩/ ٨٢. والمحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ١/ ٤٦٩. ومقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ١٩٧. وأساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٤٤-٤٥. ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ١٣. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٨٦٥. والمعجم الوسيط، إبراهيم انيس، ١/ ٣٨.

(٢) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٤/ ١٤٤٨. ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ١٣. ومختار الصحاح، الرازي، ٢٩.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ١/ ١٥٩.

(٤) يُنظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٥٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

المطلب الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة:

تقدم أن الانبثاق معناه ما يخرج من الشيء، وهو معنى عام، وهنا سيخصص للعلوم التي انبثقت من داخل القرآن، والخاصة بعلوم القرآن، والتي يكون موضوعها القرآن الكريم، ومن العلوم التي صرح بها القرآن الكريم تصريحاً مباشراً، فاعتمدت عند العلماء كعلم من علوم القرآن، أما تفصيل القول بمدخلية النص القرآني في تحديدها سواء بالمفهوم أو المصطلح الصريح سيأتي الكلام فيه في الفصل الثالث من هذه الأطروحة بحول من الله وقوته، وهذه العلوم أو المباحث كالاتي:

(١) الأمثال القرآنية: وهذا العلم أشير له في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، ومن أجل الوقوف على المعنى المرجو من لفظة "المثل" وخصوصاً "المثل القرآني" لا بد من الإشارة إلى المعنى اللغوي له، فقد قال الخليل الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): "المَثَلُ: الشيءُ يُضْرَبُ للشيءِ فيَجْعَلُ مِثْلَهُ. والمَثَلُ: الحديثُ نفسه. وأكثرُ ما جاءَ في القرآن نحو قوله - جَلَّ وَعَزَّ -: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فيها أَنهارٌ﴾، فمَثَلُها هو الخَبْرُ عنها. وكذلك قوله تعالى: ضَرِبَ مَثَلًا فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾، ثم أَخْبَرَ: أَنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ من دونِ اللَّهِ، فَصارَ خَبْرُهُ عن ذلك مَثَلًا، ولم تكن هذه الكلمات ونحوها مَثَلًا ضَرِبَ لشيءٍ آخر كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْجَمْرِ يَحْمِلُ﴾، و﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾^(٣)، يرى الباحث أن المعاجم العربية أعطت معاني مختلفة للمثل كالصفة والنظير والعبارة، وكل شيء يصلح مثالا لغيره^(٤)، وجاء أيضاً أن "المِثْلُ - بالكسر والتحريك - الشبه، والجمع أمثال؛ والمِثْلُ - محرّكة - الحجة، والصفة؛ والمِثَالُ: المقدار والقصاص، إلى غير ذلك من المعاني"^(٥)، وهذا التنوع بالمعاني اللغوية للمثل جعلت له مصاديق متنوعة أيضاً، والباحث يرى أن هذا التعدد بالمعنى يُذهب المعنى الحقيقي والفائدة المرجوة من معنى المثل ورسوخه في الذهن.

أمّا من ناحية المعنى الاصطلاحي فهناك من قال إنَّ المعنى هو الحاق المشبه بالمشبه به بما أشتهر به، واللاحق لوجود المشابهة بينهما، أو هو التقريب بالمعقول من المحسوس، أو بأحد المحسوسين^(٦)، ويمكن

(١) سورة العنكبوت: الآية: ٤٣.

(٢) سورة الحشر: الآية: ٢١.

(٣) العين، ٢٢٨/٨.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ٢٢/١٣.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤٩/٤.

(٦) يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠٢/١.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

حمل هذا المعنى على المثل الوارد في القرآن الكريم؛ كون "المثل القرآني قد يقصد من التشبيه فيه الحكم كما في تشبيه المغتاب بأكل لحم أخيه ميتا، وقد يقصد منه الصورة كما في تشبيه الخلق عند بعثهم بالجراد المنتشر، وقد يقصد منه المعنى كما في تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وقد يكون المقصود غير ذلك، فليس التشبيه في الأمثال خاصا في الحكم كما هو الحال في القياس" (١)، لهذا جاء معنى المثل في الاصطلاح بأنه "مقابلة شيء بشيء وهو نظيره، أو وضع شيء ما ليحتذي به فيما يفعل، فالمثل من الجنس ما سد مسد غيره" (٢)، فما ورد من أجل الاحتذاء به وأخذ العبرة به هو مثل، وعليه فما وقع من واقعة وورد فيها مثل أصبح كالحكم فيها والعبرة، وبعدها تداولها الناس في غيرها من الوقائع التي تحدث لوجود شبه بين الواقعتين فتأخذ حكم الواقعة الأولى نفسه؛ لوجود الشبه بينهما، فيصبح هذا المثل حكماً متداولاً، وهذا يعني "جعل كل حكمة سائرة، مثلاً" (٣)، و"المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ" (٤)، فالمثل ما خالف اللفظ المضروب ووافق معناه، وعمل به.

وقد أجاد الشيخ الدكتور محمد حسين علي الصغير (ت ١٤٤٤ هـ) في رسالته "الصورة الفنيّة في المثل القرآني" فيما عرضه من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمثل، ثم عقب على بيان معنى المثل القرآني وتحديد معانيه ومفاهيمه وفقاً لما ورد عند العلماء تبعاً للتسلسل التاريخي (٥).

وقد أشار (رحمه الله) إلى أنّ مادّة الضرب اختيرت لقسم كبير من الأمثال في القرآن الكريم (٦)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٧).

(٢) التّأويل: انبثق هذا العلم من النص القرآني من خلال الإشارة إليه باللفظ الصريح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٨)، تستعمل لفظة "التأويل" في الكشف عن المعاني الثانوية البعيدة عن الألفاظ، وهي المعاني المرتبطة باللفظ بدرجة ثانية أو ثالثة...، وهي المعاني التي

(١) القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية، وليد علي حسين، ٢٦٢.

(٢) التعاريف، المناوي، ١/٦٣٦.

(٣) جمهرة أمثال العرب، ابو هلال العسكري، ٥/١.

(٤) مجمع الأمثال، ابو الفضل الميداني، ٦/١.

(٥) ينظر: الصورة الفنيّة في المثل القرآني، ٤٣-٦٩.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٦٩.

(٧) سورة الحشر: الآية: ٢١.

(٨) سورة النساء: الآية: ٥٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

يحتاج في العمل بها إلى ضرورة تقتضي التمسك بها، وتتجاوز المعنى الظاهري من اللفظ، فالتأويل هو العلم الذي يعمل على كشف المرادات البعيدة للآيات والعبارات القرآنية من خلال التمسك بالمعاني البعيدة عن اللفظ، والتي تتجاوز المعاني الموضوعية لها الألفاظ، ومن أجل بيان هذا العلم سيقف الباحث على بيان معنى اللفظ من جهة اللغة، ومن جهة الاصطلاح.

فمن جهة اللغة: أورده الأزهري (ت ٣٧٠هـ) بقوله: "(التأويل)، فقيل: من أول يؤول تأويلاً. وثلاثيه: آل يؤول، أي رجع وعاد...، فكأن (التأويل) جمع معانٍ مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه" (١)، وعليه فالمعنى الرجوع أو العودة، أو عاقبة الامر، أو أنها جمع عدة معان بلفظ واحد.

وجاء أيضاً أنها مأخوذة من " آل الملك رعيته (يؤول) إيالاً بالكسر: ساسهم وأحسن رعايتهم" (٢)، وقرنت أيضاً بلفظ "التفسير" "التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء. وقد أولته وتأولته، تأولاً... وآل الرجل: أهله وعياله. وآله أيضاً: أتباعه... والإيالة: السياسة. يقال: آل الأمير رعيته يؤولها أولاً، وإيالاً، أي ساسها وأحسن رعايتها" (٣)، فهي تفسير لما يؤول إليه الشيء، فهي مأخوذة من الرجوع، وتأسيساً على ما سبق نرى أن التأويل مأخوذ من الرجوع، أو ما يؤول إليه الشيء.

أما من جهة التعريف الاصطلاحي: فقد عرّفها الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) بقوله: "التأويل: في الأصل: الترجيع. وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ} إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل؛ كان تأويلاً" (٤)، فالمعنى الرجوع، أو صرف المعنى من معناه الظاهر إلى محتمل، وعليه فالمعنى الاصطلاحي وافق اللغوي بأن المعنى الرجوع، اللفظة تطلق على كل ما يصرف معناه الظاهري إلى الاحتمالي.

وهناك أمر لابدّ من الإشارة إليه وهو أن معنى التأويل يتعدّد كلّ حسب علمه الذي ينتمي إليه؛ لهذا جاء أن معنى "التأويل: هو مشتق من الأول وهو لغة الرجوع. وأمّا عند الأصوليين فقيل هو مرادف التفسير، وقيل هو الظنّ بالمراد والتفسير القطع به، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمّى مؤولاً، وإذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمّى مفسّراً" (٥)، فاللغة الرجوع كما تقدّم، وعلماء

(١) تهذيب اللغة، ١٥ / ٣٢٩، مادة (أول). يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ / ١٥٩ - ١٦١.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٢٨ / ٣١.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٤ / ١٦٢٧ - ١٦٢٨. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١ / ٣٢ - ٣٣.

(٤) التعريفات، ٥٠.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

الأصول ما رادف التفسير، أو هو المعنى المظنون بخلاف التفسير الذي يفيد القطع، فكل ما يُبين اللفظ بدليل ظني فهو مؤول، وما بُين بدليل قطعي فهو تفسير.

أما الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) فيقول: "التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المؤئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا ففي العلم نحو: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران / ٧]... وقوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ [الأعراف / ٥٣]، أي: بيانه الذي غايته المقصودة منه. وقوله تعالى: ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء / ٥٩]، قيل: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثوبا في الآخرة" (١)، وعرفها سيد الميزان بقوله: " الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا" (٢) فهو حقيقة واقعية تستند إليها البيانات القرآنية.

فالتأويل إرجاع المعنى من الظاهر القريب إلى المحتمل البعيد، وبهذا يختلف عن التفسير؛ كون الأخير يُبين المعنى القريب الظاهري، والتأويل هو ردّ الشيء إلى الغاية المرجوة من إيرادها في النصّ القرآني.

(٣) التفسير: وهو من العلوم التي انبثقت من النصّ القرآني، فهو العلم الذي تدور مباحثه حول كشف المعاني المقصودة والمرادة في الفاظ القرآن الكريم، ومن أجل الوقوف على هذا العلم لابدّ من بيان لفظة "التفسير" من جهة اللغة، ومن جهة الاصطلاح.

فمن جهة اللغة فقد عُرفت لفظة "التفسير" بتعريفات عدة، قال الخليل (ت: ١٧٥هـ): "التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب" (٣)، فمعنى التفسير البيان، ووافق ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) الخليل (٤)، بدلالته على الايضاح والبيان، اما الراغب (ت: ٥٠٢هـ) فقال: "الفسر إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفسر، وهو فيما يختص مفردات الألفاظ وغريبها وتأويلها، لهذا يُقال تفسير الرؤيا، وتأويلها" (٥)، كما اكد ما ذهب إليه الراغب ابن منظور (ت: ٧١١هـ) بقوله: "فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره

(١) المفردات في غريب القرآن، ٩٩. يُنظر: نفحات الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد النهاوندي، ٩٣/١.

(٢) الميزان، السيد الطباطبائي، ٤٩/٣.

(٣) العين، الخليل، ٢٤٧/٧.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة، ٥٠٤/٤.

(٥) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ٤٨٢.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

بالضم أبانه، والتفسير مثله" (١)، فالمعنى هو البيان والكشف والتوضيح.

وخالصة ما تقدم يتبين أنّ معنى التفسير لغة البيان، والظهور، والكشف، ومعنى ذلك كل شيء أزلت غموضه أصبح ظاهراً، وواضحاً جلياً، فمفسر القرآن الكريم يكشف اللثام عن المعنى المقصود من النص القرآني.

أما من جهة الاصطلاح: فقد تبين أنّ لفظة "التفسير" في اللغة تطلق على الكشف والبيان لكل شيء غامض، فإنّها بعد نزول القرآن الكريم ارتبطت به في بيان والكشف عن معانيه، فأصبحت علماً خاصاً به، مما زادها رفعت؛ كونها ارتبطت بأشرف وأعلى الكتب السماوية.

وما ذهبت إليه أكدّه جملة من العلماء، ومنهم أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، إذ قال: "هو علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحصل عليها حالة التركيب" (٢)، فهو الكشف عن معاني الآيات القرآنية حين التركيب، وعرفه الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) بقوله: "هو علم يُعرف به كتاب الله المنزل على خاتم أنبياءه (ﷺ) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، ويكون ذلك من خلال الاحاطة بعلم اللغة، والنحو، والقراءات، وعلم البيان، وأصول الفقه، ويحتاج المفسر إلى معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ" (٣)، فهو بيان لمعاني القرآن الكريم واستخراج أحكامه، وما يرتبط به من مباحث، وقال الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ): "التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار، وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة" (٤).

ومن المتأخرين من وافق المتقدمين من العلماء في ذلك ومنهم الدكتور الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)؛ إذ قال: "هو علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد" (٥)، وعرفه أيضاً السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) بقوله: "التفسير هو بيان معاني الآيات القرآنية، والكشف عن مقاصدها، ومداليلها" (٦)، وجاء أيضاً أنّ "التفسير: هو كشف القناع عن المعنى، وتوضيح المقصود من الكلمة أو الكلام" (٧).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٥/٥٥.

(٢) البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، ١٠/١.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ١٣/١.

(٤) التعريفات، ٨٧.

(٥) التفسير والمفسرون، ١٤/١.

(٦) الميزان في تفسير القرآن، ٩/١.

(٧) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد النهاوندي: ٩٣/١.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

ويظهر مما سبق أنّ العلماء قد بينوا أنّ كشف اللثام وبيان المعاني لا يكون إلا في النص القرآني، في حين نجد أنّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي يسير بتعريف مغاير لما سبق بأن إمطة اللثام والكشف يكون عن الروح لا عن النص القرآني، لهذا قال في تفسيره: "كلا ليس على وجه القرآن لثام أو نقاب، بل إننا في التفسير ينبغي أن نكشف اللثام عن روحنا، ونزح الستار المسدول على بصيرتنا، فنستجلي مفاهيم القرآن، ونعيش أجواءه" (١).

إنّ لفظة "التفسير" تستخدم في الكشف على المعاني الأولية والقريبة للألفاظ، أي الكشف عن المعاني الظاهرية للفظ، فالتفسير هو العلم الذي يعمل على كشف مراد الآيات والعبارات القرآنية من طريق الوصول للمعاني الموضوعية لها الألفاظ.

والأمر الآخر أنّ لفظة التفسير وردت في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٢)، وقد بينها عدد من المفسرين، ومنهم الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) بقوله: "أي بأحسن تفسيراً مما يأتونك به وأجود معاني" (٣)، كما فسرها الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) بقوله: "وضع التفسير موضع المعنى لأن التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام" (٤)، وفسرها أيضاً السيوطي (ت: ٩١١هـ) بقوله: "أحسن تفصيلاً" (٥).

كل هذه الأمور تكشف عن أنّ لفظة التفسير في النص القرآني وافقت المعنى اللغوي والاصطلاحي بالكشف والبيان والتفصيل لمراد الله تعالى.

(٤) علم الخاص والعام: من العلوم التي أشار إليها النص القرآني من خلال سياق بعض آياته، وهي منبثقة منه؛ لأنّ موضوعها القرآن الكريم، ومن أجل معرفتهما سأتطرق لتعريفهما اللغوي والاصطلاحي. **فالعام من حيث اللغة:** أنّ الشيء إذا عمّ الشيء الناس سُمّي عاماً؛ لأنّه قد بلغ جميع المواضع (٦)، وكذلك ما كان له استتالة؛ فالعين والميم أصل واحد صحيح دلّ على معنى الطول والعلو والكثرة، فقولهم: استوى النبات على عمومها، بمعنى: على تمامه (٧)، ويأتي بمعنى (التام) بقولنا: الشيء العميم،

(١) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧/١.

(٢) سورة الفرقان: الآية: ٣٣.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ٤٨٩/٧.

(٤) يُنظر: جوامع الجامع، ٦٥١/٢.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٤٧٤/١. وينظر: تفسير القرآن العظيم للجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، ٢٥٤/٦.

(٦) يُنظر: العين، الخليل، ٩٤/١.

(٧) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٥/٤. ولسان العرب، ابن منظور، ٤٢٦/١٢.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
فاذا عمّ الشيء فإنه يعمّه عموماً، بمعنى أنه شمل الجميع^(١)، فالمعنى: الشمول، والكثرة، والطول،
والعلو، والاستطالة.

أما "الخاص" فعُرِّفَ لغةً فَمِنْ "حَصَّصْتَ الشيء خصوصاً، واختصصته. والخاصة، الذي
اختصصته لنفسك"^(٢)، و"الخاص والصاد أصل مُطَرِّدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْفُرْجَةِ وَالتُّمَّةِ. فَالْحَصَّاصُ
الْفُرْجُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ... وَمِنَ الْبَابِ حَصَّصْتُ فَلَانًا بِشَيْءٍ حَصُوصِيَّةً، يَفْتَحُ الْخَاءَ، وَهُوَ الْقِيَاسُ لِأَنَّهُ إِذَا
أُفْرِدَ وَاحِدٌ فَقَدْ أَوْقَعَ فُرْجَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَالْعُمُومُ بِخِلَافِ ذَلِكَ"^(٣)، فالمعنى عكس العموم بأن يكون
الشيء خاصاً ومختصاً بشخص دون الآخر، فلا يُعَمَّمُ.

أما تعريف العام والخاص اصطلاحاً: فهذان المصطلحان "العام والخاص" إذا تبيّن أحدهما عُرف الآخر
بالعكسية الواضحة بينهما، وعليه فمعنى "العام: كل ما أشير إليه بأدوات العموم ك: "من"، "ما"، "جميع"،
"أل التعريف"... إلخ، فما سبقه بعض الحروف والأدوات والصيغ يكون عاماً، وما لم يسبق بذلك أو
استثني منها استثناء، فهو الخاص"^(٤)، وورد أيضاً أن "العام: لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر
وصيغته "كل" مبتدأه نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أو تابعة نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾..."^(٥)،
والسيوطي (ت ٩١١ هـ) بهذا التعريف وافق السبكي (ت ٧٧١ هـ) ببيان العموم لأن الأخير عرف العموم
بقوله: "العام لفظ يستغرق الصالح بلا حصر"^(٦)، وتعريف السبكي لا يختلف عن تعريف الرازي للعام
كونه عرفه بقوله: "العام: المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد"^(٧).

مما تقدّم يظهر أنّ "العام" يشتمل على عدة صيغ تدل على عمومية اللفظ، وشموله واستغراقه
لجميع أفرادها فلا حصر فيه لشخص واحد بعكس الخاص الذي لا يسري الحكم فيه لجميع الأفراد، بل
يختص به فقط، والنص القرآني زاخر بهذه الألفاظ سواء عامة أو خاصة.

(٥) السور والآيات: من المباحث التابعة لعلوم القرآن المنبثقة عن القرآن الكريم، مفردتا (السورة،
الآية)، وقد جاءت في عدة آيات.

(١) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٥/ ١٩٩٢-١٩٩٣. ولسان العرب، ابن منظور، ٤٢٦/١٢. والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٤/ ١٥٦.

(٢) العين، الخليل، ٤/ ١٣٤. يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٣/ ١٠٣٧. ولسان العرب، ابن منظور، ٧/ ٢٥.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ١٥٢.

(٤) مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن، محمد حسين علي الصغير مجلة مآب: عدد ٢/ ٩. يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير
النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٤.

(٥) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٤٨.

(٦) جمع الجوامع، السبكي، ١/ ٦٢٦-٦٢٧.

(٧) المحصول، الرازي، ٢/ ١ - ٥١٣ - ٥١٤.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

(أ) فأما معنى (السورة)، فهي "كلّ منزلة من البناء. ومنه سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى. والجمع سُورٌ بفتح الواو" (١)، ويبدو أنه لم يكن في كتاب سبق القرآن شيء اسمه (سورة)، فهي اصطلاح أتى به القرآن الكريم، فانبتق منه وجاء أصيلاً خاصاً به، وقد ورد فيها هذا الاصطلاح في قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا بِإِتِّ اللَّهِ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ (٢)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٣)، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٥)، وسبحانه: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦)، جلّ جلاله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (٧).

(ب) وأما معنى (الآية) فهي: "العلامة، والآية: من آيات الله، والجميع: الآي" (٨)، كما جاء أن "الآية: من التنزيل ومن آيات القرآن العزيز؛ قال أبو بكر (٩): سُمِّيَتِ الْآيَةُ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةً لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ لِانْقِطَاعِ كَلَامٍ مِنْ كَلَامٍ. وَيُقَالُ: سُمِّيَتِ الْآيَةُ آيَةً لِأَنَّهَا جَمَاعَةٌ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ،...، وَقَالَ ابْنُ حَمْزَةَ (١٠): الْآيَةُ مِنَ الْقُرْآنِ كَأَنَّهَا الْعَلَامَةُ الَّتِي يُفْضَى مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا كَأَعْلَامِ الطَّرِيقِ الْمَنْصُوبَةِ" (١١)، وقد وردت كثيراً في القرآن الكريم بالإفراد والجمع، فأما مثال الإفراد فقوله تعالى:

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ٦٩٠/٢.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٦٤.

(٣) سورة التوبة: الآية: ٨٦.

(٤) سورة التوبة: الآية: ١٢٤.

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٢٧.

(٦) سورة النور: الآية: ١.

(٧) سورة محمد: الآية: ٢٠.

(٨) العين، الخليل: ٤٤١/٨.

(٩) يبدو أنه الأنباري (ت ٣٢٨هـ). لينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، له: ٧٦/١، الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي: [١٢٩/١].

(١٠) يبدو أنه علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي (ت ١٨٩هـ)، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قرأها. ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٨٣/٤.

(١١) لسان العرب، ابن منظور: ٦٢/١٤.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)،
وأما مثال الجمع فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لِمِنَ
الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢)، وبما أن موضوع البحث يختص بما للنص مدخلية في تحديده كمصطلح يمكن
القول إنَّ هذا المصطلح بوروده بالنص القرآني يمكن أن نطلق عليه مصطلحاً، وبما أنه منبثق من
القرآن فموضوعه القرآن الكريم.

(٦) علم الظاهر والمؤول أو الباطن: من العلوم التي أشار إليها النص القرآني في ألفاظه التي جاءت
في سياق النص القرآني بالوضوح تارة، والغموض والمعنى الباطن تارة أخرى، ومن أجل بيان هذا العلم
لا بدّ من بيان اللفظتين من جهة اللغة، ومن جهة الاصطلاح.

من جهة اللغة عُرفت لفظة الظاهر بأنها مأخوذة من "ظهر: الظهُرُ: خلافُ البطنِ من كلِّ
شَيْءٍ... والظُّهُورُ: بُدُو الشَّيْءِ الخَفِيِّ"^(٣)، فالظاهر خلاف الباطن، وجاء أيضاً أن "ظهر) الظاء
والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر،
إذا انكشف وبرز"^(٤)، وعليه فالظاهر خلاف الباطن، كون الظاهر فيه قوة البروز، فهي مأخوذة من
الانكشاف والوضوح في البيان بعكس الباطن الذي يحتاج إلى بيان وتفسير "الظهر ما ظهر بيانه،
وبالباطن ما احتيج إلى تفسيره كالباطن خلاف الظاهر"^(٥).

فما ظهر معناه ولا يحتاج إلى بيان أو تفسير فهو ظاهر، وإلا فهو باطن أو يحتاج إلى تأويل
فاللفظ اما يكون ظاهراً بيئاً منكشفاً واضحاً والا فهو مؤول أو باطن.

أما من ناحية الاصطلاح فإن ببيان المعنى الظاهر ينكشف معنى الباطن أو المؤول لهذا جاء
أن معنى "الظاهر: وهو ما كانت دلالاته على المعنى بشكل راجح مع احتمال معنى آخر... المؤول:
وهو ما كان دالا على المعنى بشكل مرجوح، فهو عكس الظاهر"^(٦)، كذلك جاء أن الظاهر معناه
"المتردد بين احتمالين فأكثر هو في أحدهما أرجح"^(٧)، أما المؤول فهو: "الاحتمال الخفي مع الظاهر
مأخوذ من المأل إما لأنه يؤول إلى الظهور بسبب الدليل العاضد، أو لأن العقل يؤول إلى فهمه بعد

(١) سورة البقرة: الآية: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٥٢.

(٣) العين، الخليل، ٤/ ٣٧. يُنظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٦/ ١٣٤.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٤٧١.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ١٣/ ٥٤.

(٦) علوم القرآن، الحكيم، ١٧٢ - ١٧٣. ويُنظر: محاضرات في علوم القرآن، محمد علي تسخيرى، ٢٢٢.

(٧) الذخيرة، القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، ١/ ٦٠.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

فهم الظاهر، وهذا وصف له بما هو موصوف به في الوقت الحاضر، فيكون حقيقة، وفي الأول باعتبار ما يصير إليه، وقد لا يقع، فيكون مجازاً مطلقاً" (١)، لهذا نجد الغزالي (٥٠٥هـ) بين معنى "الظاهر والمؤول" بقوله: "إنّ اللفظ الدالّ الذي ليس بمجمل: إمّا أن يكون نصّاً، و إمّا أن يكون ظاهراً، ثم قال: والنصّ هو الذي لا يحتمل التأويل، والظاهر هو الذي يحتمله" (٢).

وهذا العلم أشار إليه النص القرآني كما قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "وَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مُحْتَمِلًا لِمَعْنَيْنِ وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَظْهَرُ فَيَسْمَى الرَّاجِحَ ظَاهِرًا وَالْمَرْجُوحَ مُؤَوَّلًا. مِثَالُ الْمُؤَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾؛ فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ حَمْلُ الْمَعْنِيَةِ عَلَى الْقُرْبِ بِالذَّاتِ فَتَعَيَّنَ صَرْفُهُ عَنِ ذَلِكَ وَحَمَلُهُ إِمَّا عَلَى الْحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ أَوْ عَلَى الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالرُّؤْيَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾،...، وَمِثَالُ الظَّاهِرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فَإِنَّ الْبَاغِيَّ يُطْلَقُ عَلَى الْجَاهِلِ وَعَلَى الظَّالِمِ وَهُوَ فِيهِ أَظْهَرُ وَأَغْلَبُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصِرَنَّهُ اللَّهُ﴾،...، وَقَدْ يَكُونُ الْكَلَامُ ظَاهِرًا فِي شَيْءٍ فَيُعَدُّ بِهِ عَنِ الظَّاهِرِ بِدَلِيلٍ آخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ والشهر اسمٌ لثَلَاثَةِ لِيَنَّهُ أَقْلُ الْجَمْعِ. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّةِ السُّدُسِ﴾ فَالظَّاهِرُ اشْتِرَاطُ ثَلَاثَةِ مِنَ الْإِخْوَةِ لَكِنْ قَامَ الدَّلِيلُ مِنْ خَارِجٍ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ اثْنَانِ لِأَنَّهُمَا يَحْبُوبَانِهَا عَنِ الثَّلَاثِ إِلَى السُّدُسِ" (٣)، وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ): "المؤول: ما ترجح من المشترك بعض وجوهه بغالب الرأي؛ لأنك متى تأملت موضوع اللفظ، وصرفت اللفظ عما يحتمله من الوجوه إلى شيء معين بنوع رأي فقد أولته إليه" (٤)، ثم تبعه زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) فقال: "الظاهر لغة: الواضح، واصطلاحاً: ما دلّ دلالة ظنيّة،...، المؤول: مشتقّ من التأويل، وهو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح" (٥).

يتبين ممّا تقدم أنّ الظاهر اصطلاح يشير إلى ما يفهم من الكلمة أو النص دون حاجة إلى عناء، أي: هو واضح لا حاجة إلى توضيحه، وبخلاف ذلك المؤول الذي يحتاج في بيان معناه ترجيح ما هو مرجوح على ما هو راجح لقرينة تدلّ على المرجوح، بحيث لا تبقى المفردة دالة على معناها الظاهري وإن كانت مرتبطة به في جذورها.

واستناداً إلى ما سبق فإن معنى الظاهر في اللغة البيان والوضوح، والمؤول بخلافه، أما من جهة الاصطلاح فإن الظاهر كل لفظة تدلّ على معنى راجح بنفسها مع عدم وجود احتمال آخر لها، أما

(١) الذخيرة، القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، ١/ ١٠٣.

(٢) المستصفي من علم الأصول، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، ١: ٣٨٤. يُنظر: الإحكام؛ الأمدي، ٣/ ٤٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ٢٠٥-٢٠٧.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ١٩٦.

(٥) الحدود الأنبيّة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري: ٨٠.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

المؤول فإنه مأخوذ من الرجوع لغةً، أما في الاصطلاح فهي احتاجت إلى بيان والحمل على معنى راجح، والنص القرآني زاخر بهذين النوعين.

(٧) القرآن الكريم، أسماؤه، وصفاته، وخواصه: وهو من المباحث التي انبثقت من النص القرآني، وأشار إليها في آياته على النحو الآتي:

أ- معنى لفظة القرآن: فمن الآيات التي ورد فيها هذا المبحث قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١)، وعليه ساقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ القرآن.

فمن جهة المعنى اللغوي: فقد قال صاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) "قَرَأْتُ الْقُرْآنَ قِرَاءَةً، فَأَنَا قَارِئٌ، وَالْقُرْآنُ مَقْرُوءٌ ... وَسُمِّيَ الْقُرْآنُ قُرْآنًا لِأَنَّ الْقَارِئَ يُظْهِرُهُ وَيُبَيِّنُهُ وَيَلْفِظُهُ مِنْ فِيهِ"^(٢)، وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "وسُمِّيَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ جَمَعَ الْقِصَصَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْآيَاتِ وَالسُّورَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ... وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الصَّلَاةِ لِأَنَّ فِيهَا قِرَاءَةً، تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِبَعْضِهِ"^(٣).

أما من جهة الاصطلاح: فقال الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره: "قَالَحَاصِلُ أَنَّ اشْتِقَاقَ لَفْظِ الْقُرْآنِ إِمَّا مِنَ التَّلَاوَةِ أَوْ مِنَ الْجَمْعِيَّةِ"^(٤)، وقال السيد محمّد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤هـ) فقد قال: "وأما تسميته بـ(القرآن) فهي تشير إلى حفظه في الصدور نتيجةً لكثرة قراءته، وترداده على الألسن، لأن القرآن مصدر القراءة، وفي القراءة استكثارٌ واستظهارٌ للنص"^(٥).

مما تقدّم يمكن تلخيص معاني لفظة (القرآن) ب: القراءة، والجمع، والتلاوة. ولعلّ لفظة (القرآن) من الالفاظ التي ينبغي إنعام النظر في دلالتها، حتى يمكن التوصل إلى معناها المستقل عن غيرها، والمتميز من معاني المصطلحات الأخرى المتعلقة بها، وسيتبين لنا لاحقاً بعضاً ممّا أشرنا إليه هاهنا من التأمل في هذا المصطلح المقدّس.

ب- أسماء القرآن الكريم: قد صرّح القرآن الكريم بأسماء له أخرى غير (القرآن)، نذكر منها:

١- الكتاب: وهو "مصدر كتبت"^(٦)، وهو "اسمٌ لما كُتِبَ مجموعاً"^(٧)، وقد وردت هذه التسمية في

(١) سورة الاسراء: الآية: ٩.

(٢) المحيط في اللغة، ٩/٦.

(٣) لسان العرب، ١/١٢٩، مادة (قرأ).

(٤) تفسير الرازي: ٢/٢٦٠.

(٥) علوم القرآن، ١٨.

(٦) العين، الخليل: ٥/٣٤١.

(٧) تهذيب اللغة، الأزهرى: ١٠/٨٨.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وقال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) (٢) في بيان معنى الكتاب: "إنّ ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يُسمّى كتاباً، كأنّ ما سواه من الكتب ناقصٌ بالإضافة إليه، كما تقول: هو الرّجل، أي: الكامل في الرّجوليّة" (٣).

٢- الفرقان، ومعنى ذلك "كلّ كتاب أنزل به فرق الله بين الحق والباطل ويجعل الله للمؤمنين فرقاناً، أي: حجة ظاهرة على المشركين، وظرفاً" (٤)، ومن الآيات التي وردت فيها هذه المفردة قوله تبارك وتعالى: ﴿بَارِكْ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٥)، ولعلّ معنى الفرقان لا يقتصر على أن يُفرّق بالقرآن بين الحق والباطل، فربما يتضمن معنى آخر أشار إليه الطبرسي حين قال: "وسمي القرآن (فرقاناً) لفصله بين الحق والباطل، أو: لأنه لم ينزل جملةً واحدة بل متفرقاً مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال" (٦).

٣- الذّكر: جاء في معناه "الحفظ للشيء تذكره، وهو مني على نكر. والذّكر: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذكر. والذّكر: الشرف والصوت، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(٧)، والذّكر: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين. وكل كتاب للأنبياء: ذكّر. والذّكر: الصلاة، والدعاء، والثناء. والأنبياء إذا حزبهم أمر فزعوا إلى ذكر الله، أي: الصلاة" (٨)، ومن الآيات التي وردت فيها هذه المفردة دالة على القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٠)، فقد قال الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): "ويسمى القرآن ذكراً؛ لأنه ذكر فيه الدلائل والأحكام" (١١)، وتجدر الإشارة إلى أنّ (الذّكر) اسم يُطلق أيضاً على رسول الله (ﷺ)، وهذا مما استدللّ به الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه على مسألةٍ عرضت عليه، مشيراً إلى أنّ أهل

(١) سورة البقرة: الآية: ٢.

(٢) أثناء بيانه لوجه الإعراب في حال لو جعلت (الم) اسماً لسورة البقرة المباركة.

(٣) تفسير جوامع الجامع، ٦٢/١.

(٤) العين، الخليل: ١٤٨/٥.

(٥) سورة الفرقان: الآية: ١.

(٦) تفسير جوامع الجامع، ٦٤٠/٢.

(٧) سورة الزخرف: الآية: ٤٤.

(٨) العين، الخليل: ٣٤٦/٥.

(٩) سورة الحجر: الآية: ٩.

(١٠) سورة النحل: من الآية: ٤٤.

(١١) تفسير مجمع البيان، ٢٥/٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

الذكر هم أهل الرسول^(١)، استناداً إلى ما ورد في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٥﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ ﴿٢﴾، وهنا ممكن القول انها لفظة مشتركة بين القرآن والرسول محمد ﷺ يحددها السياق القرآني من جهة المعنى.

ت- صفات القرآن الكريم: فقد ورد أنّ معنى الصفة في اللغة كما قال الخليل الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): "الوصف: وصفك الشيء بجلّيته ونعته. ويقال للمُهر إذا توجّه لشيء من حُسن السيرة: قد وصف، معناه: أنّه قد وصف المشي أي وصفه لمن يُريد منه، ويقال: هذا مُهرٌ حين وصف" (٣).

وقد وصف البارئ عزّ وجلّ كتابه العزيز بعدة صفات ذكره فيه؛ منها: أنّه موعظة وشفاء وهدى ورحمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾، ومنها أنّه خير في قوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾، ومنها أنّه كتاب مبين، في قوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٦﴾، ومنها أنّه (غير ذي عوج)، وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿فُرْقَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لِّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧﴾.

ث- خواصّ القرآن الكريم: الخواصّ جمع للخاصيّة، وهي: "بمعنى الأثر. يقال: ما خاصية ذلك الشيء؟ أي ما أثره الناشئ ... وأما قول الأطباء هذا الدواء يعمل بالخاصية فقد عبروا بها عن السبب المجهول للأثر المعلوم" (٨).

ويبدو أنّ هناك آثاراً يتركها القرآن الكريم في الأشياء، فيكون من خواصّه أن يؤثّر تلك التأثيرات، وطبيعي أن يكون تأثير القرآن تأثيراً إيجابياً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٩﴾، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الْذِّبِ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا

(١) ينظر: عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢١٦.

(٢) سورة الطلاق: من الآيتين ١٠-١١.

(٣) العين، ١٦٢/٧.

(٤) سورة يونس: الآية: ٥٧.

(٥) سورة النحل: الآية: ٣٠.

(٦) سورة الشعراء: الآية: ٢.

(٧) سورة الزمر: الآية: ٢٨.

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٧/٧٣٤، رقم ٧٣٣٠.

(٩) سورة الزمر: الآية: ٢٣.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

الظالمون ﴿١﴾، ولكن القرآن كما يكون سبباً في هداية الناس، فإنه قد يكون سبباً في أن يزداد بعض الناس كفرًا، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٢)، أي: "يزدادون عند إنزال القرآن تمادياً في الجحود وحسداً وكفراً بآيات الله" (٣).

فالقرآن الكريم أشار إلى معناه، وأسمائه، وصفاته، وخواصه، وهذا الأمر وجد في النص القرآني كما تقدم بيانه، فيكون هذا العلم منبثقاً من القرآن الكريم؛ لكون موضوعه القرآن.

(٨) القصص القرآنية: من المباحث التي انبثقت من النص القرآني كما في قوله تعالى: ﴿حَسْرُ نَفْسٍ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٤)، وهذا المبحث تدور محاور بحثه حول بيان الآيات القصصية التي وردت في القرآن الكريم، وخاصة قصص الأنبياء والرسل والأقوام التي سبقت الإسلام، فمباحثه تدور حول المسائل التاريخية للأنبياء والرسل والأقوام السابقة للإسلام والمذكورة في النص القرآني، ومن أجل الوقوف على المعنى المراد من القصة لابد من الوقوف على المعنى اللغوي والاصلاحي للقصة.

فقد جاء أن القصة من الناحية اللغوية كما قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): "أصل القصص: اتباع الأثر، يُقال: خرج فلانٌ قصصاً في إثر فلانٍ وقصاً. وذلك إذا اقتص أثره، وقيل: للقصص يُقص القصص لاتباعه خبراً بعد خبرٍ وسوقه الكلام سوقاً" (٥)، وجاء أيضاً "القص وهو تتبع الأثر، والقصص: الأثر، والقصص: الأخبار المتتبعة" (٦)، وهناك معانٍ متقاربة للقصة فتأتي لـ "الخبر"، و(الأمر والحديث) و(الجملة من الكلام) (٧)، فالقصة بمعنى الخبر، وما يورد من كلام، ومأخوذة أيضاً من تتبع الأثر، والخبر المتتابع.

أما من حيث الاصطلاح: فإن معنى القصة هي "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، وهي من القصص - بالفتح - اتباع الخبر بعضه بعضاً، وأصله في اللغة: المتابعة، قال سبحانه: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (٨)، أي: اتبعي أثره، وقال سبحانه: فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً (٩)، أي: اتبعا. وإنما سميت

(١) سورة العنكبوت: الآية: ٤٩.

(٢) سورة المائدة: من الآية: ٦٤.

(٣) تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: ٥١٥/١.

(٤) سورة يوسف: الآية: ٣.

(٥) تهذيب اللغة، ٢١١/٨. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٧٤/٧.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني، ٦٧١.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٧٣-٧٤/٧.

(٨) سورة القصص، الآية: ١١.

(٩) سورة الكهف، الآية: ٦٤.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

الحكاية قصصاً؛ لأنّ الذي يقصّ الحديث أو الخبر يذكره شيئاً فشيئاً^(١)، فالمعنى اتّباع الأثر، وذكر الكلام تباعاً شيئاً فشيئاً، وهذا ما أورد النصّ القرآني بذكر القصص شيئاً فشيئاً بحسب الأحداث التي نقلها، وعُرِّفت بأنّها "عبارة عن مجموعة من الأحداث الجزئية التي تقع في الحياة اليومية للمجتمع مرتبطة ومنظمة على وجه خاص، وفي إطار خاص، بحيث تمثل بعض جوانب الحياة وتجلوها في شتى وجوهها، بغرض الوصول من خلال الوعي الكامل بالأحداث، والظروف الاجتماعية إلى الحقائق الإنسانية، مع عدم إغفال الحرص التام على جانب التسلية والاتباع، وجانب التثقيف والتهديب"^(٢)، وهذا الكلام أيضاً يشمل القصص الواردة في النصّ القرآني.

أما تعريف القصة القرآنية: عرّفها الرّازي (ت ٦٠٦ هـ) بقوله: "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"^(٣)، وجاء بأنّ معناها "هو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه"^(٤)، فما وقع من أخبار وأحداث في القرون الأولى التي سبقت الإسلام، وكلّ ما وقع في أحداثها من صراعات بين قوى الحق والباطل، أو بين النور والظلام^(٥)، فالقصة القرآنية أخبار عن الشرائع السماوية السابقة، والأمم الماضية، وما جرى بينهم، فيكون القرآن الكريم مشتملاً على وقائع مضت، ونقل تاريخ ما سبقه من الأمم، وتتبع آثارهم، وأخبار المدن والبلاد، نقلت بصورة ناطقة بما وقع عليهم^(٦)، كل ذلك نقله النصّ القرآني في بعض آياته الكريمة.

وعرّفها السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) بأنّها "كلام إلهي مفرغ في قالب الوحي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام"^(٧)، وبقيد كلام إلهي خرج ما كان من قصص البشر أنفسهم، وبقيد هداية الله تعالى خرج كل ما ينقل القصة من أجل المتعة أو لقضاء الوقت، أو من أجل الاستمتاع؛ لأنّ القصة القرآنية فيها الموعظة والعبرة والاتعاظ، وعليه تكون القصة القرآنية جاءت للهداية والعبرة والاتعاظ منها في النصّ القرآني.

بناءً على ما تقدم يمكن القول إنّ القصص القرآني: هو الذي يعنى ببيان القصص التي وردت

(١) علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ٣/٣٩٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ٣٩٣.

(٣) مفاتيح الغيب، ٨/٢٥٠.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/٣٢٠.

(٥) يُنظر: القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ٤٠.

(٦) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ٣٠٦.

(٧) تفسير الميزان، ٢/٣٠٨.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
في القرآن الكريم، مع تحليلها وأخذ العبرة منها، ومحاولة فهم أبعادها والحكمة من تكرار بعضها، أو بث بعضها في أكثر من سورة من القرآن الكريم.

(٩) لغة القرآن: لغة القرآن من المسائل المهمة التي يتوصل بها إلى فهم النص القرآني، وبيانه، ويقصد بها اللغة التي نزل بها النص القرآني، والتي تعدّ هوية المسلم العربي، وهوية الدين الإسلامي، وإن كان الإسلام للعالم أجمع إلا أن لغة القرآن هي اللغة العربية التي اكتسبت شرفيتها من انتمائها للنص القرآني، ومن أجل بيان هذا العلم لابد من التطرق لمعنى اللغة في المعاجم اللغوية والاصطلاحية. فقد جاء **المعنى اللغوي** بأنّ "اللغة: اللسان، وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت أي تكلمت ... واللغة أخذت من هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين" (١)، والشخص الذي يتكلم بلغة قومه يُعبر عنه بلسان القوم "فُلَانٌ (لِسَانُ) الْقَوْمِ إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ عَنْهُمْ" (٢)، في ضوء المعنى اللغوي يتوصل إلى أنّ اللغة هي اللسان الذي يصدر أصوات توحيد وتميز قوم عن قوم آخرين، وما نطق به فهو لغة، وتعدّ من طرق التواصل بينهم.

والمعنى الاصطلاحي لم يبتعد عن المعنى اللغوي بأنّ اللغة "ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (٣)، فاللغة التي يتكلم بها القوم، نوع من أنواع التعبير للتواصل فيما بينهم، فما صدر من اللسان هو لغة، وتمثل نظاماً ينظم العلاقات التي يشترك بها مجموعة من الناس أو المجتمع، فهو مخزون ذهني يُعبر عنه بالألفاظ الموصلة للمعنى، فهي ظاهرة اجتماعية تُشير إلى المفاهيم الموجودة في الذهن ليتم التواصل بين الناس، فاللغة لها قواعدها ونظامها الخاص، وهي ظاهرة عامة انفرد وتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات (٤)، والنص القرآني هو المعبر الأول والمؤسس للمفاهيم السماوية عن طريق الالفاظ التي وردت في آياته وسوره.

إنّ اللغة العربية هي اللغة التي نطق بها الإنسان العربي (٥)، وهي اللسان الذي تكلم ونطق بها العرب، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم (٦)، لهذا قال أحد الحكماء "حكمة العرب في ألسنتهم، بحلاوة ألفاظهم، وعذوبة عباراتهم" (٧)، وهذا اللسان منزهة من كل نقيض، وسالم من كل عيب، ولا يوجد

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٥ / ٢٥١ - ٢٥٢. يُنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٨٣٠.

(٢) مختار الصحاح، الرازي، ٢٨٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ١٩٢.

(٤) يُنظر: محاضرات في علم اللسان، ترجمة عبد القادر قنيني، ٢٣.

(٥) يُنظر: المصباح المنير، الفيومي، ٢ / ٤٠٠. والكليات، الكفوي ٧٩٨.

(٦) يُنظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ١ / ٢٤٦.

(٧) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٨ / ٣٤٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

فيه ما يُعاب أو يستهجن، قال الفارابي (ت ٣٥٠هـ) عن هذا اللسان: "وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلى من كل خسيصة، والمهذب مما يستهجن أو يستشنع، فبنى مبانٍ بآيّن بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به، فلم يجمع بين ساكنين، أو متحركين متضادين، ولم يلاق بين حرفين لا يتألفان، ولا يعذب النطق بهما، أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة وحس السمع، كالغين مع الحاء، والقاف مع الكاف، والحرف المطبق مع غير المطبق، مثل تاء الافتعال، ...، في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى" (١)، فكل ما وجد في النص القرآني يدل على عربية ألفاظه، ويحدد المجتمع المخاطب ألا وهو المجتمع العربي.

ومن المعروف أنّ هذا العلم له علاقة وطيدة بالنص القرآني، كيف لا وقد نزل النصّ القرآنيّ بلسان العرب، وعلم اللغة يدرس اللسان العربي، حتى صار هذا العلم من شرائط التفسير، قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتّصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ" (٢)، فلا غنى عن علم لغة القرآن الكريم. ممّا تقدم فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي اختارها الله تعالى لخاتم كتبه السماوية، والتي زادها شرفاً، وهذا العلم من العلوم التي أشار إليها النصّ القرآني من خلال الفاظه التي نزل به من كونها بلسان عربي مبين كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (٣).

إنّ علم لغة القرآن الكريم من العلوم المنبثقة منه؛ لأنّ موضوعه النصّ القرآني، الذي يدرس أسس هذه اللغة، وما يتعدّد منها كقواعد لتصحیح اللغة العربية، وهذا الأمر محل خلاف بين النحويين في مسألة من يقدم بالتقنين القرآن الكريم وما جاء به من لغة، أم الشعر وما جاء به من قواعد، والباحث لا لا يخوض في هذه المسائل الخلافية؛ طلباً للاختصار، والاقتصار على المراد بإثبات هذا العلم وانبثاقه من القرآن الكريم.

(١٠) علم المجلد والمفصل: من المباحث التي انبثقت من النصّ القرآني وكان موضوعها القرآن، ومن أجل الوقوف على معناهما المراد سأتطرق إلى ما يأتي:

تعريف المجلد والمفصل لغة: جاء في معنى "المجلد" أنّ معنى المجلد هو: المجموع والمبهم،

(١) مقدمة ديوان الأدب، الفارابي، ٨٠/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١٣/١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
فهو مأخوذ من الإجمال، فعندما نقول: "أجمل الامر" بمعنى أبهمه، فالمعنى الابهام وعدم التفصيل^(١)،
وأضاف ابن منظور (ت ٧١١هـ) بقوله: "وأجملت الصنعة عند فلان وأجمل في صنيعه أجمل في
طلب الشيء: اتأد واعتدل فلم يفرط"^(٢)، فالمعنى أجمل يجمل فهو: مجمل، وهو مشتق من "جمل
الشيء" الذي جمعه بعد تفرق، فالمعنى ما جمع بعد تفرق، والمجمل من الكلام: كلام موجز مبهم، فلا
يفهم معناه بالتفصيل^(٣)، أو ما يجمع من دون أي تفصيل^(٤)، ومعنى ذلك اختصره.

فالمجمل يُطلق على الشيء الذي يختلط بعضه ببعض ونتيجته عدم اتّضح تفاصيله، فالمعنى
لما تقدم يمكن تلخيصه بـ: الشمول، والجمع، والضم، ومعناه أيضاً ما يتناول جملة الأشياء من دون
تفصيل أو بيان، فما لم تتضح أو تبين دلالاته، فيحتاج إلى مبين ومفصل يبينه، ومعناه أيضاً ما لا يفهم
معناه إلاً بغيره.

أما المفصلُ فعُرِّفَ لغةً: "[فصل] الفَصْلُ: واحدُ الفُصول. وَفَصَلْتُ الشيءَ فانفصل، أي قطعته
فانقطع. وَفَصَلَ من الناحية، أي خرج. وَفَصَلْتُ الرضيعَ عن أمّه فصالاً وأفصَلْتُه، إذا فطمته"^(٥)، فهو
فصل بين المعاني، ويطلق التفصيل على معنى التبيين^(٦)، وذكر الفيومي (ت ٧٧٠هـ) أن المعنى
"وفصلت الشيء تفصيلاً جعلته فصولاً متمايزة"^(٧).

وعليه يتضح للباحث أن المجمل يقابله المفصل، فالمجمل معناه ذكر الشيء بلا تفصيل،
والمفصل: بيان لما أجمل من القول بتفصيل يبين المراد بإيضاح المعنى ودلالاته بشكلٍ مفصّلٍ.

أما تعريف المجمل والمفصل اصطلاحاً: فقد عُرفَ المجمل اصطلاحاً بأنه "ما خفي المراد منه
بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المجمل"^(٨)، فما خفي معناه فهو مجمل، وجاء أيضاً "أجمل
الأمر: أبهم ومنه: المُجْمَل: وَهُوَ مَا لَا يُوقَفُ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ إِلَّا بِبَيَانٍ مِنْ جِهَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٥/ ١٧٩٠ و ١٧٩١. ولسان العرب، ابن منظور، ١١/ ١٢٨.

(٢) لسان العرب، ١١/ ١٢٧. يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٩٧٩.

(٣) يُنظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ١/ ١٣٦٠.

(٤) يُنظر: المصباح المنير، الفيومي، ١/ ١١٠.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٥/ ١٧٩٠.

(٦) يُنظر: المصدر نفسه، ٥/ ١٧٩١. ومختار الصحاح، الرازي، ٢٦٢.

(٧) المصباح المنير، ٢/ ٤٧٤.

(٨) التعريفات، الجرجاني، ٢٠٤.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
﴿وَأْتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(١)، وَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢) "٣"، ومعنى ذلك أن المجمل لا يُقَفَّ على مراده إلا إذا بينه المتكلم.

وجاء أنّ "المجمل في مقابلة المفصل... الفرق بين الإجمال والتفصيل أنّ المجمل كالمعرّف بالفتح ملحوظ بملاحظة واحدة والمفصل كالمعرّف بالكسر ملحوظ بملاحظات متعدّدة... والمجمل في عرف الأصوليين هو ما خفي المراد منه بنفس اللفظ خفاء لا يدرك بالعقل بل ببيان من المجمل،... فإنّ المجمل أنواع ثلاثة: نوع لا يفهم معناه لغة كالهلوع قبل التفسير، ونوع معناه معلوم لغة لكنه ليس بمراد كالربا والصلاة، ونوع معناه معلوم لغة إلاّ أنّه متعدّد لغة كالمشترك. ففي القسم الأخير خفي المراد باعتبار الوضع وفي الأولين باعتبار غرابة اللفظ وإبهام المتكلم... أنّ المجمل ما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباها لا يدرك المراد إلاّ ببيان من جهة المجمل"^(٤).

وبناءً على ما تقدم يتضح أنّ المجمل لا يفهمه السامع إلاّ أن يبين المتكلم معناه، فهو خفيّ الدلالة والمعنى حتّى يُبيّن، فهو بحاجة إلى من يبيّنه.

أما المفصل فإنّ معناه الاصطلاحي: يُعرّف عند مقابلته مع المعنى الاصطلاحي لـ"المجمل"؛ كونه يقابله^(٥)، ومعنى ذلك أنّ المبيّن: ما كان واضح المعنى والدلالة ولا يلتبس على السامع؛ لأنّه بيّن فلا يحتاج إلى إفهام.

فالمجمل معناه عدم وضوح دلالاته، فيكون مجهولاً من جهة عدم معرفة مقصد المتكلم ومراده، فلا ظهور له، ويقابله اللفظ (المبيّن) الذي يكون ظاهراً وواضحاً، ويدلّ على مقصود المتكلم له، وهذا القصد إما على نحو اليقين أو الظن الراجح^(٦)، لهذا فقد عرّف السيوطي (ت ٩١١ هـ) معنى المجمل "بأنّه: ما لم تتضح دلالاته وهو واقع في القرآن"^(٧). وكذلك عرّفه بتعبير آخر "بأنّه: اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه"^(٨)، وزاد على تعريفه بأنّ "المجمل لا يبيّنه ويعطي معناه إلاّ الشارع المقدس؛ ولا يزول

(١) سورة الانعام، جزء من الآية: ١٤١.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٤٣.

(٣) الكلبيات، الكفوي، ٤٢.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢ / ١٤٧٤. يُنظر: التعريفات الفقهية، البركتي، ١٩٥ و ١٩٦.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه، ١ / ٤٩٤. والتعريفات الفقهية، البركتي، ٥٩.

(٦) ينظر: التبيان، الطوسي، ٨ / ٢٤٩. وفقه القرآن، الروندي، ١ / ٧ و ٨٢ / ٢. والبرهان، الزركشي، ٢ / ١٨٣. الإيقان، السيوطي، ٢ / ١٠.

٤٩-٥٤. وتفسير الألوسي، ١ / ٢٤٧ و ٢ / ١٢٧ و ٤ / ١٩٠. وتيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ٣٤.

(٧) الإيقان، ٢ / ٢٠.

(٨) المصدر نفسه، ٢ / ٢٠.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

إبهامه إلا بعد الرجوع إلى القرآن الكريم، أو السنّة النبويّة الصحيحة، أمّا المفصل ممكن أن يبيّنه غير الشارع المقدس^(١)، وعليه ف"المجمل وهو ما لم تتضح دلالاته، أو هو -بعبارة أوضح- ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه"^(٢)، فما لم تتضح دلالاته فهو مجمل، وعُرف بأنه ما اختفى المراد من بيانه، "المجمل: فهو الذي اختفى المراد منه بنفس لفظه حتى بينه الشارع؛ نحو لفظ "الصلاة" معناها في اللغة: الدعاء. وبين الشارع المراد منها حين أمرنا بها في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بيّنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله وفعله، وأمرنا قائلاً: "صلوا كما رأيتموني أصلي"^(٣) "٤"، ف"المجمل" لم يختلف معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي أو الاصطلاحي حتى عند علماء علوم القرآن؛ فما لم تتضح دلالاته أو معناه فهو مجهول، لا يفهمه السامع إلا بعد البيان من المتكلم نفسه.

أما تعريف المفصل أو المبيّن، فيرى الباحث أنّ بيان معنى "المجمل" تتبين حقيقة "المفصل"، فقد عرفه الشافعي (ت ٢٠٤) واتجه بالبيان إلى ما يحتمله من معان توضيحية يمكن الوصول إليها بطرق مختلفة فيقول: "البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع -فالبين عنده اسم جامع لكل ما يكشف قناع المعنى، إلا أن المقصود به هو البيان الأصولي فيقسمه أقساماً أربعة-:

١- ما أبانه الله لخلقه في كتابه العزيز، وأتى الكتاب على غاية البيان فيه.

٢- ما أحكم فرضه بكتابه، وبيّن كيف هو على لسان نبيه.

٣- ما سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مما ليس لله فيه نص حكم.

٤- ما فرض الله على خلقه وكلفهم بالاجتهاد في طلبه"^(٥)، والمفصل هنا يمكن أن يندرج تحت القسم الأول من البيان، وقد عرفه الرازي (ت ٦٠٦ هـ) بقوله: "ما احتاج إلى البيان، وقد ورد عليه بيانه"^(٦)، أي إنه بيّن معناه من النص الذي ورد فيه، وعُرف أيضاً بأنّه "الخطاب المبتدأ المستغني عن البيان"^(٧)، فإذا "كان المجمل هو اللفظ أو الفعل الذي لا ظاهر له، عليه يكون المبين ما كان له ظاهر يدل على مقصود قائله أو فاعله على وجه الظن أو اليقين، فالمبين يشمل الظاهر والنص معاً"^(٨)، ويتضح

(١) هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ١٨١/٤.

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ٣٠٩.

(٣) صحيح البخاري، ١/١٢٨، رقم الحديث: ٦٣١.

(٤) الأعلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيقي، ٣٥٩.

(٥) الرسالة، ٢١-٢٢.

(٦) المحصول في علم أصول الفقه، ١/٢٢٧.

(٧) المصدر نفسه، ١/٢٢٧. ويُنظر: الأحكام في أصول الأحكام، الأمدي، ٣/٢٣.

(٨) الظاهر: هو ما لا يفترق في إفادته لمعناه إلى غيره. والنص: هو كلام تظهر إفادته لمعناه ولا يتناول أكثر منه. يُنظر: الرازي، المحصول

في علم أصول الفقه، الرازي، ١/٢٢٨-٢٢٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

مما سبق أنّ المجلد ما أحتاج لبيان، وما لا يفهم مراده من السامع إلا بتفصيل من المتكلم، أما المفصل أو المبين فإنّه يقابل "المجلد"؛ بكونه لا يحتاج إلى بيان، فيفهمه السامع بمجرد النطق به، وأما مدخلية النص القرآني في تحديد أنّه مفهوماً أو مصطلحاً لعلوم القرآن فسيأتي بيانه في الفصل الثالث من هذه الأطروحة.

(١١) علم (المحكم والمتشابه): وبهذا المعنى أشار القرآن الكريم إلى هذا العلم بالتصريح في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١)، وهو العلم الذي تدور مباحثه حول الآيات المحكمة: أي التي لها معنى واحد، والآيات المتشابهة: أي التي لها معاني كثيرة، فيبين ويحدد الآيات المحكمة من المتشابهة، وأول من أشار إلى وجود الآيات المحكمة والمتشابهة هو المولى تعالى، ومن أجل الوقف على المعنى المراد من هذا العلم ساقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي له.

فقد جاء أن معنى المحكم في اللغة بأنه " (حَكَمَ) الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ. وَسُمِّيَتْ حَكْمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السَّفِينَةَ وَأَحْكَمْتُهَا، إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ... وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ. وَتَقُولُ: حَكَمْتُ فُلَانًا تَحْكِيمًا مَنَعْتُهُ عَمَّا يُرِيدُ. وَحَكَمَ فُلَانٌ فِي كَذَا، إِذَا جُعِلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ. وَالْمُحَكَّمُ: الْمُجَرَّبُ الْمُنْسُوبُ إِلَى الْحِكْمَةِ"^(٢)، فالمعنى المنع لهذا سميت الحكمة بهذا الاسم؛ لأنها تمنع الشخص من الجهل، ويقال إذا أحكم الشخص الأمر إذا أتقنه، ويقال الرجل حكيم إذا أحكمته التجارب، وإذا اتقن الأمور فهو حكيم^(٣)، مما سبق فالمعنى الاتقان، والمنع من الفساد، فما لا اختلاف فيه ولا اضطراب فهو محكم "الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ... وَقِيلَ: هُوَ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَّشَابِهًا؛ لِأَنَّهُ أُحْكِمَ بَيَانُهُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَنْتَقِرْ إِلَى غَيْرِهِ"^(٤)، فالمحكم من القول ما لا يحتاج إلى غيره في البيان، فهو مبين للمعنى بنفسه.

أما المتشابه: فقد عُرف لغة بأنه "الشبه بالكسر والتحريك: المثل جمعه اشباه، وشابهه ماثله، وتشابها واشتبهها: أشبه كل منها الآخر حتى التبسا"^(٥)، فكل ما اشتبه من الأمور مشكلة^(٦)، فيقال: الامر فيه

(١) سورة آل عمران: الآية: ٧.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ٩١.

(٣) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢ / ١٤٣. ومختار الصحاح، الرازي، ٦٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ١ / ٤١٩.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣ / ٢٤٣. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣ / ٥٠٣.

(٦) يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤ / ٢٨٥. مادة (شبه).

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

شبهه، ومعنى ذلك فيه التباس، وتطلق على المشكلات فيما تشابه من الامور والمتشابه المتماثل، والتمثيل معنى للتشبيه^(١)، فإن من معاني التشابه ما يكون بعضه موافقاً لبعض^(٢)، فالمعنى أن هناك آيات يشابه بعضها الآخر من ناحية كونها خطاباً إلهياً ورد في النص القرآني، فلا تناقض من ناحية المدلول، وكذلك كونها خطاباً سماوياً جسده بما يحمل من خصائص توافقت في النهج، ومن ناحية أخرى أن التشابه يعني الإلتباس بالمعنى كون آياته فيها احتمالات للتأويل أو اختلاف بالمعنى، كل ذلك بلحاظ الإفهام، فمنها ما يفهم منها معنى واحد، ومنها ما يفهم منها أكثر من معنى^(٣)، فالمعنى اللغوي لـ "المتشابه" منحصر في الإلتباس والمثل، والمماثلة.

فما لا يحتاج إلى بيان، واحتمل وجهاً واحداً فهو محكم، والمتشابه ضده، فما أشكل بأكثر من معنى فهو متشابه.

أما تعريف المحكم والمتشابه اصطلاحاً فإن لفظة "المحكم" عُرِفَت بصورة عامة بأنها "ما أحكم المراد به عن التبدل والتغيير، أي التخصيص والتأويل والنسخ مأخوذ من قولهم: بناء محكم، أي متقن مأمون الانتقاض، وذلك مثل قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، والنصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته؛ لأن ذلك لا يحتمل النسخ؛ فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد؛ فإن لم يحتمل النسخ، فهو محكم، وإلا فإن لم يحتمل التأويل، فمفسر، وإلا فإن سيق الكلام لأجل ذلك المراد، فنص، وإلا فظاهر، وإذا خفي لعارض، أي لغير الصيغة، فخفي، وإن خفي لنفسه، أي لنفس الصيغة وأدرك عقلاً، فمشكل، أو نقلاً، فمجمل، أو لم يدرك أصلاً فمتشابه"^(٤)، وعُرف أيضاً "المحكم: اسم مفعول من الإحكام يقال بناء محكم أي وثيق يمنع من التعرض له، وسميت الحكمة حكمة لأنها تمنع مما لا ينبغي"^(٥)، والمحكم في القول "ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى"^(٦)، فالمحكم ما لا يتغير ولا يتبدل، وما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهو بهذا المعنى شابه التعريف اللغوي.

وعُرف "المحكم والمتشابه" بأن "المحكم ما لا يحتمل إلا الوجه الواحد ... وإما المتشابه: فهو ما احتمل من وجهين فصاعداً"^(٧)، ومعنى ذلك أن "المحكم" لا يحتمل في معناه إلا وجهاً واحداً لا غير، بخلاف

(١) يُنظر: المصدر نفسه، ٤/ ٢٨٦.

(٢) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢/ ٧٤.

(٣) يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٣.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١٤٨٩.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ٢٥١.

(٧) عدة الأصول، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٥٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

"المتشابه" الذي يحتمل أكثر من وجه؛ لأنّ الدلالة للمحكم بينة واضحة، أما المتشابه فغير واضحة" (١)، ولعلّ ذلك راجع؛ لكون الناسخ داخلاً في أفراد "المحكم"، أمّا المنسوخ فداخل تحت أفراد "المتشابه"؛ كونه بالضد مع المحكم، والنص والظاهر القدر المتيقن والمشارك بينهما "المحكم"، أما المجمل والمفصل فالقدر المشترك بينهما "المتشابه" (٢).

أما "المتشابه" فُعرف اصطلاحاً بأنّه "ضدّ المحكم المتشابه وهو اللفظ الذي لا يفهم منه المراد ولا يرجى بيانه أصلاً كمقطعات القرآن" (٣)، فهو ضد المحكم؛ بكونه لا يفهم معناه، ويصعب بيانه، وهو اسم مفعول بأن يتشابه الأمرين فيصعب التمييز بينهما، والمتشابه ما يحتاج إلى بيان وتوضيح (٤).

أما بيان "المحكم والمتشابه" عند علماء علوم القرآن فقد عرّفوا بتعريفات عدة منها ما ذكره النحاس (ت ٣٣٨هـ) بأن "المحكم ما كان قائماً بنفسه لا يحتاج إلى استدلال والمتشابه ما لم يتم بنفسه واحتاج إلى استدلال" (٥)، فما كانت آياته واضحة المعنى وقائمة بنفسها فهي محكمة، وإذا احتاجت لاستدلال وبيان فهي متشابهة، وعليه فـ "الْمُتَشَابِهُ لَا يُرْجَى بَيَانُهُ وَالْمُحَكَّمُ لَا تُوقَفُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْبَيَانِ" (٦)، وجاء أن المعنى "الحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل. والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والحروف المقطعة في أوائل السور... المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً. والمتشابه بخلافه" (٧)، وقد نقل صاحب معترك الأقران أقوالاً أخرى منها "وقيل المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان. وقيل: المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره..." (٨)، فما عقل معناه فهو محكم، والمتشابه خلافه، وما استقل ببيان معناه بنفسه فهو محكم، والمتشابه لا بد من رده لغيره فلا يستقل بنفسه، لهذا عرف "المحكم والمتشابه" السمرقندي (ت ٣٨٣هـ) بقوله: "المحكم ما كان واضحاً لا يحتمل التأويل، والمتشابه الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ والمعنى مختلف" (٩)، فإنّ "المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلاّ الوجه الواحد؛ فمن سمعه أمكنه أن يستدلّ به في الحال، والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر؛

(١) الفصول في الأصول، الجصاص، ٣٧٣/١.

(٢) يُنظر: كنز العرفان، المقداد السيوري: ١/ ٤٧. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار، ١٣٥.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١٤٨٩.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه، ٢/ ١٤٣٧، ١٤٣٨.

(٥) معاني القرآن، النحاس، ١/ ٣٤٦. ويُنظر: فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٣١٤.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٦٩.

(٧) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ١/ ١٠٣.

(٨) المصدر نفسه، ١/ ١٠٤.

(٩) تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي، ١/ ٢١٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

ليحمله على الوجه المطابق. ولأنَّ المحكم أصل، والعلم بالأصل أسبق، ولأنَّ المحكم يعلم مفصلاً، والمتشابه لا يعلم إلاً مجملاً" (١)، فما وضحت دلالاته ومعناه فهو محكم، وما خُفي معناه فهو متشابه.

وعليه انطلقت بعض المصطلحات القرآنية من القرآن الكريم، وأخذت هذه المصطلحات معاني محددة، لا تخرج في إطارها العام عن المعنى المستفاد من القرآن، وإذا تعددت الاجتهادات في مجال تفسير هذه المصطلحات فإنَّ هذه المفاهيم تظل حبيسة الدلالات القرآنية، لا تتجاوزها بمعنى يناقض تلك الدلالة في إطارها العام، ومن هذه المصطلحات القرآنية التي جاء بها القرآن "المحكم والمتشابه" في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (٢).

(١٢) علم المطلق والمقيد: من العلوم المهمة التي ذُكرت في النص القرآني من السياق بإيراد بعض الالفاظ الدالة على الاطلاق، وأخرى على التقييد، ولرفع الالتباس لا بدَّ من بيانها من حيث اللغة والاصطلاح.

فمن جهة تعريف المطلق والمقيد لغة: جاء في معنى "المطلق" لغة بانها مأخوذة من الاطلاق فعندما نقول: "أُطْلِقْتُ الأَسِيرَ، أي خَلَيْتَهُ. وَأُطْلِقْتُ الناقَةَ من عِقَالِهَا فَطَلَّقْتُ هِيَ، بالفتح وأُطْلِقَ يده بخير وَطَلَّقَهَا أيضاً... وَالطَّلِيقُ: الأَسِيرُ الَّذِي أُطْلِقَ عنه إِسَارُهُ وَخلى سبيله. وبعير طلق. ناقة طلق، بضم الطاء والكلام، أي غير مقيد" (٣)، فالإطلاق في اللغة مأخوذ من الإرسال والتخليّة، فعندما نقول أطلقنا الأسير: بمعنى خليته، وارسلته (٤)، والمعنى المراد ما أرسل من اللفظ من دون قيد أو شرط.

أما "المقيد" لغة: فمعناه "القَيْدُ: واحدُ القَيْدِ. وقد قَيَّدْتُ الدَابَّةَ. وَقَيَّدْتُ الكِتَابَ: شَكَلْتُهُ. وهؤلاء أجمالاً مقاييد، أي مُقَيَّدَاتٌ. ويقال للفرس الجواد: قَيْدُ الأَوَابِدِ، لأنه يمنع الوحش من الفوات، لسرعته" (٥)، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "قَيْدٌ القَافُ وَالْيَاءُ وَالذَّالُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ القَيْدُ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُحْبَسُ" (٦)، فهو عكس الاطلاق بمعنى الحبس والتقييد وعدم الإرسال.

أما تعريف المطلق والمقيد اصطلاحاً: فقد عرّف المطلق اصطلاحاً بأنه "ما يدل على واحد غير معين" (٧)، فعدم التعيين جعل منه مطلقاً، فإنَّ هناك فرقاً بينه وبين العام؛ لأنَّ "المطلق: هُوَ مَا يَتَنَاوَلُ

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٦٢٠. يُنظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان: ١٧٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٧.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٤/ ١٥١٨.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٤٢٠. ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٢٢٦.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/ ٥٢٩.

(٦) مقاييس اللغة، ٥/ ٤٤. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٣٧٢.

(٧) التعريفات، الجرجاني، ٢١٨.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
الأفراد على سبيل البَدَل ك (رجل) مثلاً. وَالْعَام: مَا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْأَفْرَادِ. وَالْمُطْلَق: هُوَ الدَّالُّ عَلَى الْمَاهِيَةِ
من غير دلالة على الوحدة وَالْكَثْرَةَ^(١)، فالعام يدرس جميع الأفراد، أما المطلق فإنه يدرس الواحد على
سبيل البديل من العام.

وجاء المطلق "على صيغة اسم المفعول من الإطلاق بمعنى الإرسال... فاللفظ الدال على الحقيقة
من حيث إنها هي من غير أن تكون فيه دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة هو المطلق"^(٢)، فما لم
يكن فيه قيود فهو مطلق، وجاء أيضاً بأن "المطلق: ما يدل على واحد غير معين أو اللفظ المعترض
للذات دون الصفات لا بالنفي ولا بالإثبات ويقابله المقيد"^(٣)، فما يدرس الذات دون الصفات فهو مطلق
وإلا فهو مقيد؛ كون "المطلق يجري على إطلاقه إذا لم يكن معه ما يدل على تقييده"^(٤).

أما التقييد: فهو ما يقابل المطلق اصطلاحاً فما قيد بعض الصفات فهو مقيد "المقيد: ما قيد
لبعض صفاته"^(٥)، كون "المقيد ما تعرض ذاتاً موصوفة بصفة كقوله تعالى: {فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً}"^(٦).
يتضح إنَّ المطلق على واحد غير معين، أو هو كل لفظ درس الذات دون الصفات، والمقيد ما
قابله بمعنى أنه يتعرض للصفات، والمطلق باقٍ على إطلاقه ما لم يدل الدليل على تقييده.

أما المطلق والمقيد فهو علم من علوم القرآن وعُرف اصطلاحاً "المطلق الدال على الماهية بلا
قيد، وهو مع المقيد كالعام مع الخاص قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا
فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب. والضابط أن
الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظر فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا
ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر"^(٧)،
فإنَّ "المراد بالمطلق في القرآن الكريم، هو اللفظ الذي لا يقيده قيد، ولا تمنعه حدود، ولا تحتجزه شروط،
فهو جارٍ على إطلاقه. والمقيد بعكسه تماماً، فهو: الذي يقيد بقريضة لفظية دالة على معنى معين بذاته
لا تتعداه إلى سواه"^(٨).

(١) الكليات، الكفوي، ٨٤٧.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١٥٦٧/٢.

(٣) التعريفات الفقهية، البركتي، ٢٠٩.

(٤) الكليات، الكفوي، ١٠٤٨.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ٢٢٥.

(٦) الكليات، الكفوي، ٨٤٩.

(٧) الإيقان، السيوطي، ٨٢/٢.

(٨) مصطلحات أساسية في علوم القرآن، محمد حسين علي الصغير، محاضرات أقيمت على طلبة الدراسات العليا - ٢٠٠٦ - جامعة

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

وخلاصة القول إنَّ المطلق هو اللفظ الذي لم يقيد بقيد، ولم تحجزه الشروط، ولم تمنعه حدود، فهو يدل على الماهية من دون قيد أو شرط فيكون جارٍ على إطلاقه، والمقيد بعكسه.

(١٣) علم المكي والمدني: من العلوم المهمة في علوم القرآن التي تحدد مكان نزول الآيات القرآنية، والتي أشار إليها النص القرآني بالمفهوم، ومن غير المبهم أنّ الكلمتين "المكي" و"المدني" أصلهما "مكة" و"المدينة" المدينتان المكرّمتان المعروفتان، مع إضافة ياء النسبة في آخرهما، وهذه النسبة تتعلق بالآيات، وتعبير أدقّ: تتعلّق بمكان نزول الآيات، فهي نسبة مكانية لهذه الآية أو تلك، أو هذه السورة أو تلك، إنّ العلم بمكي السورة من مدينتها له من الآثار المتنوعة في مجالات متعددة منذ بدأ عصر النزول وإلى ما لا نهاية كما أشار السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) بقوله: "إن العلم بمكيّة السور ومدينتها ثم ترتيب نزولها، له أثر هامّ في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمنه (عليه السلام)" (١)، ومن أجل الوقوف على هذا العلم سائبين الأمور الآتية:

التعريف بالمكي والمدني لغة: فالمكي لغة: المكّ في اللغة له معانٍ عدة، منها: الازدحام في الناس، وسميت مكة المكرمة بذلك لازدحام الناس فيها، وقيل: مأخوذ من استخراج ما بداخل العظم، وقيل سمّي المكّ بذلك لشحّة الماء وصعوبة استخراجها (٢)، وجاء في معناها لغة: نسبة إلى أشرف بقعة على وجه الأرض، منزل الانبياء، ومهبط الوحي (٣)، وهي نسبة قياسية؛ لأن كل اسم آخره تاء التأنيث يجب حذفها عند النسبة، يقال في مكة: مكّي (٤).

أما المكي اصطلاحاً فقد عُرّف بأنه: ما كان خطاباً لأهل مكة (٥)، أو هو اصطلاح أطلقه العلماء على السور والآيات القرآنية النازلة في مدة الدعوة المكية.

وجاء في تعريف المدني لغةً بأنه مأخوذ من المدينة، على وزن (فعيلة)، وهو اسم يطلق على مدينة رسول الله (ﷺ) خاصة، ومدن الشخص دخل المدينة وتمدّن: بانت عليه آثار النعم، ومدن المكان: أقام به (٦)، وهو اسم غلب على مدينة النبي (ﷺ) (٧)، قال السمعاني (ت ٥٦٢ هـ): "أكثر ما ينسب إليها

الكوفة". يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ١٤٤.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ٢٣٥/١٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٥/ ٢٧٤، ولسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٣٩١، وتاج العروس، الزبيدي: ١٣/ ٦٤٦.

(٣) الأنساب، السمعي: ٥/ ٣٧٦.

(٤) يُنظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢/ ٤٩١.

(٥) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ٩/ ١. والبرهان في تفسير القرآن، البحراني، ١/ ١٨٧. ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/ ١٩٦.

(٦) يُنظر: العين، الخليل: ٨/ ٥٣، والمحيط في اللغة، صاحب بن عباد: ٩/ ٣٢٧.

(٧) يُنظر: الروض المعطار في خبر الاقطار، الحميري: ٥٢٩.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

يقال: المدني، والمدني^(١).

أما المدني في الاصطلاح: فهو ما كان خطاباً لأهل المدينة^(٢)، أو هو اصطلاح أطلقه العلماء على السور والآيات النازلة في مدة الدعوة المدنية، أو هو ما نزل من القرآن الكريم في المدينة، فسمي بـ(المدني).

أما من جهة تعريف المكي والمدني كمركب في اصطلاح علماء علوم القرآن: تقدم التعريف بالمكي والمدني على وجه الإجمال، وللعلماء فيهما تفصيل، من قبيل إطلاق الاصطلاح ومستنده.

ويمكن بيان معنى المكي والمدني بإيراد ما ذكره ابن عطية الغرطاني المالكي (ت ٥٤٢هـ) بقوله: "وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي فهو مدني سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"^(٣)، وأضاف قائلاً: "ما نزل بعد الهجرة وإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي (ﷺ)"^(٤)، ولهذا المعنى ذهب ابن جزي (ت ٧٤١هـ)، إذ قال: "اعلم أن السور المكية هي التي نزلت بمكة ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة، وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة"^(٥)، وللمعنى نفسه ذهب الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) بقوله: "فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة"^(٦)، ويدلي برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بدلوه في تقرير رأي الجمهور فيقول: "وكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وكل ما نزل بعدها فهو مدني ولو كان النبي (ﷺ) وقت نزوله في بلد آخر"^(٧)، وقال أيضاً: "فإن العبرة بالمدني بالنزول بعد الهجرة"^(٨)، وقد ذكر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ) أن هذا القول هو أشهر الأقوال^(٩). وكذلك جاء أن المشهور أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، سواء كان

(١) الأنساب، والتحبير في المعجم الكبير، ٣٥/٥.

(٢) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ٩/١. ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ١٩٦/١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/٥.

(٤) المصدر نفسه: ٥/٤.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي الغرطاني، ١٣/١. ويُنظر: علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير، محمد صفاء حقي، ٢٠٣/٢.

(٦) فضائل القرآن، ١١.

(٧) مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٩١/١.

(٨) المصدر نفسه: ١٠٤/٢.

(٩) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٨٧/١. والإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٤/١.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

بمكة أم في غيرها، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني سواء نزل بالمدينة أم بغيره^(١).

ويظهر إنَّ العبرة في تحديد المكي والمدني عند علماء علوم القرآن هو زمن النزول، فإن كان قبل الهجرة فهو مكي وإن نزل بغير مكة، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل بمكة أو غير مكة، وهنا يُلاحظ أنَّ العلماء اتخذوا من زمن النزول معياراً لتحديد "المكي والمدني"، لكنَّ النصَّ القرآني لم يشر إلى هذا الفهم في تحديد "المكي والمدني"؛ لأنه لم يذكر هذا المعيار بالنص الصريح، أو أشار إلى النصوص القرآنية وحددها باللفظ الصريح بأنها مكية أو مدنية، فيكون هذا الأمر استنباطياً من قبل العلماء، وهو رأي من عدة آراء.

ويلحظ مما سبق أنَّ لعلماء علوم القرآن مذاهب في بيان "المكي والمدني"، ولهذا نجد أنَّ السيوطي (ت ٩١١هـ) في إتقانه، يقول: "اعلم أنَّ للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة^(٢):"

أشهرها: أنَّ المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار.

أخرج عثمان بن سعيد الدارمي بسنده إلى يحيى بن سلام^(٣)، قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي (ﷺ) المدينة، فهو من المكي، ما نزل على النبي (ﷺ) في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني.

وهذا أثر لطيف، يؤخذ منه: أنَّ ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً.

الثاني: أنَّ المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة. وعلى هذا تثبت الوسطة، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكيّاً ولا مدنيّاً.

الثالث: أنَّ المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وحمل على هذا قول ابن مسعود^(٤).

أما أشهر الاصطلاحات فهو "الاصطلاح الأول" الذي يفيد بأنَّ المكي ما نزل قبل هجرته (ﷺ) إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وخلاصة ما تقدم بأنه تعددت الأقوال واختلفت في تحديد نسبة الآيات إلى أماكنها، فبعض العلماء حصر النسبة بين مكة والمدينة فحسب، بلحاظات معينة، وبعضهم أطلقها فاستوعبت هاتين المدينتين

(١) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد عقيله، ١/ ٢٠٤.

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، ١/ ١٨٧.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ١/ ١٨٨ و ١٨٩.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١/ ٥٥.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة
المكرمتين وغيرهما، ولعل ذلك كان تحرياً للدقة وتثبيتاً للأحداث التاريخية - المتعلقة بنزول آيات من
القرآن الكريم - بدقة، ونقلها للعصور اللاحقة بأمانة.

(٤١) علم (الناسخ والمنسوخ): هو من العلوم التي أشار إليها النص القرآني باللفظ الصريح في أكثر
من موضع، فقد وردت مفردة النسخ بعدة اشتقاقات في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ
أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وقوله سبحانه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ
عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْفِتْنَىٰ فِي أُمَّيَّتِهِ فَاِئْتَىٰ الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)،
وهذا العلم تدور بحوثه حول تحديد الآيات الناسخة من المنسوخة، فالآية المنسوخة هي التي أُبطل
حكمها، بحكم تحمله آية أخرى تسمى الناسخة، وهو علم يبحث في التفريق بينهما، وأيهما نسخ الآخر،
وأدلة الناسخة من المنسوخة، وأول من أشار إلى مسألة النسخ في القرآن هو المولى تعالى في كتابه
المبين، ولبيان هذا العلم سأطرق إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي له.

فقد جاء أن المعنى اللغوي للنسخ هو "نسخ: النَّسْخُ والانتساحُ: اكتتابك في كتابٍ عن معارضه.
والنَّسْخُ: إزالتك أمراً كان يعمل به، ثم تَنَسَّخَهُ بِحَادِثٍ غَيْرِهِ، كَالآيَةِ تَنْزَلُ فِي أَمْرٍ، ثُمَّ يَخْفَفُ فَتُنَسَّخُ بِأُخْرَى،
فَالأولى منسوخة والثانية ناسخة" ^(٤)، فالنسخ إزالة عمل كان يعمل به، وجاء أن " (نَسَخَ) النَّوْنُ وَالسِّينُ
وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي قِيَاسِهِ. قَالَ قَوْمٌ: قِيَاسُهُ رَفْعُ شَيْءٍ وَإِثْبَاتُ غَيْرِهِ مَكَانَهُ. وَقَالَ
آخَرُونَ: قِيَاسُهُ تَحْوِيلُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. قَالُوا: النَّسْخُ: نَسَخُ الْكِتَابِ. وَالنَّسْخُ: أَمْرٌ كَانَ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ قَبْلُ
ثُمَّ يُنَسَخُ بِحَادِثٍ غَيْرِهِ، كَالآيَةِ يَنْزَلُ فِيهَا أَمْرٌ ثُمَّ تُنَسَخُ بِآيَةٍ أُخْرَى. وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَفَ شَيْئاً فَقَدْ انْتَسَخَهُ.
وَأَنْتَسَخَتْ الشَّمْسُ الظِّلَّ، وَالشَّيْبُ الشَّبَابَ" ^(٥)، ويأتي بمعنى الإعدام وإبطال الشيء وإزالته ^(٦)، ومنه
قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْفِتْنَىٰ فِي أُمَّيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٧)، كما يأتي بمعنى نقل وتحويل الشيء مع البقاء
في نفسه، كما في نقل الميراث من قوم إلى قوم، وأيضا مثل نسخ الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا

(١) سورة البقرة: الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الجاثية: الآية: ٢٩.

(٣) سورة الحج: الآية: ٥٢.

(٤) العين، الخليل، ٤ / ٢٠١.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ٤٢٤.

(٦) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥ / ٤٤٠٧.

(٧) سورة الحج: الآية: ٥٢.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

كِتَابًا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، ويقصد بها نقل الأعمال إلى كتاب ومن الكتاب إلى غيره (٢)، فالمعنى اللغوي متعدد ومتنوع كالإبطال، والتحول، والانتقال، ورفع شيء وإثبات شيء مكانه، والمعنى الملائم للنص القرآني هو رفع حكم كان يُعمل به في زمن ما بحكم آخر مع بقاء الآية المنسوخة بمعنى يرفع الحكم لا التلاوة.

أما من جهة المعنى الاصطلاحي الوارد في النص القرآني فقد كان بيان النسخ الوارد في سورة البقرة (٣): "ومن المعلوم أنّ النسخ بالمعنى المعروف عند الفقهاء وهو الإبانة عن انتهاء أمد الحكم وانقضاء أجله، اصطلاح متفرع على الآية مأخوذ منها، ومن مصاديق ما يتحصل من الآية في معنى النسخ على ما هو ظاهر إطلاق الآية. قوله تعالى، ما ننسخ، النسخ هو الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل إذا زالتة وذهبت به، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) (٤)، ومنه أيضا قولهم: نسخت الكتاب إذا نقل من نسخة إلى أخرى فكأنّ الكتاب أذهب به وأبدل مكانه، ولذلك بدّل لفظ النسخ من التبديل في قوله تعالى: (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٥)، وكيف كان، فالنسخ لا يوجب زوال الآية من الوجود وبطلان تحققها، بل الحكم حيث علق بالوصف وهو الآية والعلامة مع ما يلحق بها من التعليل في الآية بقوله تعالى: ألم تعلم، إلخ افاد ذلك أن المراد بالنسخ هو إذهاب أثر الآية من حيث أنها آية، أعني إذهاب كون الشيء آية وعلامة مع حفظ أصله، فبالنسخ يزول أثره من تكليف أو غيره مع بقاء أصله، وهذا هو المستفاد من اقتران قوله: ننسها بقوله: ما ننسخ، والإنساء: إفعال من النسيان وهو الإذهاب عن العلم، كما أن النسخ: هو الإذهاب عن العين، فيكون المعنى: ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأت بخير منها أو مثلها... (٦)، فمعنى النسخ الواردة في النص القرآني إزالة أثر التكليف الموجه في الآية مع بقاء رسم الآية، فلا زوال للآية نفسها بل هو زوال للحكم، أو تبديل للحكم لا غير.

وجاء معنى النسخ اصطلاحا هو: " في الشريعة: هو بيان انتهاء الحكم الشرعي في حق صاحب الشرع، وكان انتهاؤه عند الله تعالى معلوماً إلا أنّ في علمنا كان استمراره ودوامه، وبالناسخ علمنا

(١) سورة الجاثية: الآية: ٢٩.

(٢) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٤٤٠٧.

(٣) الآية: ١٠٦.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥١.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠١.

(٦) الميزان، السيد الطباطبائي، ١/٢٤-٢٥. يُنظر: علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ٢/٥٧٤.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

انتهاءه، وكان في حقنا تبديلاً وتغييراً" (١)، فهو انتهاء للحكم لا إزالة النص القرآني، ويقول السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) في بيان معنى النسخ اصطلاحاً: "هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع" (٢)، فالنسخ "هو العلم الذي يبين مراحل نزول التشريع وتدرجه ويوضح منهج التشريع في إقرار الأحكام، وحكمته في خطاب المكلفين" (٣).

فالنسخ هو إزالة لحكم أو تبديل حكم بحكم آخر لمصلحة يراها الشارع المقدس، ولا يقصد به الزوال النهائي للآية، فهذا العلم تدور بحوثه حول تحديد الآيات الناسخة من المنسوخة، فالآية المنسوخة هي التي أبطل حكمها، بحكم تحملها آية أخرى تسمى الناسخة، وهو العلم الذي يبحث في التفريق بينهما، وأيهما نسخ الآخر، وأدلة الناسخة من المنسوخة، وأول من أشار إلى مسألة النسخ في القرآن هو المولى تعالى في كتابه.

(١٥) علم الوجوه والنظائر: من العلوم التي درست اللفظة القرآنية التي جاءت بلفظ واحد إلا أنها تختلف بالمعنى حسب السياق القرآني الواردة فيه، ومن أجل كشف اللثام عن معنى هذا العلم سأطرق إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي له.

فقد ورد أنّ المعنى اللغوي للوجوه هو جمع وجه، والوجه لكل شيء مستقبلي، أما وجه الكلام: السبيل أو الطريق الذي تقصده به (٤)، أما الأشباه: فهو جمع شبيه وشبه، فهو المثل، وشابه الشيء الشيء الآخر ماثله (٥)، أما النظائر: فهي جمع النظير، وهو المثل، والنظير للشيء مثله (٦). ويلحظ من المعنى اللغوي أنّ المعنى متقارب، والمراد من الوجوه والنظائر هو التشابه والتماثل بين الأشياء أو الأفعال، أو الأقوال، وهذا ما يلحظ في النص القرآني من تشابه اللفظ واختلاف المعنى

(١) التعريفات، الجرجاني، ٢٤٠.

(٢) البيان، ٢٧٩.

(٣) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان: ١٤٤.

(٤) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٢٢٥٤/٦. ومجمل اللغة، ابن فارس، ٩١٧/٤. ولسان العرب، ابن منظور، ٥٥٥/١٣. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢٩٥/٤.

(٥) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٢٢٣٦/٦. ومجمل اللغة، ابن فارس، ٥٢٠/٢. ولسان العرب، ابن منظور، ٥٠٣/١٣. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٨٦/٤.

(٦) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٨٣١/٢. ومجمل اللغة، ابن فارس، ٨٧٣/٤. ولسان العرب، ابن منظور، ٢١٩/٥. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٤٤/٢.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

بحسب السياق القرآني الذي وردت به الألفاظ، وهذا الأمر يدلّ على أنّ هذا العلم قد ورد بالمفهوم وتم التعريف عليه من المصاديق الخارجية لمفهومه.

أما من جانب المعنى الاصطلاحي فقد عُرف بأن "الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر" (١)، ومعنى ذلك هو الاتحاد للكلمة في اللفظ، والاختلاف بالمعنى، وقد عُرف بأنه "من فروع التفسير. ومعناه: أن تكون الكلمة الواحدة، ذكرت في مواضع من القرآن، على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بها في كل مكان، معنى غير الآخر. فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع، نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر؛ هو: (النظائر). وتفسير كل كلمة بمعنى، غير معنى الأخرى، هو: الوجوه. فإذا (النظائر): اسم الألفاظ. و(الوجوه): اسم المعاني" (٢)، يمكن القول إنّ النص القرآني قد أورد ألفاظاً في مواضع متعددة بلفظ واحد وحركة واحدة، غير أنّ المعاني تختلف من موضع لآخر.

أما الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فقد عرّف الوجوه بقوله: "اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ (الأمّة)، والنظائر: كالألفاظ المتواطئة" (٣) " (٤)، وإلى التعريف نفسه ذهب السيوطي (ت ٩١١هـ) في إتيانه (٥)، وتبعه طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) في مفتاحه (٦)، والتهانوي (ت ١١٥٨هـ) في كشّافه (٧)، والذي يلحظ على تعريف الزركشيّ بأنّه شابه التعريف اللغوي بأنّ الوجوه تعتمد على تعدّد المعاني، والنظائر على الاتقاف والتشابه والتماثل، لهذا نجده في إتيانه سمّاه "الوجوه و النظائر" (٨) و في معتركه سمّاه "ألفاظه المشتركة" (٩)، وكلاهما "يدور حول محور واحد؛ وهو اتحاد اللفظ وتعدد المعنى" (١٠)،

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ٨٣.

(٢) كشف الظنون، حاجي خليفة، ٢/ ٢٠٠١.

(٣) اللفظ المتواطئ: "هو الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية، كالإنسان، والشمس؛ فإنّ الإنسان له أفراد في الخارج، وصدقه عليها بالسوية، والشمس لها أفراد في الذهن، وصدقها عليها أيضاً بالسوية" التعريفات، الجرجاني، ١٩٩. والألفاظ المتواطئة هي الألفاظ المتحدة الدالة على مسميات مختلفة الحقيقة باعتبار معنى مشترك بينها كدلالة الحيوان على أنواعه، الإنسان و الغرس و.. إلخ واشتقاقها من تواطأ على كذا إذا اتفقوا. الإكسير في علم التفسير، الطوفي، ٥١.

(٤) البرهان، ١/ ١٩٣.

(٥) ١/ ٤٤٥.

(٦) ٢/ ٤١٥.

(٧) ٢/ ١٣٩١.

(٨) الإتيان، ١/ ٤٤٥.

(٩) معترك الأقران، ١/ ٥١٤.

(١٠) الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف شرجي، ٣٩٩. وللدكتور هند شلبي دراسة وافية حول تعريف الوجوه و النظائر ممثلة برسوم بيانية في مقدمتها لكتاب يحيى بن سلام، التصاريح، ١٧-٢٤، وقد نقل ذلك عنها علي شواخ إسحاق في معجم

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

وسلوى محمد عرفتهما بأن "الوجوه: اصطلاح يدلّ على المعاني المختلفة للفظ واحد، أو على المقاصد المختلفة من اللفظ الواحد في السياقات أو المواضع المتعدّدة. والنظائر قد يكون المراد منه لفظاً عاماً يدلّ عليه الألفاظ التي يتعدّد المفهوم فيها و المقصود بها في القرآن الكريم، فكلّ موضع نظير لآخر في الموضوع الآخر، فالأمة مثلاً على خمسة وجوه، كلّ استعمال (سياق) يكون اللفظ فيه نظيراً للآخر في السياق الآخر، فلفظ الأمة في موضع نظير له في الموضوع الآخر، وهكذا" (١)، وخلاصة القول إنّ النصّ القرآني وردت فيه ألفاظ اتحدت باللفظ والحروف اختلفت من حيث المعنى.

ما تقدم إيراده هو علوم انبثقت من القرآن الكريم، وموضوعها هو النصّ القرآني، وهي من العلوم التي لها علاقة بتفسير وبيان النصّ القرآني، أما مدى مدخلية النصّ القرآني في تحديدها بإيرادها كمفاهيم لعلوم القرآن أو مصطلحات متروك للفصل الثالث من هذه الأطروحة إن شاء الله تعالى.

والأمر الآخر أنّ هناك علوماً انبثقت من النصّ القرآني، وموضوعها القرآن الكريم إلا أنّ النصّ القرآني لم يشر إليها لا بالمفهوم ولا بالمصطلح، وهذه العلوم هي:

(١) علم التجويد: من العلوم التي أشار إليها علماء علوم القرآن (٢)، ولم يشر إليها النصّ القرآني إلا أن موضوعها النصّ القرآني فتكون من علومه، فقد عرّف التجويد من جهة اللغة ابن منظور (ت: ٧١١هـ) بقوله: "جَادَ الشَّيْءُ جُودَةً وَجُودَةً أَي صَارَ جَيِّدًا، وَأَجَدْتَ الشَّيْءَ فَجَادَ، وَالتَّجْوِيدُ مِثْلُهُ" (٣).
وأما في الاصطلاح، فقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): "هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله وإحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسرافٍ ولا تعسفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلفٍ" (٤).

وقد وردت الإشارة إلى أشياء من علم التجويد في روايات وردت عن المعصومين (عليهم السلام)، وبالخصوص ما يتعلق بالمد (بسبب الهمز، وسبب السكون)، ونوقش في تداول هذا المصطلح قديماً، ومن دلائل تداوله ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض كتب القراءات القديمة أنه قال في بيان معنى الترتيل: "معرفة الوقوف وتجويد الحروف" (٥)، فإن ثبت هذا الدليل فيمكن القول بوجود مصطلح (التجويد) بوصفه جزءاً من ترتيل القرآن الكريم، وليس بالضرورة أن يكون كما هو عليه اليوم من تفاصيل

مصنفات القرآن الكريم، ٤/ ٢٥٣-٢٥٤.

(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ٤٤ - ٤٧.

(٢) يُنظر: الانتقان، السيوطي، ١/ ٣٤٤ وما بعدها. ومناهل العرفان، الزرقاني، ١/ ٤٠٥ وما بعدها.

(٣) لسان العرب: ٣/ ١٣٥، مادة (جود).

(٤) التحديد في الإتيان والتجويد: ٧٠.

(٥) الكامل في القراءات العشر والأربعين - الزائدة عليها، أبو القاسم الهذلي: ٩٣، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٢٢٥.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

الأحكام التي يبحثها القراء مقتنين أثر القدماء فيها منذ علماء اللغة أمثال الخليل وسيبويه وصولاً إلى أولى المؤلفات المتخصصة في التجويد في القرن الخامس الهجري.

فعلم التجويد من العلوم التي موضوعها القرآن الكريم إلا أن النص القرآني لا مدخلية في الإشارة إليه، لا بالمفهوم ولا بالمصطلح، وهو عُدَّ من محسنات قراءة القرآن الكريم.

(٢) علم رسم المصحف وشكله: وهو من العلوم التي أشار إليها العلماء (١) بأنها من مباحث علوم القرآن، ومن أجل بيان ذلك لا بد من الرجوع إلى المعنى اللغوي والاصلاحي للفظتي "الرسم والشكل".

فمن جهة تعريف الرسم لغة: فيذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أن أحد معنيي الرّسم هو الأثر (٢)، ولعلّه الأثر المادّي فقط، فيمكن القول إنّ الرّسم لا يُطلق على الأثر المعنويّ إلاّ مجازاً، بعبارة أخرى: الرّسم هو الأثر المرئيّ، وأمّا المعنوي فلا يُعبّر عنه بالرّسم، وقد يُعبّر أحدّ مجازاً بأنه رسم -مُتَخَيِّلاً في ذهنه- صورةً معيّنة أو مُخطّطاً أو خارطةً لطريق أو بيتٍ، وغيرهما، وليس المراد هاهنا من الأثر المجازي، بل المعنويّ المتمثّل بنحتِ الحروفِ أو كتابتها بالحبر، فإنّه هو المراد من رسم المصحف الشريف.

هذا معنى الرسم في اللغة، وأمّا معنى (المصحف) فقال الأزهري (ت ٣٧٠هـ) "وإنّما سُمِّي المصحفُ مُصحفاً لأنّه أُصحِفَ، أي: جُعِلَ جامعاً للصُّحفِ المكتوبةِ بينَ الدَّفْتينِ" (٣)، ولعلنا نجعل السّامع يستحضر في ذهنه كتاب الله العزيز إذا نطقنا كلمة (المصحف)، وقد وردت هذه الكلمة في روايات المسلمين على لسان رسول الله (ﷺ)، فأطلاق مُصطلح المصحف لم يكن متأخراً عن عهد رسول الله (ﷺ)، فالقرآن المكتوب يُسمّى مُصحفاً منذُ ذلك الوقت، ومن المهمّ أن نُشيرَ إلى أنّ لفظة (المصحف) إذا أُضيفت إلى غيرها فإنّها لا تشيرُ -بالضرورة- إلى القرآن المكتوب، ولا يعني بالضرورة -إذا أُضيفت إلى شخصٍ- أنّ هذا الشخص هو الذي كتبه -أي: المصحف- أو ألّفه، بل يُضاف إليه استناداً إلى ملكيّته له أو عائديّته إليه (٤)، فعندما نقول: مُصحف أبيّ بن كعب، لا يعني بالضرورة أنه قرآن مكتوب أو أنّه بخط يدِ أبيّ، إلّا إذا دلّ دليلٌ على أحد الأمرين أو كليهما معاً، وقد دلّت الروايات على أنّ لأبيّ مصحفاً خاصاً به يُسمّى باسمه.

وأما إذا أردنا معرفة رسم المصحف في الاصطلاح، ف"تعني عبارة (رسم المصحف) طريقة رسم الكلمات في المصحف من ناحية عدد حروف الكلمة ونوعها، لا من حيث نوع الخط وجماليته، ويستند

(١) يُنظر: البرهان، السيوطي، ٣٧٦/١ وما بعدها. ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٦٩/١ وما بعدها.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣٩٣/٢.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري: ١٤٩/٤ (صحف)، وينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٨٩/٩ (صحف).

(٤) يُنظر: مأساة الزهراء "عليها السلام"، السيد جعفر مرتضى العاملي: ١/١٠٧.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

رسم الكلمات في المصحف إلى طريقة رسمها في المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان، والتي عرفت في المصادر الإسلامية باسم المصاحف العثمانية، نسبة إلى عثمان؛ لكونه هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلى البلدان خارج الجزيرة العربية، كما صار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني^(١).

وأما (شَكْلُ المصحف)، فد(الشكل) في اللغة آتٍ من الفعل الرباعي (شَكَّلَ)، ومصدره (تشكيل)، وهو يعني ضبط الحروف بالحركات^(٢)، وهذا يقودنا إلى الكلام في مصطلح آخر هو (الضبط)، وهو مصطلح قديم استعمل مع (الرسم) بالنسبة للمصاحف، فيقام (رسم المصحف وضبطه)، ويرتبط بتاريخ ضبط المصحف الشريف بحوادث مروية في كتاب التأريخ واللغة، فأنداك "كانت المصاحف العثمانية مجردة من نقاط الإعجام ومن الحركات وغيرها من علامات الحركات، لخلو الكتابة العربية في تلك الحقبة منها، وبقيت الكتابة العربية تستعمل على ذلك النحو حتى النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حين بدأت الدراسات اللغوية في العراق، وكان خلوّ الكتابة العربية من العلامات من أولى المشكلات التي عالجتها تلك الدراسات، وتجمع المصادر العربية القديمة على أنّ أبا الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو (ت ٦٩ هـ) هو أول من اخترع طريقة لعلامات الحركات تعتمد على النقاط الحمر، وكان ذلك في البصرة، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمّة نقطة أمام الحرف، وجعل التنوين نقطتين^(٣)"^(٤).

يتبين لنا مما سبق أنّ ضبط المصحف (أي: شكله) يختلف عن رسم المصحف، فالرسم يعتني بجثة الحرف وكيفية ربطه بالآخر حتى تنتج عن ذلك كلمة، فيدرس علم رسم المصحف هذا الارتباط مقارنةً ذلك مع النطق الصوتي، من خلال خمسة ظواهر: الحذف والزيادة والإبدال وكتابة الهمزة والمقطوع والموصول.

وأما ضبط المصحف فيُعنى بما يساعد القارئ على تحويل رسم المصحف إلى كلمات منطوقة صوتياً بحيث يقرؤها كما قرئت أول مرة وكُتبت عنها الرسم المبتث، ويتم ذلك بالاستعانة بعدة علامات، أبرزها اختراعاً الهمزة التي وضعها الخليل الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، وكذا وضع السكون، وكذا علامة التشديد، وغيرها، وجعل النقاط الحمر - التي اخترعها الدؤلي - علاماتٍ فوق الحروف أو تحتها، مستوحياً

(١) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري: ٨٣.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر: ١٢٢٨/٢.

(٣) ينظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي: ١٣، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، التتوحي: ١٦٧.

(٤) محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري: ٨٤.

الفصل الأول المبحث الثاني: علوم القرآن المنبثقة من القرآن الكريم بصورة مباشرة

ذلك من أشكال الحروف^(١).

وخلاصة ما تقدم فإن علم رسم المصحف من العلوم التي عنيت برسم الحروف للكلمات وتحريكها بحركات الرفع أو النصب أو الجر أو السكون كما هو متعارف عند أهل اللغة العربية الآن، وهذا العلم لم يكن للنص القرآني مدخلية في تحديده، أو الإشارة إليه؛ كونه مبنياً على توجيه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لتلميذه أبي الأسود الدؤلي بوضع التنقيط والتحريك لحروف المصحف، وهذا الأمر يؤكد على اهتمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالحافظ على النطق الصحيح لألفاظ النص القرآني، فالقضية مبنية على أمر اجتهادي أفاد النص القرآني كثيراً بالمحافظة على سلامة النطق بحروفه على النهج العربي الصحيح.

مما تقدم من بيان للعلوم المنبثقة من النص القرآني التابعة إلى علوم القرآن، وموضوعها القرآن يسعى الباحث إن شاء الله تعالى في الفصل الثالث من هذه الأطروحة إلى إثبات أن للنص القرآني المدخلية بالإشارة إلى جميع العلوم بالمنظور العام، وعلوم القرآن بالمنظور الخاص؛ كون النص بين أن علوم القرآن المنبثقة منه راجعة إلى تأثير النص القرآني في إبرازها، وإخراجها إلى الخارج بأن تكون علوماً تابعة له، أو مباحث منبثقة من القرآن الكريم ذكرها علماء علوم القرآن في مؤلفاتهم كعلوم القرآن الكريم، والتي سيتم الكشف عن مدى مدخلية النص القرآني في تحديدها كـ "مفاهيم" أو "مصطلحات" في طيات صفحات هذه الأطروحة.

(١) ينظر: المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، ٦-٧، وشرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٥٧. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤ / ١٨٤، التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة، ١ / ٣٥٩.

المبحث الثالث

علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

المدخل:

القرآن الكريم معجزة النبي محمد (ﷺ) الخالدة على مرّ العصور، وقد اعتنى المسلمون به غاية الاهتمام؛ لأنهم أدركوا أهميته في حياتهم فعكفوا على دراسته واستخراج ما فيه من علوم، فكثرت الدراسات الخاصة في القرآن الكريم حتى ألفت بذلك المؤلفات التي حملت عنوان "علوم القرآن" فأصبح علماً خاصاً بالقرآن الكريم وهو "مجموعة من المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث النّاسخ، والمنسوخ، والمحكم، والمتشابه، ووجوه إعجازه، والمكي والمدني منه"^(١).

فكثرت المباحث التي درست القرآن الكريم حتى قال ابن العربي (ت ٥٤٣هـ): "إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة"^(٢)، فيما عدّها الزركشي (ت ٧٩٤هـ) "سبعة وأربعين"^(٣)، بينما نجد البلقيني (ت ٨٢٤هـ) عدّها "خمسین علماً"^(٤)، أمّا السيوطي (ت ٩١١هـ) فقد عدّها "ثمانين علماً"، يُلحظ أنّ السيوطي بإيراده لهذه العلوم زاد على البلقيني والزركشي، إذ قال بعد إدراجه لها بأنه: "لو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاث مائة"^(٥).

مما تقدم نجد أنّ العلماء قد أكثروا في إيراد المباحث الخاصة بعلوم القرآن إلا أنّ الدكتور فاضل مدب يرى أنهم - أي البلقيني والزركشي، والسيوطي - قد "ادخلوا في علوم القرآن ما ليس من علومه ولا هي خادمة له، ولا منبثقة عنه، مما يجعلها غريبة بين علوم القرآن، فأيراد البلقيني لعلم الرواة، وعلم الحفاظ، ظاهر في التجوز؛ إذ ما علاقة ذلك بالقرآن الكريم الذي هو موضوع علوم القرآن بأجمعها والرابط بين مسائلها؟ فينبغي حذفها وما شابهها، والإشكال نفسه يرد على السيوطي في إمكان دمج ما أورده من أنواع العلوم الثمانين وحذف ما لا علاقة له بعلوم القرآن، كعلم الهيئة، والفلك، والجبر، والهندسة ونحوها، فهي غريبة في مسائلها وموضوعها من علوم القرآن"^(٦)، وسيحاول

(١) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ٣٠.

(٢) قانون التأويل، ابن العربي، ٣٨. ويُنظر: البرهان، الزركشي، ١/ ١٦ و ١٧.

(٣) البرهان، ١/ ٩ - ١٢.

(٤) مواقع العلوم في مواقع النجوم، ٧/١.

(٥) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٣٣٤.

(٦) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٢.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

الباحث حصر علوم القرآن بما انبثق منه، وبما كان من العلوم خادمة له، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة، وسيتم البحث عنه في هذا المبحث عن العلوم الخادمة للنص القرآني.

وهذه العلوم التي عُدَّتْ خادمة للقرآن ومرتبطة به بصورة غير مباشرة؛ كون القرآن الكريم ليس موضوعها، إلا أن لها تأثيراً بالعلوم المنبثقة آنفة الذكر في المبحث الأول من هذا الفصل، وهنا يرى الباحث أن هذه العلوم ارتبطت بتاريخ القرآن لا بعلومه، ومن أجل بيان المراد من هذا المبحث سأتطرق إلى ما يأتي:

المطلب الأول: التعريف بتاريخ القرآن:

العلوم الي ارتبطت بالنص القرآني كثيرة سواء بصورة عامة، أو بصورة خاصة التي كان النص القرآني موضوعاً لها، أو التي ارتبطت به بصورة غير مباشرة إلا أنها لها تأثير في العلوم التي عبرت عنها في المبحث الأول من هذا الفصل ب المنبثقة"، ومن هذه العلوم علم "تاريخ القرآن" الذي يبحث في نشأة وتكوين القرآن الكريم من حيث زمن نزوله، والوحي، وعلم أسباب النزول، وكيفية جمعه وترتيبه، وتدوينه عبر الازمان المختلفة، والقراءات التي نزل بها النص القرآني، فهو علم يختص ببعض علوم النص القرآني التي تشير بوجود أحداث تاريخية مرّ بها النص القرآني من بدأ نزوله إلى كتابته وجمعه، والباحث هنا يريد أن يسلط الضوء بأن هناك علوماً أشار إليها النص القرآني تابعة لـ (تاريخ القرآن).

مما سبق فإن ما سيتم دراسته هنا، والكشف عنه هو العلوم التي اندرجت تحت مصطلح "تاريخ القرآن"، وهذه الدراسة تكسب أهميتها كون مواضيعها ذاتية تضم التاريخ والتشريع والتراث، وهي في صلب القرآن الكريم من كونه يتصل اتصالاً بالصميم سواء في النص القرآني أم في مفاهيمه، من حيث تعلقه بالجوانب الايحائية والشكلية، والتدوينية لسوره وآياته من حيث تاريخها بجمعها ونزولها وأسبابها، وتدوينها^(١)، فعلوم تاريخ القرآن هي "أسباب النزول، والوحي، ونزول القرآن، وجمعه، والقراءات"^(٢)، وهناك أمر لابدّ من الإشارة إليه وهو أنّ هناك مَنْ جعل جميع هذه العلوم تابعة لمصطلح "علوم القرآن"

(١) يُنظر: تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، ٦.

(٢) يُنظر: المؤلفات التي ألفت بهذا المضمار، ومنها: تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر. وتاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي. وتاريخ القرآن، الدكتور عبد الصبور شاهين، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٣، ٢٠٠٧م. وتاريخ القرآن العظيم، الدكتور محمد سالم محيسن، دار الاصفهاني للطباعة، حدة، ١٤٠٢هـ. وتاريخ القرآن، آية الله محمد هادي معرفة، ترجمة حسن الهاشمي، دار القرآن الكريم، قم، ط٢، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م. ووظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، الدكتور فاضل مدب متعب، أطروحة دكتوراه، اشراف الدكتور حكمت الخفاجي، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ١٤١٣هـ/ ٢٠١٠م، ١٨٦ وما بعدها و ٢٩١ وما بعدها.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

من بثه هذه العلوم التي سأسير إليها في كتب علوم القرآن فلم يقيدتها ويخصصها بتاريخ القرآن^(١)، فعلى سبيل المثال تم إيراد هذا المبحث من قبل الزركشي والسيوطي تحت مسمى "النوع الثالث عشر"^(٢) [تاريخ القرآن، واختلاف المصاحف] في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم^(٣)، التي بين فيه أن "تاريخ القرآن" من ضمن العلوم التابعة لعلوم القرآن الكريم، والباحث يميل إلى اصطلاح "تاريخ القرآن"؛ لأن هذه المباحث التي اختصت بتاريخه مبنية على الأحداث والروايات التاريخية الواردة عن النبي محمد (ﷺ)، فكلها مباحث تدور حول كيفية كتابة القرآن الكريم ووصوله لنا بهذه الصورة النهائية التي نراه اليوم في الوقت الحاضر "تأليف القرآن في شكله الحاضر، في نظم آياته وترتيب سورته، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله إلى أجزاء ومقاطع، لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأولى. فقد مرت عليه أدوار وأطوار، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثم إلى عهد الخليل بن أحمد النحوي الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود. وهو بحث أشبه

(١) يُنظر: المؤلفات التي ألفت بهذا المضمار، ومنها: البرهان في علوم القرآن، الزركشي. والاتقان في علوم القرآن، السيوطي. ومناهل

العرفان في علوم القرآن، الزرقاني. وعلوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم. إلى غيرها من المؤلفات.

(٢) للتوسع في علم "تاريخ القرآن"، يُنظر: مقدمة تفسير الطبري، ٢٠/١. ومقدمة تفسير ابن عطية، ٦٤/١. والمرشد الوجيز لأبي شامة:

٤٨-٧٦، الباب الثاني في جمع الصحابة رضي الله عنهم القرآن وإيضاح ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان. ومقدمة تفسير القرطبي،

٤٩/١. والاتقان، السيوطي، ١٦٤-١٨٣، النوع الثامن عشر في جمعه وترتيبه، ومفتاح السعادة، الطاش كبري زادة، ٣٥٦/٢-

٣٥٨، علم معرفة جمعه وترتيبه. وأبجد العلوم، القنوجي، ٤٩٥/٢، علم معرفة جمعه وترتيبه، ومناهل العرفان، الزرقاني، ٢٣٢/١-

٣٣١، المبحث الثامن: في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به. ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٦٥-٨٩. والباب الثاني: تاريخ

القرآن ومصاحف الأمصار وعظيم عناية هذه الأمة بالقرآن الكريم في جميع الأدوار، مقال لمحمد زاهد الكوثري: نشر في «مجلة

الإسلام» س (٧)، ع (٢٥) ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م. والمصاحف الكريمة في صدر الإسلام، مقال لأسامة النقشبندي في «مجلة سومر»

مج (١٢) ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م. وما هو سبب اختلاف الأئمة في كتابة القرآن مقال لمحمد النواوي في «مجلة الإسلام» س (٤١) ع

(٤٥) ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م. ومن الكتب المؤلفة في هذا النوع: «تاريخ القرآن» للمروزي، جعفر بن أحمد أبي العباس، ت ٢٧٤هـ

(الفهرست: ١٦٧). ومنها: «تاريخ القرآن والمصاحف» لموسى جار الله روستوفدوني، طبع في بطرسبورغ بالمطبعة الإسلامية عام

١٣٢٣هـ / ١٩٣٤م. مع عقيلة أتراب القصائد (سركيس: ٦٧٠) ومنها: «تاريخ القرآن» لأبي عبد الله، عبد الكريم الزنجاني طبع بمط.

لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة في ٨٣ صفحة ومنها: «عرض الأنوار المعروف بتاريخ القرآن» (باللغة الهندية) لعبد الصمد

صارم. طبع بدلهي عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م (معجم مصنفات القرآن ٣/٢١٩). «تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر بن

عبد القادر الكردي المكي (ت ١٣٨٠هـ) طبع في جدة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م، وأعيد طبعه بتصحيح علي محمد الضباع بمطبعة مصطفى

البابوي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م. و«تاريخ القرآن» لعبد الصبور شاهين، طبع بدار القلم في القاهرة، عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

(معجم ما أُلّف عن رسول الله: ٧١). و«تاريخ القرآن» للمستشرقين: نولدكه، وبرحستراسر، وبرترز، طبع في لبيز عام ١٩٠٩ و ١٩٢٦

و ١٩٣٥ (معجم الدراسات القرآنية: ٣٥٧). و«المصحف الشريف، دراسة تاريخية فنية»، محمد عبد العزيز مزروق، طبع بمطبعة

المجمع العلمي العراقي ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٢٦/١. والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٥/١.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

بمعالجة قضية تاريخية مزيّلة، عن أحوال وأوضاع مرّت على هذا الكتاب السماوي الخالد" (١).

مما تقدم يتضح أنّ "تاريخ القرآن" مرتبط بنزوله وما يرتبط بها من علوم "نزل القرآن بأرقى صور الوحي، وتاريخ نزوله يمثل تاريخ القرآن في حياة النبي (ﷺ)، وهو تأريخ يستغرق ثلاثة وعشرين عاماً (٢)" (٣)، فهذه المدة الزمنية تمثل تاريخ القرآن باجمعها، ووصفت بأنها الحقبة الذهبية لهذا جاء بأن "الحقبة الذهبية هي تأريخ الرسالة المحمدية في عصر صاحب الرسالة، والعناية بها منبثقة عن عناية الوحي بصاحبها، ويتواجده معه، يحمله العبء حيناً، ويلقي له بالمسؤولية حيناً آخر، ويتناول عليه آيات الله بين هذا وذاك، وكان نزول القرآن مدرجاً، وتفريقه منجماً، ممّا أجمعت عليه الأمة، وصحت به الآثار الاستقرائية، استجابة للضرورة الملحة، واقتضاء للحكمة الفذة في تعاقب التعليمات الإلهية، يسراً ومرونةً واستيعاباً، والذي يهمننا في هذه المرحلة، عطاؤها الإنساني في ضبط النص القرآني، ودقة أصوله ووصوله من ينابيعه الأولى" (٤)، فضلاً عن أنّ "تاريخ القرآن" والاهتمام به حدثت على يد المسلمين الأوائل "الصحابة والتابعين" حيث عملوا على أسباب النزول وترتيب هذا النزول، ومن ثمّ تحديدهم للمكي والمدني، وهم بهذا الصنيع أسسوا إلى "تاريخ القرآن" (٥)، فحقبة نزول القرآن تمثّل تاريخ الإسلام كله من ضمنها نزول القرآن، وما يرتبط منها بأبحاث تاريخية من أسباب نزوله، ووحيه، وجمعه، وترتيبه. وهناك فائدة لعلم تاريخ القرآن وهي "التعرّف على التاريخ والسيرة النبوية من خلال التعرّف على تأريخ القرآن الكريم. فمن الواضح أن أكثر سور القرآن تعمل بشكلٍ وآخر على بيان مسار دعوة النبي الأكرم (ﷺ) بنحو عام أو خاص، بحيث لو تمّ الاكتفاء بترتيب سور القرآن على ترتيب النزول لكان ذلك وحده كافياً في بيان مسار الدعوة وسيرة النبي الأكرم (ﷺ)" (٦).

وملخص ما تقدم أنّ "تاريخ القرآن" له أهمية في فرز ما صح من التفسير الصحيح من عدمه؛ كونها تعتمد على التقصي في صحة الرواية سواء التفسيرية، أو غيرها مما ترتبط بالنص القرآني، وكذلك

(١) التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفت، ٢٧٧/١.

(٢) هنالك عدة أقوال في مدة نزول القرآن؛ فقيل. عشرون، أو ثلاث وعشرون، أو خمس وعشرون سنة. وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته (ﷺ) بمكة بعد النبوة، فقيل عشر سنوات، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة. ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة إنها عشر. (ينظر: الزركشي، ٢٣٢/١. فإذا علمنا أنه (ﷺ) أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وعمره ثلاث وستون سنة، ترجح أن تكون مدة الوحي ثلاثة وعشرين عاماً.

(٣) تاريخ القرآن، الدكتور محمد الصغير، ٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ٣٣.

(٥) يُنظر: التمهيد في علوم القرآن، معرفت، ١ / ١٣٢ فما بعدها.

(٦) الميزان، السيد الطباطبائي، ١٣ : ٢٣٥.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة التعرف على التاريخ بصورة عامة، وسيرة النبي محمد (ﷺ) بصورة خاصة، والنص القرآني اشتمل عدة علوم أحاطت بتاريخية القرآن، والتي كانت خادمة له، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة.

المطلب الثاني: علوم تاريخ القرآن الكريم الخادمة له، والمرتبطة به بصورة غير مباشرة:

هناك من العلوم وإنَّ لم تكن منبثقة من النص القرآني إلا أنَّ النص القرآني أشار إليها فأصبحت خادمة له، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة؛ وسبب ذلك أن القرآن الكريم ليس موضوعها، وُعدت هذه العلوم من "تاريخ القرآن"، وهي على النحو الآتي:

(١) علم أسباب النزول: وهو من العلوم التي ارتبطت بالنص القرآني إلا أنَّ موضوع علمها ودراستها ليس النص القرآني، ولها تأثير في سائر علوم القرآن، فكانت من العلوم الخادمة للنص القرآني، وهذا الأمر يتبين من بيان معنى أسباب النزول بحسب ما يأتي:

لا بدَّ في البدء من التطرق لكل لفظة على حده "السبب" و "النزول"، أمَّا الأول فقد عرِّف بأنه: جمع لمفردة سبب، وجاء في معنى السبب: الحبل، وكلُّ ما يتم الوصول به إلى غيره، وأسباب السماوات أبوابها ومراقبيها، وقولهم "قطع الله به السبب" بمعنى: الموت^(١)، ومعنى السبب الطريق، كما لو قلنا "مالي إليه سبب" فالمعنى: طريق^(٢)، فالسبب الطريق، أو كل ما يفضي إلى الشيء مطلقاً^(٣).

ومهما يكن من أمر فقد تعددت معاني "السبب" إلى: الطريق، أو الحبل، أو الحياة، أو الباب، فإنَّ ما يعيننا هاهنا هو أنَّ كلَّ ما يتوصل من خلاله إلى غيره، كونه يلائم المعنى الاصطلاحي.

أما تعريف النزول لغة: فهو مصدر للفعل "نزل"، وتدل على معنى وقوع الشيء وهبوطه^(٤)، ومعنى النزول هو الحلول^(٥)، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٦)، فالمعنى: إذا حلَّ بهم العذاب، كما يطلق أيضاً معنى التحول من الأعلى إلى الأسفل، فيقال: "نزل عن الدابة" و "نزل في البئر"^(٧)، وهذا المعنى أقرب المعاني إلى الاصطلاح.

أما من ناحية تعريف (السبب) و(النزول) اصطلاحاً: فقد عرِّف السبب اصطلاحاً بما عرِّف

(١) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤٥٨/١-٤٥٩، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي: ١٢٣/١. ومختار الصحاح، الرازي، ١١٩/١.

(٢) يُنظر: العين، الخليل: ٢٠٤/٧، وأساس البلاغة، الزمخشري: ٢٨٢/١.

(٣) يُنظر: الكليات، الكفوي: ٧٩٥/١.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤١٧/٥.

(٥) يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ١٣٧٢/١.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٧٧.

(٧) يُنظر: العين، الخليل: ٣٦٧/٧، وأساس البلاغة، الزمخشري: ٦٢٨/١.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

لغةً بأنه "اسم لما يُتوصَّل به إلى المقصود، وفي الشريعة: عبارة عما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه" (١)، وعُرِّفَ بأنه "كل شَيْءٍ وصلت به إلى مَوْضِعٍ أو حَاجَةٍ تريدها فَهُوَ سَبَبٌ، وَيُقَالُ للطريق: سَبَبٌ، لِأَنَّكَ بِسَبَبِهِ تصل إلى المَوْضِعِ الَّذِي تريده" (٢)، والمعنى المراد ما يوصل به إلى غيره. أما النزول اصطلاحاً: فَعُرِّفَ بأنه "هُوَ نقل الشَّيْءِ من أعلى إلى أسفل، وَهُوَ إِنَّمَا يلحق المعاني بتوسط لُحُوقه الذوات الحاملة لها وَيَسْتَعْمَلُ فِي الدَّفْعِي لِأَنَّ (أفعلته) يكون لإيقاع الفِعْلِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، والتنزيل: يَسْتَعْمَلُ فِي التدرِجِي، لِأَنَّ (فعلته) يكون لإيقاع الفِعْلِ شَيْئًا فَشَيْئًا [وقوله تعالى: ﴿أَوَّلًا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَمَلَةً وَاحِدَةً﴾ بِمَعْنَى أَنْزَلَ ك(خبر) بِمَعْنَى (أخبر) فَلَا تَدَافِعُ]... وَقِيلَ: الإِنْزَالُ بِوَسِطَةِ جِبْرِيلَ، والتنزِيلُ بِلَا وَسِطَةٍ، والتنزِيلُ: النَّزُولُ على مهل لِأَنَّهُ مُطَاوِعُ (نزل)، وَقَدْ يُطْلَقُ بِمَعْنَى النَّزُولِ مُطْلَقًا كَمَا يُطْلَقُ (نزل) بِمَعْنَى (أنزل) وَالنُّزُولُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ من فَوْقٍ يَعدى ب(على)، وَبِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يَنْتَهِي إلى الْمُرْسَلِ إليه يَعدى ب(إلى) قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي خُطَابِ الْمُسْلِمِينَ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ و(إلى) يَنْتَهِي بِهَا من كل جِهَةٍ يَأْتِي مبلغه إِيَّاهُمْ مِنْهَا، وَقَالَ مُخَاطَبًا لِلنَّبِيِّ: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ لِأَنَّ النَّبِيَّ إِنَّمَا أَتَى لَهُ من جِهَةِ الْعُلُوِّ خَاصَّةً" (٣)، وعُرِّفَ بأنه ما يقابل العلو (٤).

فالمعنى الاصطلاحي للنزول: ما أنزل من الأعلى، ونقصد هنا الذات المقدسة، بأنها أنزلت القرآن الكريم على صدر النبي محمد (ﷺ) بوساطة الأمين جبرئيل (عليه السلام).

أما تعريف أسباب النزول مركبة:

وعُرِّفَ بأنه العلم الذي يعرف به السبب الذي نزلت به الآية أو الآيات وهي متضمنة له، أو مبينة لحكمه، أو مجيبة عنه، أو مبينة لزمان وقوعه (٥)، وعُرِّفَها الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) بقوله: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه والمعنى انه حادثة وقعت في زمن النبي أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال" (٦)، فما نزل جراء حادثة أو سؤال يعدُّ سبباً لنزوله.

(١) التعريفات، الجرجاني، ١١٧. ويُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ١/٩٢٤. والتعريفات الفقهية، البركتي، ١١٠.

(٢) الكليات، الكفوي، ٤٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ١٩٦.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/١٢٣١.

(٥) يُنظر: الأتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/١١٥، ومناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/٨٠، والمدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة، ١٣٢. والبيان في مباحث من علوم القرآن، الشيخ عبد الوهاب غزلان، ٩١. ومباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ١٣٢.

(٦) مناهل العرفان، الزرقاني، ١/٧٦.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

وقد جاء في تعريفها أنها: "أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها"^(١)، فهو كل سببٍ نزلت الآية أو الآيات لأجله، مبينة لحكمه، ومتحدثة عنه، وأيام وقوعه، فهذا التعريف في معناه ينطوي على أمرين:

الأول: أن تكون هناك حادثة فتنزل الآيات من أجلها.

الثاني: أن يتوجه للنبي محمد (ﷺ) سؤال فتنزل الآيات مبيّنة جواب هذا السؤال، ومبيّنة أيضاً الحكم فيه^(٢).

بالنسبة لقيد "الزمن" المعبر عنه "أيام وقوعه" في تعريف "أسباب النزول" معناه الظروف التي نزلت بها الآيات القرآنية متحدثة فيها عن السبب، بلا فرق بين أن تنزل الآيات بعد السبب مباشرة، أو بعده بقليل، مثل الآيات التي نزلت في قصة "أهل الكهف" و "ذي القرنين" التي كان نزولهما بسبب سؤال اليهود النبي (ﷺ) فنزلت بعد مضي خمسة عشر يوماً من السؤال^(٣).

إنّ هذا القيد "أيام وقوعه" يعد شرطاً جوهرياً لبيان سبب النزول وتمييزه عن الآيات التي نزلت للإخبار بالوقائع الماضية... وجدير بالتنبيه عليه هنا أنه ليس كل القرآن قد نزل على أسباب، بل إنّ من القرآن الكريم ما نزل ابتداءً غير مبني على سبب، ومن ذلك أكثر قصص الأنبياء مع أممهم، وكذا وصف بعض الوقائع الماضية، أو أنباء الغيب القادمة، وبيان أهوال القيامة، والجنة والنار، فقد نزل أكثر من ذلك ابتداءً، من غير توقف على سبب"^(٤).

ممّا تقدم يتبيّن أنّ أسباب النزول تتعلق بقسم من الآيات، والأسباب متنوعة؛ لحادثة تحدث، أو سؤال يُسأل، أو لتبيان حكم ما.

فمعرفة علم "أسباب النزول" له أثر كبير في فهم الآية والتعرف على اسرار التعبير فيها؛ لأن النص القرآني المرتبط بسبب معين للنزول تجيء صياغته وطريقة التعبير فيه وفقاً لما يقتضيه ذلكم

(١) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ٣٨.

(٢) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٦٨، ومباحث في علوم القرآن والحديث، عبد المجيد مطلوب: ٥٨ - ٥٩.

(٣) يُنظر: المدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبة: ١٣٣، وفصول في علوم القرآن، عدنان زرزور: ١٥. وسبب نزول هذه الآيات من سورة الكهف أن قريشاً بعثت النظر ابن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة ليسألوهم عن النبي (ﷺ)، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاثة، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل منقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ورجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاريها، وسلوه عن الروح، فجاءوا رسول الله (ﷺ)، وسألوه، فقال: أخبركم غداً ولم يستثن، فمكث الرسول (ﷺ) خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياً، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معابته إياه، وخبر ما سأله عنه. يُنظر: لباب النقول في أسباب النزول/ السيوطي: ١/١٤٣.

(٤) علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ٤٦.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

السبب" (١)، ففهم الآية متوقف على سبب نزولها، فإنَّ "النزول اما ان يكون ابتدائياً، أو على اثر سؤال أو حادث أو استنقاء، من كان من كان منه ابتدائياً فيمكن اعتباره الأصل الأول في الدين والأساس في أركان التشريع العامة وما جاء عقب واقعة فأماً أن يكون حكماً جديداً لا عهد لهم به او نبأ مجهولاً عند السائلين، أو تفصيلاً في حدود أو فرائض اجملت من ذي قبل" (٢)، فأسباب النزول متنوعة، ومختلفة حسب ظروف نزول النص القرآني.

وخلاصة القول إنَّ "أسباب النزول" مرتبطة بالنص القرآني بصورة غير مباشرة، إلاَّ إنَّها مرتبطة بالأحداث التاريخية التي سايرة النص القرآني، وهذا الامر يثبت اولاً: أنه من تاريخ القرآن، وثانياً: إعجاز النص القرآني من خلال تحويل ما كان سبباً في نزوله لنص ليس فقط يعالج سبب وقت نزوله، بل يتعداه أن يكون نصاً علاجياً يصلح لجميع الأزمنة والعصور، أما مدى مدخلية النص القرآني في تحديد هذا العلم -كعلم تابع لتاريخ القرآن- فسيتم الكشف عنه في المبحث الثاني من الفصل الثالث من هذه الأطروحة بحول من الله وقوته.

(٢) علم جمع القرآن الكريم وتدوينه: من العلوم المهمة التي نسبت إلى مباحث تاريخ القرآن؛ لأنها تعتمد على النقل التاريخي في بيان كيفية الجمع للمصحف الذي يقصد به كتابته في المصحف، ومن أجل البيان الأكثر لهذا العلم سيتم بيان معنى الجمع في اللغة والاصطلاح.

فمن جهة اللغة يقصد به الضم بمعنى ضم الشيء بعد تفرقه وجمعه فجمع الشيء ضمه بعضه إلى البعض الآخر (٣)، وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): " الجيم والميم والعين: أصل واحد يدل على تضام الشيء " (٤)، فالمعنى اللغوي يدلُّ على جمع الشيء المتفرق بضمه إلى بعضه فيصبح واحداً، أما من جهة المعنى الاصطلاحي: فإنَّ له عدة تعريفات منها "يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين:

الأول: جمعه بمعنى الحفظ، وجماع القرآن حفاظه، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيه (ﷺ) ... " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (٥).

(١) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ٢٢٩.

(٢) تاريخ القرآن، د. محمد حسين الصغير، ٥٢.

(٣) يُنظر: العين، الخليل، ١ / ٢٤٠ - ٢٤١. ولسان العرب، ابن منظور، ١ / ٢٤٠ - ٢٤١.

(٤) مقاييس اللغة، ١ / ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٥) سورة القيامة، الآيات: ١٦ - ١٩.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

الثاني: "جمعه بمعنى كتابته كله مفرق الآيات والسور أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعه تضم السور جميعاً وقد رُتب أحدها بعد الأخرى" (١). فالجمع يأتي بمعنى الحفظ تارة، وبمعنى الكتابة تارة أخرى، والأخير هو المقصود. وعُرف أيضاً: "جمع القرآن له معنيان أحدهما: حفظه في الصدور على سبيل الاستيعاب لجميع آياته، ومنها قولنا: جماع القرآن أي حفاظه، والمعنى الآخر لجمعه: كتابته وتسجيله في أوراق بشكل كامل" (٢).

وخلاصة ما سبق أنّ معاني الجمع في اللغة متعددة، ويحكمها السياق والمقام، وفيما يأتي بيان معاني الجمع:

١- **الحفظ:** "يُقَالُ لِلْحُفَاطِ: جُمَاعُ الْقُرْآنِ" (٣)، وهو غير مراد في المقام.

٢- **القراءة:** عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلُثُ الْقُرْآنِ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَجْمَعُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي الْوَتْرِ لِكَيْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ" (٤)، وهذا أيضاً غير مراد في المقام.

٣- **التدوين:** وهو ظاهر الروايات الواردة في هذا الشأن، وقد يطلق على مَنْ دَوَّنَ جُزْءاً مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهُ قَدْ جَمَعَهُ، كالذي يجمع ما نزل إلى وقت معين، وهو المراد هنا. ويبدو أنّ المعاني الثلاثة (الحفظ، القراءة، التدوين) كانت متداولة في عصر نزول القرآن الكريم، إلا أنه بمرور الزمان أصبحت دلالة الجمع على التدوين في الصحف وتأليف بعضها مع بعض هي الراجحة للذهن عن تبادر مصطلح (جمع القرآن) إليه.

فإذا أردنا تعريف جمع القرآن الكريم اصطلاحاً أمكن القول إنّه هو عملية تدوين النص القرآني وضم بعضه إلى بعض وصولاً إلى المصحف مكتوباً كاملاً بين الدفتين، ويتعلق بنزول القرآن الكريم، ويتعلق أيضاً بعلم الكتابة والخط، ويبحث في الآليات التي استعملت لجمع النص القرآني كاملاً مكتوباً في مصاحف خاصة، ويتناول اختلاف الآراء فيه، وفي كيفية الجمع وزمنها والأشخاص الجامعين للقرآن الكريم، وقد تناول هذا البحث الباحثون في تأريخ القرآن الكريم وعلومه، وحتى عند المفسرين، وما زال محلاً للبحث والنقاش.

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ١١٤.

(٢) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ١١١.

(٣) جمع القرآن، نقد الوثائق وعرض الحقائق، السيد علي الشهرستاني: ١ / ١٥٥.

(٤) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٢ / ١٢٤ (الحديث ٤٦٩)، وجامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ٥ / ١٦٥، ١٦٦.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

(٣) علم نزول القرآن الكريم: وهو من العلوم التي ارتبطت بالنص القرآني بصورة غير مباشرة، ومن أجل الوقوف على المعنى المراد من "نزل القرآن" لابد من التطرق إلى معنى "النزول" في اللغة، من الرجوع إلى معناه في المعاجم اللغوية فقد جاء أنّ معنى "نزل نزولاً هَبَطَ من علو إلى سفلى" (١)، فالنزل هو الهبوط من الأعلى إلى الأسفل، وأما التنزيل فهو مأخوذ من الترتيب للشيء "الإنزال". تقول: أنزلني منزلاً مباركاً. بفتح... الميم والزاي: النزول، وهو الحلول. تقول نزلت نزولاً ومنزلاً... والتنزيل أيضاً: الترتيب" (٢)، ويأتي بمعنى الحلول "النزول: الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً ومنزلاً ومنزلاً، بالكسر شاذ... يقال: ما وجدنا عندكم نُزلاً. بفتح الميم والزاي: النزل وهو الحلول، تقول: نزلت نُزولاً ومنزلاً... والتنزيل أيضاً: الترتيب" (٣)، فلا "يكون النزل إلا من ارتفاع إلى هبوط، وإنما قالوا: نزلت في موضع كذا وكذا، لأنه ينزل على دابة أو يتجاوز منزلة إلى منزلة أخرى. وأنزل الله عز وجل الكتاب إنزالاً ونزله تنزيلاً شيئاً بعد شيء" (٤)، وأشار الزبيدي (١٢٠٥هـ) بقوله: "النزل، بالضم: الحلول وهو في الأصل انحطاط من علو،... ونزله تنزيلاً، وأنزله إنزالاً،...، وفرق جماعة من أرباب التحقيق، فقالوا: التنزيل: تدريجي، والإنزال دفعي،... ولما ورد استعمال التنزيل في الدفعي زعم أقوام أن التفرقة أكثرية، وأن التنزيل يكون في الدفعي أيضاً، وهو مبسوط في مواضع من عناية القاضي" (٥).

وبيّن الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) فرقا بين الإنزال والتنزيل تبعاً للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) (٦)، فهي هي العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) يؤيد ما تقدم بقوله: "والفرق بين الإنزال والتنزيل أن الإنزال دفعي والتنزيل تدريجي" (٧)، فالمعنى اللغوي بمعنى الهبوط من الأعلى إلى الأسفل، ويأتي بمعنى الحلول كما في نزول الضيف، وإذا أردنا إسقاط المعنى اللغوي على النص القرآني يكون المعنى نزوله من جهة القدس الإلهي وهي العليا على قلب النبي محمد (ﷺ) وحلوله فيه.

أمّا من ناحية التعريف الاصطلاحي: فقد عرّف بأنه مصدر مأخوذ من الجذر الثلاثي "نزل" الذي يعني هبوط الشيء سواء كان هذا الهبوط "مادياً أو معنوياً" بحيث تكون رتبة هذا النزول حقيقية

(١) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ٩١٥/٢.

(٢) الصحاح، الجوهري، ١٨٢٨/٥ وما بعدها. يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤١٧/٥. والمصباح المنير، الفيومي، ٦٠٠/٢.

والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٠٦٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٦٥٦/١١ - ٦٦٠.

(٤) جمهرة اللغة، ابن دريد، ٨٢٧/٢.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٧٩/٣٠.

(٦) يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: ٤٩/٢.

(٧) تفسير الميزان، ١٥/٢.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

عالية^(١)، ومعنى ذلك أنّ "النزول" يدل على وجود هبوط للشيء المنزل من العالي إلى الاسفل، فهو يشمل النزول المادي والمعنوي، ويشمل نزول القرآن الكريم؛ كونه نزل من جهة عليا هي ساحة القدس الإلهي على قلب النبي محمد (ﷺ)، لهذا عُرف "نزول القرآن" اصطلاحاً "نزوله من جانب الله تعالى على رسول الله (ﷺ)"^(٢)، وهذا الشيء يثبت ورود مصطلح النزول في النص القرآني باللفظ الصريح. ومهما يكن من أمر فإنّ مفردة (نزل) بما ينتزع عنها من مصادر قد خرجت من النص القرآني الكريم، ووردت في آياته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٣)، وقوله جلّ جلاله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(٤)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾^(٥).

(٤) الوحي: الوحي القرآني ظاهرة تاريخية أشار إليها النص القرآني، وهي مسألة من مسائل "تاريخ القرآني" وليس علماً قائماً بذاته، وهذه الظاهرة أشار إليها النص القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٦)، ومن أجل بيان هذا العلم لا بد من بيان معناه.

فمن الناحية اللغوية أشار علماء اللغة أن معنى "الوحي: السرعة"^(٧)، فهو التكلم بكلام مخفي، أو الاعلام في الخفاء^(٨)، وكذلك جاء أن "الوحي: الكتاب... والوحي أيضاً: الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكلّ ما ألقيته إلى غيرك... الوحي: السرعة، يُمدّ ويقصر"^(٩)، كما قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الْكِتَابُ وَالرِّسَالَةُ. وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَىٰ غَيْرِكَ حَتَّىٰ عَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ"^(١٠)، وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "أَصْلُ الْوَحْيِ فِي اللَّغَةِ كُلِّهَا إِعْلَامٌ فِي خَفَاءٍ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْإِلْهَامُ يُسَمَّى وَحْيًا"^(١١)،

(١) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني، ٧٩٩. والتحقيق في كلمات القرآن الكريم، مصطفىوي، ٧٨/١٢.

(٢) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٨٩/١.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ١٠٦.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية: ١٨٥.

(٥) سورة الدخان: الآية: ٣.

(٦) سورة النساء: الآية: ١٦٣.

(٧) العين، الخليل، ٣٢١/٣.

(٨) يُنظر: تهذيب اللغة، الازهري، ٢٩٦/٥.

(٩) الصحاح، الجوهري، ٢٥١٩/٦-٢٥٢٠.

(١٠) مقاييس اللغة، ٩٣/٦.

(١١) لسان العرب، ٣٨١/١٥.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

وجاء تعدد معنى الوحي بأنَّ "الوحي... أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان" (١)، فما ألقى من علم ما في خفية، وعناه الإشارة، وكل ما ألقى من الغير من أجل التعليم هو وحي، أو هو "الكتابة في الحجر" (٢)، في حين نجد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) بين اللفظة بنحو آخر فقال: "الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة،... ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه: وحي،... وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبى في صورة معيّنة، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله، وإما بإلقاء في الرّوع... وإما بإلهام... أو بمنام... فذلك لمن يدعى شيئاً من أنواع ما ذكرناه من الوحي أي نوع ادّعاه من غير أن حصل له،... فهذا الوحي هو عام في جميع أنواعه" (٣).

أما من الناحية الاصطلاحية: فنجد السيّد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤هـ) عرفه بقوله: "الوحي: عبارة عن فكرة يدركها الإنسان، مصحوبة بالشعور الواضح، بأنّها ملقاة من طرف أعلى منفصل عن الذات الإنسانية، وشعور آخر واضح بالطريقة التي تم فيها الإلقاء، مع وجود عنصر الغيب والخفاء في هذه العملية، ولذا تسمى بالوحي" (٤)، وجاء أنّ "من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يُوجّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحي الشياطين ويسمى بالوسوسة" (٥)، وهذا التعدد يشمل معاني مختلفة للوحي، وهذه المعاني يحددها السياق، والنص القرآني أشار إليها، وهذا يدلّ على أنّ مصطلح الوحي ورد في النص القرآني، وهو الوحي للرسول والأنبياء، وخصوصاً النبي محمد (ﷺ)، فإنّ الأصل اللغوي لكلمة الوحي متعدد وقد أجملها الشيخ مصطفى بأنّها تدلّ في أصلها اللغوي على الاعلام والاسرار في خفاء، واشتقاقها يأتي بمعنى الإلهام الذي يدل على السرعة، كون الوحي يأتي بسرعة ويلتقي بسرعة أيضاً، أصلها الخفاء والسرعة، فالوحي هو الإعلام الخفي السريع، كما أنّ معناها بما يلقي على الغير (٦)، وهذه المعاني قد أهلمت

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٩٣/٦.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد، ١٧٢/١.

(٣) المفردات، ٨٥٨-٨٦٠.

(٤) علوم القرآن، ١٥١.

(٥) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ٤٤.

(٦) الدين والوحي والإسلام، الشيخ مصطفى عبد الرزاق، ٤٦.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة
 معنى ابن دريد (ت ٣٢١هـ) المتقدم "الكتابة في الحجر" (١)، ولعل ذلك الإبعاد؛ لأنه بعيد كل البعد عن
 الموضوع واللفظة المبحوثة (٢)، فالمعاني في الأصل اللغوي متعددة من حيث الأصل والاشتقاق، ودلالاتها
 بحسب السياق الواردة فيه، ويظهر أنّ المعنى المراد من كل ما تقدم هو الوحي الملقى على الرسل
 والانبياء (ﷺ)، الذي ورد باللفظ الصريح مع غيره من المعاني مما يدل على أنّ الوحي لفظ ورد بمعانٍ
 متعددة في النص القرآني، ومن ضمن هذه المعاني والمصطلحات هو الوحي الإلهي على الرسل
 والانبياء (ﷺ)، وخصوصاً الوحي المنزل على النبي محمد (ﷺ).

أما بخصوص ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ (٣)، فلا بدّ
 من القول إنّ المعنى الاصطلاحي المشار إليه في الآية هو كلّ ما يوحى إلى الرسل والانبياء، فعرف
 بأنه "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو غير واسطة والأول بصوت
 يتمثل بسمعه أو بغير صوت... " (٤)، أما في الشريعة فأثمة "كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه"
 (٥)، وجاء "قد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول أي الموحى به وهو كلام الله المنزل على النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم" (٦)، وهنا يُلاحظ التعريف بالمعنى المصدرى بأنه الكلام المنزل من الله تعالى على
 النبي محمد (ﷺ)، أما ما هي حقيقة الوحي فلا يعرفها الا من ينزل عليه الوحي، لهذا عرف الوحي السيد
 الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) ما لفظه: "فالنبوة حالة الهيّة، وإن شئت قل غيبية، نسبتها إلى هذه الحال
 العمومية من الإدراك والفعل، نسبة اليقظة إلى النوم بها يدرك الإنسان المعارف التي بها يرتفع الاختلاف
 والتناقض في حياة الإنسان وهذا الإدراك والتلقي هو المسمّى في لسان القرآن بالوحي... " (٧)، فهو إدراك
 حقيقي لما يُنزل على النبي من الله تعالى، فإنّ "الأولى في تعريف الوحي أن يقال: انه مشاهدة ما وراء
 الطبيعة وهي تحصل للذي تجردت نفسه من الماديات بالإطلاق، وهذه الحالة الروحانية لا تحصل إلا
 للأنبياء ولا يمكن اخضاعها للمقاييس ولا يمكن اخضاعها للمقاييس المادية، وما يحصل لغيرهم ممن

(١) جمهرة اللغة، ١/١٧٢.

(٢) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٤) الوحي المحمدي، محمد عبده، ٤٤.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ١٧٧٦/٢.

(٦) العقد المنظم في أنواع الوحي المعظم، العلوي، ٣.

(٧) الميزان في تفسير القرآن، ٢/ ١٣١.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

تجردت نفوسهم من الماديات بأقصى حد إنساني ممكن يكون الهاما" (١)، فلا مقياس مادياً لها؛ لأنها تتطلب علواً بالروح والنفس والارتقاء بها إلى أسمى حالات التقاني بالله تعالى، وهذا الأمر لا يتأتى لكل شخص إلا من اصطفاه واختاره، واجتباها الله تعالى، فإنّ الوحي "حالة فريدة مخالفة لا تخضع إلى التجربة أو التفكير، ومتيقنة لا مجال معها للشك. مضافاً إلى أن حالات الكشف والإلهام والإيحاء النفسي حالات لا شعورية ولا إرادية، والوحي ظاهرة شعورية تتسم بالوعي والإدراك التامين. والوحي بالمعنى المشار إليه يختص بالأنبياء، وليس الإلهام أو الكشف كذلك، فهما عامان وشائعان بين الناس" (٢)، فالوحي حقيقي لا يدركه إلا الرسل والأنبياء ولا يحصل إلا إليهم فهو مختص بهم، أما المكاشفة أو الإلهام فإنهما أمور عامة يمكن أن تحصل لعامة الناس، والمكاشفة لا يوجد فيها يقين جازم كامل بعكس الوحي، و"المكاشفة لا تنتج عند صاحبها يقيناً كاملاً، ويقين النبي (ﷺ) بالوحي قد كان كاملاً، مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بها غير شخصية، وطارئة، وخارجة عن ذاته" (٣)، فإذا "كان الوحي فعلاً متميزاً، فهو صادر عن فاعل مريد، وهذا الفاعل المريد هو الله تعالى، وليس الإلهام والكشف كذلك، وهذا ما يميز الوحي عن المكاشفة، والوحي النفسي، والإلهام، إذ إنّ مردّ الإلهام يعود عادة إلى الميدان التجريبي لعلم النفس، ونزعة الوحي النفسي في انقداها تعتمد على التفكير في الاستنباط، والمكاشفة تتأرجح بين الشك واليقين" (٤)، فإنّ الوحي الالهي هو: "الفصل الذي يكشف به الله للإنسان عن الحقائق التي تجاوز نطاق عقله" (٥)، فالوحي في المنظور الإسلامي والديني يتمثل بـ "تعليم الله لأنبيائه أمور الدين بواسطة الملائكة يرسلهم إليهم وهو بهذا المعنى عام في أكثر الأديان السماوية سيما الأديان الإبراهيمية الثلاثة الكبرى: اليهودية والمسيحية والإسلام" (٦)، فالوحي تعددت معانيه بتعدد المخاطب، فشمّل الإنسان والحيوان والجماد إلا أنّ المعنى المقصود هنا هو الوحي الرسالي المنزل على النبي محمد (ﷺ)، وسيتم التفصيل به في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى في المبحث الثالث منه.

(٥) **علم القراءات:** من العلوم الإسلامية القديمة عهداً ونشأة، وهذا الأمر غير خفي على المطلع اللبيب؛ وسبب ذلك أنّ المسلمين أولّ ما تعلموا في زمن نزول النص القرآني قراءة القرآن وحفظه، بعدها لما وقع الاختلاف في قراءة الالفاظ القرآنية، وضبطها دعت الحاجة إلى نشأة علم قراءة القرآن، إذ أنّ

(١) دراسة حول القرآن الكريم، محمد حسين حسيني جلاي، ١٣.

(٢) تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، ١٦.

(٣) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ١٦٧ هـ، ١٤٢١ هـ، وما بعدها.

(٤) تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، ١٦.

(٥) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ٥٧٠/٢.

(٦) دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ٧٠٧/١٠.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

الوقوف على معنى قول رسول الله (ﷺ) "أنزل القرآن على سبعة أحرف" قد شغل علماء المسلمين كثيراً ونتجت عنه آراء مختلفة، ولا سيما في القرنين الثالث والرابع الهجري. ذكر ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ) فيما نقله عنه القرطبي (ت: ٦٧١هـ) في تفسيره (١) خمسة وثلاثين رأياً مختلفاً، ومع أنّ هذه الآراء يتميز أكثرها عن غيره بفروق ضئيلة فإنّها مهمة من جهة أنها تظهر درجة اهتمام العلماء بالحديث المذكور وأهمية موضوعه حتى أواسط العصر الرابع الهجري. وقد انكب شراح غريب الحديث والمفسرون وكثير من العلماء وخاصة المشتغلون بعلم القراءات على هذا الحديث، وسبب عنايتهم بدراسة هذا الموضوع أنّ له علاقة كبيرة بمسائل تتصل بصحة نقل متن القرآن الكريم عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الأصحاب، ثم عنهم إلى من بعدهم من الأجيال. ومن المؤلفين الذين عنوا بهذا الحديث مثلاً: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤ هـ) (٢)، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) (٣)، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) (٤)، ومكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) (٥) (٦)، بعد ذلك عنى به علماء التفسير (٧) عناية فاحصة وفائقة؛ لكونه مرتبطاً بالكشف والبيان عن معاني القرآن الكريم، وقد اعتنى علماء علوم القرآن بـ "علم القراءات" بصورة خاصة لارتباطه بقراءة القرآن الكريم، وطرق وصوله إلينا، ومن أجل بيان هذا العلم سأتطرق إلى ما يأتي:

إمّا من حيث المعنى اللغوي فإنّ القراءة مأخوذة من "قرأ: قرأ: وقرأت القرآن عن ظهر قلبٍ أو نظرت فيه، هكذا يقال ولا يقال: قرأت إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث. وقرأ فلان قراءةً حسنة، فالقرآن مقروء، وأنا قارئ. ورجل قارئ عابد ناسك وفعله التقرّي والقراءة" (٨)، والقراءة مصدر من الفعل الثلاثي (قرأ)، وله مصدران آخران هما: (قرء) و(قرآن) (٩)، وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "أقرأ غيره يُقرئه إقراءً. ومِنهُ قيل: فلان المُقرئ" (١٠).

(١) يُنظر: تفسير القرطبي، ١ / ٤٢ - ٤٦.

(٢) يُنظر: غريب الحديث، ٣ / ١٦٢ - ١٦٩.

(٣) يُنظر: تأويل مشكل القرآن، ٢٦ - ٣٥.

(٤) يُنظر: تفسير الطبري، ١ / ٢١ - ٧٢.

(٥) يُنظر: الإبانة عن معاني القراءات، مكي القيسي، ٤٧.

(٦) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، المقدمة / ٧.

(٧) لا يكاد يخلو تفسير من تفاسير المسلمين من علم القراءات. يُنظر: حقائق التأويل، الشريف الرضي، ١٤٦. وتفسير الثعلبي، ١٩٢/٥.

والتبيان، الطوسي، ٨/١. ومجمع البيان، الطبرسي، ٢٠/١. وأحكام القرآن، ابن العربي، ٢٩٢/١. وزاد المسير: ابن الجوزي، ٩/١. وغيرهم.

(٨) العين، الخليل، ٢٠٥/٥. يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢٤/١. ومجمع البحرين، الطريحي، ٢٥/٢.

(٩) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١٢٨/١ - ١٢٩.

(١٠) لسان العرب، ابن منظور، ١٢٩/١.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

أما المعنى الاصطلاحي لمعنى القراءات القرآنية فقد قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) بأنها: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كفيئتها من تخفيف وتشديد وغيرهما"^(١)، فيما نقل عن ابن الجزري^(٢) أنه عزّفها بقوله: "علم بكيفيات أداء كلمات القرآن، واختلافها معزو لناقله"^(٣).

هنا يُعلم أن القراءات شيء، والقرآن شيء آخر كما صرّح الزركشي، ولكن لسنا نسلم له حين يقول إنّ أصل هذا الاختلاف ناشئ عن الوحي، وإنّما المعنى أو التوجيه الصحيح لمعنى القراءات ما صرح به دكتور فاضل مدب بقوله: "ويلاحظ على التعريف الأول أنه أوكل الاختلاف في القراءات إلى ألفاظ الوحي، وأنما نزل القرآن من الله تعالى على نبيه (ﷺ) بواسطة الوحي، ولا اختلاف فيه، وإنما وقع الاختلاف في القراءة بعد ذلك حيث اختلف الناس في القراءة، إذ هي اجتهادات فردية من قبل القراء"^(٤)، وهذا المعنى أشار إليه التعريف الثاني لابن الجزري بقوله المتقدم: "معزو لناقله"، فالاختلاف راجع إلى أمور اجتهادية بشرية لا إلى الوحي الإلهي.

وعزّفها الدميّاطي (ت ١١١٧هـ) بقوله: "علم القراءة يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل، والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"^(٥)، وهو الأمر يعزو القراءات إلى ناقلها من حيث اتفاقهم على قراءة معينة، كما بأنه "يبدو من هذا التعريف أن القراءة قد تأتي بفعله سماعاً لقراءة النبي (ﷺ)، أو نقلاً لقراءة قرئت أمامه فأقرأها، وأن القراءة قد تروى لفظاً واحداً وهو ما يعبر عنه بالمتفق عليه بين القراء، وقد تروى أكثر من لفظ واحد وهي ما يعبر عنه بالمتفق عليه بين القراء"^(٦)، فإنّ "مفهوم القراءات أنها علم يميز به بين الصحيح المتواتر والشاذ النادر ويتقرر به ما تسوغ القراءة به وما لا تسوغ وقاية لكلمات القرآن من التحريف ودفعاً للخلاف بين أهل القرآن، وفي ذلك كان لعلم القراءات فائدة عظيمة برزت عناية الأمة الإسلام بدقائق اللغة العربية وقواعدها ودقائقها من خلال عنايتها في كيفية نطق الحروف من خارجها

(١) البرهان، الزركشي، ١/ ٣١٨.

(٢) ابن الجزري: هو محمد بن محمد بن عليّ الدمشقي المعروف بابن الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر قرب الموصل، ولد بدمشق سنة (٧٥١هـ) ونشأ بها واخذ القراءات عن جماعة بها وبالقاهرة والاسكندرية توفي سنة (٨٣٣هـ). يُنظر: لحظ الألاحظ، تقي الدين المكي / ١٢٤ + طبقات الحفاظ، السيوطي / ٣٧٦. وكشف الظنون، حاجي خليفة، ١/ ٥٣.

(٣) منجد المقرئين، ابن الجزري، ١٦. ويُنظر: علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ١١/٢. والقراءات القرآنية، الفضلي، ٥٥.

(٤) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٢٠٤.

(٥) اتحاف فضلاء البشر في قراءة الأربعة عشر، ٥.

(٦) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، الدكتور فاضل مدب متعب، ٢٠٤.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

وضبطها على وجوها الصحيحة" (١).

إنَّ القراءات القرآنية من الأمور الاجتهادية التي خضعت للرواية، وكما هو معلوم أنَّ الرواية منها المقبول ومنها المردود، ومنا الشاذ ومنها الصحيح، والنص القرآني لا مدخلية له في تحديدها أو التأسيس لها، وهذا ما سيتم الكشف عنه في الفصل الثالث من هذه الأطروحة بحول من الله تعالى.

ويخلص الباحث إلى أنَّ هناك من العلوم ما هي خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة، وموضوعها ليس النص القرآني إلاَّ أنَّها لها التأثير ببقية العلوم، وهدف الباحث من إيراد هذا الفصل هو بيان أنواع العلوم التي للنص القرآني مدخلية في التأسيس لها، وتبين ذلك من المبحثين الثاني والثالث بأنَّ منها ما أشار إليها على نحو الانبثاق، وتارة أخرى على نحو الخادمة له، وهنا يكون للنص القرآني المدخلية الأولى في التأسيس لهذه العلوم من كونها علوماً تابعة للنص القرآني، وهناك من علوم القرآن التي أشار إليها علماء علوم القرآن إلاَّ أنَّ النصَّ القرآني لم يشر إليها لا بالمفهوم ولا بالمصطلح، وهذا الامر سيتم دراسته بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الأطروحة بعون من الله تعالى.

وتأسيساً على ما سبق يرى الباحث أنه يمكن التوصل إلى من وضع اللبنة الأولى لعلوم القرآن وأسس لهذه العلوم، وإثبات أنَّها ابتدأت من عهد نزول النص القرآني أي في زمن النبي محمد (ﷺ) كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): " فما نزلت على رسول الله (ﷺ) آية من القرآن إلاَّ أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل " (٢).

وهناك رواية ثانية: وهي قول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام): " سلوني قبل أن تفقدوني، فولذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكياها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم " (٣).

(١) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، الدكتور فاضل مدب متعب ، ٢٠٥.

(٢) الكافي، الكليني: ٦٤/١.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٤٢٣.

الفصل الأولالمبحث الثالث: علوم خادمة للقرآن، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة

وهاتان الروايتان فقط، فيهما ما فيهما من الإشارات التي لم يطلع عليها المستشرقون وأمثالهم، فضلاً عن كثير من باحثي المسلمين، ولو اطلعوا عليها وأمثالها لعرفوا أنّ ما أتاها من علوم القرآن الكريم كان منبعه أهل بيت الوحي (عليه السلام)، وهذا ما يصبو إليه الباحث بأنّ للنص القرآني ومن خوطب به - النبي محمد (ﷺ) وأهل بيته الاطهار (عليهم السلام) - الذين كلفوا بإيصاله للناس كما أنزل وبيان معانيها، إكان لهم أثر كبير في ما انبثق أو خرج من النص القرآني من علوم أشار إليها علماء علوم القرآن ودونوها في مؤلفاتهم.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن

المبحث الرابع

علوم أشار إليها القرآن الكريم

وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن

المدخل:

القرآن الكريم بآياته وسوره حوى علومًا شتى دلَّ عليها النص القرآني بالمفهوم أو بالمصطلح أو بالإشارة إليها، وعليه فقد كثرت العلوم التي أشار إليها علماء علوم القرآن وتتنوعت، وما سيتم بيانه هو ذكر العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم إلا أنها لا تعدُّ من علومه، والسبب في اختيار هذا المبحث من قبل الباحث هو فرز ما هو من علوم القرآن مما هو لا نسبة له لعلوم القرآن. ومن أجل الوقوف على هذه العلوم سيتم بيانها من الطرق الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالإشارة لغة واصطلاحاً:

(١) التعريف بالإشارة لغةً:

جاء في معنى الإشارة هي الأيماء سواء كان بالكف أو الحاجب أو الرأس، ومن جهة إفهام المعنى فهي ترادف الكلام والنطق، ومثالها أن يستأذن شخص بالتصرف بشيء ويشير له الشخص الآخر برأسه أو يده أن لا يفعل أو يفعل^(١)، ومعنى ذلك إيصال المعنى المراد بواسطة الإشارة المفهومة من دون تكلم.

(٢) التعريف بالإشارة اصطلاحاً:

عُرفت الإشارة من علماء الاصطلاح بأنها: "هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام"^(٢)، فالمعنى الإفهام من دون نطق، ف "الإشارة: التلويح بشيء يفهم منه النطق؛ فهي ترادف النطق في فهم المعنى، والإشارة عند إطلاقها حقيقة في الحسية، ... والإشارة عبارة عن أن يُشير المُتكلِّم إلى معانٍ كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة باليد، فإن المشير بيده يُشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة ومن أمثلتها قوله تعالى: {وغيض الماء} فإنه أشارَ بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة المطر وبلع الأرض وذهاب ما كان حاصلاً من الماء على وجهها من قبل"^(٣)، والإشارة

(١) الكليات، الكفوي ١٢٠. ويُنظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٨: ١١٨. لسان العرب، ابن منظور، ٧: ٢٣٥. المصباح

المنير، الفيومي، ٣٢٦، ٣٢٧. مجمع البحرين، الطريحي، ٢: ٩٨٨. المعجم الوسيط: ٤٩٩.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ٢٧.

(٣) الكليات، الكفوي، ١٢٠.

الفصل الأول..... المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن

قسمان عقلية وحسية (١)، بكليهما يُفهم المراد من دون النطق بأي حرف.

أما إشارة النص بصورة خاصة فمعناها " العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود، ولا سيق له النص، كقوله تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ} سيق؛ لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء" (٢)، فما يُعرف من النص بالتأمل والنظر والفكر يسمى "إشارة النص" بحيث يفهم ما نطق به النص بالإشارة إليه من السياق، أو العبارة المكتوبة، وجاء أيضاً أنها "ما عرف بنفس الكلام لكن بنوع تأمل وضرب تفكر، غير أنه لا يكون مراداً بالانزال... والإستدلال بإشارة النص إثبات الحكم بالنظم غير المسوق له، كما أن الإستدلال بدلالة النص إثبات الحكم بالنظم المسوق له، وبعبارة النص إثبات الحكم بالمفهوم اللغوي غير النظم، وباقتضاء النص إثبات الحكم بالمفهوم الشرعي، غير النظم... والإشارة تقوم مقام العبارة إذا كانت معهودة، فذلك في الأخرس دون معتقل اللسان، حتى لو امتد ذلك وصارت له إشارة معهودة كان بمنزلة الأخرس" (٣)، فالمعنى أن يعمل بما جاء في النص إلا أنه غير مكتوب صراحة، بل فهم من الإشارة إليه.

وخلاصة القول لما سبق أن هناك علوماً أشار إليها القرآن الكريم وهي التي فهمت من النص عن طريق إشارة النص إليها بالعقل أو بالحس، وما سيتم الكشف عنه هو إيراد العلوم التي أشار إليها النص القرآني إلا أنها لا تعد من علوم القرآن، ولا من تاريخه.

المطلب الثاني: العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخه:

لا شك أن القرآن الكريم اشتمل على معارف وعلوم جملة لا يمكن احصاؤها، وبالخصوص علوم القرآن، وهناك من علوم القرآن ما نسبت لها وهي ليست منها ولا من تاريخه، وأشار إلى بعضها العلماء كالسيوطي (ت ٩١١ هـ) (٤)، والزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) (٥).. وغيرهم، فكثرت المؤلفات فيه ونتج عنها أبحاث مختلفة حملت عنوان "علوم القرآن"، هذا التنوع أدى إلى اتساع الأبحاث في القرآن الكريم، لذا نجد أن "بعض العلماء قد توسع فجعل من القرآن ميداناً يتسع للفلسفة والصناعة والطب والفلك والنجوم والهيئة وخلايا الجسم وأصول الصناعات جاعلاً القرآن الكريم مستوفياً بآياته لهذه الحثيات، بل منهم من تجاوزها إلى العيافة والكهانة والضرب بالحصى والسحر والشعبذة، وما إلى ذلك مما حرمه الإسلام

(١) يُنظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٢٠١.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ٢٧.

(٣) الكليات، الكفوي، ١٢٠-١٢١.

(٤) يُنظر: الإنتقان في علوم القرآن، الجزء/٤. ومعتك الأقران في إعجاز القرآن، ج ١. على سبيل المثال.

(٥) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تأريخ القرآن وعارضه القرآن" (١)، وهذا الامر كانت نتيجته ظهور بعض العلوم التي لا تحمل على علوم القرآن " فمن هذه العلوم ما لا يمكن عدّه من علوم القرآن، ومنها لا يَجْمَلُ عدّه منها، لأنّ هناك فرقاً كبيراً بين الشيء الذي يحث القرآن على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته، وبين العلم الذي يدلُّ القرآن على مسائلة أو يرشد إلى أحكامه" (٢).

وخلاصة القول إنّ وجود بعض علوم القرآن أو مباحثه التي نسبت إلى القرآن الكريم وهي ليست من علومه، بل إنّها علوماً أشار إليها القرآن الكريم، وما يصبو إليه الباحث في هذا المبحث الإشارة التي تلك العلوم؛ كونها خارج دراسة هذه الأطروحة، وسيتم الإشارة إلى هذه العلوم على النحو الآتي:

(١) علم الهيئة: ويقصد به "تعيين الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السّيّارة والثابتة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السّمائيّة المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها" (٣)، فهو العلم الذي يختص بدراسة الفلك وما فيه من كواكب واجرام سماوية، وعُرف أيضاً بأنه "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمحرّكة والمتحيرة، ويستدلّ بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسيّة" (٤)، فهذا العلم خاص بالكواكب من حيث حركتها كونها ثابتة أو متحركة، او متحيرة فيتوصل من خلال الحركة إلى مكانها وأشكالها.

وتجدر الإشارة على ما سبق نكره ان هذا العلم قد أشار إليه القرآن الكريم فعلى سبيل المثال لا الحصر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٥)، التي تدل على علم الهيئة (٦)، وعليه فهذا العلم نجده "في نَصَاعِيْفِ سُورِهِ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تُكْرَرُ فِيهَا مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بُنِيَ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ" (٧)، إلا أنّه لا ينسب إلى مباحث علوم القرآن؛ لأنّها ليست من علوم القرآن فقد جاء في "تفسير قولهِ: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا} الآية [ق: ٦] بِعِلْمِ الْهَيْئَةِ الَّذِي لَيْسَ تَحْتَهُ عَمَلٌ؛ غَيْرُ سَائِغٍ؛ ولأن ذلك من قبيل ما لا تُعْرِفُهُ الْعَرَبُ، وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهَا وَعَلَى مَعْهُودِهَا،...، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُعْزَى

(١) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ٣٠٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ١ / ٦٣٠.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ١ / ٦٤١.

(٥) سورة الأنعام: ٧٥.

(٦) يُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ١ / ٣٠٩.

(٧) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤ / ٣٤.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن إلى الشريعة لا يُؤدّي فائدة عملي، ولا هو ممّا تعرّفهُ العَرَبُ؛ فَقَدْ تَكَلَّفَ أَهْلُ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَغَيْرِهَا الْإِحْتِجَاجَ عَلَى صِحَّةِ الْأَخْذِ فِي عُلُومِهِمْ بِآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ" (١)، فالذي يجعل علم الهيئة ليس علماً من علوم القرآن؛ لأن موضوعه ليس القرآن فهو يدرس علوم كونية بحتة، فلا يندرج تحت مباحث علوم القرآن بل يُعدّ من العلوم التي أشار إليها القرآن الكريم، والسبب "أن القرآن حين يعرض لآية كونية في معرضة من معارض الهداية يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون الخبير بأسرار السموات والأرض الذي لا تخفى عليه خافية في البر والبحر ولا في النجوم والكواكب ولا في السحاب والماء ولا في الإنسان والحيوان والنبات والجماد وذلك هو الذي بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونية وأوقع من أوقع منهم في الإسراف واعتبار هذه العلوم من علوم القرآن" (٢).

(٢) علم الهندسة: عرفه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) بقوله "وهو النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. إمّا المنفصلة من حيث كونها معدودة أو المتصلة وهي إمّا ذو بعد واحد وهو الخطّ أو ذو بعدين وهو السطح، أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم التّعليمي. ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها إمّا من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض" (٣)، وعرفه التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) بقوله: "هو من أصول الرياضي، وهو علم يبحث فيه عن أحوال المقادير من حيث التقدير على ما في شرح أشكال التأسيس. فقوله من حيث التقدير أي لا من حيث كون المقدار موجوداً أو معدوماً عرضاً أو جوهرًا، ونحو ذلك" (٤)، فالهندسة من أصول الرياضيات الذي يبحث عن المقادير واحوالها، فيبحث التقدير من حيث وجوده أو عدمه.

وقد أشار القرآن لهذا العلم في قوله تعالى: ﴿أَنْظِلْهُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٥)، التي فيها عنوان علم الهندسة، فإن الشكل المثلث أول الأشكال، فإذا نُصِبَ في الشمس على أي ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم" (٦)، وهذه إشارة واضحة لهذا العلم من السيوطي (ت ٩١١هـ) بكونه من علوم القرآن.

فهذا العلم وإن ذكر في القرآن الكريم إلا أنه لا يعدّ من علومه؛ لكون "علم الهندسة لم يوضع ليخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسرارها، وهكذا القول في سائر العلوم الكونية والصناعات العالمية. وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها خصوصاً عند الحاجة إليها. وإنما قلنا: إنه

(١) الموافقات، الشاطبي، ٥٩ / ١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٥٥ / ٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ٦٣٠ / ١.

(٤) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٥٩ / ١.

(٥) سورة المرسلات، الآية: ٣٠.

(٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ٣٠٩ / ١. يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٤ / ٤.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن لا يجل اعتبار علوم الكون وصنائه من علوم القرآن مع أن القرآن يدعو إلى تعلمها لأن هناك فرقاً كبيراً بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته، وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه أو يكون ذلك العلم خادماً للقرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته. فالأول ظاهر أنه لا يعدّ من علوم القرآن بخلاف الثاني^(١)، فعلم الهندسة من العلوم التي أشار إليها النص القرآني إلا أنّها لا تعدّ من علومه؛ لأنّه من العلوم التي لا يكون موضوعها القرآن الكريم، وكذلك هو من علوم الرياضيات البحتة.

(٣) علم الفلسفة: وجاء في معناها "أنّ حقيقة الفلسفة إنما هو النظر في الموجودات على الإطلاق، من حيث تدل على صناعتها، ومعلوم طلب النظر في الدلائل والمخلوقات؛ فهذه وجوه تدل على عموم الاستحسان في كل علم على الإطلاق والعموم"^(٢)، وعرفها التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) بقوله: "هي لفظ يوناني معناه التشبّه بحضرة الواجب الوجود، والفلسفة الأولى هي العلم الإلهي"^(٣)، فهو من العلوم العقلية التي يتوصل بها إلى الخالق وصانع هذا الكون بواسطة التفكير في الموجودات.

فكثير من الآيات دلت على وجود خالق الكون إلا أنّ الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في موافقاته لم يعدّ علم الفلسفة من علوم القرآن حينما أورد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤)، إذ قال معقّباً على من عدّ دخول علم الفلسفة في هذه الآية بعلوم القرآن بأنه لا يدخل فيها؛ والسبب أنّ العرب لا عهد لهم بهذا الفعل، والأمر الآخر أنّ التعرف على وجود الله تعالى عن طريق الفلسفة وعرة المسلك صعبة المأخذ بعيدة الملتمس^(٥)، والقرآن كتاب هداية بأبسط الطرق والمسالك فيتخذ منها طريقاً إلى الاستدلال على وجود الخالق بأبسط الطرق والسبل فلا يعدّ هذا العلم المعقد من علومه وأن أشار إليه في النص القرآني؛ لكون ليس كل ما ذكر في نصه لابد أن يكون من علومه فيكون من العلوم التي أشار إليها النص القرآني لا من علومه الخادمة له في بيان معناه ومفرداته.

(٤) علم أصول التعبير أو علم تعبير الرؤيا: وعُرف بكونه "علم يتعرّف منه الاستدلال من المتخيّلات الحلميّة على ما شاهدهته النفس حالة النوم من عالم الغيب"^(٦)، وهذا العلم قد استنبطه "قَوْمٌ مِمَّا فِيهِ مِنْ

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الرزقاني، ١/ ٢٤.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ١/ ٥٥.

(٣) كشف اصطلاح الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١٢٨٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٥) يُنظر: الموافقات، الشاطبي، ١/ ٦٥ و ٦٦.

(٦) كشف اصطلاح الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٥٦.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن أصول التّعبير مثل ما وردَ في قصّة يُوسُفَ في البَقَرَاتِ السَّمَانِ وَفِي مَنَامِي صَاحِبِي السِّجْنِ وَفِي رُؤْيَاهُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومَ سَاجِدَةً وَسَمَّوَهُ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا وَاسْتَنْبَطُوا تَفْسِيرَ كُلِّ رُؤْيَا مِنْ الْكِتَابِ فَإِنْ عَزَّ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجُهَا مِنْهُ فَمِنَ السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ شَارِحَةٌ لِلْكِتَابِ فَإِنْ عَسَرَ فَمِنَ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى اضْطِلَاحِ الْعَوَامِ فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ وَعَرَفَ عَادَاتِهِمُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ "وَأُمِرُ بِالْعُرْفِ" (١)، فهذا العلم أشار إليه القرآن الكريم لا من علومه التي يستند إليها في بيان معانيه ومفرداته.

(٥) علم الفرائض: وقد جاء في تعريف هذا العلم تحت مسمى "علم الفرائض الشرعي" بأنه: "هو فقه المواريث، وعلم الحساب الموصل لمعرفة ما يخص كل ذي حق من التركة. وقيل هو: علم بقواعد فقهية وحسابية يعرف بها نصيب كل وارث من التركة" (٢)، وعرفه التهانوي بقوله: "وهو علم يبحث فيه عن كيفية قسمة تركة الميت بين الورثة، وموضوعه قسمة التركة بين المستحقين" (٣)، فهو علم فقهي حسابي يؤدي إلى معرفة ما لكل صاحب حق من الميراث، وهذا العلم اخذه "قَوْمٌ مِمَّا فِي آيَةِ الْمَوَارِيثِ مِنْ ذِكْرِ السَّهَامِ وَأَرْبَابِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ عِلْمَ الْفَرَائِضِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهَا مِنْ ذِكْرِ النَّصْفِ وَالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالسُّدُسِ وَالْثُّمْنِ حِسَابَ الْفَرَائِضِ وَمَسَائِلَ الْعَوْلِ وَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ أَحْكَامَ الْوَصَايَا" (٤)، وكما معلوم أن هذا العلم فرع من علم الفقه الذي عرف بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية" (٥).

أما عند الأصوليين فعرف: "العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية" (٦)، فعلم الفقه علم عام شامل لجميع الاحكام الشرعية التي تستخرج من القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للشرعية الإسلامية فلا مجال لجعل هذا العلم الفرعي الفقهي علماً مستقلاً من علوم القرآن.

(٦) علم المواقيت: معنى هذا العلم "وهو علم تتعرف منه أزمانه الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها. ومنفعته معرفة أوقات العبادات وتوحي جهتها، والطوالع والمطالع من أجزاء البروج، والكواكب

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٢ / ٤.

(٢) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، اشترك في التأليف: د. مصطفى الخن، د. مصطفى البغا، علي الشرجي، ٦٧ / ٥.

(٣) كشف اصطلاح الفنون والعلوم، التهانوي، ٤٢ / ١.

(٤) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٣ / ٤.

(٥) شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين المحلي الشافعي، ٣٢/١، وما بعدها، يُنظر: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، ٢٤/١، شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى ٦٤٦هـ)، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين النفتازاني (ت ٧٩١هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، وعلى حاشية الجرجاني/ حاشية الشيخ حسن الهروي الفناري (ت ٨٨٦هـ)، وعلى المختصر وشرحه وحاشية السعد والجرجاني/ حاشية الشيخ محمد أبو الفضل الوراق الجيزوي (ت ١٣٤٦هـ)، ١٨/١. والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن أحمد بن بدران، ٥٨.

(٦) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ٣٠ / ١ وما بعدها.

الفصل الأول..... المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها" (١)، فهو علم يتوصل به إلى زمان الايام والليالي فيعرف بواسطته أوقات العبادات.

أما كيف استدل بهذا العلم بواسطة أن قوماً نظروا إلى بعض آيات القرآن الكريم التي تدل على هذا الموضوع "نَظَرَ قَوْمٌ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى الْحُكْمِ الْبَاهِرَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَنَازِلِهِ وَالنُّجُومِ وَالْبُرُوجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ عِلْمَ الْمَوَاقِيتِ" (٢)، وهذا العلم تابع إلى علم الفلك الذي تم بيانه سابقاً واستدل فيه بأنه ليس من علوم القرآن بل من العلوم التي أشار إليها النص القرآني فما حكم فيه على الأصل "علم الفلك" يحكم به على الفرع "علم المواقيت".

(٧) علم الطب: وجاء في تعريفه بأنه "علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض لالتماس حفظ الصحة وإزالة المرض. وموضوعه بدن الإنسان وما يشتمل عليه من الأركان والأمزجة والأخلاق والأعضاء والأرواح والقوى والأفعال، وأحواله من الصحة والمرض، وأسبابها من المأكول والمشرب، والأهوية المحيطة بالأبدان والحركات والسكنات والاستقراغات والاحتقانات والصناعات والعادات والواردات الغريبة، والعلامات الدالة على أحواله من ضرر أفعاله، وحالات بدنه وما يبرز منه والتدبير بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء وتقدير الحركة والسكون والأدوية البسيطة والمركبة وأعمال اليد لغرض حفظ الصحة وعلاج الأمراض بحسب الإمكان" (٣)، فهو ما يهتم بتكوين الإنسان وما يتعرض له من أمراض فيشخصها، ويحدد العلاج المناسب لها، فضلا عن تحديد الطعام والشراب المفيد لجسم الإنسان وبهذا يتمتع الإنسان بصحة جيدة إذا اتبع إرشادات هذا العلم.

وقد ذكر بأنه علم من علوم القرآن السيوطي (٤) بقوله: "أَمَّا الطِّبُّ فَمَدَارُهُ عَلَى حِفْظِ نِظَامِ الصِّحَّةِ وَاسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ وَذَلِكَ إِنَّمَا بِاعْتِدَالِ الْمِرَاجِ بِتَفَاعُلِ الْكَيْفِيَّاتِ الْمُتَضَادَّةِ وَقَدْ جَمَعَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدث الشفاء للبدن بعد اختلاله في قوله تعالى: {شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} ثُمَّ زَادَ عَلَى طِبِّ الْأَجْسَامِ بِطِبِّ الْقُلُوبِ وَشِفَاءِ الصُّدُورِ" (٥)، وهذا من العلوم التي أشار إليه القرآن أيضاً لا من علومه المستقلة.

(٨) علم الجدل: ومعنى "علم الجدل هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان أخذ فيه، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، كما في مناظرة الخليل الجبار لما قال ربي الذي يحيي

(١) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٦٣.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/ ٣٣.

(٣) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٥٦.

(٤) تحت مسمى: النوع الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن. يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/ ٢٨.

(٥) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/ ٣٣.

الفصل الأول..... المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن ويميت، فقال الجبار أنا أحيي وأميت، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه فقتله فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، فانتقل عليه الصلاة والسلام منه إلى أن قال (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) (البقرة/ ٢٥٨) أي الجبار ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها لأن من هو أسن منه يكذبه" (١)، أما عند أهل المنطق فهو "القياس المؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة، وصاحب هذا القياس يسمى جدلياً ومجادلاً، أعني الجدل قياس مفيد لتصديق لا يعدّ فيه الحقيقة وعدمها بل عموم الاعتراف، أو التسليم مركّب من مقدمات مشهورة لا يعدّ فيها اليقين، وإن كانت يقينية بل تطابق جميع الآراء كحسن الإحسان إلى الآباء أو أكثرها كوحدة الإله أو بعضها المعين كاستحالة التسلسل من حيث هي كذلك، فإن المشهورات يجوز أن تكون يقينية بل أولية لكن بجهتين مختلفتين، أو مركّب من مقدمات مسلمة إما وحدها أو مع المشهورات، وهي أي المسلّمات قضايا توجد من الخصم مسلمة أو تكون مسلمة فيما بين الخصوم، فيبني عليها كلّ واحد منهما الكلام في دفع الآخر حقة، كانت أو باطلة، مشهورة كانت أو غير مشهورة. ثم أخذ القياس في التعريف يشعر بأنّ الجدل لا ينعقد على هيئة الاستقراء والتمثيل وليس كذلك، اللهم إلا أن يراد بالقياس مطلق الدليل" (٢)، إذ إنّ القرآن الكريم قد "حَوَتْ آيَاتُهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْمُقَدِّمَاتِ وَالنّتَائِجِ وَالْقَوْلِ بِالْمَوْجِبِ وَالْمُعَارَضَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ شَيْئاً كَثِيراً وَمناظرة إبراهيم نمرود وَمُحَاجَّتُهُ قَوْمَهُ أَصْلٌ فِي ذَلِكَ عَظِيمٌ" (٣)، إلا أنّ ذكرها في النص القرآني لا يدل على أنها من علوم القرآن؛ كون العلوم العقلية من الفلسفة والمنطق وغيرها علوماً لا ترتبط بعلوم القرآن التي أشار إليها النص القرآني بالمفهوم أو المصطلح، وعليه فهي من العلوم التي أشار إليها القرآن فهي خارجة من دائرة علومه.

(٩) علم الجبر والمقابلة: وجاء في معناه "علم الجبر والمقابلة وهو علم يعرف به المجهولات العددية من معلوماتها المخصوصة حال كون تلك المجهولات على وجه مخصوص من فرض المجهول شيئاً، وحذف المستثنى من أحد المتعادلين وزيادته على الآخر، وإسقاط المشترك بين المتعادلين، على ما بين في كتب الحساب، كذا في شرح خلاصة الحساب" (٤)، وهو علم الحساب أيضاً، أما كيف اعتبر من علوم القرآن فقد جاء "أَمَّا الْجَبْرُ وَالْمُقَابَلَةُ فَفَقَدْ قِيلَ إِنَّ أَوَائِلَ السُّورِ فِيهَا ذِكْرٌ مُدَدٍ وَأَعْوَامٍ وَأَيَّامٍ لِتَوَارِيخِ أُمَّمٍ سَالِفَةٍ وَإِنَّ فِيهَا تَارِيخَ بَقَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَارِيخَ مُدَّةِ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ مَضْرُوبٌ بَعْضُهَا فِي

(١) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢٧٥ / ١ و ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ٥٥٣ / ١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٤ / ٤.

(٤) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٥٤٨ / ١.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تأريخ القرآن بعض^(١)، وعلم الجبر أو المقابلة أو الحساب من العلوم التي أشار إليها النص القرآني إلا أن هذا الذكر لا يسوغ أن تعد من علومه.

وهناك كثير من العلوم التي عدت من علوم القرآن إلا أنها ليست كذلك، بل هي من العلوم التي أشار إليها القرآن، وهذا التوسع في المباحث راجع إلى نظر العلماء لما ذكر في النص القرآني كما في نظر "أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معانٍ ودقائق جعلوا لها أعلامًا اصطلاحًا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التي أخذتها الأمة الإسلامية منه"^(٢)، فقالوا بعلم "الفناء والبقاء والحضور وغيرها"، وكذلك علم أصول الصنائع وأسماء الآلات فقالوا ان في القرآن الكريم "أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالحياطة في قوله: {وَوَطِّعًا يَخْصِفَانِ} والحداثة {أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ}؛ {وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ} الآية والبناء في آيات، والنجارة {وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا}"^(٣). وكذلك "الغزل {تَقَصَّتْ غَزْلَهَا}. والنسج {كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا}. والفلاحة {أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} الآيات. والصيد في آيات. والغوص {كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ} {وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَةً}. والصياغة {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا}. والزجاجية {صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ} {المصباح في زجاجية}. والفخارة {فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ}. والملاحة {أَمَّا السَّفِينَةُ} الآية. والكتابة {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}. والحبز {أَحْمِلْ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا}. والطبخ {بِعَجَلٍ حَنِيذٍ}. والغسل والقصارة {وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ} قال الحواريون: وهم القصار ون والجزارة {لَا مَا ذَكَّيْتُمْ}"^(٤)، وغيرها أقصر الباحث على ذكر ما سبق لعدم الاطالة في ذكرها.

إنَّ الاطالة في ذكر هذه العلوم جاءت بسبب الخلط الذي حصل بين العلوم التي تعتبر وسيلة لفهم القرآن من غيرها " قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن، وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيلة بالحقيقة، فإن علم العربية، أو علم الناسخ والمنسوخ، وعلم الأسباب، وعلم المكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم أصول الفقه، معلوم عند جميع العلماء أنها معينة على فهم القرآن، وأما غير ذلك؛ فقد يعده بعض الناس وسيلة أيضا ولا يكون كذلك، كما تقدم في حكاية الرازي في جعل علم الهيئة وسيلة إلى فهم قوله تعالى: {أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج} {ق: [٦]. وزعم ابن رشد الحكيم (ت ٥٩٥هـ) في كتابه الذي سماه ب (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/ ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ٤/ ٣٥.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن (من الاتصال) أن علوم الفلسفة مطلوبة؛ إذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها، ولو قال قائل: إن الأمر بالضد مما قال لما بعد في المعارضة. وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم، هل كانوا آخذين فيها، أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن" (١)، فإدراج العلوم التي لا تكون وسيلة لفهم القرآن الكريم يؤدي إلى إدخال ما ليس بعلوم القرآن بعلومه فيكون خارجاً عن دراسة الاطروحة.

والأمر الآخر أن علماء علوم القرآن قد جمعوا كل العلوم الواردة في القرآن الكريم وجعلوها جميعاً من علومه، و "إنما جمعت هذه العلوم ولم تقرد؛ لأنه لم يقصد إلى علم واحد يتصل بالقرآن، إنما أريد شمول كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه. وينتظم ذلك علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني وعلم إعجاز القرآن وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلم غريب القرآن وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك. وتلك أشتات من العلوم توسع السيوطي فيها حتى اعتبر منها علم الهيئة والهندسة والطب ونحوها" (٢)، ونتج عن هذا الجمع إدخال ما ليس بعلوم القرآن بعلومه مما زاد التوهم بأنها منه، والحق أنها ليست بعلوم القرآن؛ لكونها اجتهادات لعلماء يشوبها الصواب والخطأ في تحديدها.

فالعولم الكونية أو المعارف والصنائع وكل ما وجد في هذا العالم أو سيوجد بالمستقبل لا يعد من علومه بل تعدُّ علوماً أشار إليها القرآن في آياته الكريمة، "أما العلوم الكونية، وأما المعارف والصنائع، وما جدّ أو يجدّ في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب، وعلم الهيئة والفلك، وعلم الاقتصاد والاجتماع، وعلم الطبيعة والكيمياء، وعلم الحيوان والنبات، فإن شيئاً من ذلك لا يجمل عده من علوم القرآن. لأن القرآن لم ينزل ليدل على نظرية من نظريات الهندسة مثلاً، ولا ليقرر قانوناً من قوانينها، وكذلك علم الهندسة لم يوضع ليخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسرارها. وهكذا القول في سائر العلوم الكونية والصنائع العالمية، وإن القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها خصوصاً عند الحاجة إليها، وإنما قلنا: إنه لا يجمل اعتبار علوم الكون وصنائعها من علوم القرآن مع أن القرآن يدعو إلى تعلمها، لأن هناك فرقاً كبيراً بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصاته، وبين العلم يدل القرآن على مساءلة ويرشد إلى أحكامه ... " (٣).

وعليه لا بدّ من التأكيد على أنّ النصّ القرآني هو " كتاب هداية وإعجاز وعلى هذا فلا يليق أن

(١) الموافقات، الشاطبي، ١٩٨ / ٤.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٢٣ / ١.

(٣) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفاي وعبد الله الشريف، ٢٩.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شيء من الكونيات فإنما ذلك للهداية ودلالة الخلق على الخالق ولا يقصد القرآن مطلقاً من ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة والكيمياء ولا أن يحل مسألة حسابية أو معادلة جبرية أو نظرية هندسية ولا أن يزيد في علم الطب باباً ولا في علم التشريح فصلاً، ولا أن يتحدث عن علم الحيوان أو النبات أو طبقات الأرض إلى غير ذلك، ولكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسعوا في علوم القرآن ومعارفه فنظموا في سلكها ما بدا لهم من علوم الكون وهم في ذلك مخطئون ومسرفون وإن كانت نيتهم حسنة وشعورهم نبيلاً ولكن النية والشعور مهما حسناً لا يسوغان أن يحكي الإنسان غير الواقع ويحمل كتاب الله على ما ليس من وظيفته خصوصاً بعد أن أعلن الكتاب نفسه هذه الوظيفة وحددها مرات كثيرة منها قوله سبحانه: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} ومنها قوله جلت حكمته: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، ومما يجب التقطن له أن عظمة القرآن لا تتوقف على أن نتحل له وظيفة جديدة ولا أن نحمله مهمة ما أنزل الله بها من سلطان فإن وظيفته في هداية العالم أسمى وظيفة في الوجود ومهمته في إنقاذ الإنسانية أعلى مهمة في الحياة وما العلوم الكونية بإزاء الهدايات القرآنية؟ أليس العالم الآن يشقى بهذه العلوم ويحترب وينتحر؟ ثم أليست العلوم الكونية هي التي ترمي الناس في هذه الأيام بالمنايا وتقذفهم بالحمم وتظهر لهم على أشكال مخيفة مزعجة من مدافع رشاشة ودبابات فتاكة وطائرات أزرّة وقنابل مهلكة وغازات محرقة ومدمرات في البر والبحر وفي الهواء والماء وما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدى الله ووحى السماء بالأنبياء والمخالب للوحوش الضارية والسباع الواغلة في أديم الغبراء!!^(١)، هذا الكلام غير دقيق فالعلم لا يرمي الإنسان بالتهلكة، وإنما سوء التصرف البشري بهذه العلوم، وتوحشه، واسعباده للآخرين من خلال قتلهم وتشريدهم واهلاكهم تكون نتيجة الهلاك للعنصر البشري من يد الإنسان لا العلم.

وهذا التوسع في مباحث علوم القرآن أدى ببعض "الباحثين من عبارة «علوم القرآن» مفهوماً ينطوي على كثير من التجوز والتأويل. ذلك لأنهم يرون أن علوم القرآن تعني كل ما يمكن أن يشير إليه من مختلف المعارف وما يدل عليه من المعلومات. وقد ظهر ذلك في اتجاه بعض المحدثين إلى محاولة ربط القرآن بما تطور في زماننا هذا من علوم تجريبية وما ظهر من مخترعات آلية. وليس هذا الاتجاه مما يخدم الدراسات القرآنية، ولا يجوز أن يقم على كتاب الله المعجز. فماذا يكون لو ربطنا بالتأويل البعيد بين نظرية علمية اشتهرت وبين نص قرآني، ثم ظهر بطلان هذه النظرية، كما يحدث في كثير من الأحيان وقد كتب

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٢ / ٣٥٤.

الفصل الأول المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن في هذا الموضوع أستاذ فاضل من أساتذة الأزهر هو الشيخ محمد الزرقاني كلاماً أحب أن أنقله لكم لأطلعكم على رأي رجل متتور من رجال الدين حول هذا الموضوع. يقول: (إن القرآن كتاب هداية وإعجاز، من أجل هذين المطمحين نزل، وفيهما تحدث، وعليهما دل، فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته، أو يتصل به من ناحية هدايته وإعجازه فذلك من علوم القرآن. وهذا ظاهر في العلوم الدينية والعربية) (١) " (٢).

فلا بد من الأخذ بالحسبان " أن القرآن الكريم يحث الإنسان على طلب العلم ويدعوه إلى النظر والتأمل في حقائق الكون، لكنه لا يقصد إلى تعليم المؤمنين تفصيلات المعارف الكونية. ومن هنا كان الزج بهذه المعارف في تفسير القرآن من باب التأويل الذي قد يسيء إلى نصوص الكتاب الكريم، وإن حسنت نية الساعي إلى هذا التأويل" (٣).

والأمر الذي يريد الباحث الإشارة إليه هو أن عدم الاعتماد على أساس العلم الذي يصطلح عليه في علوم القرآن بأن يكون موضوعه القرآن الكريم لا شيء آخر جعل من العلماء أمثال السيوطي والزرقاني وغيرهم من الاتيان بعلوم كثيرة نسبت إلى النص القرآني وهي خارجة عن موضوعه، والباحث هدفه من الأطروحة هو بيان مدخلية النص القرآني في التأسيس لعلوم القرآن، فما كان موضوعه ومجال بحثه غير القرآن فلا يعد من علومه؛ كونه يعتمد في بيانه على علوم أخرى في إثباته كالعلوم التجريبية لعلم الفلك والهيئة والهندسة والرياضيات، ويمكن القول إن النص القرآني أشار إلى هذه العلوم؛ كونه كتاباً سماوياً معجزاً ومرجعاً يُعتمد عليه في كل شيء؛ ولكونه لم يترك شيئاً الا وأشار إليه، الا أنه ننسب كل ما ورد من علوم فيه إلى علوم القرآن، أو تاريخه أمر لا بد من التأكد والنظر فيه.

وخلاصة القول لما سبق إن علماء علوم القرآن قد اجتهدوا في إظهار جميع ما وجد في النص القرآني من علومه، وهو زاخر في هذا الشيء كيف لا وهو خاتم الكتب السماوية ومعجزة النبي الأعظم محمد (ﷺ) الذي جاء به من الله تعالى إلى جميع الخلق ولجميع الأماكن والازمان فكثرت علومه لا شك فيها، لكن أن تتسب جميع العلوم والمباحث التي أشار إليها العلماء في مؤلفاتهم بأنها من علوم القرآن محط تأمل وتفكر ونظر!، وعليه كشف هذا الفصل من الأطروحة عن أن هناك علوماً منبثقة من القرآن الكريم قد وردت في النص القرآني، وموضوعها القرآن وهذه العلوم في صلب دراسة الباحث، وتم الإشارة إليها في المبحث الثاني من هذا الفصل، والأمر الآخر الذي توصل إليه الباحث أن هناك علوماً قد ذكرت في النص القرآني وهي خادمة للنص القرآني، ومرتبطة به بصورة غير مباشرة، وهي من علومه

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٢٤/١.

(٢) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفاقي وعبد الله الشريف، ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ٢٩.

الفصل الأول..... المبحث الرابع: علوم أشار إليها القرآن الكريم وهي ليست من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن أيضاً، وجاءت تحت مسمى تاريخ القرآن، وقد تم الإشارة إليها في المبحث الثالث من هذا الفصل، وهناك علوم خضعت لاجتهاد العلماء فيما بينهم كلٌ حسب اجتهاده أدت إلى ادخال ما ليس بعلوم للقرآن في علومه وهذا ما أشار إليه الباحث في هذا المبحث، لهذا سيتم التركيز في هذه الأطروحة على ما تم ذكره من علوم لعلوم القرآن في المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل بعون من الله تعالى وببركة نبيه واله الطيبين الطاهرين (عليه السلام).

الفصل الثاني

توظيف علوم القرآن

في معرفة مقاصد القرآن الكريم

- توطئة
- المبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن
- المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن
- المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن
- المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

الفصل الثاني

توظيف علوم القرآن في معرفة مقاصد القرآن الكريم

توطئة:

من الأمور المتسالم عليها بين المسلمين أنّ للنص القرآني مكانة كبيرة في حياتهم الدنيوية والآخرية؛ كونه يعد المصدر الأساسي والأول في التشريع العملي الإلهي، فهو المنطلق والمرتكز الذي يرتكز عليه المسلم بتعاملاته مع ربه بجميع أمور حياته، وهو المرتكز الأساسي في فهم علوم القرآن ومباحثه التي ترتبط به، وهناك منهج وضعه النص القرآني لهذا الفهم سواء في التشريعات أم في مباحث علوم القرآن، وهذا الشيء يؤدي إلى ضرورة فهم النص القرآني الذي يؤدي إلى فهم هذا المنهج. إنّ للنصّ القرآني المكانة والمنزلة العظيمة، وأدى هذا إلى بذل الجهد الكبير من العلماء في بيانه وفهمه واستخراج مباحثه وعلومه، كل ذلك من أجل ان يلبي ما يحتاجه الفرد المسلم، وعلاوة على ذلك ليكونوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١)، وأيضاً ليستجيبوا لما وجّه إليه الحق تعالى في قول المبارك: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ الْإِقْلِيلَ ﴾ (٢)، ولهذا لم يكن فهم العلماء للنص القرآني عشوائياً، فقد خضع فهمهم لضوابط وقواعد وآليات حددت من أجل فهم ما جاء النص القرآني كل ذلك من أجل أن يصلوا إلى أسمى هدف ألا وهو "فهم النص القرآني" والكشف عن ما جاء به، وقد أسهمت علوم كثيرة في ذلك، ومنها علوم القرآن، ومعرفة هذه التوظيفات يجعل من علوم القرآن الساحة الواسعة لعدة توظيفات، وهذا الفصل سوف يتم الكشف فيه عن بعض التوظيفات في بيان مقاصد القرآن الكريم، ومن أجل الوقوف على هذه الوظائف سيتم البحث عن الأمور الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالتوظيف لغة واصطلاحاً:

من أجل بيان ما نقصده من لفظة "التوظيف" لابد من التطرق إلى معناها كالآتي:

(١) التعريف بالتوظيف لغةً:

التوظيف من المصادر المشتقة واشتقاقه من الفعل الثلاثي "وظف"، وأشار الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) إلى معناه في معجمه بقوله: "وظف: الوظائف جمع الوظيفة، والوظيفة في كل شيء: ما يقدم

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

الفصل الثاني توطئة

كَلَّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ عَلْفٍ أَوْ شَرَابٍ" (١)، فالمعنى التقدير، كما وافقه ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) (٢)، وايضاً وافق ابن منظور (٧١١هـ) ما ذكره الخليل وابن فارس في بيان معنى "وظف" (٣)، إلا أنه زاد عليهما حينما قال: "وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل" (٤)، ولم يذهب الزبيدي (١٢٠٥هـ) بعيداً عما ذكره من سبقه في بيان معنى "التوظيف" إذ قال: "الْوُظَيْفَةُ، كَسَفِينَةٍ: مَا يُقَدَّرُ لَكَ فِي الْيَوْمِ وَكَذَا فِي السَّنَةِ وَالزَّمَانِ الْمُعَيَّنِ، ... وَوُظِفْتُ، بِضَمِّتَيْنِ. وَالتَّوْظِيفُ: تَعْيِينُ الْوُظَيْفَةِ يُقَالُ: وَظَفْتُ عَلَى الصَّبِيِّ كُلَّ يَوْمٍ حِفْظَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٥).

وخلاصة القول إنَّ "التوظيف" معناه الإلزام والتقدير والتعيين والشرط والعهد، فقد حوت معاني متنوعة اتضحت من قراءة التعريفات اللغوية السابقة.

(٢) تعريف التوظيف اصطلاحاً:

التوظيف اصطلاحاً مأخوذ من "وظف" التي تعني الإلزام، بمعنى تعيين عمل ما لشخص أو للشيء، كتوظيف شخص ما من أجل جباية الخراج أو كتوظيف المال في عمل التجارة (٦)، كما أن هناك من لم يعرفه مفرداً بل عرفه بالإضافة أو الوصف كتوظيف الموارد أو توظيف المال أو تحليل وظيفي أو سياسة توظيفية أو تحول وظيفي أو أنماط وظيفية (٧)، وبهذه الإضافة شابه التعريف ما عنونت هذا الفصل به "توظيف علوم القرآن".

وعند مقابلة المعنى اللغوي للتوظيف مع المعنى الاصطلاحي يلحظ عدم وجود اختلاف بينهما لأنهما يدلان على تحديد وتقدير شيء معين لشيء بما يناسبه كما لو قدرنا للإنسان ما يناسبه من ماء وطعام بما يكفيه ليوم أو يومين أو شهر فالمعنى كله توظيف، أو المعنى تقدير ما يتطلبه عمل ما من توظيف للطاقات والقدرات من أجل إنجازه، أو يتم توجيه قدرات صبي ما في حفظ آيات القرآن الكريم بضوابط معينة ومحددة.

وبناءً على ما سبق يتضح أنَّ "وظائف علوم القرآن" كل ما له وظيفة التقدير والتحديد لبيان ما يقصده النص القرآني من أجل بيانه وتوجيهه واستكشاف دلالاته، فإنَّ المقصود من "توظيف علوم

(١) العين، الخليل، ٨ / ١٦٩. مادة (وُظِفَ).

(٢) يُنْظَرُ: مَقَابِيسُ اللُّغَةِ، ابن فارس، ٦ / ١٢٢. مادة (وُظِفَ).

(٣) يُنْظَرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ابن منظور، ٩ / ٣٥٨. مادة (وُظِفَ).

(٤) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، ٩ / ٣٥٨. مادة (وُظِفَ).

(٥) تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، الزبيدي، ٢٤ / ٤٦٤. مادة (وُظِفَ).

(٦) مَعْجَمُ لُغَةِ الْفُقَهَاءِ، محمد رواس قلنجي، و حامد صادق قنبي، ١٥١.

(٧) يُنْظَرُ: مَعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ، احمد مختار، ٣ / ٢٤٦٤. ومعجم المصطلحات الألسنية، د. مبارك مبارك، ١١١.

الفصل الثاني توطئة

القرآن" هو أن لعلوم القرآن أهمية كبيرة ومهمة في بيان مقاصد القرآن الكريم؛ لكون هذه العلوم ترتبط ارتباطاً مباشراً مع النص القرآني في بيانه وتوضيح معانيه، وهناك عدد من الوظائف التي بينت مقاصد القرآن الكريم سيحاول الباحث الكشف عنها، وبيان مدى مدخلية النص القرآني في وضعها، وتوظيفها مع ذكر بعض التوظيفات على سبيل المثال لا الحصر.

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد لغةً واصطلاحاً:

من أجل رفع اللثام عن معنى "المقاصد" سيتطرق الباحث إلى بيان الأمور التالية:

(١) التعريف بالمقاصد لغةً:

تدل كلمة "المقاصد" ويراد بها معاني متعددة في اللغة منها: إتيان الشيء، والاعتماد، واستقامة الطريق، قال الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) معنى اللفظة: "القصْد: استقامة الطريقة، قصد يقصد قصداً فهو قاصد، والقصد في المعيشة لا يسرف ولا يقتر" (١)، وهي جمع لكلمة "مقصد" وهي مصدر ميمي أشق من "قصد"، حدد ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) جذر "قصد" بثلاثة أصول من حيث الدلالة بقوله: "القاف والصاد والذال أصول ثلاثة، يدلُّ أَحَدَهَا عَلَى إِيْتَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرَ عَلَى اكْتِنَازِ فِي الشَّيْءِ فَالْأَصْلُ: قَصَبْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا، وَمِنْ النَّبِ، أَقْصَدَهُ السُّهُمُ، إِذَا أَصَابَهُ فُقُتِلَ مَكَانَهُ" (٢).

وخلاصة القول إن لفظة "قصد" دلت على معانٍ متعددة ومشاركة في اللغة، إلا أن الغالب في هذه المعاني ينصرف إلى التوجه والعزم إلى الشيء وتحصيل الفائدة أو الغرض، وبمعنى المصلحة ونحو ذلك.

(٢) التعريف بالمقاصد اصطلاحاً:

عُرفت "المقاصد" في الاصطلاح غالباً بما تضاف إليه فهي في الغالب تضاف إلى الشرع وهو المشهور بين أهل الاصطلاح، وتضاف تارة أخرى إلى القرآن الكريم وهو المقصود هنا مع كونها أعم وأشمل من "مقاصد الشريعة"؛ لأن القرآن الكريم هو الأصل، والشرع فرع كما هو معلوم، وسيكتفي الباحث بتعريفها مضافةً إلى القرآن الكريم كونها هي المطلوبة في المقام، ومن هذه التعريفات ما ذكره ابن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) بقوله: "معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصلحة وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها" (٣)، وهو بهذا البيان يشير إلى المقصد العام في الإسلام بأن يجلب منفعة

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، ٢٧٤ / ٨، مادة "قصد".

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٩٥/٥، مادة "قصد".

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأقامة، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ١٠ / ١.

الفصل الثاني توطئة

ويدراً مفسدة، ويلحظ أن هذا التعريف قريب جداً من كثير من تعريفات العلماء لـ "مقاصد الشريعة" التي عرفها علال الفاسي (ت ١٣٩٤هـ) بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" (١)، وأجمل أحمد الريسوني تعريف مقاصد الشريعة بقوله: "مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد" (٢)، فكل ما يجلب منفعة ويدفع مفسدة هو من أسس مقاصد القرآن الكريم، وعليه فهي من الأمور الواضحة المذكورة في القرآن الكريم أو بعضه؛ كونها "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد" (٣)، بمعنى العلة من نزول القرآن.

ويخلص الباحث أن تعريف "مقاصد القرآن" تماشياً لما ذكر سابقاً بأنها المقاصد التي نزلها الباري عز وجل في كتابه من آيات القرآن وسوره التي عرفت رسالة الإسلام، وحققت منهجه في هداية الخلق، فهي دراسة للحكم والأسرار والغايات التي من أجلها أنزل الله تعالى كتابه العزيز من أجل تحقيقها، والتي تجلب منفعة وتدفع مفسدة، وخلاصة القول الغايات التي نزل القرآن الكريم من أجل تحقيقها بما يخدم مصلحة العباد.

وما يصبو إليه الباحث في هذا الفصل هو بيان كيفية توظيف علوم القرآن في النص القرآني من حيث وتوجيهه واستكشاف دلالاته من جهة تحديدها وتقديرها واستثمارها، وهذا التوظيف كشف عن مقاصد القرآن الكريم التي تهتم بدراسة الغاية التي نزل بها النص القرآني بجلب المنافع ودفع المفسدات كل ذلك بما يخدم مصالح العباد التي هي من أسس مقاصد القرآن الكريم، وهي تدلّ أيضاً أنّ علوم القرآن لا يمكن أن تحدد أو تخصص بوظيفة واحدة فهناك علم واحد من علوم القرآن يؤدي أكثر من وظيفة، وهذا ما سيتم الكشف عنه، وهو الهدف المنشود من هذا الفصل بأنّ علوم القرآن من جهة التوظيف لا تحدد ولا تخصص بعلم أو وظيفة دون الآخر.

(١) مقاصد الشريعة ومكارمها، ٧.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ٦-٧، وينظر: كتابه الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، ١٣.

(٣) المدخل إلى مقاصد القرآن، عبدالكريم حامدي، ٣١.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

المبحث الأول

التوظيف العقدي لعلوم القرآن

المدخل:

الدين الإسلامي من أول ظهوره أسس وأهتم ببناء عقيدة وأيمان المسلم حتى أنه قام على هذا الأساس في بناء الدين، ووفق هذا البناء والتأسيس ينطلق المسلم في ضبط تصرفاته وحركاته وفق ضوابط، وهذه الضوابط تقوم بالبيان الكامل للمسلم بعقيدته الحقّة من وجود الخالق وتوحيده، وعدم الاشراف به إلى الايمان بكل ما جاء به أنبيائه ورسله، وأيضا معرفة لماذا وجد في هذه الحياة وكيفية السير بها ومصيره النهائي، وهذا ما يسمى بـ (علم العقيدة) وهذا ما انماز به الدين الإسلامي، وذلك "بدعوته الحثيثة نحو المعرفة، وبأن لا يكون المرء منقاداً إلى الإيمان بما يطرحه دون تعقل وتفكر، بل وحكم في الشرع الإسلامي أنّ من أقرّ بالإسلام وبوجود الله عن تقليد بحت فإيمانه غير مقبول، ولهذا نجد المصادر الإسلامية الأساسية أكان من جهة القرآن الكريم أم أحاديث المعصومين نجدها مفعمة بتحريك العقل نحو التأمل والتفكر بأمر الكون والحياة والدين، وتدعو إلى ذلك بكلّ إصرار ووضوح" (١)، فالمسلم مطالب بالتفكير والتأمل بأمر الكون ومعرفة دينه الإسلامي وكيفية السير في حياته الدنيا بمسار يؤهله إلى الفوز بنعيم الآخرة، وهذا كله مبني على الأساس في الدين وهو العقيدة التي تؤسس إلى نظام ديني يؤسس ويسير العلاقات الاجتماعية بين الناس، وهذا النظام تابع إلى سلطة قوية تخضع لها جميع السلطات والقوانين الوضعية؛ كونها صادرة من الخالق المتسلط على جميع ما خلق "النظام الديني سلطة قوية لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس في ضوء مشيئة قوى فوق بشرية، ولهذا فإن قواعد السلوك الخلقية لا يمكنها البقاء والاستمرار بدون سلطة الاعتقاد الديني" (٢)، إنّ للعقيدة تأثيراً كبيراً وواضحاً في التصنيفات والمؤلفات، فما من عالم أو مؤلف في أي علم من العلوم الا وانطلق من عقيدته وما يؤمن له فتجدها واضحة على كتابته ومصنفاته، وهذا الأمر واضح بالمؤلفات التي تهتم بالشأن القرآني وما يرتبه به (٣).

وبناءً على ما تقدم فإنّ ما سيتم بحثه هو التوظيف العقدي بمعنى المهام والتوجيه لعلوم القرآن

(١) دروس في أصول الدين، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ٣.

(٢) دراسات في الضبط الاجتماعي، فاروق محمد العادلي، ٢٥. يُنظر: التوظيف التربوي للقيم في القرآن الكريم، جامع الكتب الإسلامية، ٢/١.

(٣) فمثلاً تفسير الشيعة؛ كمجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي، وتفسير المعتزلة كالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري، وتفسير الأشاعرة؛ كصفوة التفاسير للصابوني، وتفسير الأشاعرة أهل الكلام؛ كمفاتيح الغيب للإمام فخر الرازي... وغيرها - كلها تصدر قبل كلّ شيء عن عقائد أصحابها ومذاهبهم.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

التي كشفت عن دلالات النص القرآني بالجانب العقدي، وما حددتها هذه العلوم في هذا التوظيف لعلوم القرآن بما يلائم مقصد القرآن الكريم بجلب المنفعة ودرء مفسدة كل ذلك بما يخدم ويستثمر في مصلحة الفرد المسلم.

ولبيان ذلك سيتم البحث عن الأمور التالية:

المطلب الاول: التعريف بالعقائد لغة واصطلاحاً:

(١) التعريف بالعقائد لغة:

لفظة العقيدة مأخوذة من "عقد يعقد عقدة وعقداً" والمعنى الإحكام والربط والابرام والشد بقوة وإذا ارتبط بالقلب الشيء فلا ينزع عنه "عقد: الأعقاد والعقود: جماعة عقد البناء. وعقدته تعقيداً أي جعل له عقوداً. وعقدت الحبل عقداً، ونحوه فأنعقد... وعقدته كل شيء: إبرامه. وعقدته النكاح: وجوبه. وعقدته البيع: وجوبه... وعقد قلبه على شيء: لم ينزع عنه... " (١)، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) "عقد العین والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروغ الباب كلها. من ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود. قال الخليل: ولم أسمع له فعلاً. ولو قيل عقد تعقيداً، أي بنى عقداً لجاز. وعقدت الحبل أعقده عقداً، وقد انعقد، وتلك هي العقدة... وعقدته النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه. والعقدة في البيع: إيجابه... وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه... " (٢)، فالمعنى مأخوذ من عقدة الحبل أي أحكام الشد وعدم الانفكاك، لهذا جاء ان معنى عقد نقيض الانفكاك والحل (٣).

مما تقدم يتضح أن معنى العقائد الإحكام وعدم الانفكاك أو الحل والابرام والوجوب والشد والربط، والتأكيد والتوثيق وهذا يشمل الأمور الحسية كعقد الخيط أو الحبل، أو الأمور القلبية المعنوية كعقد الزواج أو البيع، وما سوف يتم بيانه هو العقيدة التي لا تتفك عن قلب المسلم وتسمى "العقيدة الإسلامية" وهي من الأمور القلبية.

(٢) التعريف بالعقيدة اصطلاحاً:

عرفت العقيدة بالمعنى الاصطلاحي "اعتقدت كذا عقداً عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنة سالمة من الشك" (٤)، فالعقيدة تطلق "على الأمر الذي يعتقد

(١) العين، الخليل، ١/ ١٤٠. مادة (عقد).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٨٦. يُنظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٦٦٨. والمفردات في غريب القرآن، الاصفهاني، ٥٧٦. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٣٠٠. مادة (عقد).

(٣) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٢٩٦. مادة (عقد).

(٤) المصباح المنير، الفيومي، ٢/ ٤٢١.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

الإنسان، ويعقد عليه قلبه وضميره، بحيث يصير عنده حكمًا لا يقبل الشك" (١)، فإنَّ هذا هو أصل العقد: وهو أنه نقيض الحل، وهو وصل الشيء بغيره كما تعقد الحبل بالحبل، ثم استعمل في جميع أنواع العقود في المعاني والأجسام" (٢)، هذا المعنى للعقيدة بصورة عامة سواء بالأمور المادية، أم بالأمور المعنوية أي ما عُقد عليه قلب الإنسان وضميره فلا ينفك عنه.

أما العقيدة اصطلاحاً من منظور الإسلام فُعرفت بأنها "معرفة الخالق، معرفة المبلِّغ، معرفة ما تُعبد به، والعمل به، الأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة، الاعتقاد بالمعاد والدينونة، التوحيد، العدل، النبوة، الامامة، المعاد" (٣)، فالمعنى معرفة خالق الكون مع الايمان باصول التوحيد الأخرى، وجاء أيضاً أنَّ "العقيدة هي التصور الكوني الإسلامي للكون والحياة والإنسان والتاريخ وعليه: فان العقيدة هي الرؤية الكونية للإسلام التي تجيب عن الأسئلة الأزلية عن موجد الكون، والراعي له، وعن خالق الإنسان والحياة ذاته وصفاته، وقدرته وعدله ووسيلة اتصاله بالبشر والنبوات وملحقاتها والمعاد والسلطة الإلهية الدنيوية" (٤)، كما جاء بأنها "مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يؤمن بها، وتكون عنده يقيناً لا يمازجه شك" (٥)، فالمعنى يكون ما عُقد عليه القلب وجزم على توحيد والايان بالله تعالى من دون أي شك (٦)، كون العقيدة ما دان به الإنسان (٧)، والإنسان المسلم يجب عليه أن يدين بدين الإسلام ويؤمن بوجود خالق لهذا الكون إذ إنَّ العقيدة "هي ما يدين به الإنسان ربه وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة،... فالعقيدة إذاً ليست أموراً عملية، إنما هي الأمور الدينية العلمية التي تجب على المسلم اعتقادها في قلبه لإخبار الله تعالى بها بكتابه أو بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" (٨)، فالعقيدة من الأمور القلبية المعنوية

(١) التعريف بالإسلام، مركز قطر للتعريف بالإسلام ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بقطر، ٩٧.

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ١٧. يُنظر الآية الأولى من سورة المائدة، تفسير القرطبي ٣١/٦. والبحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، ٤٠٩/٣.

(٣) أصل الشيعة واصولها، محمد حسين كاشف، ٢١٠.

(٤) حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي، محمد كاظم حسين الفتلاوي، ٣.

(٥) التعريف بالإسلام، مركز قطر للتعريف بالإسلام ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بقطر، ٩٧.

(٦) يُنظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ٥٥، ومجموع فتاوى ابن باز، ٢١٨/٦. وشرح العقيدة السفارينية، ابن عثيمين، ٧٤/١.

(٧) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/٨٨. والمصباح المنير، الفيومي، ٧١ / ٢. وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ١٩.

(٨) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ٢٠.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

التي يجب على الانيسان المسلم الاعتقاد بها، لهذا يُلاحظ ان محمود خطاب يعرف العقيدة بوضوح أكثر بقوله: "العقيدة هي مثل عليا يؤمن بها الإنسان فيضحى من أجلها بالأموال والنفس؛ لأنها عنده أعلى من الأموال والنفس" (١).

ومن هذا المنطلق سوف يكشف الباحث ما قصده القرآن الكريم في آياته وسوره من الأمور العقديّة؛ لأنّ العقيدة أساس الدين الإسلامي، إذ "لا ريب أن لكل دين بناءً وأساسًا، فبناؤه هو التشريعات المتعددة التي تنظم علاقة الإنسان بنفسه، وخالقه، والكون الذي يحيط به، أما أساس هذا البناء فهو العقيدة التي ينبثق عنها ذلك كله، كما تنبثق النخلة من النواة" (٢)، فالأساس العقيدة والبناء الشريعة ولا وجود لشريعة دون عقيدة حقة.

فإنّ تصحيح العقيدة والسير بها بما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا مِنْ أَهْمِ الْأُمُورِ التي تقرب العبد من ربه؛ كونها أساس دينه فمن قوي أساسه أقيم بنائه بأحسن ما يكون، وعلوم القرآن لها سبق بالإشارة لأمر العقيدة التي ذكرها القرآن الكريم وما سيكشف عنه الباحث الإشارة لمباحث علوم القرآن وكيف وظفت بالأمور الاعتقادية.

المطلب الثاني: التوظيف العقدي لعلم المحكم والمتشابه من علوم القرآن:

علم المحكم والمتشابه ذكر في القرآن باللفظ المباشر "المصطلح" في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

سيحاول الباحث هنا الوقوف على كيفية توظيف هذا العلم من قبل العلماء بالأمور العقديّة من دون الخوض بالتفاصيل بالأراء مخافة الإطالة والملل والا يخرج البحث عن هدفه المرسوم له، وقبل الدخول في الموضوع لابدّ من الإشارة إلى أنّ علم "المحكم والمتشابه" من العلوم التي لها الصلة والعلاقة الوثيقة بالنص القرآني، فإنّ "النصّ علاقة وثيقة بالمحكم والمتشابه، بل هو المحكم والمتشابه بعينه، والنكته في ذلك هو أن القرآن قد وصف نفسه بأنه كَلَّمَهُ مُحْكَمٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود: ١)، ومن الواضح أنّ إحكامه كلياً إنما بلحاظ قراءة المعصوم، وهذا

(١) بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، ٣٣.

(٢) التعريف بالإسلام، مركز قطر للتعريف بالإسلام وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - قطر، ٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

المعنى يُفسر لنا المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) وهو يُخاطب قتادة: "ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به" (١)، وأنَّ القرآن كله مُتشابه؛ لقوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ... (الزمر: ٢٣)، وهو مُتشابه كله بلحاظ القارئ غير المُتخصّص. وبعض القرآن مُحكم وبعضه مُتشابه؛ لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ... (آل عمران: ٧)، وهذا بلحاظ القارئ المُتخصّص، فهو مهما بلغت مراتب تخصّصه فإنَّ القرآن الكريم سيبقى فيه ما هو مُتشابه له، وهنا تكمن الحاجة لوجود الإمام المعصوم (عليه السلام)، ومن هنا نفهم أيضاً ذيل الآية السابقة وهو:... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...." (٢)، وانطلاقاً من هذه الأهمية لهذا العلم فإنَّ الباحث سيسلط الضوء على أنَّ لعلم "المحكم والمتشابه" أثراً كبيراً في اثبات الأمور العقائدية في النص القرآني.

من الأمور العقائدية المهمة التي وضعها علماء علوم القرآن لهذا العلم هي:

أولاً: الأمر العقائدي الذي تم توظيفه من قبل العلماء نابع من النص القرآني الذي أشار لمصطلح هذا العلم (٣)، وهذا المعنى العقائدي وضع تحت تساؤل هل العلم بالمشابه اختص بالله تعالى أم انه يتعدى ساحة القدس الالهي فيعلمه غيره "هل يختص العلم بتأويل المتشابه بالله سبحانه؟ أو يعمّه والراسخين في العلم فالكلّ يعلم تأويل المتشابه، وإن كان بين العلمين فرق، فالأول علم واجب غير متناه، والآخر علم إمكاني متناه؟ وقد احتدم النزاع عبر قرون في تفسير الآية، أعني قوله سبحانه: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"، فقد وقفت طائفة على لفظ الجلالة وعليه حُرِّمَ الراسخون في العلم من تأويل المتشابه، وطائفة أخرى عطفت "الراسخون في العلم" على لفظ الجلالة وشركتهم في العلم بها، ولم تنزل هذه المسألة مورد البحث والنقاش إلى عصرنا هذا. (٤)، فإنَّ هذا الاختلاف في قضية العطف وُلد خلاف عقائدي في الاوساط الاسلامية بان هل الوقوف يكون على لفظ الجلالة "الله" أم يتعداه إلى "الراسخون" فعلى الأول العلم بتأويل المتشابه يختص بالله تعالى، أما الثاني فيتعداه إلى غيره سبحانه وهم "الراسخون في العلم"، فإنَّ حلَّ هذه المشكلة تكمن في تفسير المتشابه، فمن فسر المحكم بكلِّ ما أمكن تحصيل العلم به بدليل جلي أو خفي، والمتشابه ما لا سبيل إلى العلم به كوقت قيام الساعة

(١) الفروع من الكافي، الكليني، ٨ / ٣١٢، حديث رقم / ٤٨٥.

(٢) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ١ / ٢٠٠.

(٣) يُنظر: سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ١٦٧.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

وحقيقة الجن والملك وسائر الأمور غير المحسوسة، فلا محيص له عن الوقف، لأنه سبحانه تبارك وتعالى استأثر بها على غيره" (١)، أما إذا تم تفسير الآية بأن "الإحكام والتشابه يرجع إلى الدلالة، وإن تأويل المتشابه عبارة عن إرجاعه إلى المعنى المراد ببركة الإمعان في نفس الآية والقرائن المكتتفة والقرائن المنفصلة فالعلم بتأويل المتشابه يعمه سبحانه والراسخين في العلم أيضاً" (٢)، فإن القضية مرتبطة بالتشابه لا بتأويل المتشابه "فمن حاول تحقيق المطلب يجب عليه الانطلاق أولاً بحل معضلة التشابه ثم العروج على تأويل المتشابه، إن القرآن الكريم كتاب هداية وتذكرة أنزل للتدبر فيه، يقول سبحانه: "فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ" (٣) ويقول سبحانه: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ" (٤)، ففي ضوء ذلك يجب أن يكون القرآن مفهوماً ومعلوماً من بدئه إلى ختمه على ضوء الأصول التي ذكرناها عند البحث عن مؤهلات المفسر، ومنه الآيات المتشابهة فقد أنزلت للهداية والتذكرة فلا معنى لأن يستأثر الله بعض آياته على العباد، وعلى ضوء ذلك لم نجد أحداً من علماء الأمة يتوقف في تفسير الآية بذريعة أن الآية متشابهة، بل ظل يتحصص عن القرائن الرافعة للشبه حولها" (٥)، فإن العلماء تتبعوا القرائن (*) التي تؤيد أن "الراسخون" مشمولون بالتأويل؛ لهذا نجد الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) يذهب بأن المعنى يشمل "الراسخون" بقوله: "ومما يؤيد هذا القول - أي أن الراسخين يعلمون التأويل - أن الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه لم يفسروه بأن قالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله" (٦)، وذهب لهذا المعنى الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: "إن الله لم ينزل شيئاً من القرآن إلا لينتفع به عباده، ويدل به على معنى أراد - إلى أن قال: ولا يسوغ لأحد أن يقول: إن رسول الله (ﷺ) لم يعلم المتشابه، فإذا جاز أن يعرفه الرسول (ﷺ) مع قوله: "وَمَا يَعْلمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ" جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، والمفسرون من أمته، ألا ترى أن ابن عباس كان يقول: أنا من الراسخين في العلم. ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ من المتشابه إلا أن يقولوا "أما" لم يكن لهم فضل على الجاهل، لأن الكل قائلون ذلك. قال: ونحن لم نر المفسرين إلى

(١) المناهج التفسيرية، جعفر السبجاني، ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٦٧.

(٣) سورة المنثر، الآية: ٤٩-٥٠.

(٤) سورة القمر، الآية: ١٧.

(٥) المناهج التفسيرية، جعفر السبجاني، ١٦٨.

(*) القرينة: في الاصطلاح، أمر يشير إلى المطلوب. (التعريفات، الجرجاني، ١٧٤). القرينة: ما يدل على المراد من غير كونه صريحاً.

(التعريفات الفقهية، البركتي، ١٧٣).

(٦) مجمع البيان، ١/٤١٠.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

هذه الغاية توقّفوا عن شيء من القرآن، فقالوا: هذا متشابه لا يعلم تأويله إلا الله، بل أمره على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة" (١)، فلا بدّ من أنّ هناك أشخاصاً يعلمون تأويل الآيات من أجل بيانها للناس؛ لأنّ انتقاء التأويل ينتقي التبين وهو الهدف من نزول القرآن الكريم كونه كتاب هداية، والامر الآخر الدال على علم الراسخين بالتأويل؛ أنّ "في نفس الآية دلالة واضحة على أنّه معطوف على لفظ الجلالة وهو أنّه سبحانه يصف هؤلاء بالرسوخ في العلم ومقتضى الرسوخ فيه العلم بالتأويل ولو كانت وظيفتهم مقتصرة على الإيمان من دون العلم به كان الأنسب بل المناسب أن يقول والراسخون في الإيمان" (٢)، بعدها توصل الشيخ السبحاني بأن "جملة معطوفة على لفظ الجلالة وتفسر الآية بالشكل التالي: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ". أي لكن الراسخين في العلم يقولون "آمنا بالمتشابه" كإيماننا بالمحكم، فيأخذون بكلتا الآيتين بحجة "كل من عند ربنا" ولكن الذي في قلوبهم زيغ يأخذون بخصوص المتشابه للغايتين الفاسدتين دون المحكم، فكأنّه سبحانه لم ينزل إلا المتشابه، فالإيمان بالمتشابه الذي جاء في قوله "آمنا به" لا يدلّ على أنّ الراسخين يؤمنون به دون أن يعلموا، وذلك لأنّ ذكر إيمانهم بهما لغاية ردّ أصحاب الزيغ حيث يؤمنون بواحد منهما واختصاص الإيمان به بالراسخين لا أنّه لا شأن لهم سوى الإيمان دون العلم، وعلى ذلك فليس فيه إشعار على اختصاصهم بالإيمان دون العلم. هذا ما يفهمه كلّ من له إلمام بالأدب العربي وكلمات البلغاء والفصحاء فلا يشك في العطف" (٣).

مما سبق يتضح أنّ التوظيف العقائدي في هذه الآية هو بيان من يعلم بالتأويل الوارد فيها أهو الله تعالى فقط، أم يشمل (الراسخون)، وقد ثبت مما تقدم أنّ المعنى شامل لله تعالى والراسخين، والباحث ليس في طور إثبات من هم (الراسخون) لعدم الاطالة بالبحث فما أردت إثباته قد اتضح بأن هناك توظيفاً عقائدياً من قبل العلماء لنفس آية علم "المحكم والمتشابه".

ثانياً: هناك آيات كان لعلم "المحكم والمتشابه" كلمة الفصل فيها وأكثر هذه الآيات التي أشارت إلى الامور العقدية، وما سيحاول الباحث هنا اثباته بتوظيف علم "المحكم والمتشابه" بالأمور العقدية بأيراد بعض الآيات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، وهي:

(١) أثبات الذات الإلهية: هناك كثيرٌ من الآيات القرآنية التي وظفت علم "المحكم والمتشابه" من الناحية العقدية فان الآيات التي تتكلم عن أمور التوحيد والذات المقدسة والخلق، وهذا الشيء راجع إلى

(١) البرهان: ٧٢-٧٣.

(٢) المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ١٧٠.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

معنى كل لفظة فالمحكم كما عرفه الطوسي (ت ٤٦٠هـ) بقوله: "المحكم ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم إليه سواء كان اللفظ لغوياً أو عرفياً، ولا يحتاج إلى ضروب من التأويل" (١)، ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى كقوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (٢)، وقوله: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ" (٣) وقوله: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" (٤) وقوله: "لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" (٥) ونظائر ذلك" (٦)، أما المتشابه فقد عرفه بقوله: "المتشابه: ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل، وذلك ما كان محتملاً لأمر كثيرة أو أمرين، ولا يجوز أن يكون الجميع مراداً فإنه من باب المتشابه. وإنما سمّي متشابهاً لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد" (٧)، ومصاديقه كما في قوله تعالى: "يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتِ فِي جَنبِ اللَّهِ" (٨)، وقوله: "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" (٩)، وقوله: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا" (١٠)، ونظائر ذلك من الآي التي المراد منها غير ظاهرها" (١١)، لهذا قال الراغب (ت ٥٠٢هـ): "والمُتَشَابِهُ من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء: المُتَشَابِهُ: ما لا ينبئ ظاهره عن مراده (١٢)، و "حقيقة ذلك أنّ الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومُتَشَابِهٌ على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه. فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما" (١٣)، فما أشكل تفسيره وبيانه؛ لأنّه قد شابه غيره من جهة اللفظة أو المعنى، وهذا الأمر واضح في الامور العقائدية التي أشار إليها علماء علوم القرآن، وهناك عدة عوامل أدت لهذا التشابه فمن "أهمّ عوامل التشابه هو دقّة المعنى وعلوّ مستواه عن المستوى العامّ مضافاً إلى رقة التعبير

(١) التبيان: ٩/١. ومراده من قوله: «المراد منها غير ظاهرها» هو الظاهر اليدوي المتزلزل، دون الظاهر المستقر الذي ينتهي إليه المفسر

بعد الإمعان في الآية ونظائرها والقرائن الأخرى. يُنظر: المناهج التفسيرية، السبجاني، ١٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) سورة التوحيد، الآية: ١.

(٥) سورة التوحيد، الآية: ٣ - ٤.

(٦) المناهج التفسيرية، السبجاني، ١٦١.

(٧) التبيان، الطوسي، ٩/١.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٩) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(١٠) سورة القمر، الآية: ١٤.

(١١) المناهج التفسيرية، جعفر السبجاني، ١٦٣.

(١٢) يُنظر: التعريفات، الجرجاني، ٢٠٠. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ٣/ ٢٩٣.

(١٣) المفردات، الراغب الاصفهاني، ٤٤٣. مادة (أول)

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

وجزالة الأداء، كما في قوله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (١) فقد وقع فيها تشبيه ذاته المقدسة بالنور، وهو أدقّ تعبير في تقريب ذاته المقدسة إلى أفهام العامة، إذ لو قيل للجمهور: "الله تعالى لا ماهية له، ولا هو جسم ولا فيه خواصّ الجسم"، لم يقتنعوا. كيف لا ماهية له ولا جسم؟ فإذا قيل لهم: "إنّه نور"، اقتنعوا، في حين أنّ نفس الإجابة صحيحة يعرفها الراسخون في العلم، إذ كما أنّ النور - في المحسوس - غير قابل للإدراك ذاتاً، وإنّما يحسّ به من قبل إنارته للأشياء، كذلك وجوده تعالى - في غير المحسوس - لا يدرك هو، وإنّما يدرك بإفاضته الوجود على الموجودات، فالله تبارك وتعالى يتجلّى من خلال كلّ موجود وليس يُدرك ذاتاً، كالنور سبب لإدراك الأشياء وتعجز الأبصار عن إدراكه بالذات (٢) " (٣)، فدقة اللفظ المتشابه، وعلو معناه جعله من الأمور العقديّة التي لا بدّ أن تنزه الخالق من الأمور التي تجسمه كالإنسان أو أي مخلوق آخر، وبهذا فقد وظف علم المحكم والمتشابه لرفع توهم التجسيم للخالق.

(٢) تشبيه الباري أو التجسيم: من الأمور العقديّة التي عالجها علم "المحكم والمتشابه" ووظفها علماء علوم القرآن لذلك الأمر كما جاء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٤)، لأنّه "يشتمبه المراد منه على السامع أوّل ما يسمعه، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (٥)، استقرّ الذهن على أنّ المراد به التسلّط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسيم المستحيل على الله سبحانه. وكذا قوله تعالى: "إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" (٦) إذا أُرْجِعَ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ" (٧)، علم به أنّ المراد بالنظر غير النظر بالبصر الحسي - إلى أنّ قال: فهذا ما يتحصّل من معنى المحكم والمتشابه ويتلقّاها الفهم الساذج من مجموع الآيّة، ولا ريب أنّ الآيّة التي تقسّم آيات الكتاب إلى محكم ومتشابهة من الآيات المحكّمة" (٨)، فالفهم الأول يؤدي إلى الذهاب إلى معنى التجسيم الذي لا يصح على الذات المقدسة، وهو من الأمور العقائديّة التي لولا إرجاع المتشابهات إلى المحكمات لما رفع التوهم _التجسيم_، وهذا ما تم توظيفه من قبل علماء علوم القرآن

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) يُنظر: الكشف عن مناهج الأدلّة، ابن رشد: ٩٢-٩٣.

(٣) دروس في علوم القرآن، نذير حسني، ٣٢٨.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٦) سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٨) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ٢١/٣. يُنظر: المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ١٦٣.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

لهذا العلم من الجانب العقائدي بما يلائم مقاصد القرآن الكريم.

لهذا عدت هذه الآية من المتشابه الذي يرجع في بيانها للمحكم من الآيات، قال السيوطي (ت ٩١١ هـ): "وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيها له عن حقيقتها... عن أم سلمة في قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"، قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر، وأخرج أيضاً عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل عن قوله: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ" "اسْتَوَى"، فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق"^(١)، لهذا فقد اختلف في معنى "الاستواء" على أقوال واحتمالات "من قال بتفسير الاستواء احتمل فيه: الاستقرار والتمكن"^(٢)، أو قصد الشيء، والإقبال إليه^(٣)، أو الاستيلاء^(٤)، أو الاعتدال^(٥)، أو المساواة في النسبة^(٦)، وقد تم الاجابة على الاحتمالات وتفنيد بعضها مما يبعد المعنى العقائدي للاستواء ويجعل المعنى للتجسيم المنهي عنه "تفسير الاستواء بالاستقرار، لا يصح إذ يستلزم المكانية وهي محال بحقه سبحانه، وكذا الكلام إذا قصد به الإقبال الحسي الجهوي، إلا إذا إريد به الإقبال المعنوي فهو ممكن، أما من فسر الاستواء بالاستيلاء بمعنى السلطنة والتدبير، فهو ممكن في هذه الآية. أما الاعتدال فإن كان معنى كنائياً عن نفي النقص عنه تعالى، فله وجه في التأويل.

وهناك معنى آخر للاستواء يليق بتفسيره في هذه الآية، وهو التساوي في النسبة، بمعنى استوتت نسبته تعالى إلى كل مخلوقاته بالعلم والإحاطة... وهذا التفسير تشير إليه الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، روى الكليني (ت ٣٢٩ هـ) بسنده عن "عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: "الرحمن على العرش استوى" فقال: استوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى في كل شيء"^(٧)، فنفي أقربيه شيء من الأشياء يستلزم نفي أبعديه شيء من الأشياء أيضاً، فيلزم من ذلك تساوي جميع

(١) الإلتقان: ٢/١٣-١٤. يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٩.

(٢) يُنظر: تفسير السمعاني، ٣/٣٢٠. وتفسير الرازي، ١٤/١١٤. واللاتقان، السيوطي، ١٥/٢.

(٣) يُنظر: جامع البيان، الطبري، ١/٢٧٧. مجمع البيان، الطبرسي، ١/١٤٣. وتفسير القرطبي، ١/١٥٤-٢٥٥.

(٤) يُنظر: تفسير الواحدي، ١/٥٦٤. وتفسير النسفي، ١٥/٢.

(٥) يُنظر: تفسير البيضاوي، ١/٢٧٣-٢٧٤. وتفسير كنز الدقائق، محمد المشهدي، ١/٢١٤.

(٦) يُنظر: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ٨/١٤٨. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٠.

(٧) الكافي، ١/١٢٧-١٢٨. ١/١٢٧-١٢٨.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

الأشياء بالنسبة إليه، لأن نفي البعد عن البعيد والقرب عن القريب نفي البعيد والقريب، ضرورة أنه لو كان هناك قريب وبعيد لم يكن البعد والقرب منفيين^(١)، فأفادت الأخبار عن المعصوم أن في الآية دلالة على نفي المكان عنه سبحانه، وفيها إشارة إلى معيته القيومية، واتصاله المعنوي بكل شيء على السواء، على الوجه الذي لا ينافي أحديته وقده جلاله، وإلى إفاضة رحمته العامة على الجميع على نسبة واحدة، وإحاطة علمه بالكل بنحو واحد، وقربه من كل شيء على نهج سواء. وأما اختلاف المقربين كالأنبياء والأولياء مع المبعدين كالشياطين والكفار في القرب والبعد، فليس ذلك من قبله سبحانه، بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها^(٢)، وعليه "فلا شك أن المفسر لو أنعم النظر في كلام المعصوم الموافق للقرآن الكريم، واللغة وضروريات العقيدة عند المسلمين، لاتضح له بيان هذا التشابه، باتباع الأسس الضابطة لعملية التفسير، واستجلاء الوجه التفسيري الراجح من المتشابه"^(٣).

ويظهر مما تقدم أن الرجوع إلى المحكم بما يرفع المتشابه من الالفاظ فان هناك روايات أعطت إشارات لهذا الموضوع، على سبيل المثال قول الإمام الصادق (عليه السلام): "المحكم ما يُعمل به، والمتشابه ما يشبه بعضه بعضاً"^(٤)، وكذلك ما نقل عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: "من ردّ متشابه القرآن إلى مُحكمه فقد هُدي إلى صراط مستقيم"^(٥)، فقول الإمام الصادق (عليه السلام) يؤكد أن المحكم بيّن وواضح بالمفهوم، أمّا المتشابه فهو غير بيّن، وعليه فلا بد من إرجاع المعنى غير الواضح إلى المعنى الواضح، أمّا قول الإمام الرضا (عليه السلام) فهو يؤكد أيضاً على إرجاع ما عسر فهمه إلى ما هو مفهوم وبيّن وجلي.

وبناءً على ما تم بيانه وإيراده ينكشف للباحث أن لعلم "المحكم والمتشابه" توظيفاً عقدياً اتبعتها العلماء في اثبات الأمور العقدية المهمة المرتبطة بالخالق العظيم، الأمر الآخر أن هناك كثيراً من الآيات التي وظفت عقائدياً لهذا العلم إلا أنه اكتفيت بما ذكرناه طلباً للاختصار بما يثبت المطلوب.

المطلب الثالث: التوظيف العقدي لعلم التأويل من علوم القرآن:

من أجل الوقوف على بعض الشواهد القرآنية التي أثبتت أن علم "التأويل" قد وظفت عقائدياً لرفع الإشكالات العقائدية التي وردت في النص القرآني من خلال ورود الفاظ تحمل عدة معان واحتمالات

(١) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ٨٩/٤.

(٢) الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٣٧٧/١. يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣١.

(٣) المصدر نفسه، ٣٣٢.

(٤) تفسير العياشي، ١/ ١٠، حديث/ ١، أبواب مقدّمة التفسير، تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢٧/ ١١٥، حديث/ ٢٢.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

فكان الدور الرئيس في حسم المعنى المراد لعلم "التأويل"؛ كون علم التأويل يستخدم في تأويل الجمل والمعاني، وأكثر ما يستخدم في الأمور العقدية، أما التفسير يستخدم فيما يستخدم فيه التأويل وزيادة، وبهذا يكون التفسير أعم من التأويل، كما أن التأويل يوجه اللفظ الذي يكون متوجه لعدة معانٍ إلى معنى واحد كل ذلك بدليل، أما التفسير فهو بيان لفظ لا يحتمل غير بيان واحد (١).

وعليه فما سيتم الكشف عنه التوظيف العقدي لعلم "التأويل"؛ كونه كما تقدم يستخدم بالأمور العقدية في بعض توظيفاته، ويحتمل أكثر من معنى، فإنَّ "أُمُّ عُلُومِ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ تَوْحِيدٌ وَتَذْكِيرٌ وَأَحْكَامٌ فَالتَّوْحِيدُ تَدْخُلُ فِيهِ مَعْرِفَةُ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَعْرِفَةُ الْخَالِقِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالتَّذْكِيرُ وَمِنْهُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَتَصْفِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْأَحْكَامُ وَمِنْهَا التَّكَالِيفُ كُلُّهَا وَتَبْيِينُ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّذَبُّبِ. فَالْأَوَّلُ {وَالْإِهْكَامُ إِلَهُ وَاحِدٌ} فِيهِ التَّوْحِيدُ كُلُّهُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَالثَّانِي {وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}. وَالثَّلَاثُ {وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ} " (٢)، وعليه فقد حوى القرآن الكريم كثيراً من الأمور العقدية التي يجب على كل مسلم من توجيهها بما يصحح المعتقد الإسلامي الذي رسمه الله تعالى له في كتابه.

وبناءً على ما تقدم فإن علم التأويل له مدخلية وتوظيف في توجيه الأمور العقدية التي وردت كألفاظ احتملت معاني مختلفة فلا بد من توجيهها بالفهم والترجيح الصحيح لمعنى لا يمس بالعقيدة، وهذا الشيء الذي "حَمَلَهُمْ عَلَى التَّأْوِيلِ وَجُوبُ حَمْلِ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ الْمَفْهُومِ مِنْ حَقِيقَتِهِ لِقِيَامِ الْأَدْلَةِ عَلَى اسْتِحَالَةِ الْمُتَشَابِهِ وَالْحِسْمِيَّةِ فِي حَقِّ الْبَارِي تَعَالَى وَالْحَوْضُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ خَطَرُهُ عَظِيمٌ" (٣)، وعليه لا بد من حمل الكلام على خلاف المفهوم كي لا يقع في المحذور؛ فإنَّ العلماء في مجال التأويل لا بد لهم من الاجتهاد والاستنباط للفظ الذي يحتمل أكثر من معنى "مَا يَرْجَعُ إِلَى اجْتِهَادِ الْعُلَمَاءِ وَهُوَ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَيْهِ إِطْلَاقُ التَّأْوِيلِ وَهُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ إِلَى مَا يَثْوِلُ إِلَيْهِ فَالْمُفَسِّرُ نَاقِلٌ وَالْمُؤَوَّلُ مُسْتَنْبِطٌ وَذَلِكَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ وَبَيَانُ الْمُجْمَلِ وَتَخْصِيصُ الْعُمُومِ وَكُلُّ لَفْظٍ اِحْتَمَلَ مَعْنِيَيْنِ فَصَاعِدًا فَهُوَ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِغَيْرِ الْعُلَمَاءِ الْاجْتِهَادُ فِيهِ وَعَلَى الْعُلَمَاءِ اعْتِمَادُ الشَّوَاهِدِ وَالذَّلَائِلِ وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْتَمِدُوا مُجَرَّدَ رَأْيِهِمْ فِيهِ" (٤)، وعليه سأورد امثلة تدل على التوظيف العقدي لعلم التأويل كالآتي:

المثال الأول: من الشواهد على التوظيف العقائدي لعلم "التأويل" قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ

(١) يُنْظَرُ: كَشَافِ اصْطِلَاحَاتِ الْفَنُونِ وَالْعُلُومِ، التَّهَانُوي، ١/ ٤٩٢.

(٢) الْبِرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، الزَّرْكَشِي، ١/ ١٧، ١٨.

(٣) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، ٢/ ٨٠.

(٤) الْبِرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، الزَّرْكَشِي، ٢/ ١٦٦.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

وَالْأَرْضَ مِثْلَ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْنُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١).

والشاهد العقدي هو نسبة النور إلى الله تعالى (جل جلاله) بأن أخبرت الآية أن الله هو النور، فإن الأشكال كالآتي "كيف يصح أن يقال (الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: (مِثْلُ نُورِهِ)، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه: أي الله مُنَوِّرُ السماوات والأرض. أو كما تقول: زيد كريم، ثم تقول يعيش الناس بكرمه، فإن كان معنى نور السماوات والأرض النور المدرك بالأبصار فمعناه أن الله خلق النور فيهما من الشمس والقمر والنجوم. أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، وإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب "نور السماوات والأرض" -بفتح النون والواو والراء مع تشديد الواو، أي جعل فيهما النور. وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى (نور السماوات والأرض): أي جاعل النور في قلوب أهل السماوات والأرض" (٢).

وهنا يُلاحظ التأثير المباشر لعلم التأويل في تصحيح العقيدة في الله تعالى بأنه منزه عن الجسمية والصفات التي تحتاج إلى منشأ لها كالنور في الآية، ولولا توظيف علم "التأويل" هنا لوقعنا بالمحذور، فيكون المعنى المؤول أن الله نُورُ السماوات والأرض، فإذا أدرك بالبصر كان المعنى أن الله تعالى خلق النور من الشمس والقمر وجعله فيهما، أو يؤول المعنى كما نُقل لقراءة نُسبت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالفتح "نور" بمعنى جعل الله في السماوات والأرض النور، وإذا تأول المعنى بالنور الذي يدرك بالقلب يكون المعنى أن الله تعالى جعل النور في قلب أهل السماوات والأرض.

المثال الثاني: لتوظيف علم التأويل عقائدياً قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٣)، كون الله لا يملك نفساً؛ لأنه من خواص الجسمية. وعليه لا بد من تأويل لفظه "نفس"، فإن قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي عَثُوبَتَهُ وَقِيلَ إِيَّاهُ. وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: النَّفْسُ عِبَارَةٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْوُجُودِ دُونَ مَعْنَى زَائِدٍ وَقَدْ اسْتُعْمِلَ مِنْ لَفْظَةِ النَّفْسَةِ وَالشَّيْءِ النَّفِيسِ فَصَلَحَتْ لِلتَّعْبِيرِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَالَ ابْنُ اللَّبَّانِ: أَوْلَاهَا الْعُلَمَاءُ بِتَأْوِيلَاتٍ: مِنْهَا أَنَّ النَّفْسَ عُبِّرَ بِهَا عَنِ الذَّاتِ قَالَ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ سَائِعًا

(١) سورة النور: الآية: ٣٥.

(٢) معترك الأقران في إجاز القرآن، السيوطي، ٢/ ٢٣٤ و ٣٧٩.

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٢٨.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

فِي اللُّغَةِ وَكَرَّ تَعَدَّى الْفِعْلِ إِلَيْهَا فِي الْمَفِيدَةِ لِلظَّرْفِيَّةِ مُحَالَ عَلَيْهِ تَعَالَى وَقَدْ أَوْلَهَا بَعْضُهُمْ بِالْغَيْبِ أَيْ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي غَيْبِكَ وَسِرِّكَ قَالَ: وَهَذَا حَسَنٌ لِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْآيَةِ: {إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَجْهُ وَهُوَ مُؤَوَّلٌ بِالذَّاتِ وَقَالَ: ابْنُ اللَّبَّانِ فِي قَوْلِهِ: {يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} {الْمُرَادُ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ} (١)، ومما تقدم فإن التوظيف العقدي لعلم "التأويل" خرج الأمور العقائدي التي فيما لو أخذت على ظاهرها لوقعتنا بخطأ عقائدي لا يغتفر.

المثال الثالث: من الأمور العقديّة التي نسبها الله تعالى إليه هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ نُفُوكُونَ﴾ (٢)، بأنه كيف يكون إخراج الحي من الميت فأصبح الفصل بين علم التفسير وعلم التأويل، كون "التأويل" صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لدليل فيكون هنا بالمعنى الأصولي، فإذا فسر قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} بإخراج الطير من البيضة، فهو التفسير، أو بإخراج المسلم من الكافر فهو التأويل، و هنالك اقوال أخر لا عبرة بها، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها، إلا أن اللغة والآثار تشهد لمقول الأول، لأن التأويل مصدر أوله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول (٣)، فبواسطة التأويل علم أن المعنى هو إخراج المسلم الذي عبر عنه عز وجل بـ "الحي"؛ كونه حياً بدخوله الإسلام، فخرج من الكافر الذي عبر عنه تعالى بـ "الميت" كون لم يعتق ويؤمن بالدين الإسلامي فهو كالميت وان كان حياً.

المثال الرابع: كذلك جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ (٤)، لأن الرصد هنا بمعنى موضع

أو مكان الرصد، والمرصاد أي الأشخاص الذين يرصدون بمعنى المراقبة كما يفعل الحراس (٥)، وهذا المعنى لا يجوز نسبته لله تعالى كون من الأمور الجسمانية وصفاتها، والله تعالى منزه من ذلك، وعليه لا بد من الأخذ بظاهر اللفظة والذهاب إلى التأويل؛ كون "أن التفسير بيان دليل المراد والتأويل بيان حقيقة المراد، مثاله: قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ (٦)، فتفسيره: أن المرصاد مفعال من قولهم: رصد

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١٨ / ٣.

(٢) سورة الانعام، الآية: ٩٥.

(٣) علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ٢١٢/٣.

(٤) سورة الفجر: الآية، ١٤

(٥) يُنظر: العين، الخليل، ٩٦ / ٧. وجمهرة اللغة، ابن دريد، ٦٢٩ / ٢. وتهذيب اللغة، الأزهرى، ٩٦/١٢. والمحيط في اللغة، صاحب

بن عباد، ٢١٤/٢. مادة (رصد).

(٦) سورة الفجر: الآية ١٤.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

يرصد إذا راقب، وتأويله التحذير عن التهاون بأمر الله والغفلة عنه^(١)، وعليه فتأويل "مرصاد" الحذر من التهاون بأمر الله تعالى عز وجل، وعليه فلا يحمل اللفظ على ظاهره بل لابد من التأويل، وهذا دليل على التوظيف العقائدي لعلم "التأويل" الذي لولاه لوقعنا بالمحذور من نسبة الجسمانية لله تعالى فيما لو أخذ بالمعنى الظاهر للفظ "مرصاد" كونها تدل على الشخص الذي يراقب والله منزه من المكان والزمان والجسم فلا بد من التأويل للفظ.

المثال الخامس: ومن الألفاظ التي اختلف فيها مما أدى بمن أخذ بظاهرها الانحراف العقائدي؛

لأنه قد جسم الله تبارك وتعالى وهذه اللفظة هي "الاستواء" في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢)، حيث أن معنى "الاستواء" في المعاجم اللغوية جاء على معانٍ عدة منها الاستقرار والتمكن والجلوس كما إذا استوى الشخص على ظهر الدابة بمعنى استقر وتمكن^(٣). والاستواء ضد الاعوجاج بمعنى الاعتدال والاستقامة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٤)، الذي يقصد به الزرع، ومعنى "الاستواء" هنا ما كان عكس الاعوجاج، بمعنى الإقامة على الأصل أو على عوده^(٥)، ويأتي بمعنى تمام القوة الجسدية، أو انتهاء فترة شبابه^(٦)، والمعنى الآخر الاستيلاء على الشيء وقهره كما من يستولي على كرسي الملك وأن لم يجلس عليه على نحو الكناية، فهو يستولي على مقاليد الحكم ويحوزها إليه^(٧)، وهناك معنى آخر وهو ما نضج من الطعام^(٨)، ومعنى الاستواء الإقبال والقصد كما إذا قلنا قد بلغ فلان بلد ما ثم استوى إلى بلد آخر أي قصد بواسطة الاستواء إليه^(٩)، ويطلق أيضاً على التساوي والتماثل استوى الناس في المال بمعنى تساوا^(١٠)، واستوى الشيئان بمعنى تماثلا^(١١)، والمعنى الأخير العلو فعندما نقول استوى فوق

(١) علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ١٩٨ / ٣.

(٢) سورة طه: الآية ٥.

(٣) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٤ / ١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٣٨ / ٣٣٧.

(٤) سورة الفتح، جزء من الآية: ٢٩.

(٥) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٤ / ١٤. وتفسير القرطبي، ٢٩٥ / ١٦. وأنوار التنزيل، البيضاوي، ٨٦ / ٥. وتفسير النسفي،

١٦٤ / ٤. وتفسير البحر المحيط، أبو حيان، ١٠٣ / ٨. وتاج العروس، الزبيدي، ١٠٨ / ١٠.

(٦) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٤ / ١٤. ومختار الصحاح، الرازي، ١٣٦. وبصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٠٦ / ٢. وتاج

العروس، الزبيدي، ١٠٨ / ١٠. بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٠٦ / ٢.

(٧) المصباح المنير، الفيومي، ١١٣.

(٨) المصدر نفسه، ١١٣.

(٩) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٤ / ١٤. والمصباح المنير، الفيومي، ١١٣.

(١٠) يُنظر: المصباح المنير، الفيومي، ١١٣.

(١١) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٠ / ١٤.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

ظهر الدابة بمعنى علوتها^(١)، والعلو أما بالرتبة أو المكان وهو من الأمور المستحيلة على الذات الإلهية المقدسة، كما ان اللغوي الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) قال أن معنى الاستواء: "الركوب والاستعلاء: لُتْمٌ تَذَكُّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ { [سورة الزخرف] أي ركبتم واستعليتم" ^(٢)، وعليه لفظة "الاستواء" لها معانٍ لغوية متعددة ذكرها علماء اللغة كما تقدم بيانه.

فقد تعددت المعاني لهذه اللفظة، وكثر التأويل من عدمه للفظ "الاستواء" بين المذاهب، ومن أجل الوقوف على المعنى المراد " لنطبق هذه المذاهب على قوله سبحانه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، فنقول: يتفق الجميع من سلف وخلف على أن ظاهر الاستواء على العرش، وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز، مستحيل لأن الأدلة القاطعة تنزه الله عن أن يشبه خلقه أو يحتاج إلى شيء منه، سواء أكان مكانا يحل فيه أم غيره. وكذلك اتفق السلف والخلف على أن هذا الظاهر غير مراد لله قطعاً، لأنه تعالى نفى عن نفسه المماثلة لخلقه، وأثبت لنفسه الغنى عنهم، فقال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وقال «لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ» فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضاً. ثم اختلف السلف والخلف بعد ما تقدم، فرأى السلفيون أن يفوضوا تعيين معنى الاستواء إلى الله، هو أعلم بما نسبه إلى نفسه وأعلم بما يليق به، ولا دليل عندهم على هذا التعيين. ورأى الخلف أن يؤولوا، لأنه يبعد كل البعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون، وما دام ميدان اللغة متسعاً للتأويل وجب التأويل. بيد أنهم اختلفوا في هذا التأويل فرقتين؛ فطائفة الأشاعرة يؤولون من غير تعيين ويقولون: إن المراد من الآية إثبات أنه تعالى متصف بصفة سمعية لا نعلمها على التعيين، تسمى صفة الاستواء. وطائفة المتأخرين يعينون فيقولون: إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر، من غير معاناة ولا تكلف؛ لأن اللغة تتسع لهذا المعنى،... أي استولى وقهر، أو دبر وحكم، فكذاك يكون معنى النص الكريم: الرحمن استولى على عرش العالم، وحكم العالم بقدرته، ودبره بمشيئته وابن دقيق العيد يقول بهذا التأويل إن رآه قريباً، ويتوقف إن رآه بعيداً. وقل مثل ذلك في نحو "ويبقى وجه ربك - ولتصنع على عيني - يد الله فوق أيديهم - والسماوات مطويات بيمينه - يخافون ربهم من فوقهم - وجاء ربك - وعنده مفاتيح الغيب". فالسلف يفوضون في معانيها تفويضاً مطلقاً بعد تنزيه الله عن ظواهرها المستحيلة. والأشاعرة يفسرونها بصفات سمعية زائدة على الصفات التي نعلمها، ولكنهم يفوضون الأمر في تعيين هذه الصفات إلى الله. فهم مؤولون من وجه مفوضون من وجه. والمتأخرون يفسرون الوجه بالذات ولفظ (ولتصنع على عيني) بتربية موسى ملحوظاً بعناية الله وجميل رعايته، ولفظ

(١) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٠/١٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٠٦/٢.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

اليد بالقدرة، ولفظ اليمين بالقوة، والفوقية بالعلو المعنوي دون الحسي، والمجيء في قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ) بمجيء أمره، والعندية في قوله (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) بالإحاطة والتمكن، أو بمثل ذلك في الجميع" (١)، وعليه فالتأويل المناسب الذي يلائم المعنى العقدي هو الاستيلاء والاحاطة بكل شيء فيكون الله تعالى قاهر متمكن مما خلق له الاحاطة الشاملة بكل شيء.

وفي مقام الرد ممن أخذ المعنى على ظاهره فأثبت ما لا يجوز على الله تعالى كالجسمانية والانتقال والحركة والتجزئة التي لا تجوز بأي حال من الاحوال نسبتها لله تعالى "ثم إن هؤلاء المتمسكين في السلف متناقضون، لأنهم يثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث كالجسمية والتجزؤ والحركة والانتقال، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم، مع أن القول بثبوت الملزومات ونفي لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقل فضلا عن طالب أو عالم. فقولهم في مسألة الاستواء الأنفة: إن الاستواء باق على حقيقته يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز، وقولهم بعد ذلك ليس هذا الاستواء على ما نعرف، يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز. فكأنهم يقولون: إنه مستو غير مستو، ومستقر فوق العرش غير مستقر، أو متحيز غير متحيز وجسم غير جسم، أو أن الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش. والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه، إلى غير ذلك من الإسفاف والتهافت! فإن أرادوا بقولهم الاستواء على حقيقته؛ أنه على حقيقته التي يعلمها الله ولا نعلمها نحن، فقد اتفقنا، لكن بقي أن تعبیرهم هذا موهم، لا يجوز أن يصدر من مؤمن، خصوصا في مقام التعليم والإرشاد. وفي موقف النقاش والحجاج، لأن القول بأن اللفظ حقيقة أو مجاز. لا ينظر فيه إلى علم الله وما هو عنده، ولكن ينظر فيه إلى المعنى الذي وضع له اللفظ في عرف اللغة. والاستواء في اللغة العربية يدل على ما هو مستحيل على الله في ظاهره. فلا بد إذن من صرفه عن هذا الظاهر. واللفظ إذا صرف عما وضع له واستعمل في غير ما وضع له خرج عن الحقيقة إلى المجاز لا محالة ما دامت هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي... ثم إن كلامهم بهذه الصورة فيه تلبيس على العامة وفتنة لهم. فكيف يواجهونهم به ويحملونهم عليه؟ وفي ذلك ما فيه من الإضلال وتمزيق وحدة الأمة، الأمر الذي نهانا القرآن عنه" (٢).

مما تم عرضه وبيانه يخلص الباحث أن لعلم "التأويل" توظيفا مهماً جدا في الأمور العقديّة التي ذكرها النص القرآني، والتي لا بدّ من الوقوف عليها في بيان الالفاظ التي تحتمل أكثر من معنى لنصل لمعنى

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١٨٦/٢-١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٨/٢.

الفصل الثانيالمبحث الأول: التوظيف العقدي لعلوم القرآن

لا يقدر بالأمور العقدية التي تُعدّ أصول الدين الإسلامي؛ لأنه إذا تزلزلت العقيدة تزلزل وانهدم الدين الإسلامي كونه يبتنى على عقيدة راسخة لا يسمح لأي شخص ان يمسه أو يحرفها عن المسار الذي حدده الله تعالى وسار عليه وثبته النبي الاكرم محمد (ﷺ) واهل بيته (عليهم السلام) والخلص من أصحابه. والجدير بالذكر أني اكتفيت بذكر هذين العلمين -علم المحكم والمتشابه وعلم التأويل- أولاً للاختصار، وثانياً لفتح المجال أمام الباحثين في الخوض بهكذا مسائل ومباحث في علوم القرآن وظفت من جهة العقائد.

المبحث الثاني

التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

المدخل:

سيحاول الباحث في هذا المبحث دراسة بعض من مباحث علوم القرآن التي وظفت فقهاً لمعرفة مقاصد القرآن الكريم، بإيراد بعض من علوم القرآن التي أشارت للأمور الفقهية التي قصدتها النص القرآني، وعليه سيتم التطرق إلى الأمور الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالفقه لغة واصطلاحاً:

(١) التعريف بالفقه لغة:

ورد بأن معنى "الفقه: العلم في الدين. يقال: فقه الرجل يفقهه فقهاً فهو فقيه. وفقه يفقهه فقهاً إذا فهم. وأفقهته: بينت له. والتفقه: تعلم الفقه" (١)، كما جاء أن معنى "الفقه" لغة مأخوذ من "فقه الرجل يفقهه فقهاً، فهو فقيه، وأجمع فقهاء وقالوا فقه في معنى الفقه أيضاً. وفقه عني، أي فهم عني" (٢)، فالمعنى العلم بأمور الدين، لهذا اطلقت على رجل الدين الفقيه ومعناه من تعلم الفقه.

فالفقه مأخوذ من "الفهم" بالمعنى اللغوي، بل هو مطلق الفهم، كما أنه غلب استعماله بعلوم الشريعة، بسبب شرفيتها على جميع العلوم (٣)، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "فقه (فقه) الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. يقولون: لا يفقه ولا يفقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. وأفقهتك الشيء، إذا بينته لك" (٤)، فالفقه العلم بالشيء وفهمه وإدراكه، واختصت اللفظة بالعلوم الشرعية لشرفيتها على جميع العلوم، ولغلبة استخدامه في العرف فأصبح معناه "العلم بالدين" قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): "الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا والعود على المنديل" (٥)، كما قال: "واشتقاقه من الشق والفتح، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، شرفها الله تعالى، وتخصيصاً بعلم الفروع منها" (٦)، فالفقه معناه الفهم

(١) العين، الخليل، ٣/ ٣٧٠. يُنظر: المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ١/ ٢٧٨.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد، ٢/ ٩٦٨.

(٣) يُنظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٥/ ٢٦٣. ولسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٥٢٢.

(٤) مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٢.

(٥) لسان العرب، ١١/ ٢٢١.

(٦) المصدر نفسه، ١١/ ٢١٠.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

وما يدرك من الشيء، وغلب على العلوم الشرعية، وهو المراد هنا.

(٢) التعريف بالفقه اصطلاحاً:

عرّفه الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله: "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستتب بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهاً؛ لأنه لا يخفى عليه شيء" (١)، فهو علم مختص بالأمور الشرعية من خلاله يستخرج الحكم الشرعي، وهو وقوف على ما خفي من الأحكام "الفقه في العرف: الوُقُوف على المعنى الخفي يتعلّق به الحكم، وإليه يُشير قولهم: هُوَ التَّوَصُّلُ إلى علم غائب بعلم شاهد أعني أنه تعقل وعثور يعقب الإحساس والشعور فنقل اصطلاحاً إلى ما يخص بالأحكام الشرعية والفرعية عن أدلتها التفصيلية، فخرج الاعتقادات، وهُوَ الفقه الأكبر المُسمّى بعلم أصول الدين، والخلقيات المُسمّى بعلم الأخلاق والآداب" (٢)، فالفقه مختص بالأحكام الشرعية التي تدور في فلك الأحكام الفرعية، وبهذا يخرج علم العقائد، وعلم الأخلاق.

لهذا نجد أن الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) بيّن ألفاظ تعريف الفقه فخرج جميع العلوم جاغلا منه مختصاً بالأحكام الشرعية الفقهية، وهذا نجده بقوله: "الفقه في الاصطلاح عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من الأدلة التفصيلية لتلك الأحكام" (٣)، لهذا عُرِف "الفقه في الاصطلاح: هُوَ علم المُشْرُوع وإتقانه بِمَعْرِفَةِ النُّصُوصِ بِمَعَانِيهَا وَالْعَمَلِ بِهِ، ويعبر عنه بِأَنَّهُ مَعْرِفَةُ الفُرُوعِ الشَّرْعِيَّةِ اسْتِدْلَالاً وَالْعَمَلُ بِهَا، وَإِنَّمَا لم يذكر الإمام العَمَلُ" (٤)، فهو العلم الذي يتعامل مع النص القرآني من أجل استخراج الأحكام الشرعية، وعليه فالفقه في الاصطلاح "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية" (٥)، وفي السياق نفسه عرّفه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) (٦)، ومعنى "الأحكام الشرعية: ما لا تدرك لولا خطاب الشارع" (٧)، وهذه التعاريف وردت عند علماء الاصطلاح والفقه.

(١) التعريفات، ١٦٨.

(٢) الكليات، الكفوي، ٦٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ٦٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ٦٩٠.

(٥) شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين المحلي الشافعي، ١/ ٣٢ وما بعدها، يُنظر: شرح العضد لمختصر ابن الحاجب، ١/ ١٨، وشرح الإسنوي، ١/ ٢٤، ومرآة الأصول، ملا خسرو، ١/ ٥٠، شرح جمع الجوامع للمطلي، ١/ ٣٢ وما بعدها، والمدخل إلى مذهب أحمد، ٥٨. وموسوعة الفقه الإسلامي وأدلتها لوهبة الزحيلي، ١/ ٣٠. والتعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ١٦٦.

(٦) يُنظر: البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ١/ ٣٠ وما بعدها.

(٧) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ١٦٦.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

وعرف الفقه بأنه "العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلتها التفصيلية لتحصيل السعادة الأخروية" (١)، وجاء أيضاً بأن الفقه هو "العلم بالأحكام الشرعية الفرعية وتحديد وظيفة المكلف العملية عن أدلتها التفصيلية المتمثلة بالقرآن والسنة والإجماع والعقل" (٢)، وعليه فالفقه "معرفة النفس مالها وما عليها" (٣). فلا فقه من دون تهذيب النفس وتصفيتها من الشوائب المعنوية والمادية.

فالفقه هو ما شرعه العلماء من الأحكام في فروع الدين لا أصوله التي تخضع إلى اجتهاد المجتهد "العلم بالأحكام الشرعية العملية الناشئة عن الاجتهاد" (٤)، ويمكن القول هو معرفة وحفظ للأحكام العملية الفرعية الشرعية التي وردت في القرآن الكريم وما صح من السنة النبوية المطهرة، وعليه فالفقه "معرفة الأحكام الشرعية العملية التي نزل بها الوحي، قطعية كانت أو ظنية، وما استنبطه المجتهدون" (٥)، وهناك من العلماء من نظر إلى الفقيه من تعريف الفقه فشرطوا فيه العلم والعمل بأن يجمع بينهما ليصبح فقيهاً "إنما الفقيه المعرض عن الدنيا، الزاهد في الآخرة، البصير بعيوب نفسه" (٦)، فالفقه عمّ وشمل جميع ما أشارت إليه الشريعة من أحكام شرعية تسيّر الإنسان في أعماله وتصرفاته مع نفسه ومع المحيط الذي يعيش فيه كل ذلك من أجل السير على وفق ما أراد الله تعالى، وبلغ به نبيه محمد (ﷺ) من أجل الفوز في الدارين الدنيا والآخرة.

وبناءً على ما سبق فما سيتم الكشف عنه بحول الله تعالى هو كيف وظّف علماء علوم القرآن مباحث علوم القرآن فقهياً كل ذلك بما يوافق ويلائم مقصد النص القرآني.

مما تقدم من تعريف الفقه تبين أنه من الأمور المهمة في حياة الفرد المسلم؛ لأنها بتماس مباشر في حياته اليومية العملية، بحيث توجه وتصحح حركاته وتعاملاته من نفسه ومع الآخرين، وقد عنى علماء علوم القرآن بأن يوظفوا مباحث وعلوم القرآن فقهياً، والباحث هنا سيحاول الكشف عن هذا التوظيف بإيراد بعض علوم القرآن على سبيل المثال لا على سبيل الحصر طلباً للاختصار وعدم الإطالة.

(١) نكروى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول، ١ / ٤٠.

(٢) مصطلحات الفقه، المشكيني، ٤٠٧.

(٣) مرآة الأصول، ملا خسرو، ١/٤٤، يُنظر: موسوعة الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، ١ / ٢٩. والتوضيح لمتن التتقيح، عبد الله ابن مسعود ١ / ١٠.

(٤) تحفة المحتاج شرح متن المنهاج، ابن حجر الهيتمي، ١ / ٢٠ و ٢١.

(٥) موسوعة الفقه المصرية، الصادر عن وزارة الأوقاف المصرية، ١ / ١.

(٦) رد المحتار على الدر المختار، ابن نجيم، ١ / ٣٥-٣٨.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

المطلب الثاني: التوظيف الفقهي لعلم العام والخاص من علوم القرآن:

مبحث "العام والخاص" من المباحث المهمة التي بحثها علماء علوم القرآن ألا أن هناك من يتوهم أن علم "العام والخاص" من المباحث التي تتدرج في مباحث "علم أصول الفقه" (١)، ونتيجة هذا الكلام خروجه هذا العلم من مباحث علوم القرآن، وهذا توهم ناشئ من القول بأسبقية "علم أصول الفقه" بالتدوين لـ "علوم القرآن" فإنّ هذا التوهم مرفوع، لهذا جاء بأن "مبحث العام والخاص قد يتوهم اندراجه تحت علم أصول الفقه، وأنه ليس من علوم القرآن، شأنه شأن الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد، ومنشأ ذلك التوهم هو أسبقية تدوين هذه العلوم وبحثها في علم أصول الفقه، وهذا التوهم مردود بأمور (٢):

(١) أنه لا بدّ من التفريق بين عملية توظيف علوم القرآن من قبل المفسرين، وبين ظهور مصطلح علوم القرآن بنحو مستقل له دلالاته الخاصة، حيث أنه وجد متأخراً عن وجود هذه العلوم وتداولها من قبل المفسرين.

فالعام والخاص وبقية علوم القرآن كانت متداولة في العملية التفسيرية قبل ظهور علم أصول الفقه، إلا أن الأصوليين كانوا الأسبق في التدوين المستقل، حيث تناولوا هذه المصطلحات من وجهة أصولية، لذا قد يتوهم بعض المنتبعين تاريخ تدوين العلوم الإسلامية أن الأصل في هذه العلوم "علوم القرآن" أنها مباحث أصولية لأسبقيتها في التدوين، إلا أن ذلك لا يعني أن هذه المباحث لم تكن قبل التدوين الأصولي لها مباحث قرآنية، لأن المفسرين شرعوا بها ابتداءً منذ الصدر الأول للإسلام.

(٢) وإن كان البحث في العام والخاص في آيات الأحكام أظهر وأبرز في أصول الفقه لدى استنباط الأحكام الشرعية، إلا أنه يرتبط بالآيات التي تعنى بالأخبار والقصص أيضاً، لبيان المراد من كلام الباري (جلّ وعلا)؛ لأخذ العبرة والإفادات التفسيرية الأخر غير الأحكام، مثل التخصيصات التي وردت في آيات الأخبار التي بها عموم، ويتأثر بها المعنى فهي مرتبطة بالتفسير أيضاً.

(٣) إن التعدد الوظيفي للعلوم يمكن أن يدخل في أكثر من حقل معرفي، فإنّ جميع العلوم ينتظم

(١) عُرف اصطلاحاً بأنه "العلم بالقواعد التي يُتوصّل بها إلى الفقه"، التعريفات، ٢٨. وعُرف أيضاً بأنه: "ما يبنتى الفقه عليه ويستند إليه ويكون شاملاً لجميع معلوماته من الأدلة والاجتهاد والترجيح لاشتراكها في ابتناء الفقه عليها"، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٣٧. وأيضاً عُرف بكونه "العلم بالقواعد التي يتوصّل بها إلى الفقه على وجه التحقيق، والمراد بالقواعد القضايا الكلية التي تكون إحدى مقدماتي الدليل على مسائل الفقه، والمراد بالتوصّل القريب الذي له مزيد اختصاص بالفقه إذ هو المتبادر من الباء السببية، ومن توصيف القواعد بالتوصّل فخرج المبادئ كقواعد العربية والكلام، إذ يتوصّل بقواعد العربية إلى معرفة الألفاظ وكيفية دلالتها على المعاني الوضعية وبواسطة ذلك يقتدر على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة والاجماع، وكذا يتوصّل بقواعد الكلام إلى ثبوت الكتاب والسنة ووجوب صدقهما، ويتوصل بذلك إلى الفقه"، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٣٨.

(٢) يُنظر: - تعليقات على العام والخاص، مساعد الطيار، ٥.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

فيما بينها مشتركات، فأصول الفقه اشتملت على مباحث الألفاظ، وجملة من علم الكلام والفلسفة، وغيرها، وهكذا سائر العلوم، فلا غرو أن تنتظم علوم القرآن أبعاضاً من معلومات وظفت في علوم آخر، وذلك بالنسبة إلى ما يسمى بالعلوم المشتركة، وهي غير العلوم التي تكون من صميم القرآن، والتي يطلق عليها العلوم المنبثقة. إذن فإن علم العام والخاص من أجل علوم القرآن وأهمها في بيان المراد^(١).

وخلاصة القول إن مبحث "العام والخاص" من العلوم المرتبطة بعلوم القرآن، التي أشار وكشف عنها علماء علوم القرآن ومن أجل الوقوف على التوظيف الفقهي، وقبل الدخول بإيراد نماذج للتوظيف الفقهي لـ "العام والخاص" لا بد من الإشارة بأنه "مما لا ريب فيه أن الآيات القرآنية نزلت من لدن الحكيم الخبير بمقتضى المصلحة المرجوة، ولما كانت الظروف المحيطة تتأثر بها تلك المصلحة، ولتغير هذه الظروف فلا بد من التدرج في بيان المراد لا أن المراد يتفاوت، فيجيء البيان عاماً ثم تتجلى خصوصياته أو تشخيصاته، ولذلك لا بد من الفحص عن المخصص، وهذا من وجوه الحكمة في العام والخاص، كما قد يتوقف تخصيص العام على المعصوم وذلك للإرجاع إليه بوصفه قائداً منصوباً من الله تعالى، وغير ذلك من المصالح التربوية والاجتماعية، هذا مضافاً إلى أن بعض مفادات البيان الإلهي عامة شاملة للجميع ولا يتناولها التخصيص. فمباحث العام والخاص مباحث جليلة وثرية بمادتها، لا بد للمشتغل بالتفسير من ضبط حدود العام والخاص، ليتسنى له معالجة الدلالات القرآنية على وفق "أسس ضابطة للعملية التفسيرية، مثل:

١- ضبط التعريف لكل من العام والخاص؛ لئلا يختلط مع غيره^(٢).

٢- عدم جواز العمل بالعام قبل الفحص عن المخصص؛ لندرة العام الذي لم يخص في القرآن الكريم^(٣).

٣- يكون العام متبعاً ما لم يتم دليل التخصيص^(٤).

٤- إذا احتل اللفظ شمول أنواع أو أفراد، يُحمل على العموم لأنه أعم فائدة^(٥).

٥- التثبت من موارد العموم، فمنها عموم اللفظ وإرادة الخاص^(٦).

(١) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٣.

(٢) يُنظر: المستصفى، الغزالي، ٢٢٤.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ٢٥٤.

(٤) يُنظر: الإتيقان، السيوطي، ٥٢/٢.

(٥) يُنظر: فقه القرآن، الراوندي، ٣٣٨/٢.

(٦) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٥.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

ويظهر مما تقدم أنّ "العام والخاص" من العلوم المهمة التي أشار إليها القرآن الكريم والتفت إليها العلماء وخصوصاً علماء علوم القرآن، وهم بدورهم وظفوا هذا العلوم لخدمة النص القرآني، وفي هذا المبحث سيدرس الباحث التوظيف الفقهي لهذا العلم بإيراد بعض الشواهد القرآنية التي تثبت هذا التوظيف من قبل علماء علوم القرآن، والامثلة كالاتي:

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١).

فلفظة "القرآن" عامة إلا أنها إذا أُريد بها "الصلاة" تكون خاصة (٢)، وعليه لا بد من التثبت من معنى لفظة العموم من أنّ هناك لفظ يدل على العموم ولكن أُريد به الخصوص كما في الآية المتقدمة، وقد بين علم "العام والخاص" أنّ اللفظة عامة من جهة الإنصات للقرآن الكريم في جميع الأماكن التي يقرأ بها لأنهم "كانوا إذا سمعوا القرآن اشتغلوا عنه، فأمر الله بالإنصات لقراءته على الإطلاق، ولا معنى لمن قال: إن معناها الإنصات لقراءة الإمام أو الخطبة، لأن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة. وأيضاً اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه" (٣)، وهذا الأمر من الأمور الفقهية سواء كان المعنى قراءة القرآن والإنصات عامة في جميع الأماكن، لا القصد للإنصات له في "الصلاة" خاصة، وهذا من الأمور الفقهية التي تحتاج إلى اجتهاد مجتهد؛ لبيان التكليف الشرعي في هكذا مواقف.

(٢) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (٤).

الخطاب خاص بالنبي محمد (ﷺ) إلا أنه يراد به العموم "قَدْ يُعَبَّرُ بِالنَّبِيِّ فِي مَقَامِ التَّشْرِيعِ الْعَامِّ لِكِنَّ مَعَ قَرِينَةٍ إِرَادَةِ التَّعْمِيمِ كَقَوْلِهِ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ } وَلَمْ يَقُلْ طَلَّقْتُمْ" (٥)، وهذا من باب "خصوص اللفظ وإرادة العموم"؛ لأنّ الخطاب موجه للنبي محمد (ﷺ) إلا أنّ المعنى عام يشمل جميع الأمة الإسلامية (٦)، وكما هو معلوم أنّ الطلاق من المسائل الفقهية التي وردت بها أحكام كثيرة في الشرع الإسلامي، فإذا أخذت الآية على خصوصيتها بالنبي محمد (ﷺ) لا يتمكن الفقيه من تعميم الحكم على سائر المسلمين، فوظف علم "العام والخاص" فقهاً في فهم دلالة الآية بأن الحكم عام يشمل جميع

(١) سورة الأعراف: الآية، ٢٠٤.

(٢) يُنظر: معاني القرآن، النحاس، ١٢٢/٣.

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٢٨٤/٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٥) البرهان في علوم القرآن، ٢٣٠/٢. يُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١٧٥/١. والإيقان في علوم القرآن، ١١١/٣.

(٦) يُنظر: تفسير الألوسي: ٩/١٤٨. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار، ٣٣٥.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

أفراد الامة الإسلامية.

(٣) قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَمِيسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

فمدخلية "العام والخاص" هنا بأنه يجب "الالتفات إلى أنه إذا جاء المخصص بعد عدة عمومات، وأمكن عوده إلى كل واحد منها، كان الأخير مخصوصاً قطعاً، وإن اختلف في عوده على الجميع (٢)، فما أكل السبع قابل للتذكية قطعاً، أما المحرمات الباقية فمنها ما يمكن تخصيصه بالاستثناء، ومنها ما هو غير قابل للتخصيص كالدّم والخنزير (٣)" (٤)، فهناك محرمات عامة إلا أن بعض الأفراد ممكن أن تكون فيها الحلية إذا ذبح على الطريقة الإسلامية كما في "ما أكل السبع" فهناك محرمات يمكن تخصيصها من عموم التحريم الواردة في الآية "قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ} وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْمَيْتَاتِ ثُمَّ خَصَّهُ بقوله: {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} فَأَبَاحَ الصَّيْدَ الَّذِي يَمُوتُ فِي فَمِ الْجَارِحِ الْمُعَلَّمِ، وَخَصَّصَ أَيْضًا عُمُومَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى قَالَ: {أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ} تَقْدِيرُهُ: وَإِنْ كَانَتْ مَيْتَةً فَخُصَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عُمُومَ تِلْكَ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ}، وَنظيره قوله: {وَالدَّم} وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا} يَعْنِي إِلَّا الْكَبِدَ وَالطَّحَالَ فَهُوَ حَلَالٌ. ثُمَّ هَذِهِ الْآيَةُ خَاصَّةٌ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ وَالْآيَةُ الْعَامَّةُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخَاصُّ عَلَى الْعَامِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ" (٥)، كما أن هناك تخصيصاً للعموم المذكور "وَحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ خَصَّ مِنْهَا حَالَةَ الْاضْطِرَارِ وَمَيْتَةَ السَّمَكِ وَالْجَرَادِ" (٦)، وكما هو معلوم أن التذكية بأن تذبح الذبيحة المحللة الأكل على الطريقة الإسلامية من الأمور الفقهية التي ناقشها الشرع الإسلامي من جهة الحلية وعدمها، وفي هذه الآية وإن كانت عامة إلا أنه ورد بعض التخصيص بحلية بعض الأفراد المذكورة فدل هذا التوجيه للعام والخاص بوجود وظيفة فقهية لهذا العلم.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) يُنظر: معارج الأصول، المحقق الحلبي، ٩٨-٩٩.

(٣) يُنظر: جامع البيان، الطبري، ٩٦/٦. وأحكام القرآن، الجصاص، ٣٨٤/٢. والتبيان، الطوسي، ٤٣١/٣.

(٤) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار، ٣٣٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن، ٢/٢٢٢.

(٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/١٥٧.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

(٤) قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾^(١).

هناك موارد لعطف الخاص على العام وردت في النص القرآني لها فوائد كالتفضيل والاهتمام وخصوص الخطاب؛ لأنَّ أرادة "العام" لغاية منها: التعظيم والتفريع والتأكيد والتشريف والتنزيه والتغليظ، والتغليب^(٢)، وقد قام السيوطي (ت ٩١١) بذكر جملة أو بعض من هذه الموارد^(٣)، ومن هذه الموارد هذه الآية حيث قال: "عطف الخاص على العام وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات"^(٤)، فإله تعالى في هذا النص ذكر المحافظة على الصلاة بصورة عامة ثم عطف عليها صلاة خاصة وهي "الوسطى"^(٥)، والصلاة كما هو معلوم من الأمور الفقهية، وعلم العام والخاص وظف في هذه الآية من أجل بيان سبب العطف للخاص على العام.

وخلاصة القول إنَّ علم "العام والخاص" وظف فقهيًا؛ لبيان مقاصد القرآن الكريم، وكان لهذا العلم الأثر الواضح في بيان الأمور الفقهية التي أشار إليها النص القرآني، وأهمية في توضيح الأحكام الشرعية، وقد اكتفى الباحث بإيراد بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر تاركًا المجال مفتوحًا أمام

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٢) يُنظر: الإِتقان، السيوطي، ٢/٤٨ و ٨٨-٩٢.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ١/١٣٧، ٢/٤٧-٤٨ و ٨٨-٨٩ و ١٠٠ و ١٤١.

(٤) الإِتقان في علوم القرآن، ٣/٢٤٠. يُنظر: معترك الأقران في إجاز القرآن، ١/٢٧١.

(٥) قال الشيخ الطوسي في (التيبان ٢/٢٧٥): والصلاة الوسطى هي صلاة العصر. [١١٧٨] مسألة ٣: الظاهر أنَّ الصلاة الوسطى التي تتأكد المحافظة عليها هي الظهر، المستند في شرح العروة الوثقى-الجزء الأول: الصلاة، السيد الخوئي، ١/٢٨٨، وخالفهم السيد المرتضى (قدس سره) حيث فسرها بصلاة العصر مدعيًا عليه الاجماع، رسائل الشريف المرتضى ١: ٢٧٥. والتي تنوعت فيها الأقوال إلى نحو عشرين قولاً - كما عدها الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٨/١٩٧، وألف فيها الحافظ عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله كتاباً بعنوان "كشف المُعْطَى في تبيين الصلاة الوسطى" وأقوى هذه الأقوال قولان: القول الأول: أنها صلاة الصبح. "وهو قول أبي أمامة، وأنس، وجابر، وأبي العالية، وعبيد بن عمير، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم، وهو أحد قولي ابن عمر وابن عباس. وهو قول مالك والشافعي فيما نص عليه في "الأم" "انتهى من "فتح الباري" ابن حجر العسقلاني، (٨/١٩٦) باختصار. القول الثاني: أنها صلاة العصر. وهذا قول أكثر أهل العلم، وهو القول الصحيح المعتمد، لدلالة السنة الصحيحة عليه. "وهو قول علي بن أبي طالب، فقد روى الترمذي والنسائي من طريق زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة: سل علياً عن الصلاة الوسطى. فسأله فقال: كنا نرى أنها الصبح، حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب: (سَعَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ). وهذه الرواية نص في أن كونها العصر من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأن شبهة من قال إنها الصبح قوية، لكن كونها العصر هو المعتمد. وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة، وهو = = الصحيح من مذهب أبي حنيفة، وقول أحمد، والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه. قال الترمذي: هو قول أكثر علماء الصحابة. وقال الماوردي: هو قول جمهور التابعين. وقال ابن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر. وبه قال من المالكية ابن حبيب وابن العربي وابن عطية" انتهى من فتح الباري، ٨/١٩٦. وقال النووي: "الذي تقتضيه الأحاديث الصحيحة أنها العصر، وهو المختار". المجموع، ٣/٦١.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

الباحثين بأن ينهلوا من النص القرآني ويستخرجوا ما فيه من مسائل فقهية كان لعلم "العام والخاص" مدخلية في بيانها وتوضيحها.

المطلب الثالث: التوظيف الفقهي لعلم المطلق والمقيد من علوم القرآن:

علم المطلق والمقيد من العلوم والمباحث المهمة في علوم القرآن التي لها الأثر الكبير في التوظيف الفقهي لمقاصد القرآن الكريم، فضلاً عن أثرها في بيان معنى المراد من آيات القرآن الكريم، وقبل إيراد الآيات التي وظفت فقهيًا لعلم "المطلق والمقيد" لابد من الإشارة إلى "دلالة المطلق" بأنه يجري ويستمر على إطلاقه بشرط عدم قيام أي دليل يقيده بنصٍ أو دلالة^(١)، وهذا الشيء يسري على أي لفظ جاء مطلقاً في النص القرآني، فالأصل حمله على الإطلاق إلا إذا وجد دليلاً يقيده، وعليه فعند بيان أي نص قرآني فإنه لابد من حمل المطلق على إطلاقه باستثناء ما وجد له دليلاً يقيده، ومعنى ذلك وجود ما يثبت ويفيد أن المراد من اللفظ الشائع المطلق في الأفراد الكثيرة فرد واحد غير مطلق معين مقيد بشيء ما، كالشرط أو الوصف، أو نحو ذلك، بحيث يحد من الإطلاق والشيوع، مما يؤدي إلى حصر مدلول اللفظ في دائرة أو جهة معينة^(٢)، ومعنى ذلك أن المطلق لا يكون مطلقاً إلا إذا انطبق الإطلاق على أفراد كثيرة فإذا شذَّ فرد واحد بوصف أو شرط لم يبق للإطلاق شيء.

أما من حيث "حكم المطلق" فإنه "إذا ورد في نص من النصوص ولم يدل دليل على تقييده يعمل بإطلاقه كما ورد، لأنه خاص يدل على معناه الموضوع له قطعاً ما لم يدل دليل يصرفه عن معناه المتبادر منه"^(٣)، وهذا الأمر أو الحكم تلخصه القاعدة الفقهية التي توضح دلالة المطلق وهي: "المطلق يجري على إطلاقه إذا لم يقم دليل التقييد نصاً أو دلالة"^(٤).

أما المقيد فدلالته "إذا كانت دلالة المطلق تجري على إطلاقها حتى يرد ما يقيدها، فكذا المقيد يعمل به في تقييده، بحيث لا يصح العدول إلى الإطلاق إلا بقيام دليل على الإطلاق"^(٥)، وحكمه "إذا كان من الواجب أن يعمل بالمطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده، فإن الواجب في المقيد أن يعمل به مع تقيده، ولا يجوز العدول إلى الإطلاق إلا بقيام دليل يدل على ذلك"^(٦)، كما أن هناك قاعدة توضح

(١) قاعدة فقهية المدخل الفقهي، الدكتور أحمد الحجي الكندي، ٣٤.

(٢) يُنظر: أصول التفسير وقواعده، خالد بت عبد الرحمن، ٤١١. والتفسير بالرأي، محمد حمد زغول، ٢٧٦.

(٣) أصول الفقه الإسلامي، د. محمد شبلي، ٣٩٧.

(٤) التفسير بالرأي، محمد حمد زغول، ٢٧٦.

(٥) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٥/٢. والتفسير بالرأي، محمد حمد زغول، ٢٧٨.

(٦) يُنظر: المصدر نفسه، ١٥/٢. وإرشاد الفحول، الشوكاني، ٢٧٩. والتفسير بالرأي، محمد حمد زغول، ٢٨٠.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

العلاقة بين "المطلق والمقيد" وهي "حمل الاطلاق على التقيد"، ومعنى ذلك ورود اللفظ في النص مطلقاً، ووروده في نص آخر مقيداً، "المطلق والمقيد، كالعام والخاص في هذا الجانب، فكل ما يخصص العام فهو يقيد المطلق، فيقيد مطلق الكتاب بمقیده، وبالسنه المتواترة، وبالإجماع" (١). وعليه يبتنى على هذه القاعدة التي اتفق عليها المفسرون (٢)، والأصوليون (٣)، وعليه ينبغي أن يحمل المطلق على المقيد (٤)، لكن ليس في كل الأحوال إلا إذا وجد لفظ مقيد للإطلاق في نصٍ آخر.

مما تقدم فإن لهذه القاعدة اعتبارات وصور مختلفة من حيث الحكم أو الموضوع، وعليه فلا يمكن أن نحمل المطلق على المقيد الا لحالات خاصة (٥)، التي يمكن من خلالها أن يعبر فيها المطلق عن المقيد.

حالات المطلق والمقيد:

ويُوظف هذا العلم فقهيًا بواسطة الحالات الآتية (٦):

(١) الاتحاد في الحكم والسبب للمطلق والمقيد:

كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّتُكُمْ وَأَلِدُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَلَىٰ مَا أُوحِيَ إِلَيْكُمْ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ...﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ...﴾ (٨)، والتوظيف الفقهي في هاتين الآيتين هو ورود لفظ "الدم" في الأولى مطلقاً من دون قيد، أما في الآية الثانية فقد ورد مقيداً بلفظ "مسفوحاً"، فمن ناحية الحكم فهو واحد في الآيتين، وهو الحرمة وسبب ذلك واحد أيضاً وهو الضرر الذي يترتب من تناول "الدم" (٩)، وعليه لا بد من حمل الاطلاق

(١) نشر البنود، عبد الله الشنقيطي، ١/٢٦٠. يُنظر: التعارض والترجيح، البرزنجي، ٢/٣٨-٤٠.

(٢) يقول القطب الراوندي في فقه القرآن، ١/٧. "وإما المطلق والمقيد فليبنى المطلق على المقيد إذا كانا في حكم واحد". يُنظر: مفاتيح

الغيب، الرازي، ٦/٢٩. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/٣٨. وأضواء البيان، الشنقيطي، ١/٤٢٦.

(٣) يُنظر: الذريعة، السيد المرتضى، ١/٣٧٥. والعدة، الطوسي، ١/٣٢٩. واللمع أبو إسحاق الشيرازي، ١٣٢.. واصول السرخسي،

١/٢٧. والأحكام، الأمدي: ٣/٢. على سبيل المثال.

(٤) يُنظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي حربي، ٢/١٩٣. ووظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل

مدب متعب، ٢٤٧.

(٥) يُنظر: نفائس الأصول، القرافي، ٢/٧٦.

(٦) يُنظر: وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٤٧ وما بعدها.

(٧) سورة المائدة: جزء من الآية: ٣.

(٨) سورة الانعام: جزء من الآية: ١٤٥.

(٩) يُنظر: من كتب التفسير جامع البيان، الطبري ٦/٩٦. والتبيان، الطوسي، ٣/٤٢٨، ٤/٢٥٤. وتفسير الصافي، الفيض الكاشاني،

٧/٢. وأضواء البيان، الشنقيطي، ٦/٢١٣، وغيرها. وقد استعمل الاصوليون الآيتين ذاتهما في خصوص هذا الموضوع، ومنهم،

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

على التقييد، فيكون المحرم في تناول هو الدم المسفوح لا أي دم بأطلاقه (١)، وعليه فلا خلاف بين العلماء (٢) فيما تقدم من حمل المطلق على المقيد في هذه الصورة.

ويرى الدكتور فاضل مدب (٣) أن هذا الرأي لم يُخالف إلا من قبل الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) بان رأيهما لفظ "الدم" لا يكون مطلقاً وقيد بـ "المسفوح"، فيكون اللفظ عام وخصص بـ "المسفوح" (٤)، وعلق الدكتور فاضل مدب ما نصه "ان فيما ذهب إليه الزركشي والسيوطي نظراً: إذ أن العموم يعني الاستيعاب الذي يكون مدلولاً للفظ والإطلاق انما يستفاد من غير مدلول اللفظ وهي (قرينة الحكم) أي ظهور حال المتكلم في أن ما لا يقوله لا يريد. ولفظ (الدم) في الآية الأولى يفيد الاستيعاب، لكن لا عن طريق اللفظ وإنما عن طريق عدم ذكر القيد كما في الآية الثانية المقيدة بلفظ (المسفوح)" (٥).

وقد ذكر أن لفظة "دما مسفوحاً" قيدت بالوصف "مسفوحاً" فإذا رفعنا الوصف وأبقينا فقط لفظة "الدم" لكان المعنى مطلقاً يشمل كل دم، وعليه فقد أحتاج إلى بيان وتقييد بالصفة فقال تعالى: "مسفوحاً" (٦)، وعليه فيتعين الرأي الأول؛ لأنّ "المطلق" يبقى على اطلاقه ما لم يدل الدليل على تقييده، وهنا قيد الاطلاق بوصف.

أما توظيف هذا العلم فقهيّاً فإنّ الموضوع الذي تدور الآيتين عليه هو تعداد المحرمات الفقهية سواء من جهة تناول أو النجاسة فكلا الحكمين فقهيين.

(٢) الاختلاف في الحكم والسبب للمطلق والمقيد:

كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨)، في الآية الأولى وردت

الفصول، الجصاص، ٢٦/١. والطوسي، العدة، ٤٣٦/٢. والسرخسي في أصوله، ١/١٩٥. المستصفي، الغزالي، ١٨٧. وغيرها.

(١) يُنظر: كشف الأسرار، البخاري، ٢/٢٨٩. ومستمسك العروة الوثقى، الحكيم، ١/٤٨.

(٢) نقل هذا الإجماع، البخاري في كشف الاسرار: ٢/٢٨٩.

(٣) يُنظر: وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٢٤٨.

(٤) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢/٢٢٢. والإتقان، السيوطي: ٤٥/٢.

(٥) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، ٢٤٨.

(٦) يُنظر: الدروس، الشهيد محمد باقر الصدر، شرح الحلقة الثانية كمال الحيدري، ٢/٨٢ و٨٣. ومجلة مآب موارد الاتفاق والافتراق بين

مفهومي التقييد والتخصيص، بحث للدكتور سيروان الجنابي، ١٢١-١٢٢.

(٧) سورة المائدة: جزء من الآية: ٦.

(٨) سورة المائدة: الآية ٣٨.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

لفظة "اليد" مقيدة بلفظة "المرفق"، أما في الآية الثانية فوردت لفظة "اليد" مطلقة بدون تقييد، مع أنّ هاتين الآيتين وردتا في سورة "المائدة"، إلا أنّ كل آية عالجت موضوعاً مختلفاً؛ فالحكم والسبب مختلفان، فالآية الأولى تتكلم عن "الغسل"؛ والسبب الطهارة في الصلاة، أما الثانية تتكلم عن "وجوب القطع"؛ وسببها "السرقه"، وعليه فلا مناسبة ولا تعارض بينهما من أجل حمل أحدهما على الآخر، لهذا يعمل بكل حكم على حده، مع الأخذ بالاعتبار أنّ الحكم مختلف، وفي بعض الحالات قد تدعو الضرورة إلى حمل المطلق على المقيد في حالة الامتناع من العمل بالمطلق بالإضافة إلى العمل بالمقيد فهنا لا بد من الحمل، كما إذا قيل لمن يجب عليه الامتثال "أعتق رقبة"، وهو لا يملك رقبة كافرة مثلاً، وعليه سيعمل بالإطلاق في (تحرير رقبة)؛ لأنّ الرقبة لم تقيّد بغيره، وهنا الحكم مختلف والسبب مختلف لأنّ الأول عتق والثاني تمليك، فمع الاختلاف في الحكم والسبب فلا حمل لأحدهما على الآخر، إلاّ أنه عندما امتنع العمل بالمطلق من غير حمل على التقييد تعين الحمل^(١).

وقد اتفق المفسرون^(٢)، والأصوليون^(٣)، بأنّ حمل المطلق على المقيد في هذه الصورة ممتنع؛ والسبب عدم وجود تعارض أو علاقة بينهما^(٤)، وقد صرح بذلك الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) بقوله: "ولا حمل في هذه اجماعاً"^(٥).

والنتيجة أن يعمل بكل حكم على حده من دون حمل أحدهما على الآخر وهنا وظف "المطلق والمقيد" فقهاً في هذه المسألة؛ لأنّ المطلق لا يقيد إلاّ إذا دلّ الدليل على ذلك، ولما اختلف الحكم والسبب فلا دليل لحمل المطلق على المقيد.

(٣) الاتحاد في الحكم والاختلاف في السبب للمطلق والمقيد:

كما في قوله تعالى: ﴿... وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ...﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿... وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿... فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٨)،

-
- (١) يُنظر: أضواء البيان، الشنقيطي: ٦/ ٢١٣. والجامع لجوامع العلوم، محمد مهدي النراقي، ٢٠١.
(٢) يُنظر: من كتب التفسير وعلوم القرآن: مفاتيح الغيب، الرازي: ٦/ ٢٩. والجمع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥/ ٣٨. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ٧. والإنقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٨٣.
(٣) يُنظر: من كتب الأصول: الأحكام، الأمدي، ٣/ ٤. ومبادئ الأصول، العلامة الحلي، ١٥١. وارشاد الفحول، الشوكاني، ١/ ٢٧٩ - ٢٨١. وروضة الناظر، عبد الله ابن قدامة، ١/ ٢٦٢.
(٤) يُنظر: وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٤٩.
(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، ٦/ ٢١٣.
(٦) سورة البقرة: جزء من الآية: ٢٨٢.
(٧) سورة البقرة: جزء من الآية: ٢٨٢.
(٨) سورة النساء: جزء من الآية: ٦.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ...﴾ (١).

في بعض الآيات القيد واحد كما اشترط الله تعالى الشهادة في النص القرآني في المداينة والبيع في الآية الأولى والثانية، وفي دفع الأموال إلى اليتامى في الآية الثالثة، ويلحظ ورود لفظ "الشهادة" مطلقاً في الآيات الثلاث ولم يقيد بلفظة "العدالة" فأصبحت الشهادة للمؤمن والكافر على إطلاقها، أما الآية الرابعة وردت لفظة الشهادة مقيدة بلفظ "العدالة" في آية الطلاق، فالحكم في جميع الآيات الأربع واحد وهو "الشهادة" سواء اكان واجباً أم مستحباً، إلا أن السبب مختلف كما يلحظ، ففي الآية الأولى السبب هو "البيع"، وفي الثانية السبب هو "الدين المؤجل"، أما الثالثة فالسبب "حفظ مال اليتيم"، أما الرابعة فالسبب الطلاق، أما القيد فواحد وهو "العدالة" (٢).

ويكون الحكم لمن قال من العلماء بوجود أن يحمل المطلق على المقيد بأن شرط العدالة لا بد من وجوده في جميع موارد الأشهاد الواردة في القرآن الكريم، فيشمل شرط العدالة جميع موارد "الشهادة" سواء وردت في القرآن الكريم مطلقة أم مقيدة (٣)، وعليه يمكن القول أن "هذه الصورة من أكثر الصور تفصيلاً وكلاماً عند العلماء إلا أنه يمكن للبحث أن يسجل اتفاق جمهور العلماء من الأصوليين (٤) مع المفسرين والمختصين في علوم القرآن (٥) على جواز حمل المطلق على المقيد إذا كان القيد واحداً، مع مخالفة بعض العلماء لذلك (٦)، فإذا زادت القيود ولم تتعارض مع بعض فالاتفاق قائم على حمل المطلق على المقيد وإذا تعارضت لا يحمل؛ لأنه ليس حملة على أحدها بأولى من حملة على الآخر (٧) " (٨).

(١) سورة الطلاق: جزء من الآية: ٢.

(٢) يُنظر: وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٥١.

(٣) يُنظر: التبيان، الطوسي، ٥٤٣/٩. المحصول، الرازي: ١٤٦/٢. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٥/٣. واللب في علوم الكتب، ابن عادل، ٢١٦/٦. والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٨٢/٢. وارشاد الفحول، الشوكاني، ١/٢٨١. وأصول الفقه في نسيجه الجديد، ٣٢٦.

(٤) يُنظر: للمع، الشيرازي، ١٣٢. والبرهان في أصول الفقه، الجويني، ٢٨٨/١. والمحصل، الرازي: ٣/١٤٤ - ١٤٥. مبادئ الوصول، العلامة الحلي، ١٥١. وارشاد الفحول الشوكاني، ٢٧٩/١. وأجود التقريرات، السيد الخوئي، ١/٥٣٨.

(٥) يُنظر: التبيان، الطوسي، ٥٤٣/٩. ومفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/٦. وزاد الميسر، ابن الجوزي، ٢/٣١٤. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٥/٢. والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٨٣/٢. واضواء البيان، الشنقيطي، ٦/٢١٣. الجامع لجوامع العلوم، الراقي، ٢/١.

(٦) كالحنفية وأكثر الشافعية والحنابلة وغيرهم، يُنظر: البرهان في أصول الفقه، الجويني، ٢/١٥. وأصول السرخسي، ١/٢٢٨. وروضة الناظر، ابن قدامة، ١/٢٦.

(٧) فإن كان هناك نصين مقيدتين في جنس واحد والسبب مختلف وهناك نص ثالث مطلق من الجنس فلا خلاف أنه لا يلحق بواحد منهما لغة، وذلك كقضاء رمضان ورد مطلقاً وصرح في صوم الظهار بالتتابع، وفي صوم المتعة بالتفريق، وإما الحاقه بأحدهما قياساً إذا وجدت علة تقتضي الإلحاق فإنه على خلاف المذكور في التي قبلها. المسودة، آل تيمية، ١/١٣١.

(٨) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٥٠.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

وهناك في النص القرآني يرد أكثر من قيد، وعليه ففي "حالة ورود أكثر من قيد فمثاله من القرآن الكريم صوم كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا خَلَقْتُمْ﴾ (المائدة / ٨٩)، فإنه مطلق عن قيد التتابع والتفريق، وفي صوم الظهر تقييد بالتتابع في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (المجادلة / ٤)، وفي صوم التمتع ورد مقيداً بالتفريق في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ..﴾ (البقرة / ١٩٦)، واليمين أقرب إلى الظهر من التمتع؛ لأن كلا من صوم الظهر وصوم اليمين كفارة، بخلاف صوم التمتع فيقيد صوم كفارة اليمين بالتتابع ولا يقيد بالتفريق لقربه من الأول عند من يقول بذلك أي بجواز حمل المطلق على المقيد في هذه الصورة" (١).

وهذه الموارد التي تم إيرادها قد وظفت علم "المطلق والمقيد" فقهيًا في الشهادة والصوم، التي حمل بها المطلق على المقيد عند اتحاد الحكم والاختلاف بالسبب.

(٤) الاختلاف في الحكم والاتحاد في السبب للمطلق والمقيد:

قال الدكتور فاضل مدب "إنَّ اختلاف النصين في الحكم من دون السبب مما وقع فيه الخلاف بين الأصوليين على مذهبين:
الأول: قالوا بعدم حمل المطلق على المقيد في هذه الصورة، وإنما يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لاختلاف الحكم (٢)، إلا إذا وجد الدليل الذي به يحمل المطلق على المقيد (٣) وهو رأي أكثر الفقهاء والأصوليين (٤). ونقل بعضهم (٥) الإجماع على ذلك، وهو محل نظر؛ لأن هناك من خالفهم.

(١) ذهب الأمامية والحنفية إلى التتابع في كفارة اليمين، وللشافعي قولان: أحدهما التتابع، والآخر الاختيار فان شاء فرق وان شاء تابع صومه. يُنظر: الخلاف، الطوسي، ٦ / ١٤٢. والمبسوط، السرخسي، ٨ / ١٥٥. والام، الشافعي، ٧ / ٦٦. ومختصر المزني، المزني، ١٨ / ١٢٢. ويُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢ / ١٧. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢ / ٨٣. ووظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٥١.

(٢) ومن قال ان الحمل يكون بالقياس قال بعدم الحمل في هذه الصورة؛ لأن القياس من شرطه إتحاد الحكم، والحكم هنا مختلف. يُنظر: روضة الناظر، ابن قدامة: ١ / ٢٦٢.

(٣) كما اذا ورد دليل من السنة المطهرة يقيد النص القرآني فهو هنا ليس من قبيل حمل المطلق على المقيد؛ بل من قبيل تبين السنة = للإجمال. يُنظر: فتح القدير، الشوكاني ١ / ٨٦.

(٤) ومنهم السيد المرتضى في الانتصار، ١٢٣. والشيخ الطوسي في النهاية، ٥٠، والسرائر، ابن إدريس، ١ / ١٣٦. والمجموع، النووي، ٢ / ٢١٠. والإقناع، الشربيني: ١ / ٧٣. والمحقق الحلي في شرائع الإسلام، ١ / ٢٩. ومن كتب الأصول: يُنظر: الأحكام، الأمدي، ٤ / ٣. واللمع، الشيرازي، ١٣٢. وأصول السرخسي: ١ / ٢٧٠.

(٥) وروضة الناظر، ابن قدامة، ١ / ٢٦٢. ومبادئ الوصول، العلامة الحلي، ١٥١. وغيرهم.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

الثاني: وهؤلاء جَوَّزوا حمل المطلق على المقيد وهم بعض الأصوليين والفقهاء (١).

وأما المفسرون فقد اختلفوا أيضا فيما بينهم في هذه الصورة فمن جوز حمل المطلق على المقيد (٢). ومن منع منه (٣)، وآخر لا موقف واضح لديه من ذلك، وإنما يكتفي بعرض آراء المانعين والمجوزين من دون اختيار للراجح منها (٤). فهم - أي المفسرون - في موقفهم هذا قد اتبعوا آراء فقهاء المذهب الذي ينتمون إليه وطبيعي أن ينتصر كل منهم إلى مذهبه وإلا ما كانت المذاهب ولا بقيت (٥)، فالمسألة خلافية بين الأصوليين أم المفسرين، فلا مرجح بين القولين، وما توصل إليه الدكتور فاضل مدب من أن القضية عقدية راجعة وخاضعة لمذهب الفقيه.

والمثال القرآني من النص القرآني لهذه الصورة قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦).

وهذه الآية تعدُّ من الأمثلة الفقهية التي وردت لهذه الصورة "الاختلاف في الحكم والاتحاد بالسبب" وقد ذكرتها كتب التفسير للمفسرين (٧)، وكذلك ذكرتها مصادر الأصوليين (٨).

أما محل الشاهد في هذه الآية بأن "الأيدي" في الوضوء ذكرت مقيدة بقوله تعالى "إلى المرافق"، ولكنها في التيمم ذكرت مطلقة، وعليه فهل يحمل المطلق على المقيد فتكون "اليد" في حال "التيمم" معناها وحدودها "إلى المرافق"، وهما كما يُلاحظ قد اختلفا بالحكم - حكم وجوب الغسل وحكم وجوب التيمم - وقد اتحدا في السبب وهو "إرادة الطهارة"؟

(١) ومنهم الأمدي في الأحكام، ٤/٣. والشوكاني في ارشاد الفحول، ١/ ٢٨٠.

(٢) يُنظر: المحصول، الرازي، ١/ ٤١٧. والمجموع، النووي: ٢/ ٢١٠. ومغني المحتاج، احمد الشربيني، ١/ ٧٣.

(٣) ومنهم: الجصاص في أحكام القرآن، ٢/ ٤٢٨. وتفسير السمرقندي، ١/ ٣٢٢. والرازي، مفاتيح الغيب، ١٠/ ١١٤. وروح المعاني، الألوسي، ٥/ ٤٤.

(٤) ومنهم: البغوي في تفسيره، ١/ ٤٢٦. الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٢٣٩. وغيرهم.

(٥) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٥٢.

(٦) سورة المائدة: الآية: ٦.

(٧) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٥/٢. والاتقان في علوم القرآن، السيوطي/ ٢/ ٨٣.

(٨) يُنظر: من كتب الأصول: الفصول في الأصول، الجصاص، ٤/ ٣٨. والذريعة، السيد المرتضى، ٢/ ٧٢٢. والأحكام، ابن حزم، = ١٨١/٢. وعدة الأصول، الطوسي، ١/ ٥٣. وأصول السرخسي، ١/ ١٧٣. المستصفى، الغزالي، ٢٤. والمحصول الرازي، ١/ ٤١٧. والأحكام، الأمدي، ١/ ١٦٥. واجود التقريرات، تقرير بحث النائيني، للخوئي، ٢/ ٢٩٦. على سبيل المثال.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

وعليه "فعلى المذهب الأول لا تجب مسح الأيدي في التيمم إلى المرافق بل يكفي بالمسح إلى الكوعين (١). وعلى المذهب الثاني: وجوب مسح الأيدي إلى المرفقين عند التيمم حملاً للمطلق على المقيد" (٢)، وعليه فكل يتبع مذهبه الذي يقلده وينتمي إليه؛ لأنه كما تقدم فالمسألة فقهية مختلف فيها بين الفقهاء، وكل أنتصر إلى مذهبه، وكما تقدم فإن التقييد هنا للسنة الشريفة.

واستناداً لما سبق ذكره فإن المطلق يبقى مطلقاً ما لم يدل الدليل على تقييده، والعكس كذلك في المقيد، فلا عدول من الإطلاق إلى المقيد، أو من المقيد إلى الإطلاق إلا بدليل يدل على صحة هذا العدول، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٤).

فاللفظ "عتق رقبة" جاء مطلقاً في كفارة اليمين في الآية الأولى، وفي الآية الثانية فيما يخص كفارة الظهار (٥)، ووردت مقيدة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٦).

ومن المفسرين من حمل المطلق على المقيد فقالوا لا تجزي الرقبة الكافرة، وهناك من أبقى المطلق على إطلاقه (٧)، ودليل من أبقى إطلاقه ما لم يدل على تقيده، وفي حالة دوران الأمر بينهما -الإطلاق والتقييد- لمورد واحد، فالحكم بالحمل على الإطلاق، والسبب كون الأصل "بقاء الشيء على ما كان

(١) الكوع: هو الكرسوع بضم الكاف وهو الطرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الناشئ عند الرسغ. يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٤٧/٥.

(٢) يُنظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٤٢٨/٢. المجموع، النووي، ٢١٠/٢. الإقناع، الشربيني، ٧٣/١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٣.

(٥) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ١٤٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(٧) يُنظر: أحكام القرآن الجصاص، ٥٦٨/٣.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

عليه" (١)، نحو "إطلاق صوم الأيام في كفارة اليمين، وقيدت بالتتابع في كفارة الظهار والقتل، وبالتفريق في صوم التمتع، فلما تجاذب الأصل تركناه على إطلاقه" (٢)، "وأما إن لم يختلف حكمهما، فلا يخلو إما أن يتحد سببهما، أو لا يتحد: فإن اتحد سببهما، فإما أن يكون اللفظ دالاً على إثباتهما أو نفيهما، فإن كان الأول كما لو قال في الظهار: "أعتقوا رقبة"، ثم قال: "أعتقوا رقبة مسلمة" فلا نعرف خلافاً في حمل المطلق على المقيد هاهنا، وإنما كان كذلك؛ لأن من عمل بالمقيد فقد وفى بالعمل بدلالة المطلق، ومن عمل بالمطلق لم يفِ بالعمل بدلالة المقيد، فكان الجمع هو الواجب والأولى" (٣).

وخلاصة القول إنَّ علم "المطلق والمقيد" كان له وظيفة فقهية في تحديد "الرقبة" هل هي مطلقة أيُّ رقبة، أم أنها تقيد بالمؤمنة كل ذلك راجع لضابطة المطلق أو المقيد.

وبناءً على ما تقدم ذكره من الأمثلة القرآنية الفقهية التي وظفت علم "المطلق والمقيد" في ترجيح بعض الاختلافات فيها، أما بإبقاء المطلق على إطلاقه، أو حملة على التقيد، أو الاختلاف في حملة من عدمه، كل ذلك مع وجود الاختلافات فيه يكشف الدور البارز الذي يلعبه هذا العلم في التوظيف الفقهي، الأمر الآخر أكتفى الباحث بإيراد بعض الأمثلة لهذا التوظيف؛ طلباً للاختصار، ولفتح المجال أمام الباحثين في الخوض بهذا أمور تكشف عن عمق اللفظ القرآني، وشمولية علوم القرآن بالتوظيف لخدمة النص القرآني.

المطلب الرابع: التوظيف الفقهي لعلم المجمل والمفصل من علوم القرآن:

من العلوم والمباحث التي بينها علماء علوم القرآن علم "المجمل والمفصل"، وهو أحد الأساليب المهمة التي لها أثر بارز في بيان النص القرآني، لأنه يبين ما أبهم من الآيات القرآنية؛ لأنَّ القرآن الكريم القرآن جاء في بعض آياته مفصلاً، وفي بعضها الآخر مجملاً، كما أشار ووجه إليه العلماء الذين اهتموا بالدرس القرآني، وعلى سبيل المثال نورد ما قاله ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) بأن من أصح طرق بيان النص القرآني: "هي أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما أختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر" (٤).

وهذا العلم تعلق في بعض الموارد التي وردت في النص القرآني بالأحكام الشرعية الفقهية، وهذا

(١) يُنظر: عدة الأصول، الطوسي، ١/٣٣٣-٣٣٥. - هداية المسترشدين، محمد تقي الرازي، ٢/٩٥.

(٢) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢/١٧.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، ٣/٤. يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ١٤٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/٣. يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/١٧٥. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي،

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

لا يعني اختصاص هذا العلم فقط بالأمر الشرعية، بل تعلق بأمر أخرى إسلامية ممكن الكشف عنها، إلا أن ما سيتم الكشف عنه هنا هو اثبات ما تم توظيفه من الأمور الفقهية عن طريق علم "المجمل والمفصل".

تقدم في بيان معنى "المجمل والمفصل" في اللغة والاصطلاح، بأن ما جهل بيانه ومعناه فهو "المجمل"، و "المفصل" أو "المبين" فهو ما يقابله بمعنى يكون واضحاً، وما سيتم إيراد بعض التوظيف الفقهي لآيات القرآن بما يخص علم "المجمل والمفصل" الذي استند عليه علماء علوم القرآن في بيان ما جاء "مجملاً" في النص القرآني، وخاصة إذا علمنا أن العلماء قد اجمعوا على ورود اللفظ المجمل في النص القرآني ما عدا "داوود الظاهري" (١) الذي أنكره، كما أن علماء المسلمين أقرروا بأن "المجمل" إذا ورد في النص القرآني لا يبقى على ابهامه أو غموضه وخصوصاً في الأمور الشرعية (٢)، فإنَّ الباحث سيورد بعض الآيات القرآنية على سبيل المثال لا الحصر منها:-

(١) قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (٣).

هذه الآية تشير بالمباشر بحمل المجمل على المفصل، وهو من النوع الذي "يُظْهِرُ بِهِ الْمُرَادُ مِنَ اللَّفْظِ وَيُسَمَّى بَيَانًا... قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنَ الْفَجْرِ} فَإِنَّهُ فَسَّرَ مُجْمَلٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} إِذْ لَوْلَا {مِنَ الْفَجْرِ} لَبَقِيَ الْكَلَامُ الْأَوَّلُ عَلَى تَرَدُّدِهِ وَإِجْمَالِهِ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَانَ يَرْتَبِطُ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدَ وَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ لَوْنُهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: {مِنَ الْفَجْرِ} فَعَلِمُوا أَنَّهُ أَرَادَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" (٤)، فنجد أن النص القرآني بنفسه فسر المجمل الذي ورد في هذه الآية.

ويطلق على هذا التفصيل أو البيان بالمتصل (٥)، وهذا التفصيل راجع إلى بيان "الخيطة الأبيض" الذي جاء مجملاً ثم بين في النهاية بأنه من الفجر، ولهذا "فإن قيل: ليس للفجر خيطاً أسوداً إنما الأسود من الليل. فأجيب: إن {مِنَ الْفَجْرِ} متصل بقوله: {الخيطة الأبيض} والمعنى حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل لكن حذف [من الليل] لدلالة الكلام ثم عليه ولوقوع الفجر في موضعه لأنه لا يصح أن يكون [مِنَ الْفَجْرِ] متعلقاً بالخيطة الأسود ولو وقع [مِنَ الْفَجْرِ] في موضعه

(١) هو إمام المذهب الظاهري داوود بن علي بن خلف الأصبهاني أبو سطيح توفي ببغداد سنة ٢٧٠ هـ. يُنظر: وفيات الاعيان، ابن خلكان، ٢/٢٥٥.

(٢) يُنظر: هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ٤/ ١٨١.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية: ١٨٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢١٥.

(٥) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٦٠. ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ١/ ١٦٥.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

مُتَّصِلًا بِالْخَيْطِ الْأَبْيَضِ لَضَعْفَتِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَحْذُوفِ وَهُوَ [مِنَ اللَّيْلِ] فَحُذِفَ [مِنَ اللَّيْلِ] لِلاِخْتِصَارِ وَأُخِّرَ [مِنَ الْفَجْرِ] لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ (١).

فالمعنى الإجمالي الذي أفادته الآية هو الإبهام وعدم الوضوح في معنى "الخيطة الأبيض" و "الخيطة الأسود" مما أوقع كثيراً من الصحابة في الوهم والتردد بين أمور كثيرة فقد كانوا يضعون خيطين أبيض والأخر أسود ويستمررون بالأكل والشرب حتى يتضح لهم الخيط الأبيض ويتميز عن الخيط الأسود (٢)، ولهذا جاء البيان من الله تعالى بقوله "من الفجر"، وقد "استعمل (من) لأداء مهمة التفصيل لكي يتبين الوقت المحدد لذلك الأكل والشرب، ولولا مجيء المبين "من الفجر" لبقس الكلام الأول على ابهامه، فبحمل المجل على المبين توضح المعنى المراد من كلامه سبحانه وأمكن المفسر تفسيره" (٣). وبناءً على ما تقدم مسألة الأكل والشرب في شهر رمضان من الأمور الفقهية التي نحتاج إلى بيان الوقت الذي يسمح للصائم الأكل فيه، وقبله الوقت الذي لا يسمح الأكل والشرب فيه، فلو لم يبين الله تعالى الوقت بقوله "من الفجر" لبقيت الآية مجمله فيكون الوقت مبهم من قبل الصائم؛ لكن عندما بين الله تعالى الخيط الأبيض بخروج الفجر رفع اللثام عن المعنى المجل وأصبح مفصل ومبين، وهذه الآية بينت كيفية التوظيف الفقهي لعلم "المجل والمفصل" لعلوم القرآن.

(٢) قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا كُنْتُمْ بِأَسْوَاقٍ بَعْرُوفٍ أَوْ سَرَاجٍ بِإِحْسِنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّقَا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥)، وهنا البيان يسمى بالبيان المنفصل ففي الآية الأولى قوله تعالى "الطلاق مرتان" بينته الآية الثانية بأنه الذي يملك المطلق الرجعة فيه، فلو لا الآية الثانية لما تبين معنى الطلاق مرتين لأنه ينحصر به، لهذا قال الزركشي بأن هناك من البيان ما: "يُظْهِرُ بِهِ الْمُرَادُ مِنَ اللَّفْظِ وَيُسَمِّي بَيَانًا... وَأَمَّا اللَّفْظِيَّةُ الْمُنْفَصِلَةُ فَنَوْعَانِ أَيْضًا: تَأْوِيلٌ وَبَيَانٌ فَمِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} فَإِنَّهُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {الطلاق مرتان}

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣/ ١٢٣ و ٢٨٣ و ٤١٩. يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/ ١٢.

(٢) ذكر القاضي النعمان في كتابه دعائم الإسلام: ١/ ٢٧١، عن أمير المؤمنين علي عندما نزلت هذه الآية قال (عليه السلام): "جعل الناس يأخذون خيطين أبيض وأسود فينظران اليهما، ولا يزالون يأكلون حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، فبين الله عز وجل لهم ما أراد بذلك فقال (من الفجر). ويُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢١٥.

(٣) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ٢٦٧.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٣٠.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

الطلاق الرجعي إذا لولا هذا القَرِينَةُ لَكَانَ الكُلُّ مُنَحْصِرًا فِي الطَّلَقَتَيْنِ وَهَذِهِ القَرِينَةُ وَإِنْ كَانَتْ مَذْكُورَةً فِي سِيَاقِ ذِكْرِ الطَّلَقَتَيْنِ إِلَّا أَنَّهَا جَاءَتْ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَلِهَذَا جُعِلَتْ مِنْ قِسْمِ المُنْفَصِلَةِ^(١)، لهذا فقد "يقع التبيين... ومنفصلاً في آية أخرى، نحو: (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره)، بعد قوله: (الطلاق مرتان)، فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذي تملك الرجعة بعده، ولولاهما لكان الكل منحصرًا في الطَّلَقَتَيْنِ"^(٢).

فمسألة الطلاق من الأمور الفقهية التي وضعها الشارع المقدس بقبال الزواج وجعل لها أحكاماً وشروطاً من أجل إيقاع الطلاق، وقد بينت الآية الثانية أن الطلقتين يجوز الرجوع بهما من الزوج إلى طليقته، أما الثالثة فلا يجوز إلا بعد أن تنكح زوجاً آخر، لهذا جاء البيان في الآية الثانية بأن معنى الطلاق الذي تملك الحرية في الرجوع به إلى الزوج، وكما هو واضح أن الطلاق من الأمور الفقهية التي وظفت علم "المجمل والمفصل" في بيان المعنى الفقهي المراد.

(٣) ومن الأحكام الفقهية التي وردت في النص القرآني مجملة، وقد بينتها السنة النبوية المطهرة، كما قال الزركشي "لأن القرآن، والسنة أبدا متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجه من مدارج الحكمة حتى إن كلا منهما يخصص عموم الآخر، ويبيّن إجماله"^(٣)، لهذا نجد أن بيان مسألة معاضدة السنة النبوية بالقرآن الكريم، وبينانها لما أجمل من النص القرآني ألف "ابو الحكم بن بركان"^(٤) كتاباً أسماه "الارشاد في تفسير القرآن" قال فيه: "ما قال النبي (ﷺ) من شيء فهو في القرآن، وفيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه من عمه"، فمسألة بيان النبي محمد (ﷺ) لما أجمل في القرآن الكريم مُسَلَّم بها بين العلماء، وعليه من أمثلة ما جاء مجملاً في القرآن مبيناً في السنة النبوية المطهرة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٥).

حيث بينت السنة النبوية تفاصيل الصلاة من واجبات وأركان وأداء وكيفية بقوله (ﷺ): "صلوا كما رأيتموني أصلي"^(٦)، و"المعنى العام للصلاة مفهوم بيد أنها غير متعينة تشخيصاً باللفظ؛ لأن الإداء

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢١٥ - ٢١٦. يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٦٠ - ٦١.

(٢) معترك الأقران في إجاز القرآن، السيوطي، ١/ ١٦٥.

(٣) البرهان، الزركشي، ٢/ ١٢٩.

(٤) هو الإمام عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللخمي الإشبيلي حامل لواء اللغة والنحو. توفي بالأندلس سنة ٦٢٧ هـ. (يُنظر: وفيات الاعيان، ابن خلكان، ٤/ ٢٣٧).

(٥) سورة البقرة: الآية: ٤٣.

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٤٨٦/٢. "٣٨٥٦ - أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُرَكِّي، ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ أَنْبَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيُّ، أَنْبَا الشَّافِعِيُّ، أَنْبَا عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّعْفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، ثنا أَبُو سُلَيْمَانَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

مجهول وهو الذي وقع فيه الإجمال، فالصلاة إذن غير متعينة بنفسها وإنما بأدائها وقد دلّ اللفظ على بعض معناها" (١)، وعليه فما أجمل من لفظ "الصلاة" من حيث شروطها وأركانها وكيفية اقامتها بينتها السنة النبوية، والصلاة من الأمور الفقهية التي ذُكرت مجملة في النص القرآن وفصلتها السنة النبوية المطهرة، وهذا يثبت كيفية توظيف علم "المجمل والمفصل" في المسائل الفقهية.

والمثال الاخر: من بيان السنة النبوية الشريفة لما أجمل في النص القرآني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

فقد جاءت لفظ "الصيام" مجملة في النص القرآني، وقد بينت السنة النبوية كيفية الصيام، وشروطه واولقاته، ومفطراته، ومبطلاته، وكفارته (٣)؛ فالصيام من الواجبات الفقهية على المسلم، وقد جاء في النص القرآني مجملاً مجهولاً بلا تفصيل إلا أن السنة النبوية التي هي ترجمان ومبين لما أجمل في النص القرآني بينته وفصلته.

كذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ

مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

فلفظة "الحج" وردت مجملة في الآية، وقد بينت السنة النبوية أحكامه، وشروطه، وانواعه، وكيفية أداءه... الخ (٥)، فقد جاء عن النبي محمد (ﷺ) قوله: "خُدُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ" (٦)، فهذا الحديث الوارد عن النبي محمد (ﷺ) بين الحج وكيفياته وشروطه، والحج من الامور الفقهية التي بينتها السنة النبوية؛ كونها جاءت مجملة في القرآن الكريم، لهذا يتضح الدور الكبير والمهم لعلم "المجمل والمفصل" في تحديد الالفاظ المجملة التي وردت في القرآن الكريم واحتاجت إلى بيان وتفصيل سواء من النص القرآني أم من

الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّكُمْ

أَكْبَرُكُمْ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ. بحار الانوار، المجلسي، ٢٧٩/٨٢.

(١) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، د. فاضل مدب متعب، ١٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٣) يُنظر: هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ١٨٥/٤.

(٤) سورة ال عمران: الآية: ٩٧.

(٥) يُنظر: هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ١٨٦ / ٤.

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٢٠٤/٥، ٩٥٢- وَأَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ، ثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ

الْعَزِيزِ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ قَبَيْصَةَ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ الْقَاضِي، وَمُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا ابْنُ كَثِيرٍ، قَالَوا: ثنا سُفْيَانُ،

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَأَمَرَهُمْ بِالسَّكِينَةِ وَأَوْضَعَ فِي وَايِدِي مُحْسِرٍ وَأَمَرَهُمْ

أَنْ يَزُمُوا الْجِمَارَ مِثْلَ حَصَى الْحَذَفِ وَقَالَ: " خُدُّوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ لَعَلِّي لَا أُرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا ". عوالي اللئالي العزيزة في الاحاديث

الدينية، الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الاحسائي، ح ١١٨، ٤ / ٣٤. ورياض المسائل، السيد علي الطباطبائي، ٧ / ٧٩.

الفصل الثاني المبحث الثاني: التوظيف الفقهي لعلوم القرآن

نزل عليه القرآن الكريم النبي محمد (ﷺ).

مما تقدم في بيان المجمل الوارد في النص القرآني إلى النبي محمد (ﷺ) من الأمور المتفق عليها، والدليل على ذلك "رجوع المسلمين بأجمعهم في عهد الصحابة ومن بعدهم في بيان صفة الصلاة، والحج، والطهارة، إلى أفعال النبي (ﷺ) وتبينوا بذلك قوله تعالى: (أقيموا الصلاة) (١)، و(لله على الناس حج البيت) (٢)، فلولا أنهم علموا أن ذلك يقع به البيان، وإلا لم يجز الرجوع إليه. ويدل أيضا على ذلك: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأصحابه: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (٣)، و "خذوا عني مناسككم" (٤)، فأحاله في بيان ذلك على أفعاله، فلولا أن البيان واقع بها وإلا لم يجز أن يحيلهم عليها" (٥).

مما تقدم يتضح للباحث أهمية علم "المجمل والمفصل" في التوظيف الفقهي؛ لأن هذا العلم يرفع الالتباس والابهام الذي يرد في بعض الألفاظ القرآنية التي تحتاج إلى بيان وتفصيل، فهو يشخص الألفاظ المبهمة والمجهولة من أجل بيانها. الأمر الأخير الذي أود أن أشير إليه بأن الباحث قد أكتفى بأيراد بعض علوم القرآن والأمثلة التي دلت على التوظيف الفقهي طلباً للاختصار أولاً، ونفسح المجال أمام الباحثين ثانياً بأن ينهلوا من هذا المعين ألا وهو النص القرآني في توظيفاته المختلفة والمتنوعة.

(١) سورة البقرة: الآية: ٤٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٩٧.

(٣) صحيح البخاري: ب ١٨ كتاب الأذان ح ٢٧، ومستند أحمد ٥: ٥٣، والسنن الكبرى، النسائي، ٢: ٣٤٥. والمعتبر، المحقق الحلي، ٢: ٢٢٧، بحار الأنوار، المجلسي، ٨٥: ٢٧٩،

(٤) السنن الكبرى، البيهقي، ٥/ ١٢٥، ورواه أيضا مسلم عن جابر، والنسائي بلفظ "يا أيها الناس خذوا عني مناسككم".

(٥) عدة الأصول، الشيخ الطوسي، ٢/ ٤٣٣ - ٤٣٤.

المبحث الثالث

التوظيف السياسي لعلوم القرآن

المدخل:

القرآن الكريم كتاب مُنزل من الله تعالى، وهو خاتم الكتب السماوية فهو كتاب عظيم اشتمل على مسائل متعددة وصفت بالاستيعاب والشمول من جهة، والسلاسة واللطافة والتفصيل من جهة أخرى، فهو كتاب جامع وشامل لجميع المسائل التي تهم حياة الإنسان، بل إنها تنظم تلك العلاقة بتفصيل لا يغادر صغيرة أو كبيرة، فثبت بأنه يتصف بالشمول بصريح قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، وهذا التبيان شمل جميع مجالات الحياة عن طريق ما فيه من تعاليم دينية في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والأخلاق والعقيدة والعبادة والوعد والوعيد وغيرها، وما سيسلط الضوء عليه في هذا المبحث علوم القرآن التي وظفها العلماء لتشمل المجال السياسي فقط.

إنّ المجال السياسي له تأصيل قرآني وفق تعاليم الدين الإسلامي، وله أصوله التي يجب أن تتبع، والباحث هنا يريد الإشارة فقط لما تم توظيفه من مباحث لعلوم القرآن في الجانب السياسي، فلا يخوض في شروطه وأركانه وأصوله، والجدير بالذكر أنّ هذا الاتجاه له التأثير المباشر في بيان النص القرآني فيما لو علمنا أنه أصبح أحد الاتجاهات التي اعتمدت في بيان النص القرآني، فأخضع النص القرآني لأهواء وسلطة الحكام والسلاطين، واستغله أعداء الإسلام من أجل الطعن بكتاب الله تعالى، لهذا أصبح اللون السياسي لوناً من ألوان بيان النص القرآني جنباً إلى جنب مع اللون العقلي "أما اللّونان الآخران: السياسي والعقلي، فهما حصيلة أفكار سياسية متطرفة وأخرى إحادية كافرة، سيطرت على نفوس ضعيفة، أو تشكّلات حزبية منحرفة، ولم تكن لهم تفاسير شاملة، سوى بضع آيات التقطوها، كانت من المتشابهات، ومن ثمّ اتبعوها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها. فهي تفاسير مقطوعة الدابر منبوذة لا يعتدّ بها، فلم نعتمدها ولا كان لها شأن" ^(٢)، فإنّ الأفكار السياسية إذا دخلت إلى النص القرآني، وكان هدفها شخصياً تسلطياً وإن كان على حساب النص القرآني؛ فأنّها تؤدي إلى تحريف المعنى القرآني فيما لو وظفت بخلاف ما جاء به النص القرآني.

ومن هذا المنطلق سيسلط الباحث على التوظيف السياسي في علوم القرآن من طرح الأمور الآتية:

(١) سورة النحل، جزء من الآية: ٨٩.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ٤٤٢/٢.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

المطلب الاول: التعريف بالسياسة لغة واصطلاحاً:

كلمة "السياسة" حملت معاني كثيرة؛ لأنَّ بعض الكلمات لها معاني ذات دلالات علمية أو فنية عند المفكرين والعلماء، وهذا الأمر لا يشمل فقط لفظة "السياسة" بل يتعداه إلى غيره من الالفاظ، ومن أجل الوقوف على المعنى المقصود لأبدٍ من الوقوف على:

(١) التعريف بالسياسة لغة:

مفردة "السياسة" لفظ مشتق من الفعل "ساس، يسوس، سوساً وسياسة" على أكثر من معنى؛ إذ السياسة "فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسة، يقوم عليها ويروضها، والوالي يسوس الرعية وأمرهم" (١)، وهو بهذا المعنى أنتقل اللفظ من الأصل الذي وضع لمعنى "السياسة" الذي هو "فعل السائس" إلى معنى متعارف أكثر شيوعاً وتوسعاً من المعنى المحصور فيه فارتبط بإدارة "الولي أو الرئيس" لأمر الرعية والبلاد، فقد ورد أن السياسة مأخوذة من "سوس الرجل أمور الناس على ما يُسم فاعله إذ ملك أمرهم" (٢)، فالمعنى هنا يدل على الإمرة والرئاسة العامة؛ لأنَّ الولي أو الرئيس لا يكون حاكماً على مجموعة خاصة من ملة أو مجموعة من الناس إذ لم يسم فاعله، وفي الوقت نفسه ممكن أن ترتبط بجماعة خاصة لا بعامة أو أمة، وهنا المعنى يتحول من السياسة العامة إلى الخاصة، وعندها يقال "سُوست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين" (٣)، وسياسة البنين خاصة وليست عامة.

أما الفيروزآبادي (ت ٧١٨هـ) فقال: "وسُست الرعية أمرتها ونهيتها، وفلان مجرب قد ساس وسياس عليه يعني أدب وأدب، وتعني السياسة القيام على الشيء، بما يصلحه، والسياسة فعل السائس وهو يسوس النواب إذ قام عليها" (٤).

وجاء أيضاً أنّ معنى "السياسة" مأخوذ من "ساس، يسوس: الرعية أمرها ونهادها. وفي الحديث: ثم فوض إلى النبي (ﷺ) أمر الدين والامة ليسوس عباده" (٥)، وكذلك أورد بطرس البستاني (ت ١٨٨٣م) بأن المعنى مأخوذ من "ساس القوم: دبرهم، وتولى أمرهم. الامر: قام به. فهو سائس" (٦)، فهي مأخوذ من التدبير والتولي للأمر، وعرفت "السياسة أيضاً بأنها "ادارة البلاد، اصلاح شؤون الناس، ادارة شؤون

(١) العين، الخليل، ٢/ ٢٦٠.

(٢) الصحاح، الجوهري، ٥١٥.

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري، ٣٧٣.

(٤) القاموس المحيط، ٥٥١، مادة (سوس).

(٥) معجم البحرين، فخر الدين الطريحي، 372.

(٦) محيط المحيط، ٤١٧/١.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

البلاد" (١)، وهنا بمعنى الإصلاح في إدارة شؤون الناس والرعية، وهي أيضاً مأخوذة من تولي الأمر، وحسن تدبير الأمور (٢)، وكذلك جاء في رسائل "اخوان الصفا" بأن "السياسة انواع: سياسة اقتصادية، وسياسة مدنية، وسياسة جسمانية تقوم على حفظ الجسم وتقويته والابقاء على تعادله" (٣)، كما نقل عن كتاب "اخلاق ناصري" "السياسة الفاضلة تتمثل بالإمامة وتهدف إلى تحقيق الكمال للخلق واسعادهم" (٤). ويرى الباحث أن معنى "السياسة" لغةً بما حملته من معانٍ للرئاسة، والملك، والتولي، والإمرة، فهي من المفاهيم السياسية التي تشكل الركن الأهم والرئيس لمفهوم السياسة الحديث في وقتنا الحاضر "لإدارة الدولة" فهي من المفاهيم التي تدل على "تنظيم شؤون وامور الناس"؛ لأنّ التنظيم: "هو أحد العوامل الرئيسية لحيوية المجتمع وفاعليته، والإسلام يؤكد على التنظيم وجوهر التنظيم هو تعاون الجهود" (٥). مما تقدم دلت لفظة السياسة لغة على معانٍ مختلفة فقد جاءت بمعنى الترويض لأمر لا ينتظم، أو التدبير وهو أوسع من الترويض؛ كونه معنى عاماً يشمل أمور كثيرة، وتأتي بمعنى الملك والتولي، والرئاسة، وهي تدل هنا على السلطة أو القيادة، أو انها بمعنى "القيام على الشيء" وهي بهذا المعنى تقترب من التملك والرئاسة، إلا أنه مقيد بقيد إصلاح الشيء؛ كون التولي أو الرئاسة مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالإصلاح؛ لأنّ تدبير الأمور لا بدّ أن يكون فيه إصلاح؛ والسبب ذلك أن التدبير غاية الامرة والرئاسة.

(٢) التعريف بالسياسة اصطلاحاً:

يختلف تعريف "السياسة" باختلاف المبدأ أو النظرية أو العقيدة، التي يمكن أن يعتمد عليه أو يستفاد منها بمفاهيم مختلفة ومتعددة فقد عُرفت "السياسة: هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصّة والعامة في ظاهريهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهريهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصّة في باطنهم لا غير" (٦)، فهي اصلاح للخلق من خلال الارشاد إلى طريق الحق والمنجي، وتختلف من جهة لآخر حسب منزلته ومكانته من الله تعالى.

وعُرفت بأنها "إدارة البلاد والعباد" (٧)، وهذا التعريف فيه شمولية للعباد والناس بنحو خاص، والبلاد

(١) المنجد في اللغة، علي بن الحسن الأزدي، ٣٧٨.

(٢) يُنظر: المعجم العربي الحديث، خليل الجر واخرون، ٧١٥.

(٣) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، مجموعة مؤلفين، ٤ / ٢٦٠-٢٥٤.

(٤) اخلاق ناصري، نصير الدين الطوسي، ٢٨٩.

(٥) كيف نبني حضارتنا الإسلامية، محمد تقي المدرسي، ١١.

(٦) الكليات، الكفوي، ٥١٠. يُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١ / ٩٩٣. ومحيط المحيط، بطرس البستاني، ١ / ٤١٧.

(٧) الفقه، السياسة، محمد الحسيني الشيرازي، ٢ / ٣٩.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

بنحو عام، وهذا الامر تابع إلى المفهوم العام والواسع للسياسة بأنها "القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح، وانتظام الأموال، وهي نوعان عادلة وظالمة" (١)، وعرفت أيضا بأنها "قيام القائد أو الدولة بضبط الرعية والحفاظ على مصالحها الداخلية والخارجية" (٢)، فهي قانون شرع لرعاية الآداب والمصالح، وتنظيم الأموال، وهي أيضا ما يقوم به قائد الدولة من أجل ضبط رعيته، والمحافظة على مصالحهم الداخلية أو الخارجية، كما عرّفها السيد صادق الشيرازي بأنها "كيفية إدارة شؤون الناس في السلم والحرب والأخذ والعطاء والشدة والرخاء والإجماع والاختلاف وغير ذلك" (٣)؛ فالمعنى لإدارة لشؤون الدولة من جميع النواحي والمجالات، وعُرفت بأنها كلّ "عمل تقوم به الأمة وجهاز السلطة من أجل تحقيق الأهداف الأساسية للرسالة الإسلامية التي لخصها الفقهاء بجلب المصالح ودرء المفاسد" (٤).

فما تم ايراده من تعريفات للسياسة تكون نظرة وصورة تحليلية وواقعية وعقدية لمفهوم "السياسة"، لكنها تتناقض مع الواقع الخارجي على مستوى التطبيق في أنّها تبحث عن الإصلاح ومصالح العباد؛ لأنّ التجربة أثبتت عكس ذلك تماماً؛ لأنّ الساسة لا يعيرون لمفهوم "السياسة" أي اهتمام أو تطبيق لمعناه على أرض الواقع فلا يراعون مصالح العباد أو الشعوب الذين يحكمونهم، ولا يسعون إلى إسعادهم، أو المحافظة على حريتهم ووحدة أراضيهم، بل على العكس فإنّ الحكام يتكالبون على السلطة بغض النظر عن تطبيق العدالة أو النظر في مصلحة رعيته، وهذا الشيء لم يؤسس له الإسلام ولا النص القرآني، بل ولا الديانات السابقة، وعليه فلا مكان لهكذا سياسة في الإسلام؛ كونها انحرفت عن الطريق الذي رسمه الإسلام والنص القرآني للسياسة من مراعاة مصالح العباد والحكم بالعدل (٥).

لهذا يميل الباحث إلى إيراد تعريف أكثر واقعية، سيما إذا استند إلى منطلق إسلامي في بيان معنى السياسة، لأنها عُرِفَتْ بأنها "منظومة الأصول والأحكام والقواعد التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام، وتنظيم شؤون العلاقة بين السلطة والأمة، وتحدد المسؤوليات والحقوق والواجبات، كما جاءت في القرآن والسنة" (٦)؛ كون هذا التعريف استند إلى الالتزام بما جاء به الإسلام من منظومة متكاملة من الاحكام والأصول والقواعد التي تسيّر نظام الحكم الإسلامي، فمن نظرة واحدة إلى ما جاء به النص

(١) البحر الرائق، زين الدين بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي، ١١٨/٥.

(٢) علم السياسة، محمد طاهر الخاقاني، ٨.

(٣) السياسة من واقع الإسلام، ٧.

(٤) الاتجاهات الإصلاحية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، حسين علي عبد الحكيم، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة. ١٤٢٧هـ/

٢٠٠٦م، ١٧.

(٥) يُنظر: فتحي عبد الكريم، الدولة والسيادة في الفقه الاسلامي: دراسة مقارنة، ٣٤.

(٦) مختصر أصول الخطاب السياسي الإسلامي القرآني والنبوي والراشدي، د.حاكم المطيري، ١.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

القرآني من عرض سيرة الأنبياء (ﷺ) يتبين بوضوح ودقة الاهتمام الكبير منهم (ﷺ) بمصالح العباد، وبمصير الخلق على جميع الابعاد والاصعدة والمجالات خصوصاً البعد السياسي، والعقدي، وما عانوه من أجل الدعوة إلى التوحيد والمساواة والاصلاح.

يتضح مما تقدم أنّ النص القرآني رسم الطريقة المثلى والصحيحة لسياسة العباد والاختذ بأيديهم إلى طريق النجاة، وهذا الأمر مرتبط فيما لو طبق ما جاء فيه بصورة صحيحة من قبل الحكام السياسيين، وما سيتم بيانه ايراد بعض التوظيفات لمباحث علوم القرآن في المجال السياسي، أو اتسمت بطابع سياسي في بيانها.

ممّا تقدم من بيان لمعنى "السياسة" اتضح أنّها بتماس مع الرعاية ومصالحهم، وهي مهمة لرئيس أو أمير الدولة بأن يسير بالرعية إلى طريق النجاة والصلاح والإصلاح لما يريد الله تعالى، ومن المؤكد أن للعلماء الدور المهم في رسم سياسة السماء؛ لأنّهم يتعاملون مع الدستور السماوي الذي وضع القوانين والأنظمة السياسية لإدارة شؤون الدولة من قبل الحكام، وهذا الدستور الإلهي هو القرآن الكريم، فهي مهمة ملقاة على عاتق علماء المسلمين في إبراز ما يريد الله تعالى من السياسة الإسلامية التي وجه إليها في النص القرآني لسياسة العباد، وخصوصاً علماء علوم القرآن الذين افوا المباحث والعلوم التابعة للنص القرآني، فكانت مهمتهم توظيف بعض هذه العلوم بما يلائم النظام السياسي للحكام، وما سيتم الكشف عنه من الباحث ايراد بعض العلوم على سبيل المثال لا الحصر التي وظفت سياسياً من قبل علماء علوم القرآن، فمن هذه العلوم هي:

المطلب الثاني: التوظيف السياسي لعلم التفسير من علوم القرآن:

ما سيحاول الباحث الكشف عنه هو كيفية توظيف بعض النصوص القرآنية سياسياً بواسطة علم التفسير، كاشفاً عنها بما بينه العلماء في بيان بعض النصوص القرآنية، ولكن قبل ايراد النصوص القرآنية التي وظفت سياسياً لعلم التفسير.

فإذا اخذنا أنّ من أهداف المفسر فهو الوصول إلى مقاصد النص القرآني، بواسطة الكشف عن المعنى المراد من الآيات القرآنية، وبيانه ثم نشره لثم الفائدة، وهذا الشيء لا يتم إلا باتباع وسائل تعينه على هذا البيان والكشف، ومن أهمها وعلى رأسها صفاء النية، والإخلاص لله تعالى، ونصرة الدين الإسلامي، والاحاطة الشاملة بعلوم اللغة العربية، ومعرفة دلالات الألفاظ، والتاريخ، والمعرفة الشاملة بجميع العلوم التي ترتبط بالقرآن الكريم التي يطلق عليها "علوم القرآن" التي يعدّ "علم التفسير" منها

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

وعلى رأسها، والتي سيتم من خلالها ايراد بعض الشواهد التفسيرية للتوظيف السياسي لهذا العلم. علم التفسير كما تقدم بيانه هو البيان والتوضيح لمراد الله تعالى في كتابه العزيز، ومن أجل الوقوف على التوظيف السياسي لهذا العلم سيتم ايراد بعض الآيات القرآنية التي وظفت سياسياً من خلال علم التفسير، وهي كالاتي:

(١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

التوظيف السياسي في تفسير هذه الآية في قوله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢)، فقد فسرت في أشخاص مرة، وفي مجموعة دون أخرى، وهذه التفاسير ليس لها إلا الغرض السياسي، وتفسيره بأشخاص أو فئة من أجل إظهاره بأفضل صورة، إلا أن التفسير لهذه الآية معناه أن " تكونوا في الآخرة (مع الصادقين)، في الجنة. يعني: مع من صدق الله الإيمان به، فحَقَّقَ قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذب قلوبهم فعلهم. وإنما معنى الكلام: وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا" (٣)، أو أن المعنى مع الذين صدقت وصفت نياتهم فاستقامت قلوبهم وأعمالهم (٤)، فهو خلاف لمن ذهب بأن أحد أوجهها هو مع أبي بكر وعمر وأصحابهما، ومنهم من أضاف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (٥)، ومنهم من قال بأنها تخص المهاجرين، ومنهم من قال بأنها تشمل المهاجرين والأنصار (٦)، ومنهم من قال مع النبي محمد (ﷺ) وأصحابه، أو مع محمد وال محمد، أو مع الامام علي (عليه السلام) وأصحابه (٧)، أو أن المعنى مع الأنبياء (عليهم السلام) (٨)، وهذا الخلاف في بيان هذه الآية جعل منها متعددة المصاديق وتستعمل لأغراض سياسية.

وجاء أيضاً في بيان " قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } والمراد بهم المهاجرون لِقَوْلِهِ فِي الْحَشْرِ { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ }، وَقَدْ اخْتَجَّ بِهَا الصَّدِيقُ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ فَقَالَ نَحْنُ الصَّادِقُونَ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا مَعَنَا أَيُّ تَبَعًا لَنَا وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّهَا دُونَهُمْ لِأَنَّهُ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ " (٩)، وهذا الإحتجاج من قبل أبو بكر قد جعله آخرون أنه لغرض سياسي

(١) سورة التوبة: الآية: ١١٩.

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية: ١١٩.

(٣) تفسير جامع البيان، الطبري، ٥٥٨ / ١٤.

(٤) يُنظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ٩٦-٩٧ / ٢. وتفسير البغوي، ١٠٩ / ٤.

(٥) يُنظر: تفسير البغوي، ١٠٩ / ٤. وتفسير ابن أبي حاتم، ١٩٠٦ / ٦.

(٦) يُنظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ٩٦-٩٧ / ٢.

(٧) يُنظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ١٠٨/٥ - ١٠٩.

(٨) يُنظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٨٨ / ٨.

(٩) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ١٥٦. يُنظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨ / ٢٨٨. ومعتزك الأقران في إجاز القرآن، السيوطي، ٢ / ٣١٥.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

بأن فسر بهذه الطريقة؛ لأنه "من الواضح أنّ هذا اللون من التفسير لم يقصد معه إلا الغرض السياسي مع ابتعاده عن الغرض القرآني الأصيل"^(١)، وهذا التفسير يكشف بأن هناك من التفاسير للآيات اتخذت في بيانها الغرض السياسي مما يكشف بأن "علم التفسير" قد وظّف لأغراض سياسية. وذلك بإلصاق صفة قد وردت في القرآن الكريم وقد خوطب بها المسلمين لا على وجه الخصوص، وإن كانت خست بفتنة دون أخرى فقد حرفت عن معناها وخصوصيتها، وألصقت بأشخاص هدفهم سياسي.

(٢) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢).

ومعنى هذه الآية أنه "لما نزلت: "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس" فكرها قوم لقوله: " فيها إثم كبير"، وشربها قوم لقوله: " ومنافع للناس"، حتى نزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [سورة النساء: ٤٣]، قال: فكانوا يدعونها في حين الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة، حتى نزلت: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) [سورة المائدة: ٩٠] فقال عمر: ضيعة لك! اليوم فُرِنَتِ بالميسر! بها ونشربها كما قال الله جل وعز في كتابه! ثم نزلت هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) الآية، قالوا: يا رسول الله، لا نشربها عند قرب الصلاة. قال: ثم نزلت: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) الآية، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حُرِّمَتِ الخمر"^(٣)، ومعنى ذلك بأن تحريم شرب الخمر لم يكن بكل الأوقات الا عند قرب الصلاة، وقد ذهب آراء المفسرين في هذه الآية إلى اتجاهات ومعاني مختلفة فقد ورد أن "تأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا المساجد للصلاة مصليين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون"^(٤)، ومنهم من ذهب إلى معانٍ آخر بأن فُسر السكر هنا بالنوم، أو النشوة التي تصيب الإنسان من شرب الخمر لا السكر الذي يفقد التوازن^(٥)، والباحث هنا لا يسعى إلى بيان معنى "السكر" وإنما اثبات التوظيف السياسي لهذه الآية بقوله "وانتم سكارى" فقد جاء في عدة تفاسير أن المقصود بهذه الآية هو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) كما جاء "حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: قال نزلت هذه الآية: "يسألونك عن الخمر والميسر" الآية، فلم يزلوا

(١) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية: ٤٣.

(٣) تفسير جامع البيان، الطبري ٤ / ٣٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ٨ / ٣٨٥.

(٥) يُنظر: تفسير ابن أبي حاتم، ٣ / ٩٥٨ - ٩٥٩.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

بذلك يشربونها، حتى صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعا ناساً من أصحاب النبي (ﷺ) فيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقرأ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، ولم يفهما. فأنزل الله عز وجل يشدد في الخمر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)، فكانت لهم حلالاً يشربون من صلاة الفجر حتى يرتفع النهار، أو ينتصف، فيقومون إلى صلاة الظهر وهم مُصْحُون^(١)، ثم لا يشربونها حتى يُصَلُّوا العَتَمَةَ - وهي العشاء - ثم يشربونها حتى ينتصف الليل، وينامون، ثم يقومون إلى صلاة الفجر وقد صحوا - فلم يزالوا بذلك يشربونها حتى صنع سعد بن أبي وقاص طعاماً، فدعا ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم رجل من الأنصار، فشوى لهم رأس بعير ثم دعاهم عليه، فلما أكلوا وشربوا من الخمر، سكروا وأخذوا في الحديث. فتكلم سعد بشيء فغضب الأنصاري، فرفع لحي البعير فكسر أنف سعد، فأنزل الله نَسَخَ الخمر وتحريمها وقال: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ) إلى قوله: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)^(٢)، فالآية خاصة بالإمام علي (عليه السلام) بأنه والعياذ بالله هو الذي سكر وصلى وسهى، وهذا البيان ذكره الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره بطريق آخر بقوله: "حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حبيب: أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً، فدعا نفرًا من أصحاب النبي (ﷺ)، فأكلوا وشربوا حتى ثَمَلُوا، فقدموا علياً يصلي بهم المغرب، فقرأ: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ، وَأَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَأَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِي دِينٌ"، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون"^(٣)، وعليه فالشخصية المقصودة في هذه الآية هو الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٤)، ومنهم من فسرها في أصحاب النبي محمد (ﷺ) إلا أنه لم يسم أحد منهم بمعنى لم يحدد الشخص الذي سكر ثم صلى فسهى إلا أن الحادثة نفسها بيد انه لم يسم^(٥)، كما جاء "كذلك السكران الذي أم الناس في صلاته وهو في نشوته ثم قرأ السورة بعد الفاتحة فقال: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) {أَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ} وحذف لفظ "لا" من {لا أَعْبُدُوا} فنزلت الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} في سورة النساء"^(٦)، فحصول القول أن

(١) صحا السكران يصحو فهو صاح، وأصحى فهو مصح: ذهب سكره وأفاق. يُنظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، ٥٤٤/١.

(٢) تفسير جامع البيان، الطبري، ٣٣٤ / ٤.

(٣) تفسير جامع البيان، الطبري ٣٧٦ / ٨.

(٤) يُنظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ٣٠٥ / ١. وتفسير القرطبي، ٢٠٠ / ٥. وتفسير ابن أبي حاتم، ٩٥٨ - ٩٥٩.

(٥) يُنظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ١٤٢ / ٢. ٣١٢ / ٣. وتفسير البغوي، ٢٤٩ / ١. ٢١٩ / ٢. وتفسير مفاتيح

الغيب، الرازي ٣٩٦ / ٦. ٨٥ / ١٠.

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١٠٧ / ١.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

الامام علي (عليه السلام) مستهدف في هذه الآية كما جاء في سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ) بقوله: "حَدَّثَنَا سُؤَيْدٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، نَحْوَ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ بِنِ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: " صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنَ الْخَمْرِ، فَأَخَذَتِ الْخَمْرُ مِنَّا، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَدَّمُونِي فَقَرَأْتُ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون: ٢] وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ". قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣]: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»^(١)، لهذا استند اغلب المفسرون على تسمية أمير المؤمنين (عليه السلام) والصاق هذه الحادثة به، لهذا نجد أن السيد محمد باقر الحكيم (ت ٢٠٠٣م) قد أورد هذه الحادثة في موضوع التفسير لأغراض سياسية وقال: " ولا يشك أي مسلم يعرف القليل عن شخصية الإمام عليه السلام بوضع هذا الحديث على لسانه. حيث إن الإمام عليه السلام تربى في حجر الرسول منذ أن كان طفلاً وتخلّق بأخلاقه، فكيف يمكن أن نتصوّر وقوع هذا الشيء منه خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار نزول بعض الآيات القرآنية في ذمّ الخمر، وإذا لاحظنا وجود بعض النصوص التي تذكر نزول الآية في شخص آخر من كبار الصحابة ممّن كان قد اعتاد شرب الخمر في الجاهلية عرفنا الهدف السياسي منها"^(٢).

وبناءً على ما تقدم فإنّ التفسير الذي يكون لأغراض سياسية لا يكون دقيقاً ولا يؤخذ به؛ لأنّه من أجل ارضاء الحكام وإن كان على حساب الحق، والباحث أورد هذين المثالين في التفسير السياسي على سبيل المثال لا الحصر أولاً، وطلباً للاختصار ثانياً، ولفتح المجال امام الباحثين في الخوض بهذا توظيف لعلوم القرآن آخر.

المطلب الثالث: التوظيف السياسي لعلم العام والخاص من علوم القرآن:

علوم القرآن ومباحثه علوم شاملة لما جاء في النص القرآني، ومعنى ذلك بأنّها توظف في كثير من المجالات، ومن هذه العلوم علم "الخاص والعام" الذي تم إثبات توظيفه فقهياً في هذا الفصل في المبحث الثاني، والباحث هنا سيثبت توظيف هذا العلم بإيراد بعض الآيات القرآنية التي وظفت سياسياً. يرى الباحث أنه من خلال دراسته لمعنى "العام والخاص" توصل إلى أنّ "العام" يقابله "الخاص"؛ فالعام معناه الاستغراق والشمول من دون حصر بأحد، أما "الخاص" بخلافه فهو ما أختص بفرد، ومعنى

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ٥/ ٢٣٨. رقم الحديث/٣٠٢٦.

(٢) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ٣٠٢ - ٣٠٣. يُنظر: محاضرات في علوم القرآن، محمدعلي تسخيري، ٢٠٢.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

ذلك أن الحكم الذي يتلبس بالفرد لا يسري إلى غيره من الأفراد.

ومن هذا المنطلق سيتم ايراد بعض الآيات التي وظفت سياسياً لهذا العلم، وإيرادها سيكون على

سبيل المثال لا الحصر، وهي كالآتي:

(١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١)

الشاهد في هذه الآية الذي يدل على العموم هو قوله تعالى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢)، فقد ورد التعميم فيهم؛ لهذا فقد "أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال إطاعة الرسول إتباع الكتاب والسنة. وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة في قوله: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} قال: هم الأمراء، وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد والحسن أنهم أولوا العلم والفقهاء أوجب الله طاعتهم، وأخرج عن عكرمة أنهم أبو بكر وعمر، وعن الضحاك أنهم أصحاب رسول الله (ﷺ) الدعاة الرواة أخرج عبد عن الكلبي أنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فيحتج بالآية على وجوب طاعة الأئمة والمفتين ويحتج بها من قال إن قول الصحابة حجة أو الخلفاء الأربعة أو الشيخين" (٣)، فتعدد مصاديق "ولي الامر يجعله عاماً، الامر الثاني أن طاعة ولي الامر من الأمور السياسية باعتبارهم هم الحكام والامراء على البلاد وعلى المسلمين جميعاً.

ومنهم من خصص أولي الأمر فقد نقل عن "الحجاج بن محمد، عن ابن جريج قال: أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، بعثه رسول الله (ﷺ) في سرية" (٤)، وهناك حديث طويل بأنها نزلت في خالد بن الوليد عندما ولاه النبي محمد (ﷺ) في سرية ذهبته إلى أحد أحياء العرب، وحدثت معه حادثة مع الصحابي عمار بن ياسر لا داعي لسردها الشاهد هنا بأن الآية بأطاعة أولي الامر نزلت بأطاعة أي شخص يوليه النبي محمد (ﷺ) ومنهم خالد بن الوليد الذي كان سبباً في نزول هذه الآية (٥)، فالآية وان خصصت الاشخاص الا انها تبقى على عمومها بإطاعة أولي الامر بما يخص أمور السياسة كقيادة الجيش كما مر.

(١) سورة النساء: الآية: ٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية: ٥٩.

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، ٩٤ - ٩٥.

(٤) رواه الشيخان في صحيحهما. البخاري: التفسير/النساء، باب: قوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...، رقم: ٤٣٠٨، ومسلم: الإمارة،

باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية..، رقم: ١٨٣٤، وتفسير ابن كثير، ١/٥١٨. وتفسير القرطبي، ٥/٢٦٠.

(٥) يُنظر: تفسير الطبري، ٥/٩٤. وتسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، خالد عبدالرحمن وعك،، ١٠٤.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

ما تقدم من جهة يجعل مصداق الآية عاماً؛ كونه يذكر عدة احتمالات تنطبق على "أولي الامر"، ومنهم من حدد بعض الشخصيات، الا أن كل ما ذكر تعارضه "صحيحة أبي بصير المروية في الكافي: (عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (النساء: ٥٩). فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (عليهم السلام). فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته (عليهم السلام) في كتاب الله عز وجل؟ فقال: قولوا لهم: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت عليه الصلاة، ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي فسّر ذلك لهم...^(١))، فإنّ هذه "الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، وموضحة للمراد منها، وأنّ ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير"^(٢).

والذي يؤكد هذا التخصيص "قول الله تعالى "ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" فيهم (عليهم السلام) نزلت: عن بريد العجلي قال: "سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"^(٣) قال: إيانا عنى، أن يؤدي الأول إلى الامام الذي بعده الكتب والعلم السلاح "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الذي في أيديكم، ثم قال للناس: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"^(٤) "إيانا عنى خاصة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا، فإن خفتم تنازعا في أمر فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الامر منكم، كذا نزلت وكيف يأمرهم الله عز وجل بطاعة ولاة الامر ويرخص في منازعتهم؟! إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم، "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"^(٥) (٦).

وقد جاء أنّ في "قوله تعالى: "وأولي الأمر منكم": للمفسرين فيه قولان: أحدهما أنهم الامراء، والآخر أنهم العلماء، وأما أصحابنا فإنهم رَوَوْا عن الباقر والصادق عليهما السلام أن اولي الامر هم

(١) الأصول من الكافي، كتاب الحجّة، باب ما نصّ الله عز وجلّ ورسوله على الأئمّة عليهم السلام: ١ / ٢٨٦، الحديث: ١. يُنظر:

المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي، ٥٦. والتفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١٧٠/٢.

(٢) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٢٣١. يُنظر: صيانة القرآن من التحريف، كمال الحيدري، ٧٠. المناهج التفسيرية عند الشيعة

والسنة، محمد علي، ٥٦.

(٣) سورة النساء: الآية: ٦٢.

(٤) سورة النساء: الآية: ٦٣.

(٥) رد عليه السلام على المخالفين حيث قالوا: معنى قوله سبحانه، (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) فان اختلفتم أنتم وأولو الامر منكم في شئ من أمور الدين فارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة، ووجه الرد: كيف يجوز الامر بإطاعة قوم مع الرخصة في منازعتهم فقال عليه السلام: ان المخاطبين بالتنازع ليسوا الا المأمورين بالإطاعة خاصة وان أولي الأمر داخلون في المردود إليهم.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ٢/٢٧٦، باب (باب) (أن الإمام عليه السلام يعرف الامام الذي يكون من بعده وأن)، حديث رقم: ١. يُنظر:

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٣/٢٩٠، حديث رقم/ ١٧، والقرآن الكريم وروايات المدرستين، مرتضى العسكري، ٣/٣٣٩.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

الأئمة من آل محمد عليهم السلام، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته، وعلم أن باطنه كظاهره؟ وأمن منه الغلط والامر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الامراء ولا العلماء سواهم، جل الله سبحانه عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين للقول والفعل، لأنه محال أن يطاع المختلفون، كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه، ومما يدل على ذلك أيضا أن الله سبحانه لم يقرن طاعة اولي الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولو الامر فوق الخلق جميعا، كما أن الرسول فوق اولي الامر وفوق سائر الخلق، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم، واتفقت الأمة على علو رتبهم وعدالتهم " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول " أي فإن اختلفتم في شيء من أمور دينكم فردوا المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة الرسول، ونحن نقول: الرد إلى الأئمة القائمين مقام رسول الله (ﷺ) بعد وفاته هو مثل الرد إلى الرسول في حياته، لأنهم الحافظون لشريعته، وخلفاؤه في أمته فجزوا مجراه فيه" (١)، فما ورد عاماً في الآية خصص من السنة النبوية، وبالدليل العقلي بأن الله تعالى إذا سمح للعاصين بتولي أمر المسلمين فإنه ساعد على نشر الظلم، وهذا الأمر محال على الله تعالى، فيثبت أن من يتولى أمر المسلمين لا بد أن يكون معصوماً من كل زلل أو خطأ، وهذا الامر لا يكون إلا في محمد وآل محمد (عليهم السلام)، كما أن في الآية حاجة "لبيان المصداق الحقيقي لأولي الامر، وهو أمر نقلي، حيث تكفلت السنة الشريفة ببيان ذلك" (٢)، وما تقدم من روايات كفيلة بأن تحدد منهم أولي الامر.

فالأمر خطير في تحديد الخاص من عموم أولي الأمر، وعليه "فإن كل من فسر القرآن برأيه فهو محرّف للقرآن وما أكثر الناس، وحتى في يومنا هذا - الذين يستدلون بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: ٥٩] يستدلون بها على وجوب إطاعة الحكام الظالمين في حين أن القرآن يصرح بقوله: (منكم) ولا يقول (عليكم) وكم من فرق بين المعنيين فإن أولي الأمر إن كانوا من المسلمين قولاً وعملاً فلا شك في وجوب إطاعتهم، وأما من ليس له من الإسلام إلا القول وهو يخالف القرآن بالعمل فلا تجب طاعته. و هل هذا غير التحريف المعنوي؟ (٣)، والجواب: هو الجواب وإن صاحب الأصل لا يعتمد عليه، كما لا يعتمد على أصله، على أن الأخبار المستفيضة دلت على أن أسماء الأئمة كانت مشهورة ومعلومة عليهم منذ تعلمه جابر بن عبد الله من النبي الأكرم

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٣ / ٢٨٥. يُنظر: مجمع البيان ٣: ٦٤ و ٦٥. ومنطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ١/ ٤٧٤.

(٢) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ١/ ٤٧٤.

(٣) دراسة حول القرآن الكريم، محمد حسين حسيني جاللي، ٢٠٦.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

(ﷺ) عند ما نزل قوله سبحانه: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (١)، حيث روى الصدوق بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: لما أنزل الله عز و جل على نبيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)، قلت: يا رسول الله (ﷺ) عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال (ﷺ): هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب (ﷺ) ثم الحسن (ﷺ) ثم الحسين (ﷺ) ثم علي بن الحسين (ﷺ)، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، ستدرکه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد (ﷺ) ثم موسى بن جعفر (ﷺ) ثم علي بن موسى (ﷺ) ثم محمد بن علي (ﷺ) ثم الحسن بن علي (ﷺ) ثم سمي محمد وكنيته حجة الله في أرضه وبقيته في عبادته ابن الحسن بن علي (ﷺ)، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يا رسول الله (ﷺ) فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال (ﷺ): أي والذي بعثني بالنبوة أنهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلأها السحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله (٢) " (٣).

أما التوظيف السياسي في هذا العلم - العام والخاص - فإن الآية تؤكد على "ماله صلة بتوطيد مركز أولي الأمر من حيث الحقوق والواجبات" (٤)، وهناك آيات متفرقة تعرضت وبينت هذا الموضوع (٥)، وهذه الآيات "ترمي إلى ما يلي:

- (أ) توطيد السلطان الإسلامي في شخص النبي (ﷺ) أولاً، وإلى توطيد إطاعة أولي الأمر ثانياً.
- (ب) جعل القرآن والسنة النبوية هما الناموس العام الذي يجب أن يهتدى به ويستلهم منه في حل المشاكل وتصريف الأمور، وخاصة عند اختلاف الآراء.
- (ت) تلقين جعل المصلحة العامة وحياة المجتمع العامة ضابطاً عاماً في تأييد المسلمين للسلطان والاستجابة إلى ما يدعو إليه.

(ث) إيجاب ردّ الأمور من قبل العامة إلى أولياء الأمور وأهل الحل والعقد القادرين على تمحيصها

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) البرهان، البحراني، ١ / ٣٨١، الحديث ١ في نيل تفسير الآية.

(٣) النسخ والبداء في الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، ٨٤.

(٤) الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، منيب طحان، ٢٣٦.

(٥) ومن الآيات التي تعرّضت لهذا الموضوع: سورة ال عمران، الآية: ١٥٩. وسورة النساء، الآية: ٢٤-٢٧-٤٦. وسورة الانفال، الآية:

١٢. وسورة التوبة، الآية: ١٢، وسورة الممتحنة، الآية: ١٢.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

والأخذ بما هو الأصلح منها.

(ج) تقرير صفات ولي الأمر في الإسلام من لين الجانب، وخفض الجناح، والرأفة بالمسلمين، والاستغراق في مصلحتهم وخيرهم.

(ح) إيجاب إشارة أهل الحل والعقد على ولي أمر المسلمين" (١).

يتضح للباحث أن في الآية توظيفاً عقدياً؛ كونها تتحدث عن "إمرة المسلمين"، وهي من الأمور السياسية التي تحتاج إلى دستور يسير عليه، ولا يخالفه، هذا كله إذا كان الأمير منصباً ومرتبباً بالله تعالى، أما إذا كان غير منصب من الله تعالى فإن الأهواء الشخصية سوف يتسلط بها على الناس من دون الرجوع إلى النص القرآني فلا يحكم بما أنزل الله تعالى وبينه النبي محمد (ﷺ)، أما لأنه تابع لعلم "العام والخاص" كون الآية جاءت عامة بإطاعة أولي الأمر، وقد خصص هذا العموم بالسيرة النبوية المطهرة.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣).

في الآية الأولى بين تعالى أن الحكم فقط لله تعالى، ثم بيّن في الآية الثانية أن من يريد أن يحكم بين الناس فلا بد أن يحكم بما يريده الله تعالى، فقد أعطى النص القرآني مفهوماً أوسع لحكم الله تعالى بأنه يشمل الجانب التكويني والجانب الشرعي (٤)، وهذا يعني أن الحكومة سواء أكانت تكوينية أم تشريعية كلاهما يكونان بيد الله تعالى، والنتيجة أن جميع الأمور بيد الله تعالى، ومن وجود وعدم، وخلق وفناء، وعليه لا بد أن يكون الحكم بما يريده الله تعالى وبما يشرعه عز وجل، وأنه لا بد من أن يخضع لقوانين وأسس ومعايير بما تلائم وتتماشى مع الشريعة الإلهية، لأن القرآن الكريم هو مصدر الحكم الإلهي (٥)، فالمعنى أن حكم الله عام شامل لجميع الأمور الشرعية والتكوينية، وهو القاعدة العامة والأساسية في الحكم.

ونجد أن الله تعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا﴾ (٦)، التي يبين الله تعالى فيها أن حكم النبي محمد (ﷺ) هو أحد أسباب

(١) سيرة الرسول، محمد عزة دروزة، ٣٩٥-٣٩٦. يُنظر: الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، منيب طحان، ٢٣٦.

(٢) سورة الانعام: الآية: ٥٧.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٤٤.

(٤) يُنظر: أسس النظام السياسي عند الإمامية تحريرات لأبحاث الشيخ محمد السيد محمد حسين الرضوي، مصطفى الإسكندري، ٧٣.

(٥) المصدر نفسه: ٧٣.

(٦) سورة النساء: ١٠٥.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

نزول الكتاب الكريم، فمقتضى حكم النبي محمد (ﷺ) هو العدل والعدالة، وأن يقضي بين الناس من أجل حل نزاعاتهم، وخصوماتهم، وأن يرفع الاختلافات بينهم بواسطة الحكم واقامة العدل^(١)، وللمعنى نفسه أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله: " الْحُكُومَةُ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدُ لِلْحَقِّ " ^(٢)، فَإِنَّ كلام الامام علي (عليه السلام) يشترط بأن الحكم لا ينسب إلى الشريعة ما لم يرتكز على أسس ومعايير يريدتها الله تعالى أن تصدر من الحاكم أو رئيس الدولة أو الخليفة فهو يشمل كل من يدير أمور الدولة أو الجماعة، فالمعنى العام للحكم هو جانب سياسي أكد القرآن الكريم عليه، أما حكم غير الله تعالى فهو الاستناد لما يريده الله تعالى، كون الله تعالى هو المؤسس والجاعل الحقيقي للأشياء، فالآية تكون شاملة للأوصياء أيضاً بأن يحكموا بين الناس بالدماء والاعراض، وجميع الحقوق التي تشمل الأمور الشرعية، وكذلك بالأمور العقائدية، بل إِنَّ الحكم شامل لجميع مسائل الاحكام ^(٣)، فَإِنَّ هذه الآية شملت الأنبياء والاولياء.

وما يدل كون حكم الله عاماً وشاملاً، ولا بد من الاستناد له في قواعده، ومعاييره هو: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبرٰهٖمَ رَبُّهُ بِكٖمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤)، فالآية تشير وتؤكد بأن هناك استثناء قد صرحت به يشمل كل من هو ليس مؤهلاً، أو كونه ظالماً فلا تكون له الخلافة أو الحكم؛ لان "الظلم هو مطلق من صدر عنه ظلم من شرك أو معصية، وإن كان في برهة من عمره ثم تاب وأصلح" ^(٥)؛ فالآية دلت من مفهومها أن من يقوم بأمور الحكم وتولي الرئاسة لابد أن يكون عادلاً في الحكم وأن لا يكون للظالم؛ والسبب أن الظلم قد نبذته الشريعة الإسلامية، فَإِنَّ الحكم يكون مختصاً بالأنبياء، والاولياء، والاولياء.

فقد وردت في النص القرآني آيات بينت اعمال، وخصائص الحكومة كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ^(٦)، فقد دلت هذه الآية على الخصائص التي يجب توفرها بالحكومة الإسلامي، وكيفية عملها الذي يشترط فيه الحكم

(١) ينظر الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢١/٥.

(٢) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام)، شرح محمد عبده، ٢٠١/٢.

(٣) اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ١٥٣/١، حديث: ٧٠٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٥) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢٧٠/١.

(٦) سورة المائدة، الآية، ٤٩.

الفصل الثاني المبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

بالقسط والعدل، والاحكام التي جاء بها القرآن الكريم التي اشتملت على تلك الغايات، كما بينت أن مخالفتها يؤدي إلى الظلم والجور^(١)، فالله تعالى بين الأحكام العامة والخصائص للحكومة الإسلامية، وهذا ما يخص الأمور السياسية التي أشار إليها النص القرآني بأن الحكم بين الناس لا بد أن يكون وفق ضوابط، وأحكام تستنبط من القرآن الكريم؛ الذي يعدّ المصدر الأول في التشريعات السياسية.

كما نجد أن النص القرآني في موضع آخر يبيّن الغرض الذي من أجله أرسل الرسل وهو إقامة العدل كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢)، أوضحت هذه الآية بأن الغرض والهدف من ارسال الرسل، وانزال القرآن الكريم، والميزان معهم هو أن يحكم بين الناس بالقسط، والعيش في وسط مجتمع يسوده العدل، كما أنه تعالى أنزل الحديد؛ لغرض امتحان عباده بالدفاع عن مجتمعهم، وبسط ونشر كلمة الحق في جميع المعمورة، وفيه إشارة إلى فوائد الحديد المتبقية^(٣)؛ فالغاية من إرسال الأنبياء هو إقامة القسط والعدل بين الناس وهذا الأمر لا يتأتى إلا من بيان الله تعالى لخصائص، وشروط العدل العامة، ثم تكون النبوة في تطبيقه على الرسل والانبيا (عليهم السلام) خاصة، وهذه الآيات "توضح الزام الحكم بما جاء به الله تعالى أولاً، ثم يأتي الحكم الوضعي في حال المبني على اساس الشورى وكلمة أولي الأمر ومن قبلهم النبي (صلى الله عليه وسلم) طبعاً، بما لا يخالف القواعد العامة لحفظ النظام العام وفق التعاليم القرآنية، وعدا ذلك يعد من حكم الجاهلية"^(٤).

ومما تقدم يتبين أنّ القرآن الكريم ميّز بين الحكم الإلهي المستند إلى التعاليم السماوية الذي ينطبق على الاستخلاف الإلهي لعباده، وبين الحكم غير الشرعي الذي لا يستند ولا يطبق ما قاله الشرع النازل من الله تعالى، فإنّ المؤمن الحق لا بدّ عليه أن يقبل حكم الله تعالى؛ لأنّه في مصلحته بلا ريب، وهذا القبول هو الطاعة لله تعالى، فلا يتبع هوى نفسه، أو للتقرب من السلطان الجائر فيقع في المخالفة الشرعية والعقائدية لأحكام الله تعالى.

فإنّ التوظيف السياسي لعلم العام والخاص يتضح جلياً من خلال الحكم بين الناس بما أراه الله تعالى؛ فالحكم من الله تعالى باعتباره المشرع الأول للإحكام عاماً وشاملاً، وتطبيقه من خلال الأنبياء والاولياء (عليهم السلام) خاصاً؛ كونهم مطبقين لشروطه وإحكامه بما يخدم الوضع الذي يمرون به، أو الفصل

(١) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، ٢٥٨.

(٢) سورة الحديد، الآية، ٢٥.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٥ / ١٧٧.

(٤) تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٥٥ / ٣.

الفصل الثانيالمبحث الثالث: التوظيف السياسي لعلوم القرآن

في الحوادث التي تمر بهم.

وطلباً للاختصار اكتفيت بإيراد هذين المصداقين للتوظيف السياسي لعلم العام والخاص؛ كون النص القرآني زاخراً بهكذا توظيف، ووظائف أخرى سياسية، كما أن الباحث أورد هذين العلمين أو المبحثين - علم التفسير، وعلم العام والخاص-، واكتفى بهما طلباً للاختصار أولاً، ولفتح المجال أمام المتهمين بالشأن القرآني أن يدرسوا ويكتشفوا ما ورد في النص القرآني من أمور سياسية، والأمر الأخير الذي هدفت إلى بيانه هو مدى مدخلية النص القرآني في توظيفات علوم القرآن التي شملت موضوعات متعددة ومنها "التوظيف السياسي".

المبحث الرابع

التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

المدخل:

القرآن الكريم امتاز عن سائر الكتب المنزلة من الله تعالى؛ بأنه كتابٌ شاملٌ معطاءٌ لجميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية، والعلمية، والأدبية، والفقهية، والتاريخية، والاجتماعية، فإنَّ جماله بهذا التنوع، وعليه فلا يجوز لأي أحد أن يخصص النص القرآني بعلم دون آخر، أو أن يحصره بجانب معين؛ لهذا كان الثقل الأكبر.

وسيتطرق الباحث للتوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن؛ لأنَّ القرآن الكريم يُعد قطب الرحي للثقافة الاجتماعية العربية، فمنه تطور علم العرب، ومنه تكونت ونشأت حضارة العرب، ومن معينه الصافي نُهلت علومهم ومعارفهم وعلاقاتهم الاجتماعية، وبما أنَّ النص القرآني يحمل بين طياته خطابات ومواضيع اجتماعية ناهيك عن بقية المواضيع؛ لهذا أصبح النص القرآني محط ومطلب كل العلماء وخصوصاً علماء علوم القرآن؛ والسبب راجع بأن النص القرآني في طبيعة خطاباته تطرق في أغلبها إلى المواضيع الاجتماعية حيث "أن الطبيعية ليست طبيعة فردية، فعادة الحديث يأتي في القرآن بلغة المجتمع، متقين، مؤمنين، كفار مشركين، منافقين، وهكذا..."^(١).

إنَّ هذه الموضوعات شكلت وأسست وزرعت البذرة والنواة الأولى للمعالجات القرآنية حتى شملت جميع الظواهر الاجتماعية بجميع تشعباتها وارتباطاتها سواء العقدي؛ من خلال التكلم عن الحضارات والأمم والشعوب التي انحرفت عقائدياً، أو ما ارتبطت بالأمور الفقهية والتشريعية، وكيفية معالجة القرآن الكريم الانحرافات الاجتماعية، لهذا كان القرآن الكريم ينزل بالتدرج من أجل تربية المجتمع "حسب مقتضيات الشؤون اليومية الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو الاحداث والوقائع"^(٢)؛ فالنص القرآني درس الموضوعات العقائدية والأحكام التكاليفية التشريعية للإنسان من خلال بيان المباحث التي ارتبطت بالحياة الفردية والاجتماعية له؛ لهذا درس العلماء الآيات التي تعلق وارتبطت بالجانب الاجتماعي^(٣)؛ وهذا ما سيتم الكشف عنه في هذا المبحث بكيفية توظيف علماء علوم القرآن لمباحثهم في هذا المجال. وهناك أمر مهم لا بدّ من الإشارة إليه بأن السنة المطهرة سارت على ما سار عليه النص القرآني؛

(١) رؤى في طريق العودة، محمد علي المدرسي، ٩٧.

(٢) دروس في علوم القرآن، حسين جوان، ٧٩.

(٣) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي الاصفهاني، ٢٨١.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

كون أن من جوانب "عملية التغيير التي مارسها النبي (ﷺ) وأصحابه الاطهار، هذه العملية حينما تلحظ بوصفها عملية متجسدة في جماعة من الناس وهم النبي (ﷺ) والصحابة، بوصفها عملية اجتماعية متجسدة في هذه الصفوة، وبوصفها عملية قد واجهت تيارات اجتماعية مختلفة من حولها واشتبكت معها في ألوان مختلفة من الصراع والنزاع العقائدي والاجتماعي والسياسي والعسكري" (١)، وكذلك ما قام به أهل بيت النبي (ﷺ) من أعمال وتصرفات لتغيير الواقع الاجتماعي كلما سنحت لهم الفرصة لذلك، والباحث هنا لا يريد خوض دور أهل البيت (عليهم السلام) بقدر الإشارة لجهودهم في تغيير الواقع الاجتماعي؛ لهذا سيتم الكشف فقط عن دور النص القرآني ومدخليته في هذا التغيير الاجتماعي الذي هو في صلب موضوعي. مما تقدم سيحاول الباحث إيراد ما تم توظيفه من علماء علوم القرآن اجتماعياً في علومهم ومباحثهم المرتبطة بالنص القرآني، وسيتم الكشف عن هذا التوظيف من بيان الأمور الآتية:

المطلب الاول: التعريف بالاجتماع لغةً واصطلاحاً:

(١) التعريف بالاجتماع لغةً:

معنى الاجتماع مأخوذ من الجمع الذي هو: "مصدر جمعت الشيء. والجمعُ أيضاً: اسم لجماعة الناس، والجموع: اسم لجماعة الناس. والمجمع حيث يُجمعُ الناس، وهو أيضاً اسم للناس والجماعة: عدد كل شيء وكثرته. والجماعُ: ما جمعَ عدداً... والمسجدُ الجامعُ نعت به، لأنه يجمع أهله" (٢)، فيطلق على جمع الشيء، وكذلك على المكان الذي يجتمع فيه الناس، وما عدته وكثرته فهو جمع، لهذا سمي الجامع بهذا الاسم؛ لأنه يجمع عدداً من الناس.

وقد جاء بأن "الجيم والميم والعين" أصل واحد معناه تضام الشيء، وكل ما يجمع بعد تفرقة فهو جمع، ويطلق أيضاً على تجمع القوم في مكان، ويطلق على العدد الكثير من الأشخاص المتجمعين الذين جمعهم غرض واحد، ويطلق على مكان الاجتماع والالتقاء؛ لهذا قالوا "مجمع البحرين" بمعنى التقاء البحرين (٣).

وجاء بأن "الاجتماع" مصدر مأخوذ من باب "الافتعال"، ويعني الافتراق والانفصال، فعندما نقول: "اجتمع القوم" أي انضم بعضهم لبعض، فهم متفقون متحدون، ولهذا سمّت العرب "يوم الجمعة" لهذا

(١) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ٣٦.

(٢) العين، الخليل، ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠. مادة (جمع).

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ / ٤٧٩ لسان العرب، ابن منظور، ٨ / ٥٣، تاج العروس، الزبيدي، ٢٠ / ٤٥١، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١ / ١٣٦. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٩١٦.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

المعنى، أو أن المعنى لجمع خلق آدم (ﷺ)، أو المعنى لاجتماع المسلمون للصلاة في يوم الجمعة (١)، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢)، وجاء في المعجم الوسيط: "يقال: رجل اجتماعي: مُزاول للحياة الاجتماعية، كثير المخالطة للناس" (٣)، وعليه فالمجتمع يعرف: "جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة" (٤).

فالعلم الذي يبحث عن القوانين والأنظمة التي أدت إلى نشوء الجماعات البشرية الإنسانية، وكيفية نموها، وطبيعتها هو ما سيتم الكشف عنه في النص القرآني بأنه كيف وظف اجتماعياً عن طريق علوم القرآن.

(٢) تعريف الاجتماع اصطلاحاً:

عرف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) "الاجتماع" بأنه: "تقارب أجسام بعضها من بعض" (٥)، فما تقارب من الاجسام فهو اجتماع، في حين السيوطي (ت ٩١١ هـ) عرفه بقوله: "الاجتماع: وجود أشياء كثيرة يعمها معنى واحد" (٦)، بأنها مجموعة من الأشياء الثيرة التي عمها معنى واحد. أما المناوي (ت ١٠٣١ هـ) فعرفه بقوله: "الاجتماع: مجاورة جوهريين في حيزين، ليس بينهما ثالث، وضده الافتراق، وهو وقوع جوهريين بينهما حيز" (٧). ولهذا المعنى ذهب الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) (٨)، فما تجاوز فيه الشيطان في حيزين فهو اجتماع، وعليه فهو يطلق على كل تجمع لجماعة، ويطلق ايضاً على "اسم جماعة من الأشخاص الذين تقوم بينهم علاقات اجتماعية منتظمة ويوجد بينهم قدر من التعاون" (٩).

يتضح مما تقدم بأن هناك تواشجاً بين لفظة "الاجتماع" بمعناها "الاصطلاحي" و "اللغوي"؛ بكونه يطلق على كل مجموعة من الأفراد يعيش بعضهم مع البعض الاخر، بينهم روابط مشتركة تربطهم

(١) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/٤٨٠، ولسان العرب، ابن كنزور، ٨/٥٣. مادة (جمع).

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٨٨.

(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ١/١٣٥.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر، ١/٣٩٦.

(٥) التعريفات، ١٠.

(٦) معجم مقاليد العلوم، ١٣٧.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف، ٣٨.

(٨) الكليات، ٤٦.

(٩) المدخل إلى علم الاجتماع، محمد الجوهري، ٧٨.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

ومصالح، وقوانين وأنظمة تنظمهم، كما لهم عادات وتقاليد، وأعراف، ومعنى ذلك الترابط الذين يكون بين أبناء المدينة الكبيرة، أو القرية الصغيرة، فالجميع مجتمعات صغيرة داخلية ضمن المجتمع الإسلامي. فإن "علم الاجتماع" هو: "علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها، وطبيعتها، وقوانينها ونظمها"^(١)، فإن "علم الاجتماع" يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية التي يمارسها أفراد المجتمع والتي تكون داخل المجتمعات الإنسانية، بكل ما تضمن وتحمل من أوجه التعبير والتفاعل، كل ذلك يظهر من خلال وجوه الظواهر الاجتماعية.

ومن الجدير بالذكر أن لفظة "الاجتماع" لم ترد في النص القرآني، إلا أن جذره "جمع" ورد ويقصد به "تأليف المتفرق وانضمامه"^(٢)، لهذا نجد النص القرآني تكلم عن "الاجتماع" بألفاظ أخرى من التكلم عن الاعتصام بحبل الله، ونبذ الفرقة.

إن القرآن الكريم خاطب المجتمعات عامة، والمجتمع الإسلامي خاصة؛ لأنه نزل فيهم من أجل تنظيم علاقاتهم الاجتماعية فيما بينهم، فإن "المجتمع الإسلامي" هو المقصود هنا الذي عُرف بأنه "الوجود المجموعي للناس باعتبار ما بينهم من علاقات وصلات قائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المسندة بمجموعة من القوى والقبليات"^(٣)، وعُرف أيضا بأنه: "الذي تميّز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبة واحدة، وينتمون لهذا المجتمع وإن كان من أقوام متعددة وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة وعادات موحدة"^(٤)، فهو يتشكل من الأسرة التي عُرفت بأنها: "وحدة اجتماعية مكونة من أفراد تربطهم عوامل (بيولوجية)^(٥) واحدة سواء أكان هؤلاء من جيل واحد كالإخوة، أم من أجيال متعاقبة كالأجداد والآباء والأحفاد، فالأسرة أصغر مجموعة منظمة من الأفراد"^(٦)، وكذلك يتشكل من القبيلة التي جعلها الله تعالى في كتاب المجيد ذريعة ووسيلة للتعرف، فقررها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرِ

(١) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ١٣٥. ويُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار، ٣٩٤/١.

(٢) نظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٩١٦.

(٣) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ٤٢.

(٤) المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، ١٧.

(٥) "بيولوجيا [مفرد]: (حي) علمٌ عام يشمل علم الأحياء الحيوانية، وعلم الأحياء النباتية"، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٢٧٧. وعلم "الأحياء الاجتماعي: (مع، حي) دراسة العوامل البيولوجية المحددة للسلوك الاجتماعي المبني على نظرية تقول: إن مثل هذا السلوك عادة ما ينتقل وراثيًا، ويكون عرضة لعمليات التطور" معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٣٩٤. و"علم الأحياء: (حي) علم الحياة أو البيولوجيا، وهو علم يتناول مجموع ما يشاهد في الإنسان والحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات، كالتغذية والنمو والتناسل ونحو ذلك"، معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد عمر مختار، ١/ ٦٠٠.

(٦) أصول المجتمع الإسلامي، جمال الدين محمد، ٣٣.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

وَأَنْتِ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾.

يتضح مما تم إيراده أن هناك منهجاً وضعه النص القرآني للعلاقات الاجتماعية، ويقصد بالمنهج الاجتماعي "هو الطريق ذو القواعد الخاصة التي يسلكها المفسر للكشف عن دلالة الآيات المباركة، ومحاولة الإشارة إلى مصاديق جديدة المواضيع الآيات القرآنية في الكون والحياة" (٢)، فالمنهج ما بُني على قواعد وقوانين وأنظمة يحاول الدارس للنص القرآني السير عليها وبيانها، ويشير إلى مصاديقها. وبناءً على ما تقدم فإن ما يبحث عنه في هذا المبحث هو دراسة الأشخاص الذين تربطهم فيما بينهم علاقات اجتماعية، وهناك قانون يحكمهم، وضوابط لا بد من السير عليها، فكل مكان يلتقي به المسلمون فهو تجمع، وما سيحاول الباحث الكشف عنه هو بيان التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن، الذي يمكن أن يُطلق عليه المنهج الاجتماعي الذي سلكه القرآن الكريم في تنظيم شؤون المجتمع.

وهناك حقيقة واضحة، لا يمكن تجاوزها في أي حال من الأحوال، وهي "إن القرآن يشتمل على المعارف كافة، وجميع ما يحتاج إليه البشر" (٣)، فكل ما يحتاجه البشر من معارف وعلوم موجود في النص القرآني، والعلماء خاصة يدركون هذا الشيء؛ كون "إن لدينا مثل هذا الكتاب الذي يتوفر على المصالح الشخصية، والمصالح الاجتماعية، والمصالح السياسية، وإدارة البلاد، وفيه كل شيء" (٤). فإن القرآن الكريم شمل جميع العلوم والمجالات والمصالح، والوظائف، والتي من ضمنها "الوظيفة الاجتماعية" فالنص القرآني "لفت الذهن إلى الوظيفة الاجتماعية عند ما تحدث عن أثر الأقوال في النفوس وأنها تستثير العاطفة وهذا يفسر لنا ضرورة بلاغة الأقوال لتؤثر في النفوس وليقوى الإيحاء ويشد" (٥)، وهذا التوظيف سيكشف عن بعضه الباحث بما يخص علوم القرآن التي وظفت لهذا الجانب.

وهذا التوظيف من الأمور المهمة التي أشار إليها النص القرآني؛ لارتباطه بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً فيما لو علمنا "ان المجتمع يتكون من ثلاثة عناصر، وهي: الإنسان والطبيعة والعلاقة الاجتماعية" (٦)، فإن "العلاقة الاجتماعية تتضمن علاقيتين مزدوجتين: إحداهما علاقة الإنسان مع الطبيعة. والأخرى

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ٣٣/١.

(٣) صحيفه امام، الخميني روح الله، ٢٤٩/٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ٤٢٣/١٨. ويُنظر: فهم القرآن، خالد توفيق، ١٣٣.

(٥) الفن القصصي في القرآن الكريم، احمد محمد خلف الله، ٤٣٥/٢.

(٦) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ٢٠١.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان. هذان خطآن من العلاقة الاجتماعية" (١)، وهاتان العلاقتان بينها النص القرآني في العديد من آياته.

وهناك أمر مهم لا بد من الإشارة إليه وهو أن نسبة الأمور الاجتماعية التي وردت في النص القرآني عالية فيما لو قورنت مع الأحاديث الشريفة، أو فتاوى العلماء "هناك فرق كامل بين القرآن وكتب الحديث التي تعدّ مصادر أحكام الإسلام وتعاليمه، وبين الرسائل العملية التي تصنف من قبل مجتهد العصر والمراجع، من زاوية الشمول والأثر الذي يمكن أن تتركه في الحياة الاجتماعية. إنّ نسبة اجتماعيات القرآن إلى آياته العبادية، هي أكثر من نسبة المائة إلى واحد" (٢)، لهذ فإن الإمام الخميني (ت ١٤٠٩ هـ) يقول معقّباً على ما سبق ذكره "لقد نسينا الآيات التي ترتبط بالمجتمع، والآيات ذات الصلة بالسياسة، والآيات التي ترتبط بالحرب والجهاد، بالرغم من كثرة هذه الآيات، إذ ترتبط أكثر الآيات بهذه المسائل؛ لقد نسيناها وأغفلناها" (٣).

مما سبق فإن النص القرآني بين المصالح الاجتماعية بصورة أكبر من غيرها من الجوانب؛ لأنّ هذا الامر في تماس مع حياة الإنسان، فضلاً عن أهميته في اصلاح المجتمع، وتنظيم العلاقات بين الإنسان نفسه، وبين ما يحيط به من طبيعة ومجتمع بشري، وما سيحاول الباحث الوصول إليه هو ادراج بعض المصاديق من علوم ومباحث القرآن التي ذكرها العلماء ووظفت اجتماعياً، وعليه فمن هذه العلوم هي:-

المطلب الثاني: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن:

أن علم "أسباب النزول" من العلوم المهمة التي أعتنى بها علماء المسلمين سواء المتقدمين أم المتأخرين، لهذا وجدت عدة مؤلفات درست هذا العلم، ودونته، وأفرد بمؤلفات مستقلة، والباحث هنا ليس في طور التكلم عن تاريخ التأليف في هذا العلم بقدر ما يريد كيفية توظيف هذا العلم اجتماعياً من علماء علوم القرآن.

والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم جاء "هادياً للأمة من الضلالة من خلال برنامج واضح ومحدد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكلّ ما يرتبط بهذا الهدف قد دخل في حوزة هذا الكتاب المبارك، سواء كان ذلك داعياً إلى الإيمان بالله أو بأنبيائه أو من خلال شرح أحوال ووقائع الأمم السابقة أو بيان

(١) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ٢٠١.

(٢) ولاية فقيه، الخميني روح الله، ٥.

(٣) صحيفه امام، ١١/١٥.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

الأخبار المستقبلية أو توضيح وشرح وبيان الوقائع الحادثة في زمن النزول، فكل ذلك داخل في هدف القرآن، وتنقسم الآيات في ما يرتبط بسبب النزول إلى آيات تنزل بشكل ابتدائي ومن دون سؤال من قبل المسلمين وغيرهم، أو ينزل نتيجة لسؤال من قبل المسلمين، أو بسبب حادثة حدثت استدعت نزول آيات بحقها. فهذه الأمور التي تنزل القرآن بسببها تسمى أسباب النزول. فأسباب النزول: ما نزل بسببه آية أو أكثر توضّحه أو تجيب عنه أو تبيّنه" (١).

فهذا العلم له من الأهمية بأنه "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها" (٢)، فإن معرفة الاحداث التي احاطت بالآية أو السورة كفيل بأن يذلل الصعوبات أمام الدارسين للنص القرآني من بيانه، وايضاح معناه، ومن هذا المنطلق فإن علم "أسباب النزول" له أهمية كبيرة في بيان النص القرآني على عدة مستويات ومنها الاجتماعي التي سيحاول الباحث الكشف عنها بإيراد بعض الآيات على سبيل المثال لا الحصر التي وظفت اجتماعياً.

استناداً إلى ما سبق ذكره من بيان تعريف "أسباب النزول" (٣) يكون معناها نزول بعض آيات القرآن الكريم أو سوره لحادثة معينة، أو إجابة لسؤال وجه للنبي محمد (ﷺ)، ولأهمية هذا العلم في بيان النص القرآني على عدة مستويات وخصوصاً الاجتماعية منها، سيتم إيراد بعض الآيات التي تم توظيفها اجتماعياً من قبل علماء علوم القرآن، ومنها:

(١) قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن سَائِبِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غفورٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن سَائِبِهِم مَّا يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّ ذَلِكَ تُوعظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾.

أورد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) حديثين في سبب نزول هذه الآيات، الحديث الأول: "أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصوري، قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن زياد النيسابوري، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الأشعث، قال: حدثنا محمد بن بكار، قال: حدثنا سعيد بن بشير، أنه سأل قتادة عن الظهار، قال: فحدثني أن أنس بن مالك، قال: إن أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة، فشكت ذلك إلى النبي (ﷺ)، فقالت: ظاهر مني حين كبر سني، ورق"

(١) دروس في علوم القرآن، نذير حسني، ١٢١.

(٢) اسباب النزول، الواحدي، ٦.

(٣) ينظر: ١٠٦ من الاطروحة.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢-٤.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

عَظْمِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الظَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِأَوْسٍ: أَعْتَقْ رَقَبَةً، فَقَالَ: مَالِي بِذَلِكَ يَدَانِ، قَالَ: فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: أَمَا إِنِّي إِذَا أَحْطَأْنِي أَنْ لَا أَكُلَ فِي الْيَوْمِ [مَرَّتَيْنِ] كَلَّ بَصْرِي، قَالَ: فَأَطْعَمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا، قَالَ: لَا أَجِدُ إِلَّا أَنْ تُعِينَنِي مِنْكَ بِعَوْنٍ وَصَلَةٍ. قَالَ: فَأَعَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِخَمْسَةِ عَشَرَ صِرَاعًا حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ لَهُ، وَاللَّهُ رَحِيمٌ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ عِنْدَهُ مِثْلَهَا، وَذَلِكَ لِسِتِّينَ مِسْكِينًا (١) " (٢)،
والحديث الاخر هو: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَامِدٍ الْعَدْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَكَرِيَّا، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّعُولِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا [عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى بْنِ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا] أَبُو الْأَصْبَغِ الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي خُوَيْلَةَ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ، أُخِي عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ ذَاتَ يَوْمٍ فَاكَلَنِي بِشَيْءٍ وَهُوَ فِيهِ كَالضَّجْرِ، فَرَأَدْتُهُ فَعَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، ثُمَّ خَرَجَ فِي نَادِي قَوْمِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَرَأَوْنِي عَنْ نَفْسِي فَأَمْتَعْتُ مِنْهُ، فَشَادَنِي فَشَادَتْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغَلَّبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ فَقُلْتُ: كَلَّا - وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ. لَا تَصِلْ إِلَيَّ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيَّ وَفِيكَ بِحُكْمِهِ، ثُمَّ أَتَيْتِ النَّبِيَّ (ﷺ) أَشْكُو مَا لَقَيْتُ، فَقَالَ: زَوْجُكَ وَابْنُ عَمِّكَ، أَنْتِ وَاللَّهُ وَأَحْسِنِي صُحْبَتَهُ. فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا إِلَى [قَوْلِهِ]: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكُفَّارَةِ، قَالَ: مَرِيهَ فَلْيَعْتِقْ رَقَبَةً، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُ رَقَبَةٌ يَعْتُقُهَا. قَالَ: مَرِيهَ فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ [وَاللَّهِ إِنَّهُ] شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: فَلْيُطْعَمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُ مَا قَالَ: 'بَلَى سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ - مِكْتَلٍ يَسَعُ ثَلَاثِينَ صَاعًا - قَالَتْ: قُلْتُ: وَأَنَا أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: قَدْ أَحْسَنْتِ، فَلْيَتَصَدَّقْ (٣) " (٤).

(١) إسناده ضعيف: سعيد بن بشير الأزدي: ضعيف يُنظر: تهذيب التهذيب، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، ٤ / ٨. وقال ابن حبان: يروي عن قتادة ما لا يتابع [مجروحين، أبو حاتم بن حبان البستي، ١ / ٣١٥. وعزاه في الدر المنثور، السيوطي، ٦ / ١٨٠، لابن مردويه.

(٢) أسباب النزول، الواحدي، النيسابوري ٤٢٨. رقم الحديث (٧٩٠). يُنظر: ابن ماجة في سننه برقم ١٨٨. والنسائي في التفسير برقم ٩٥٠، وتفسير الطبري، ٢ / ٢٨. الحاكم في المستدرک، الحاكم النيسابوري، ٢ / ٤٨١. وتفسير ابن كثير، ٤ / ٣١٨. وأسباب النزول القرآني، غازي حسين عناية، ٢١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٤١٠) وقد صرح ابن إسحاق بالسماع. وفي إسناده معمر بن عبد الله بن حنظلة، قال الحافظ في التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات وأخرج حديثه في صحيحه وفيه تصريح ابن إسحاق بالسماع وقال القطان: مجهول الحال وتبعه الذهبي وقال: تفرد عنه ابن إسحاق. والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق (٤٢١٤، ٢٢١٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٣٨٩). وزاد السيوطي نسبه في الدر (٦ / ١٧٩) للطبراني وابن المنذر وابن مردويه

(٤) أسباب النزول، النيسابوري، ٤٢٩. رقم الحديث (٧٩١). يُنظر: التفسير الوسيط، وهبه الزحيلي، ٣ / ٢٦٠٦.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

فالسبب الذي من أجله نزلت الآيات هو سبب اجتماعي، وهو العلاقة الزوجية بين الزوجين التي في بعض الحالات يتقوه فيها الزوج بكلام يعكس صفوة هذه الحياة؛ فالسياق حمل بين طياته شرحاً لتلك الظاهرة التي كانت في زمن الجاهلية قبل ظهور الإسلام؛ فالنص القرآني بين من خلال آياته بالتفصيل حكم الظهار الذي يعدّ من عادات العرب قبل الإسلام الذي من خلاله تحرم الزوجة على الزوج وكأنه وقع بينهما الطلاق، ويتحقق هذا التحريم من خلال القول بأن يقول الزوج لزوجته "انت عليّ كظهر أمي"، والقصد تحريم معاشرتها بهذا القول؛ كونها أصبحت كأمة^(١)، فإنّ "الآيات الأربع أو الست نزلت في الظهار وكان من أقسام الطلاق عند العرب الجاهلي كان الرجل يقول لامرأته: أنت مني كظهر أمي فتنفصل عنه وتحرم عليه مؤبدة وقد ظاهر بعض الأنصار من امرأته ثم ندم عليه فجاءت امرأته إلى رسول الله (ﷺ) تسأله فيه لعلها تجد طريقاً إلى رجوعه إليها وتجادله (ﷺ) في ذلك وتشتكي إلى الله فنزلت الآيات. والمراد بالسمع في قوله: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» استجابة الدعوة وقضاء الحاجة من باب الكناية وهو شائع والدليل عليه قوله: «تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» الظاهر في أنها كانت تتوخى طريقاً إلى أن لا تنفصل عن زوجها، وأما قوله: «وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا» فالسمع فيه بمعناه المعروف. والمعنى: قد استجاب الله للمرأة التي تجادلك في زوجها- وقد ظاهر منها- و تشتكي غمها و ما حل بها من سوء الحال إلى الله والله يسمع تراجعكما في الكلام أن الله سميع للأصوات بصير بالمبصرات. قوله تعالى: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ» إلخ، نفي لحكم الظهار المعروف عندهم و إلغاء لتأثيره بالطلاق والتحريم الأبدي بنفي أمومة الزوجة للزوج بالظهار فإن سنة الجاهلية تلحق الزوجة بالأم بسبب الظهار فتحرم على زوجها حرمة الأم على ولدها حرمة مؤبدة. فقوله: «مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ» أي بحسب اعتبار الشرع بأن يلحق شرعاً بهن بسبب الظهار فيحرم عليهن أبداً ثم أكد بقوله: «إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ» أي ليس أمهات أزواجهن إلا النساء اللاتي ولدنهم. ثم أكد ذلك ثانياً بقوله: «وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا» بما فيه من سياق التأكيد أي و إن هؤلاء الأزواج المظاهرين ليقولون بالظهار منكرًا من القول ينكره الشرع حيث لم يعدّه ولم يسنه، وكذباً باعتبار أنه لا يوافق الشرع كما لا يطابق الخارج الواقع في الكون فأفادت الآية أن الظهار لا يفيد طلاقاً وهذا لا ينافي وجوب الكفارة عليه لو أراد المواقعة بعد الظهار فالزوجية على حالها وإن حرمت المواقعة قبل الكفارة^(٢).

(١) يُنظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢٧٣/٥. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠/٢٨. وصفوة التفسير، الصابوني، ٣١٦/٣. ومن

وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ٦١/٢٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ١٧٨/١٩.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

وبناءً على ما تقدم فإن سبب نزول الآيات من خلال النص القرآني عالج مسألة اجتماعية في غاية الخطورة إلا وهي الانفصال غير الشرعي بين الزوجين انبنت هذه المسألة على عادات توارثوها من الجاهلية لهذا جاء النص " مِنْكُمْ أَي حَال كُونَهُمْ مِنْكُمْ أَيهَا الْعَرَبُ، وَهَذَا تَوْبِيخٌ لَهُمْ، وَتَهْجِينٌ لِعَادَتِهِمْ؛ لِأَنَّ الظَّهَارَ كَانَ خَاصًا بِالْعَرَبِ وَمَنْ أَيْمَانَ جَاهِلِيَّتِهِمْ دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ مِنْ نِسَائِهِمْ يَعْنِي يَحْرَمُونَ زَوْجَاتِهِمْ كِتْحَرِيمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ظُهُورَ أُمَّهَاتِهِمْ، يَقُولُونَ لَهُنَّ: أَنْتِنَ كَظُهُورِ أُمَّهَاتِنَا مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ أَي مَا نِسَاؤُهُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ فَذَلِكَ كَذِبٌ بَحْتٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ مَنكَرٌ وَزُورٌ، وَفِي هَذَا تَوْبِيخٌ لِلْمُظَاهِرِينَ" (١)، وعليه فالنص أراد تغيير هذه العادة الاجتماعية المترسخة في العلاقة الزوجية، لهذا فإن الله تعالى بين "بطلان حكم الجاهلية في امرأة ظاهر منها زوجها أنها تصير حراماً أبدياً على زوجها، ونسخه بقوله: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَيَقُولُونَ لِأَزْوَاجِهِمْ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظُهُورِ أُمِّي، اجْتِنَابًا مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ، لَا يَحْرَمُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ بِجَهَةِ الْأُمَمَةِ، وَمَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ لَا حَقِيقَةَ وَلَا تَنْزِيلًا مِنَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّهَاتُهُنَّ الْحَقِيقِيَّةَ، وَمَا وَالدَاتِهِمُ الْوَاقِعِيَّةَ إِلَّا النِّسَاءَ اللَّائِيَّ وَلَدْنَهُمْ وَوَضَعْنَهُمْ مِنْ بَطْنِهِنَّ عَلَى الْأَرْضِ وَإِنَّهُمُ الْأَزْوَاجُ لَيَقُولُونَ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّهِنَّ كَأُمَّهَاتِهِمْ فِي الْحَرَمَةِ الْأَبَدِيَّةِ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَمَخَالَفًا لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ مِنَ الْكَلَامِ وَزُورًا وَبَاطِلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ وَكَثِيرٌ التَّجَاوُزُ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْقَوْلُ، إِنْ تَابَ أَوْ إِنْ لَمْ يَتَبْ غُفُورٌ وَسِتَّارٌ لِلْمَعَاصِي بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ" (٢).

واستناداً لما سبق فإن سبب نزول هذه الآيات وظف لقضية اجتماعية هي "العلاقة بين الزوجين" من حيث الاستمرار أو الانفصال، فقد بين النص القرآني أن العلاقة لا تنفصل إلا بالأمر الشرعية التي أشار إليها النص القرآني وبينها النبي محمد (ﷺ) في السنة النبوية، وأن ما تم وراثته من الجاهلية لا يمكن تطبيقه على الدين الإسلامي، فثبت أن النص القرآني عالج قضايا اجتماعية من خلال توظيفه لعلم "اسباب النزول".

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٣).

جاء في سبب نزول هذه الآية "أنها نزلت في عثمان بن طلحة الحنظلي من بني عبد الدار، كان سادن الكعبة، فلما دخل النبي (ﷺ) مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت، وصعد السطح، فطلب رسول الله (ﷺ) المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان، فطلب منه، فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله (ﷺ) لم أمنعه

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق حسن خان، ٥/٧. يُنظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٢٦٠٦/٣.

(٢) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، محمد نهاوندي، ٢٣٣/٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده، وأخذ منه المفتاح، وفتح الباب، فدخل رسول الله (ﷺ) البيت، وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح، ليجمع له بين السقاية، والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله (ﷺ) علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان، ويعتذر له، ففعل ذلك علي، فقال له عثمان: يا علي، أكرهت، وأذيت، ثم جئت ترفق!! فقال: لقد أنزل الله تعالى في شأنك، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن محمد رسول الله (ﷺ)، فجاء جبريل (ﷺ)، فقال: ما دام هذا البيت فإن المفتاح، و السدانة في أولاد عثمان، و هو اليوم في أيديهم" (١).

وهناك كلام بخصوص هذه الآية والآيات التي سبقتها مع "أنها نازلة بمكة وبعد الهجرة، وقعت بعد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَبَتْ لَهُمْ أَرْحَامُهُمْ وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ كَانَتْ تُوَقَّتْ لَهُمْ وَاللَّهُ يَهْدِي لَهُمْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢)، فهي مرتبطة بها، وقد وقع البحث في تقدم السبب على المناسبة، والحكم بخصوصية المورد، والأمانة الخاصة، أو تقدم المناسبة على السبب، والحكم بعمومية الأمانات كلها" (٣).

وفي هذا المدار ذهب الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) إلى "تقديم المناسبة على السبب وعمومية الآية، حيث نقل في تفسيرها ثلاثة أقوال، وهي:

١- كل من أوتمن أمانة من الأمانات وأمانات الله وأوامره ونواهيها وأمانات عباده فيما يأتين بعضهم بعضاً من المال وغيره.

٢- إن المراد به ولاية الأمر، أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة.

٣- إنه خطاب للنبي (ﷺ) بردّ مفتاح الكعبة. ثم قال: إذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه، بل يكون على عمومته" (٤).

وهذا الرأي اختاره السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) بقوله: "ظاهرة الارتباط بالآيات السابقة عليها؛ فإنّ البيان الإلهي فيها يدور حول حكم اليهود للمشركين بأنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين، وقد وصفهم الله في أول بيانه بأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب، والذي في الكتاب هو تبيين آيات الله والمعارف الإلهية،

(١) أسباب النزول، الواحدي، ١٣٠. يُنظر: تفسير الطبرسي، ٩٢/٥. وتفسير القرطبي، ٢٥٦/٥. وتفسير ابن كثير، ٥١٥/١. تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، خالد عبد الرحمن، ١٠٤. قواعد التفسير لدي الشيعة والسنة، محمد فاكر ميبد، ٣٧٦. أسباب النزول القرآني، غازي حسين عناية، ١٦٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٥١ - ٥٢.

(٣) قواعد التفسير لدي الشيعة والسنة، محمد فاكر ميبد، ٣٧٦.

(٤) مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، ٦٣:٢. يُنظر: قواعد التفسير لدي الشيعة والسنة، محمد فاكر ميبد، ٣٧٦.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

وهي أمانات مأخوذة عليها الميثاق أن تبين للناس، ولا تكتم عن أهله" (١)، وبعضهم قال: "ولا يرد تأخر نزول آية الأمانات التي قبلها بنحو ست سنين؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لا في المناسبة؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي (ﷺ) بوضعها في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها" (٢)، وعليه فلا إشكال في تقدم الآيات السابقة على هذه الآية في الزمن فإن وحدة الموضوع والسياق محفوظة بلا ريب، والمدار يدور حول المحافظة على الامانة سواء أكانت عامة أم خاصة.

وقد جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّ هذه الآية عامة تشمل جميع الأمانات حيث ورد "عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: إنها في كل من أوتمن أمانة من الأمانات، وأمانات الله وأمره ونواهيها وأمانات عبادها فيما يأتى بعضهم بعضاً من مال و غيره" (٣)، كذلك جاء عن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ما قاله: "الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون الأمر للأمر بأداء الأمانة من الغنائم والصدقات وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية" (٤)، وهذا ما اختاره الرازي (ت ٦٦٦ هـ) بقوله: "أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب و الديانات، أو من باب الدنيا و المعاملات" (٥)، وهذا الشيء مروى عن ابن مسعود وأبي بن كعب، والحسن، والبراء بن عازب، وقتادة (٦)، ونقل القرطبي (ت ٦٧١ هـ) عن "علي بن أبي طالب (عليه السلام) وزيد بن اسلم وشهر بن حوشب وابن زيد: هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة وقال ابن جريج وغيره: ذلك خطاب للنبي (ﷺ) خاصة في أمر مفتاح الكعبة" (٧).

بعدها نجد أنّ القرطبي بعد أن أورد آراء العلماء في مسألة هل أنّ الآية عامة أم خاصة، وفي سبب نزولها خلص إلى أنّها عامة وشاملة لجميع الناس من حيث أنّها تشمل حفظ الأمانات من قبل الولاة في توزيع الاموال، والعدل ورد الظلمات، أما من جهة الناس فهي تشمل التحرز في الشهادة وحفظ الودائع والامانات، والمحافظة على العبادات من صلاة وصوم وزكاة، وسائر العبادات التي هي

(١) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٧٨/٤. يُنظر: قواعد التفسير لدي الشيعة والسنة، محمد فاكر ميبد، ٣٧٦.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١٢٥/١.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٢٨٩/٦. ويُنظر: تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/٤٩. والإمام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، حكمت عبيد الخفاجي، ٣٩٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢٣٤/٥. ويُنظر: الإمام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، حكمت عبيد الخفاجي، ٣٩٣.

(٥) التفسير الكبير، الرازي، ١٣٧/١٠.

(٦) يُنظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٢٨٩/٦. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٦/٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٥٥/٥-٢٦٦.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

أمانات الله تعالى عند العباد^(١)، وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في بيان هذه الآية: "وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله (عزَّ و جَلَّ) على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض وغير ذلك مما يأتنون به من غير اطلاع بينه على ذلك فأمر الله (عزَّ و جَلَّ) بأدائها، فمن فعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة"^(٢).

وخلاصة القول نقلها الدكتور حكمت الخفاجي بقوله: "وعند استعراضنا لما كتبه المفسرون المحدثون تبين لنا أن النص التفسيري الذي اختاره الإمام الباقر (عليه السلام) كان هو اختيار بعض الصحابة من قبله وبعض المفسرين من بعده في أن الآية تتناول جميع أنواع الأمانات من حقوق إلهية وحقوق فردية شخصية فهي أمانات يجب تأديتها، غير أن هذه النصوص اختلفت في عباراتها ولكنها اتفقت على معناها المتقدم"^(٣)، بأنَّ الأمانات عامة شاملة لجميع الامانات "الأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى، الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان... أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه... ومن هذه الأمانة الكبرى، تتبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى. ومن هذه الأمانات، أمانة التعامل مع الناس، ورد أماناتهم إليهم: أمانة المعاملات والودائع المادية، وأمانة النصيحة للراعي والرعية... وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالي الحياة على وجه الإجمال"^(٤).

وخلاصة ما سبق أن سبب نزول الآية وإن كان لسبب خاص إلا أن الحفاظ على الامانة وردھا إلى صاحبها يشمل جميع الأمانات التي يجب على الإنسان الحفاظ عليها، وهي شاملة للأمر العبادية والمعاملاتية، وكل هذه الأمور من الأمور الاجتماعية التي تقع على عاتق الفرد والمجتمع بلا فرق بين شخص واخر، فإنَّ التوظيف الاجتماعي لعلم أسباب النزول في هذه الآية والتي سبقتها واضح وبيّن لأنّه يصب في خدمة المجتمع والحفاظ على المجتمع أو الاسرة في معاملاتها فيما بينها وبين الآخرين، وهذا التعامل يتعدى إلى الرئيس أو القائد أين ما كان فالجميع مسؤول كلُّ من منصبه.

ومما تقدم إيراده فقد اتضح التوظيف الاجتماعي لعلم "اسباب النزول"، وقد اكتفيت بهذين المثالين من الآيات؛ طلباً للاختصار وعدم الاطالة، فاتحاً المجال أمام الباحثين أن ينهلوا من المعين والنبع

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/٢٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٣٢٠. الموسوعة القرآنية، ابراهيم ابيارى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ٩/٣١٤.

(٣) الإمام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، ٣٩٤.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/١١٨. يُنظر: الإمام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، حكمت عبيد الخفاجي، ٣٩٥.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

الصافي للنص القرآني في توظيفاته الشاملة.

المطلب الثاني: التوظيف الاجتماعي لعلم العام والخاص من علوم القرآن:

تقدم مسبقاً بيان معنى العام والخاص في اللغة والاصطلاح عند علماء علوم القرآن في المبحث الثاني من الفصل الأول^(١)، وتم التوصل بأن العام كل ما تم الإشارة إليه لفظ أو علامة أو أداة تدل على عمومته، بأن يسبق بحروف أو صيغ، أو أدوات تشير إليه، وعكسه الخاص. فالعام له صيغ مختلفة ومختصة به تشير إليه، وتدل على شموله لجميع أفرادها، والخاص بخلافه فلا يدل على العموم؛ كونه يختص ببعض الافراد فلا يكون شاملاً، مما تقدم يتبين أن "العام" له صيغ متنوعة ومخصصة تدل على الاستغراق والشمول لكل ما يصلح له من دون حصر، أما "الخاص" فهو بخلاف "العام" الذي يختص بفرد دون غيره، فلا يسري الحكم إلى غيره فهو مختص به لا يشمل بقية الافراد.

وعليه فما سيتم ايراده بعض الآيات التي وظفت علم العام والخاص اجتماعياً، والباحث سيورد على سبيل المثال لا الحصر طلباً للاختصار وعدم الاطالة، وهذه بعض النماذج من الآيات التي وظفت اجتماعياً لهذا العلم، وهي:-

(١) قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَتَّقُلْ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

هذه الآيتان من النص القرآني تبين علاقة الولد مع الوالدين بأن يحسن إليهما الإنسان "وصيانه أن يحسن إليهما حسناً، أو إحساناً، وقيل: على أنه مفعول به بتضمين وصينا معنى ألزماً"^(٣)، ففيها الزام بالإحسان للوالدين؛ لان معنى الوصية "أي أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما، والبر بهما في حياتهما وبعد مماتهما، وجعلنا البر بهما من أفضل الأعمال، وعقوقهما من الكبائر، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة. ثم ذكر سبب التوصية وخص الكلام بالأم لأنها أضعف وأولى بالرعاية، وفضلها أعظم كما ورد في صحيح الأحاديث ومن ثم كان لها ثلثا البر؛ فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي إنها

(١) يُنظر: ص ٧٠-٧١ من الاطروحة.

(٢) سورة الاحقاف، الآية: ١٥ - ١٦.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ٢٢٣/٤.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

قاست في حمله مشقة و تعباً من وحم وغثيان وتقل إلى نحو أولئك مما ينال الحوامل، وقاست في وضعه مشقة من تعب الطلق وألم الوضع، وكل هذا يستدعي البر بها واستحقاقها للكرامة وجميل الصحبة. ثم بين سبحانه مدة حمله وفصاله فقال: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) أي ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً تكابد الأم فيها الآلام الجسمية والنفسية، فتسير الليالي ذوات العدد إذا مرض، وتقوم بغذائه وتنظيفه وكل شئونه بلا ضجر ولا ملل، وتحزن إذا اعتل جسمه أو ناله مكروه يؤثر في نموه وحسن صحته. وفي الآية إيحاء إلى أن أقل الحمل ستة أشهر، لأن أكثر مدة الإرضاع حولان كاملان لقوله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ» فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر، وبذلك يعرف أقل الحمل وأكثر الإرضاع. وأول من استنبط هذا الحكم منها علي (كرم الله وجهه) ووافقه عليه عثمان وجمع من الصحابة رضى الله عنهم^(١)، فإنَّ هناك أحكاماً متنوعة في هذه الآية، وفيها أهداف، وغايات، وكل هذه الأمور "من لطفه تعالى بعباده، وشكره للوالدين أن وصّى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف، والكلام اللين، وبذل المال و النفقة، وغير ذلك، من وجوه الإحسان"^(٢)؛ فالوصية هنا أمر وتشريع من الله تعالى^(٣)؛ وسبب ذلك لكونها "وصية عظيمة من الله بالوالدين، فهناك الموصى هو الله، و الموصى إليه هو الإنسان، والموصى له: الوالدان اللذان هما مجريا الخلق و التربية، و الموصى به: الإحسان بهما، فيا لها من وصية عظيمة من الله العظيم، لالتقاء أسرة الايمان بأسرة النسب في أسرة الوالدين، تبنيا للحياة الجماعية من منطلقها الاوّل، وكأنها من اصدق مصاديق: «رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» وبعد تكملة الايمان عقائديا و عمليا بالله، ولأنهما اجري مجاري الربوبية أن خلق الإنسان بهما، فأحرى بهما أحرى مراتب الإحسان، ودونما شرط أيا كان، وانما كونهما والدين، وكما الإنسان لا يصحب شرطاً في دين الفطرة و شريعته الا انه انسان: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ»^(٤).

ومما تقدم يتبين أنّ الوصية بالوالدين من الأمور الاجتماعية التي أكد عليها القرآن الكريم، وأما عمومها؛ لأنّها أمرت الإنسان بعمومه "أن يحسن لهما بما يمكنه من مصاديق الإحسان وهو ضدّ الإساءة. والمراد بالإنسان هذا الجنس وقرئ حسنا بالضم وسكون السين مصدر من باب حسن يحسن أي كان جميلاً ومعناه على هذا: وصّيناه أن يفعل بهما فعلاً حسناً من باب المبالغة كما يقال هذا الرجل علم"^(٥)، فإنّ المراد "بالإنسان الجنس، أي وصينا الناس وهو مراد به خصوص الناس الذين جاءتهم

(١) تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي، ٢٦/١٨. يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٩٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٩٤٣. يُنظر: الميزان، الطباطبائي، ١٨/٢٠٠.

(٣) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦/٢٦٤.

(٤) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، محمد صادقي تهراني، ٢٧/٢٩.

(٥) الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد سبزواري، ٦/٤٣٢.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

الرسول بوصايا الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك هو المناسب لقوله في آخرها أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا [الأحقاف: ١٦] الآية" (١).

فإنَّ عموم الآية جاء لعموم لفظ "الإنسان" كون الوصية "لجنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنسانا. وهي وصية بالإحسان مطلقة من كل شرط ومن كل قيد. فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى كذلك. وهي وصية صادرة من خالق الإنسان، وربما كانت خاصة بهذا الجنس أيضا. فما يعرف في عالم الطير أو الحيوان أو الحشرات وما إليها أن صغارها مكلفة برعاية كبارها. والمشاهد الملحوظ هو فقط تكليف فطرة هذه الخلائق أن ترعى كبارها صغارها في بعض الأجناس. فهي وصية ربما كانت خاصة بجنس الإنسان" (٢)، وعليه "فهي وصية صادرة من خالق الإنسان لجنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته وهي وصية الإحسان إلى الوالدين مطلقة من كل شرط ومن كل قيد، فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها، بدون حاجة إلى أي صفة أخرى" (٣).

مما تقدم في بيان الآيتين فقد اوردتا جملة من الأحكام والاداب الاجتماعية الأسرية التي تختص بالاسرة وبناءها؛ لأنهما نواة المجتمع، وخاطبت الآية عموم الإنسان وأوصته بالإحسان إلى والديه، فإنَّ هذه الآية كشفت عن التوظيف الاجتماعي لهذا العلم.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ إِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٤).

الآية الكريمة في بيان قصة ابني النبي آدم (عليه السلام) وجاء أن معنى "مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ أَي: الذي فعله قابيل كَتَبْنَا أَي: قضينا على بني إسرائيل في التوراة لأنهم كانوا أشدَّ الناس جراءة على القتل ولذلك كانوا يقتلون الأنبياء أَنَّهُ أَي: الشأن مَنْ قَتَلَ نَفْسًا أَي: من بني آدم بِغَيْرِ نَفْسٍ أَي: بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص أَوْ قتلها بغير فَسَادٍ أَتَاهُ فِي الْأَرْضِ كَالشَّرِكِ وَالزَّانِ بَعْدَ الْإِحْصَانِ وَقَطَعَ الطَّرِيقَ وَكُلَّ مَا يَبِيحُ إِرَاقَةَ الدَّمِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا أَي: من حيث هتك حرمة الدماء وسنَّ القتل وجراءة الناس عليه أَوْ من حيث إن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استحلال غضب الله والعذاب العظيم" (٥).

(١) تفسير التحرير والتنوير، طاهر ابن عاشور، ٢٦/٢٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٢٦١.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ٧/١٩٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٥) تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير، محمد بن احمد خطيب شربيني، ١/١٤٠. وتفسير البيضاوي، ١/٢٦٤.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

والعموم الموجود في الآية كونه من قتل نفساً بغير حق فإن جميع الخلق خصومه يوم القيامة، وفي الدنيا اذا لم يكن له ولي، أو أن المعنى من قتل نبي أو امام معصوم عادل فإنه يدل على قتله للناس اجمع؛ لانه حرمهم من منافع النبي والامام^(١)، كما أن النفس المقتولة جاءت عامة وغير خاصة بمعنى أي نفس بلا تحديد أو تخصيص لهذه النفس، فإن قتل الواحد محرم، والسماح بوقوعه يؤدي إلى جرأة الناس عليه، وفيه أيضا سنّ للقتل؛ لهذا كانت عاقبت من يرتكب هذا الشيء غضب الله تعالى، والعذاب والخلود في النار^(٢)، وهذه العقوبة فيها علاج اجتماعي ناجح من أجل الابقاء على الجني البشري من الهلاك، كما يحد من انتشار الفساد في المجتمع.

فالآية الكريمة تناولت أمراً اجتماعياً مهماً يحافظ على وحدة الأسرة والمجتمع، كونه تعالى ذكر مبررات تحريم قتل النفس، كما بين عقوبة القاتل، وعليه ففيها خطاب وتوجيه اجتماعي الذي بدوره يضمن البقاء حيا للأفراد المجتمع، كما يضمن حرمتهم في هذا البقاء، فلا يجوز قتله بل يحرم ذلك اذا لم يكن قد ارتكب أيّ ذنب، فإنّ فائدة هذه الآية " تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجساسة عليها، ويتراعوا في المحاماة على حرمتها؛ لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها"^(٣).

وبناءً على ما تقدم فإن علم "العام والخاص" وُظف اجتماعياً بما يحقن النفس من القتل، وقد توعده الله الشخص القاتل أو المفسد بأن له عذاب جهنم، وكما هو معلوم فإن الحفاظ على الجنس البشري من الأمور الاجتماعية التي تسهم بديمومة المجتمع، وتنظم حياتهم من حقهم العيش بسلام آمنين.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۗ وَيَحْشَأَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَيْلِقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٤).

هذه الآية تابعة للآيات سبقتها بين قضية اجتماعية مهمة وهي "الارث" فبعد الانتهاء من التشريع في توزيع الورث بين الأولاد والأم والأب والأقربين، انتقل الكلام في أولي القربى من الايتام والمساكين إذا حضروا تقسيم الأموال فهو "نصيب آخر بعد الأول وإذا حضر القسمة لما ترك أولو القربى بعد الوالدين والأقربين، وهم الطبقة الأخرى بعد الورثة واليتامى قربي وسواها وكذلك المساكين من القرباء

(١) يُنظر: فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، زكريا بن محمد انصاري، ٣٣٥/١٢.

(٢) يُنظر: ومجمع البيان، الطبرسي، ٢٨٩/٣. وتفسير البيضاوي، ٢٦٤/١. وعقود المرجان في تفسير القرآن، الجزائري، ٥٨٨/١.

(٣) الكشف، الزمخشري، ١/٦٢٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨ - ٩.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

والغرباء فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ من أنصبتكم حسب وسعكم، دون قوله فارغة أن ليس لكم نصيب فيه، بل وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا في كثير مما ترزقونهم أو قليل. وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ حيث لا يرثون على ضعفهم إذ لا نصيب لهم ضابطياً فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ في رزق حاضري القسمة وَ لِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يسد بغضاءهم فيما ترزقونهم، ويسد "ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ" ف" كما تدين تدان فذلك فرض ثان في الميراث، لم يعمل به إلا قليل" (١)، فَإِنَّ "هذه الآية مع الآية الأولى بعد آية المواريث، والآية الأولى قبلها في التأليف. ذكروا عن الحسن قال: إن كانوا يقتصمون مالا أو متاعا أعطوا منه، وإن كانوا يقتصمون دواب، أو رقيقا قيل لهم: ارجعوا رحمكم الله، فهو قوله: وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وقال بعضهم عن الحسن: وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا قال: أى بارك الله عليك" (٢)، وهذه القضية أعلى قمة في العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع الواحد بأن يلتفت الاغنياء واصحاب الميراث لمن يحضر القسمة للاموال فإن لم يعطوهم فليقولوا لهم قولاً معروفاً.

فالنص القرآني نظر إلى هذه الحالة الاجتماعية بعين الرأفة والرحمة فأنهم وإن كانوا محجوبين إلا أنه لا بدّ النظر إليهم بعين العطف "اولوا القربى المحجوبون عما ترك بالأقربين، واليتامى والمساكين منهم وسواهم هؤلاء المحاويج مهما كانوا محجوبين حسب الضابطة الأصلية في حقل الميراث، ولكنهم لا يحجبون عن واجب العطف من جانب الورثة الأصليين، كما لم يحرموا من عطف المورث في وصيته بالمعروف. فللقريب حق القرابة بعد الممات كما في الحياة وإن لم يفرض له فرض ولليتامى والمساكين حق اليتيم والمسكنة كما في الحياة وإن لم يفرض لهما فرض، وقد ينوب عنه فرض العطف من الورثة لهم إذا حضروا القسمة" (٣)، وهذه الحالة في قمة الرقي الاجتماعي، وعليه فالآية كما تضمنت حكماً اجتماعياً الآفة والمحبة بين أفراد المجتمع، كذلك تضمنت حكماً اخلاقياً "نزلت الآية الحاضرة بعد قانون تقسيم الإرث حتما إذ تقول: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ. وعلى هذا الأساس يتضمّن محتوى هذه الآية حكماً اخلاقياً استحبابياً في شأن طبقات محجوبة عن الإرث بسبب وجود طبقات أقرب منها إلى المورث، فالآية تقول: إذا حضر مجلس تقسيم الإرث جماعة من الأقرباء من الطبقة الثانية والثالثة، وكذا بعض اليتامى والمساكين فارزقوهم من الإرث، وبهذا تكونون قد منعتهم من تحريك شعور الحسد والبغضاء لدى من يمكن أن يثور لديهم ذلك الشعور بسبب حرمانهم من

(١) البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، محمد صادقي تهراني، ٧٨.

(٢) تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محم هوارى، ٣١٨/١.

(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، محمد صادقي تهراني، ٢٥١/٦.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

الإرث، ولا شك أنّ هذا العمل من شأنه أن يقوي أواصر القرابة الإنسانية بينكم" (١)، فإنّ الأواصر الإنسانية تقوى في هكذا أعمال بر يقوم بها الإنسان المؤمن إذا سمحت له الفرصة.

فإنّ توزيع التركة وتطبيق ما جاء بالوصية وإن كان حكماً تكليفياً إلا أنه توظيفاً اجتماعياً كذلك لما فيه من انتشار المحبة والآلفة بين الأقارب والايّام والمساكين، أما بكونه عاماً فإنه "قد استدل بالآية على عموم حكم الإرث لتركّة النبي (ﷺ) وغيره، وعلى بطلان التعصيب في الفرائض. قوله تعالى: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ» «إلخ» ظاهر الآية أن المراد من حضورهم القسمة أن يشهدوا قسمة التركة حينما يأخذ الورثة في اقتسامها لا ما ذكره بعضهم أن المراد حضورهم عند الميت حينما يوصي ونحو ذلك، وهو ظاهر" (٢)، فهو عام بين يشمل جميع ما يتركه الميت من أموال سواء أكان النبي (ﷺ) أو غيره.

وبناءً على ما سبق فإن سياق الآيات في مقام التكلم عن الآيات التي يجب أن تتبع في تنظيم عمل المجتمع، من أجل تحقيق العدالة في توزيع التركة وفق نظام يكفل العدالة لجميع أفراد المجتمع، مما يضمن صلاح المجتمع؛ لكونه يصب في مصلحة الأفراد بالخصوص والمجتمع بالعموم، فهو شامل للرجل والمرأة والصغير والكبير، والقريب والبعيد ارتباطاً ولانئياً (٣)، كما أنها تشير إلى أمور مهمة في الإدارة الصحيحة للحياة الاجتماعية بما يتعلق بأمور الإرث فقد بينت العلة من الإرث التي هي القرابة، والقرابة عامة قربت أم بعدت، كذلك بينت نصيب كل شخص من الأسهم (٤).

ويخلص الباحث بأن التوظيف الاجتماعي في هاتين الآيتين وُظف للمحافظة على تماسك المجتمع ونشر روح التسامح بين أبنائه وأفراده.

وما تم إيرادها في توظيف علم "العام والخاص" لمباحث علوم القرآن اجتماعياً أوردتها على سبيل المثال والاجمال طلباً للاختصار وعدم الاطالة.

مما سبق يتوصل أن القرآن الكريم لا يقتصر جماله في حسن عباراته وألفاظه وبلاغته وفصاحته بل هو أروع، وأجمل كتاب مقدس من خلال ما يحمل من معان ومفاهيم عميقة ودقيقة، كلها تكشف بأن يحمل رسالة هدفها هداية الناس، والقرآن الكريم كونه الدستور الكامل ضم بين طياته آياته الضوابط والاصول التي تتسجم وتتماشى مع الفطرة البشرية، وسلط الأضواء عليها بالأفكار، وأكد أن العظمة

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ١١٦/٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ٢٠٠/٤.

(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٩٤ / ٢.

(٤) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٦/٥.

الفصل الثاني المبحث الرابع: التوظيف الاجتماعي لعلوم القرآن

والعزة بمعرفة أحكامه ومقاصده وتوظيفاته من خلال العمل بها؛ كل ذلك يكشف عن أعجازه وديمومته على مر العصور والازمان، فالقرآن الكريم عندما نزل في مجتمع منحط أخلاقياً، وادبياً حتى بلغ الانحطاط بالقيم الاجتماعية من فساد وفجور وجور وظلم في التعامل مع البشر جاء النص القرآني مهذباً ومؤدباً، وداعياً للفضائل والقيم الاجتماعية الصحيحة، فرفع لواء النبل في التعامل من خلال قوانين الالهية، وقيم وأخلاق كالأمانة والصدق وحسن المعاشرة، والتكاتف، والاخوة، والإنسانية؛ كل ذلك من أجل اخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والأخلاق والتعامل الإنساني؛ لهذا فقد ساد الدين الإسلامي على جميع الأديان والشرائع الوضعية فكانت راية الاسلام، وحضارته خفاقة وعالية في كل مكان من هذا العالم.

والنتيجة النهائية التي توصل إليها الباحث من هذا الفصل أن علوم القرآن لها وظائف متعددة، تتعدد بتعدد الأغراض والتوظيفات، والباحث هنا اقتصر على أربع توظيفات وهذا الأمر لا يعني انحصارها بها بل يتعداها إلى ما هو أوسع من ذلك كما أن ايراد بعض علوم القرآن في الوظائف السابقة لا يعني انحصار هذه الوظائف بهذه العلوم بل يتعداها أيضاً، فإنَّ من يخصص علوم القرآن ويقيدها ببعض الوظائف أو التقسيمات دون غيرها فقد حدها ولم يعطها معنى الشمول والإحاطة، فمباحث علوم القرآن واسعة ومتنوعة بتنوع علوم القرآن، وشاملة لجميع العلوم لشمولية النص القرآني فلا تقسيم يحدها، ولا توظيف يقيدها، بل كل العلماء ينهلون منها ما يفيدهم، فإنَّ المجال مفتوح أمام الباحثين في الشأن القرآني من أن يستخرجوا وظائف أخرى غير ما ذكرت، كما لهم أن يقسموها بالطرق العلمية إلى تقسيمات متعددة، وما أورده الباحث أثبت فيه عموم العلوم الواردة في النص القرآني، مثبتاً مدخليته فيها من خلال التأسيس لها، والإشارة إليها سواء بالمفهوم أو بالمصطلح، ويبقى هذا جهد انسان يصيب ويخطئ، وما أنتجه العلماء فهو بواسطة دراستهم واطلاعهم واجتهادهم، وهو أيضا خاضع للدراسة الموضوعية فيكون عرضة للقبول أو الرد فلا عصمة إلا لمن عصمه الله من الخطأ والزلل وهم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

الفصل الثالث

أثر النص القرآني في تحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته

- توطئة
- المبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم
- المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
- المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الفصل الثالث

دور النص القرآني في تحديد

مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته

توطئة:

علوم القرآن من العلوم التي يجب أن تعتمد على مصادر في تأسيسها، وأصول معرفية تستند إليها، وهذه الأصول هي التي تحدد مباحث هذا العلم، وبما أن علوم القرآن مصدرها القرآن الكريم، وأصلها الوحيد في تأسيس مباحثه وعلومه، فلا بد أن يستند في وضع هذه المباحث بالرجوع إلى النص القرآني.

ومن الملاحظ أن هناك أكثر من رافد معرفي لعلوم القرآن، وما سيتم بحثه في هذا الفصل هو الرافد الأول والمؤسس لعلوم القرآن وهو النص القرآني، وإثبات مدخليته، وأثره في التأصيل والتأسيس لعلوم القرآن الكريم.

ومن المعلوم أن علوم القرآن أسس لها من خلال النص القرآني، وبينها من خوطب بالنص القرآني محمد وآل محمد (عليهم السلام)، وأوردها العلماء في مؤلفاتهم، وما سيُدرس في هذا الفصل دور النص القرآني في التأسيس المفاهيمي والمصطلحي لعلوم القرآن، ومن أجل بيان هذا التأسيس والتأصيل لعلوم القرآن سأتطرق للمباحث الآتية:

المبحث الأول مرجعية القرآن الكريم

المدخل:

القرآن الكريم هو الكتاب المنزل من الله تعالى على صدر نبيه محمد (ﷺ) لفظاً واسلوباً ومعنى هو كتاب الله سبحانه وتعالى، وهو أصل الأصول بما تضمنه من كليات ومفاهيم، ومصطلحات شملت جميع العلوم، قال الشاطبي: "إنه (القرآن) كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة"^(١)، فالقرآن الكريم الأصل الأول، وهو المؤسس الأول للمفاهيم والاصطلاحات، وخصوصاً علوم القرآن.

القرآن الكريم هو الكتاب المعجز المنزل من الله تعالى، والتي حوت آياته وسوره العديد من التأسيسات المفاهيمية والاصطلاحية التي رفدت جميع العلوم وخصوصاً علوم القرآن، ومن أجل بيان هذا التأسيس، وحيثياته، وكيفياته، لابد أولاً من اثبات مرجعية القرآن الكريم؛ بكونه حاكماً وغير محكوم، وكونه حاكماً على كل شيء، وهو المؤسس الأول للمفاهيم والمصطلحات، فإن علوم القرآن استندت إلى النص القرآني في وضع مفاهيمها ومصطلحاتها، وهذه المفاهيم والمصطلحات وظفت بسياقات ومفاهيم متعددة، ومن أجل بيان هذا التأسيس لابد من التطرق إلى إثبات مرجعيته، لهذا سيتم التطرق إلى ما يأتي:

المطلب الأول: التعريف بالمرجعية لغةً واصطلاحاً:

قبل التطرق إلى إثبات مرجعية القرآن الكريم لابد من التطرق إلى التعريف بالمرجعية من خلال الآتي:

(١) التعريف بالمرجعية لغةً:

لفظ "المرجع" مصدر أصله من الجذر الثلاثي "رجع" الذي يدل على الرجوع والرد^(٢)، فالمعنى "رجع: رَجَعْتُهُ فَرَجَعَ، رَجُوعاً وَرَجْعاً. وَأَرْجَعُكَ نَاقَتِي: أَعْطَيْتُكَهَا تَرَجُّعاً عَلَيْهَا"^(٣)، فاللفظة تدل على الرد والتكرار.

كما جاء أن المعنى " تفرقوا في أول النهار ثم تراجعوا مع الليل أي رجع كل واحد إلى مكانه،

(١) الموافقات في أصول الشريعة، ٣/٣٠٩.

(٢) يُنظر: العين، الخليل، ١/ ٢٢٥، مادة (رجع). وجمهرة اللغة، ابن دريد، ١/ ٤٦٠، مادة (رجع).

(٣) المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ١/ ٣٦، مادة (رجع). يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٤٩٠، مادة (رجع). يُنظر: مجمع البحرين، الطريحي، ٤/ ٣٣٣.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

ومن المجاز: خالفني ثم رجع إلى قولي، وصرمني ثم رجع يكلمني، وما رجع إليه في خطب إلا كفي، وليس لهذا البيع مرجوع اي لا يرجع فيه، وهذا رجع رسالتك ومرجوعها ومرجوعتها أي جوابها^(١)، فالمعنى الرجوع إلى المكان بعد التفرق، وبالمعنى المجازي الرجوع إلى قول الغير بعد المخالفة، وفي البيع تطلق على الشيء المباع بأن لا رجعة فيه، ومن المجاز من أجاب على الرسالة فقد ارجعها.

أما الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) فيقول: "الرُّجُوعُ: العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلا، أو قولاً، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله" ^(٢)، والرجوع هو العود إلى كل شيء بدأت منه، أو تقدير البدء، فيتبين ان المعنى عام شامل يحتمل جميع المعاني للعودة أو الإعادة، فالرجوع شامل في الطلاق، والرجوع للدنيا بعد الموت. ويخلص الباحث لما تقدم أنّ المعنى هو العودة والرجوع إلى شيء ما، وهذا الشيء يتحدد بالإضافة إلى ما يرجع إليه، وعليه فالمعنى جعل القرآن الكريم مرجعاً في استظهار علوم القرآن منه، وعليه يكون هو المؤسس لمفاهيم ومصطلحات هذه العلوم.

(٢) ثانياً: التعريف بالمرجعية اصطلاحاً:

أورد الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) معنى "الرجوع" بقوله: "الرجع: هُوَ حَرَكَةٌ ثَانِيَّةٌ فِي سَمْتٍ وَاحِدٍ، لَكِنْ لَا عَلَى مَسَافَةِ الْأُولَى بِعَيْنِهَا، بِخِلَافِ الْإِنْعِطَافِ، وَالرُّجُوعِ: الْعُودُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مَكَانًا أَوْ صِفَةً أَوْ حَالًا يُقَالُ: رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ وَإِلَى حَالَةِ الْفَقْرِ أَوْ الْغِنَى، وَرَجَعَ إِلَى الصِّحَّةِ أَوْ الْمَرَضِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ" ^(٣)، فالرجع حركة ثانية في شيء واحد الا انها لا يشترط بها بأن تكون بنفس المسافة الأولى التي ذهب بها عن الشيء، فهو رجوع إلى الشيء والاستناد عليه بعد ان كان بعيدا عنه.والرجوع هو العود للشيء، وهذا العود مطلق سواء الرجوع للمكان أو الصفة أو الحال، وعليه عندما نقول مرجعية القرآن الكريم فالمعنى رد جميع علوم القرآن إلى القرآن الكريم.

يتضح مما تقدم أنّ معنى الرجوع أو المرجعية هو العودة للمكان أو الشيء الذي أنطلق منه وابتعد عنه؛ كما ان قول العسكري يؤكد ما ذهبت إليه، إذ قال: "الفرق بين الرجوع والانقلاب: أن الرجوع هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل والانقلاب المصير إلى نقيض ما كان فيه قبل ويوضح ذلك

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٣٣٩، مادة (رجع).

(٢) مفردات الفاظ القرآن، ٣٤٢.

(٣) الكليات، ٤٧٨.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

قَوْلِكَ أَنْقَلِبَ الطِّينَ، فَمَا رُجُوعُهُ خِزْفًا فَلَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ خِزْفًا" (١).

وهناك من أشار إلى وجه الاشتراك والتشابه ما بين المعنى اللغوي المعجمي والمعنى الاصطلاحي للفظ "مرجعية" في الفكر الإسلامي، ومنهم الدكتور شبار أذ يقول: " فاستعارة فعل رجع بهذا المعنى في الفكر العربي والاسلامي المعاصر والذي منه المرجع والمرجعية يعني ان المرجوع إليه الذي يرد ويعاد إليه اصل ومبدأ كلي جامع يحسم الخلاف وينهي النزاع" (٢) وهو بهذا البيان يبين أنّ مصطلح المرجعية يوافق في معناه الحديث المعنى اللغوي من حيث الأصل، ثم يُلاحظ أنه أضاف قيداً لمصطلح "المرجعية" من أجل موافقته بالاستخدام الفكر الاسلامي فيقول: " ويضاف إلى هذا ان هذا الاصل لا يمكنه ان يكون الا ذاتيا محددًا للذات هوية وحضارة ولا يمكن ان يكون شيئاً آخر خارج عنها " (٣).

ويتضح للباحث مما تقدم بأنّ المرجعية ممكن تعريفها بأنها جعل الشيء أساساً ومؤسساً لكل ما يرتبط به، فإنّ "مرجعية القرآن الكريم" معناها جعل القرآن الكريم الأساس والمؤسس لجميع ما يرتبط ويصدر منه ومنها علوم القرآن الكريم؛ بمعنى أن كل مفهوم أو مصطلح في علوم القرآن لا بد أن يستند إلى النص القرآني في إظهاره، فإنّ موضوع "مرجعية القرآن الكريم" من الموضوعات المهمة والرئيسية، والتي ركز القرآن الكريم عليها من خلال عرضها في آياتها؛ كونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعقيدة الإنسان المسلم بالإضافة إلى تحديد منهاجه وتقويم سلوكه بالإتيان بالواجبات وترك المحرمات من عبادات ومعاملات، ومما لا يختلف عليه اثنان من أنّ السلامة في العقيدة وتحديد المنهج، وتقويم وتوجيه السلوك هي من أهم أهداف القرآن الكريم التي نزل من أجل تحقيقها، الأمر الآخر الذي أكد عليه القرآن الكريم بأنه مرجع لكل العلوم وخصوصاً علوم القرآن التي هي مدار الأطروحة، وما يصبو إليه الباحث هو إثبات مرجعية النص القرآني على العلوم وخصوصاً المنبثقة والمرتبطة به.

المطلب الثاني: إثبات مرجعية القرآن الكريم:

إن إثبات مرجعية القرآن الكريم يعدّ الأصل الأول في استنباط العلوم، وكذلك يعدّ المرجع الأساس والمؤسس للعلوم، لا سيما علوم القرآن الكريم، فهو مصدر الكليات التي ساعدت وأسست لانبثاق العلوم والمستودع الرحب لتصديرها وأظهارها للخارج، لهذا يُلاحظ ان الآيات الكلية سبقت في النزول آيات الاحكام التفصيلية لهذا قال الشاطبي: "اعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولاً، والذي نزل بها القرآن

(١) الفروق اللغوية، العسكري، ٣٠٣.

(٢) مجلة دراسات مصطلحية، مفهوم المرجعية واستعمالات الفكر العربي والاسلامي المعاصر، عدد ٢، ١٤٢٣ هـ، ٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ٨٦.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

على النبي (ﷺ) بمكة، ثم تبعها أشياء بالمدينة، كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة... ثم لما خرج رسول الله إلى المدينة، واتسعت خطة الإسلام كملت هناك الأصول الكلية على تدرج" (١)، وهذا يعني أن القرآن الكريم قد أرسى القواعد الكلية التي تكفلت بوضع الأسس النظرية العامة، وجعلت من النص القرآني إطاراً مرجعياً تتبثق منه العلوم والتشريعات والفقهية والعقائدية والأخلاقية، ومن أجل اثبات المرجعية المطلقة للقرآن الكريم لا بد من الاستدلال عليها بما يأتي:

أولاً: الدليل العقلي على مرجعية القرآن الكريم:

قبل التطرق للدليل العقلي لمرجعية القرآن الكريم أبين ما يأتي:

(١) التعريف بالدليل لغة:

الدليل في اللغة جاء بمعانٍ متعددة فهو بمعنى الموصل للشيء (٢)، وعليه فهو الدليل الذي يوصل من خلاله إلى شيء ما، والمعنى أيضاً الهداية والتعريف بالطريق (٣)، أما ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) يقول: " الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء... دَلَّتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمانة في الشيء وهو بَيِّنُ الدَّلالةِ وَالدَّلالةِ " (٤).

مما تقدم فالدليل الأمانة والعلامة التي تميز الشيء عن غيره، وهو التعريف بالشيء، ويطلق على ما يستدل به على ثبوت للشيء ما، وهو المراد هنا بإيراد دليل يثبت مرجعية القرآن الكريم؛ لما في إيراد الدليل تعريف بالطريق والهداية للصواب.

(٢) التعريف بالدليل اصطلاحاً:

عرف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) "الدليل" بقوله: " كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول " (٥)، وعليه فالمعنى انتقال الذهن من علم بشيء إلى العلم بشيء آخر، فالدليل ما يتوصل به إلى أثبات شيء، وعليه فالدليل ما أرشد إلى المطلوب، وهذا ما أصبوا إليه بأيراد الأدلة العقلية التي تثبت مرجعية القرآن الكريم.

(٣) التعريف بالعقل لغة:

أما العقل فأنه مصدر "عقل يعقل"، وأصله مأخوذ من المنع والحبس، وسمي العقل عند الإنسان

(١) الموافقات في أصول الشريعة، ٦٦/٣.

(٢) يُنظر: العين: مادة(دل)، ٤٣/ ٢. وجمهرة اللغة: مادة(دل)، ٧٦/١.

(٣) يُنظر: تهذيب اللغة: مادة(دل)، ٤ / ٦٦. والصحاح: مادة(دل)، ٤ / ١٦٩٨. ولسان العرب: مادة(دل)، ٢ / ١٤١٤.

(٤) مقاييس اللغة: مادة(دل)، ٢ / ٢٥٩. يُنظر: تاج العروس: مادة(دل)، ٢٨ / ٤٩٨-٤٩٩.

(٥) التعريفات: ٩١. يُنظر: الكليات، الكفوي، ٤٣٩. وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢ / ٢٨٤.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

عقلاً؛ كونه يعقله بمعنى الحجز وعدم الوقوع في الهلكة، لذا أطلق عليه "حجراً"؛ والمعنى الحجر من ارتكاب الخطأ^(١)، فالمعنى الرجوع إلى العقل وإثبات المرجعية للقرآن الكريم في كل شيء.

(٤) التعريف بالعقل اصطلاحاً:

أما تعريف العقل اصطلاحاً فهو " القوة الإلهية التي يهتدي بها كل شيء في العالم العلوي والسفلي من الأفلاك والكواكب والجماد والحيوان غير الناطق والإنسان لاجتلاب مصلحته وما به قوامه وبقاؤه على قدر ما تنهياً له وعلى حسب الإمكان وهذه القوة التي في الأشياء التي في العالم الطبيعي تسمى: الطبيعة " ^(٢)، فالعقل قوة الهية تستخدم لجلب المصلحة، فإنَّ " العقل هُوَ العلم الأول الَّذِي يُزَجَّرُ عَنِ القَبَائِحِ وَكُلِّ مَنْ كَانَ زَاكِراً أَقْوَى كَانَ أَعْقَلُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْعَقْلَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْقَبِيحِ وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ عَقَلَ الْبَعِيرُ إِذَا شَدَّ فَمَنَعَهُ مِنْ أَنْ يَثُورَ وَلِهَذَا لَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْعَقْلَ الْحِفْظُ يُقَالُ عَقَلْتُ دِرَاهِمِي أَي حَفَظْتَهَا " ^(٣)، كما عرفه الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بقوله: " العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، ... العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل: العقل: جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، ... العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب " ^(٤).

أقول: العقل المراد هنا هو الذي يميز بين الأشياء من جهة حسنها وقبحها، والذي يدفع النفس والسلوك البشري إلى جادة الصواب والسير في طريق الحق.

(٥) التعريف بالدليل العقلي مركباً:

تقدم بيان لفظ "الدليل" و "العقل" كل على حده أما تعريفهما كمركب - أي الدليل العقلي - فله تعاريف متعددة منها ما يطلق على الدليل الذي تكون جميع مقدماته عقلية ^(٥)، وكذلك جاء في معنى "الدليل العقلي" ما يوصل بنفسه إلى المطلوب بواسطة بدهة العقل او من خلال اعمال النظر والفكر في مقدمات ترجع إليه ^(٦).

ومما تقدم يرى الباحث أن "الدليل العقلي" ما استند في إثباته على مقدمات عقلية فتكون النتيجة عقلية لا محال؛ لأنَّ النتيجة تتبع المقدمات.

(١) يُنظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١/ ١٥٩، ومقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٦٩، ولسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٤٥٨.

(٢) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ١٥٦.

(٣) الفروق اللغوية، العسكري، ٨٣.

(٤) التعريفات، ١٥١. يُنظر: الكليات، الكفوي، ٦١٧ - ٦١٨.

(٥) يُنظر: المواقف، الإيجي، ١/ ٢٠٣، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٧٩٨.

(٦) يُنظر: الدليل العقلي عند السلف، عيسى النعمي: مجلة البيان: عدد (٢٩٠) بتاريخ: ٢٢/٨/٢٠١١ م.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

ثانياً: الدليل العقلي على مرجعية القرآن الكريم:

وعليه فمن أجل اثبات مرجعية القرآن الكريم من جهة الدليل العقلي نقول إنَّ العقل يحكم بالرجوع التام لما هو كامل وتام وشامل وعام في علومه إلى من هو ناقص وخاص في علمه، بالإضافة إلى أنَّ العقل يحكم بضرورة الرجوع إلى من هو أهدى من غيره، ولا يخطأ، وعليه فلوجود هذه المميزات والسمات في النص القرآني كان على العقل والعقلانيين أن يحكموا بأن القرآن الكريم هو المرجع الوحيد والأساس في وضع التشريعات والعقائد والآداب وتقويم السلوك العقائدي والعبادي والأخلاقي للشخص المسلم. وفي هذا المضمار فإن الرجوع للعلوم الإلهية من الأمور العقلائية التي يجب أن تعامل بكل دقة فلا يأتي أي شخص ويدعي العلم المطلق والقدرة على فهم النص القرآني بلا واسطة موصلة لذلك الفهم والعلم " لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولاً يعتد به، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان، وهم الأنبياء " (١)، لهذا نجد أهل الحق قد وضعوا النص القرآني وما صح من السنة النبوية الطاهرة ميزان لتصحيح ما يجول في عقولهم من أفكار وذلك من خلال عرض أفكارهم على القرآن الكريم وما صح من السنة النبوية فاذا وافق التفكير النص يؤخذ به والا فلا " وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطيرهم، عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووقفهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني - وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما، وإلا رددته في نحرها" (٢).

وهذا خير دليل عقلي لمرجعية القرآن الكريم عقلاً لما تقدم بأن أهل العقل والعلم يقابلون تفكيرهم مع ما وجد في النص القرآني من أجل الأخذ به عند موافقته للقرآن الكريم، أو رفضه إذا خالف القرآن الكريم، وهذا الأمر خير دليل عقلي على مرجعية القرآن الكريم.

والدليل العقلي الآخر هو أنَّ الله تعالى لا يعذب قوم إلا أن يبعث رسولاً وكتباً سماوية وشريعة، وهذا دليل على ثبوت مرجعية القرآن الكريم، وإلا لاكتفى الله تعالى بمحاسبة الناس على تفكير عقولهم بصورة مستقلة " أن العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه، لكانت الحجة قائمة على الناس قبل

(١) تهافت التهافت، ابن رشد: ٥٤٧ / ٢.

(٢) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة، الأصبهاني: ٢٣٨ / ٢.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

بعث الرسل وإنزال الكتب، واللازم باطل بالنص، قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [الإسراء: ١٥]... فكذا الملزوم" (١).

ويتضح مما تقدم أنّ الدليل العقلي لمرجعية القرآن الكريم من خلال حكم العقل برجوع الفرع إلى الأصل ورجوع الجزء إلى الكل، والخاص إلى العام، والأمر الآخر أنّ النص القرآني بما يحمل من شريعة وعقيدة وعلوم نافعة لا بد من الرجوع إليه وعدم الاكتفاء بالعقل المستقل بالتعرف على المعبود والخالق لهذا الكون.

فإنّ ما سيتم بحثه وإثباته في هذه الأطروحة من أنّ العقل يحكم بحتمية رجوع جميع العلوم إلى القرآن الكريم ولا سيما علوم القرآن الكريم ولا يجوز لأحد أن يستقل بوضعها من دون نسبتها إلى القرآن الكريم، والأمر الآخر لا أن تُنسب إلى القرآن الكريم فقط بل لا بدّ أن توافق في عملها رؤية القرآن الكريم؛ لأنها غير منفكة عنه.

ثالثاً: الدليل النقلي لأثبات مرجعية القرآن الكريم:

إن وضوح الأدلة النقلية وكثرتها جعل منها دليلاً لأثبات مرجعية القرآن الكريم؛ كونه المرجع الأساس الذي يُرجع إليه في كل شيء، وقبل بيان الدليل النقلي لا بد لي من التعريف بالنقل لغة واصطلاحاً والكشف عن معناه.

أولاً: التعريف بالنقل لغة واصطلاحاً:

(١) تعريف النقل لغة:

وردت لفظة "النقل" في المعاجم اللغوية بمعانٍ عدة، منها: "النقل: تحويل شيء من موضعه إلى موضع آخر، والنقل: تعني انتقال القوم من موضع إلى آخر" (٢)، فالنقل هو نقل شيء وتحويله من موضعه إلى موضع آخر لإثبات شيء ما، ويطلق النقل مجازاً على "نقل الحديث، وهم نقلة الأخبار، ونقل ما في النسخة، وناقله الحديث إذا حدّثه وحدّثك" (٣)، فالمعنى المجازي يلائم المراد بكونه نقل للحديث أو الخبر لغرض اثبات مرجعية القرآن الكريم.

(٢) التعريف بالنقل اصطلاحاً:

ذهب الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) في تعريفه للنقل إلى القول بجعله أعم من الحكاية بقوله: "النقل: هو

(١) لوامع الأنوار البهية، السفاريني: ١/ ١٠٥

(٢) يُنظر: العين، الخليل، ٥/ ١٦٢. يُنظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٩/ ١٢٨. والمحيط في اللغة، ابن عباد، ١/ ٤٧٩. والصاحح تاج اللغة وصاحح العربية، الجوهري، ٥/ ١٨٣٣. ومقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٤٦٣.

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري، ٢/ ٣٠١.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

أعم من الحِكَايَةِ لِأَنَّ الحِكَايَةَ نقل كلمة من مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ بِلا تَغْيِيرٍ صِغَةً وَلا تَبْدِيلٍ حَرَكَةً. وَالنَّقْلُ: نقل كلمة من مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ أعم من أَنْ يَكُونَ فِي تَغْيِيرِ صِفَةٍ وَتَبْدِيلِهَا أَمْ لا^(١)، فالنقل يطلق على نقل كلمة سواء بتغيير في صيغة الكلمة أو بتبديل حركتها أم لا.

فإن معنى "النقل" هو نقل كلام من موضع إلى موضع آخر سواء كان بصيغته وحركته أم من دونهما، وما سيتم إيراده هو نقل نصوص من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التي تكون دليلاً على مرجعية القرآن الكريم لأنه "لا يجوز التمسك بالأدلة النقلية في المسائل العقلية وإنما يتمسك بها في المسائل النقلية تارة لإفادة اليقين... فالدليل النقلية يُفيد اليقين في الاعتقادات المدركة بالعقول عند توارد الأدلة على معنى واحد بعبارات وطرق مُتعدِّدة وقرائن منضمة"^(٢).

(٣) تعريف الدليل النقلية مركباً:

أما تعريف "الدليل النقلية" كمركب ويطلق عليه أيضاً الدليل الشرعي سواء كان من القرآن الكريم أم من السنة النبوية، أم من الإجماع^(٣). كما أورده الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بقوله: "خير العلوم ما ازدوج فيه العقل، والسمع، واصطحب فيه الرأي، والشرع"^(٤)، أما الطوفي (ت ٧١٦هـ) فقال: "قالوا: السمعى خطاب لحاضريه"^(٥)، كما جاء بأنه "يطلق على الآيات والروايات وبخاصة الروايات، ويدعى الدليل اللفظي أو الحجة اللفظية؛ باعتبارها ملفوظة، وسمعية باعتبارها مسموعة"^(٦)، فالدليل النقلية يطلق عليه أيضاً الدليل الشرعي ويشمل القرآن الكريم والسنة النبوية، والاجماع.

أما المتكلمون فقد قسموا الدليل إلى عقلي ونقلي أو مركب منهما فقالوا: "الدليل إما عقلي بجميع مقدماته قريبة أو بعيدة، أو نقلي بجميعها، أو مركب منهما. والأول هو الدليل العقلي المخصوص الذي لا يتوقف على السمع أصلاً. والثاني النقلية المحض وهذا لا يتصور إذ صدق المخبر لابد منه حتى يفيد العلم وأنه لا يثبت إلا بالعقل. والثالث أي المركب منهما هو الذي يسميه معاصر المتكلمين بالنقلي لتوقفه على النقل في الجملة، فانحصر الدليل في قسمين العقلي المحض والمركب من العقلي والنقلي، هذا هو التحقيق"^(٧).

(١) الكليات، الكفوي، ٩٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٠٧٠.

(٣) يُنظر: البحر المحيط، الزركشي، ٣٦/١.

(٤) المستصفي، ٤.

(٥) شرح مختصر الروضة، ٩٤.

(٦) معجم مفردات أصول الفقه المقارن، تحسين البديري، ١٤٧/١.

(٧) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٧٩٨/١.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

وعليه فالدليل النقلى أو الشرعى ما استند فيه على آيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية، أو ما أجمع عليه العلماء كل ذلك يصلح أن يكون دليلاً لأثبات موضوعاً ما وهنا يراد أثبات مرجعية القرآن الكريم.

ثانياً: الأدلة النقلية لأثبات مرجعية القرآن الكريم:

بعد التطرق لبيان معنى الدليل النقلى والذي تبين بأنه الاستناد وإيراد نصوص من القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة أو اجماع العلماء التي تثبت "مرجعية القرآن الكريم" وهذه الأدلة هي:

١- الاجماع على تنزيه القرآن الكريم وسلامته من الزيادة والنقصان:

من الأمور المهمة والأساسية التي تثبت مرجعية النص القرآنى هو طريقة وصوله إلينا عبر السنين والاجيال الذي يكشف بدوره صدق نسبه إلى الله تعالى ومصدريته، وعدم وقوع التحريف أو الزيادة والنقصان فيه، فإنَّ احتمالية وجود تحريف لفظي في القرآن الكريم من باب الزيادة فإنه مرفوض وهذا الرأي مجمع عليه من قبل كل المسلمين^(١)، ومن جهة أخرى فان التحريف من حيث النقصان في القرآن الكريم فإنه بين اهل الشيعة^(٢)، والسنة^(٣) مؤيدون^(٤)؛ لكونهم استندوا إلى روايات مخدوشة ومردودة من حيث السند والدلالة^(٥).

الا ان الرأي المشهور بين علماء الفريقين هو السلامة التامة والمطلقة للقرآن الكريم من اي تحريف، وهذا الامر قد اكده علماء الشيعة ومنهم: الشيخ الصدوق^(٦) والشيخ المفيد^(٧)، والسيد المرتضى^(٨)، والشيخ الطوسي^(٩) وأمين الإسلام الطبرسي^(١٠)، وهذا الامر يدل على سلامة القرآن الكريم من كل تحريف، أو زيادة، او نقصان مما يجعله اساساً ومرجعاً من خلال طريقة نقله ووصوله إلينا، فإنَّ القرآن

(١) يُنظر: مجمع البيان، الطبرسي، ١ / ١٤؛ تفسير الصافي، ١ / ٣٦. آلاء الرحمن، محمد جواد البلاغي، ٢٥. صيانة القرآن من التحريف، كمال الحيدري، ١٨-١٩.

(٢) يُنظر: أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ١٨٦-١٨٧، الأقطاب الفقهية، محمد بن علي الاحسائي، ١٦.

(٣) للنموذج: مجمع الزوائد، الهيثمي، ٧ / ١٦٣. والدر المنثور، السيوطي، ٦ / ٤٢٠-٤٢٢. كنز العمال، المتقي الهندي، ١ / ٥١٧ و ٥٤١.

(٤) المسائل السروية، الشيخ المفيد، ٧٩. صيانة القرآن من التحريف، كمال الحيدري، ٤٠.

(٥) يُنظر: معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ري شهري، ١ / ٢١٠.

(٦) يُنظر: الاعتقادات، ٨٤.

(٧) يُنظر: المسائل السروية، ٨٢.

(٨) يُنظر: مجمع البيان: ١ / ٤٣.

(٩) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ١.

(١٠) يُنظر: مجمع البيان: ١ / ١٥ و ٤٣.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

الكريم الذي وصلنا وبين أيدينا هو نفس القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على صدر حبيبه النبي محمد (ﷺ) من دون زيادة أو نقصان فيه، وما ينسب إلى الشيعة غير ذلك فإنه كذب وافتراء عليهم، والأمر الآخر فإن الروايات والأحاديث التي بينت وجود تحريف في القرآن الكريم لا قيمة لها^(١)، وعليه فـ "إننا نجد على مستوى الروايات والأحاديث وكذلك أحيانا على مستوى الإثارة في الأبحاث العلمية والآراء النظرية ما يمكن أن يوهم بالتحريف والنقيصة، سواء على مستوى علماء وحفاظ جمهور المسلمين كالبخاري ومسلم وغيره، أو مستوى حفاظ وعلماء أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الأمر الذي لا بد من معالجته بالموقف الواضح والتسالم القطعي بين المسلمين على سلامة القرآن من التحريف، أو تأويل هذه الروايات والأحاديث أو الآراء"^(٢)، فإن "القرآن الكريم المتداول بين المسلمين هو مجموع ما نزل على النبي (ﷺ) في فترة نبوته ورسالته باعتباره كلاما إلهيا دون زيادة أو نقصان، وهو ما نسميه بثبوت النص القرآني وسلامته من التحريف بالزيادة أو النقيصة"^(٣)، الأمر الآخر الذي يدل على كمال القرآن الكريم هو "إن المسلمين جميعا سنة وشيعة متفقون على تداول نص واحد من القرآن الكريم وفي جميع العصور، بحيث لا نجد في جميع الأصقاع والأقطار الإسلامية أو غيرها أي نص آخر للقرآن الكريم غير النص الذي يتداولونه بشكل عام"^(٤)، وهذا الشيء "يؤكد حقيقة سلامة النص القرآني، ويبطل كل الشبهات والإثارات التي يتداولها بعض الأشخاص لاتهام فرقة أو جماعة من المسلمين بأنهم يعتقدون بالتحريف"^(٥)، وقد اتضح للباحث أن تنزيه القرآن الكريم من النقصان والزيادة يعد دليلاً على اثبات مرجعية القرآن الكريم؛ كونه المتكامل والرصين والمحفوظ من حيث النقل بلا زيادة أو نقصان، ووصوله كما أنزله الله تعالى أحق بأن يجعل منه أساساً ومرجعاً لجميع العلوم التي تنبثق منه.

٢- تواتر القرآن الكريم دليل على مرجعيته:

ومن أجل اثبات هذا الدليل النقلي لابد من التطرق إلى الأمور التالية:

أ- التعريف بالتواتر لغة:

ورد التواتر في المعاجم اللغوية بمعنى المتابعة^(٦)، فالمعنى ان يأتي الواحد بعد الواحد بالتتابع،

(١) يُنظر: المسائل السروية، الشيخ المفيد، ٨٢. ومجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٤٣. ومعرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ري شهري، ١/ ٢١٠.

(٢) المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي ايازي، ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ٨٢.

(٦) يُنظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٤ / ٢٢٢.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

والمعنى هنا نقل القرآن الكريم جمع يتبعهم جمع بالنقل، وهناك من عرفه من خلال بيان تقسيم النقل فتارة يكون متواترا واحداً "اعلم أن النقل على قسمين: تواتر واحداً، فأما التواتر فلغة القرآن، وما تواتر من السنة وكلام العرب" (١)، فما نقل بالتواتر يعدّ دليلاً قطعياً الذي أستاذت عليه العلماء في تقنين قواعدهم، ولغة القرآن في صدارة النقل المتواتر، وهذا الأمر يجعل من القرآن الكريم المرجع الأول والمقدم على غيره فيما لو قيس بما صح من السنة النبوية، وهذا ما يصبو إليه الباحث لأثباته.

أما ابن منظور بين الخبر المتواتر وبعده التواتر بقوله: "والخبر المتواتر: أن يحدثه واحد عن واحد، وكذلك خبر الواحد مثل المتواتر. والمواترة: المتابعة، ولا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة، وإلا فهي مداركة ومواصلة" (٢)، فما تواتر من الخبر ما ينقله الواحد عن الواحد، أما التواتر فقط فهو المتابعة بشرط وقوع فصل بينهما، يتبين ان التواتر ما تتابع بالنقل بين الافراد من شخص إلى اخر مع وجود الفصل الزمني بينهما.

ب- التعريف بالتواتر اصطلاحاً:

عرف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) التواتر عند علماء الحديث بقوله: "فالتواتر منه: ما نقله قوم عن قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب فيه، وهو الخبر المتصل إلى رسول الله (ﷺ)، وحكمه يوجب العلم والعمل قطعاً حتى يكفر جاحده" (٣)، ويسمى الحديث المتواتر.

وهناك من عرفه ضمن تقسيمات الخبر الوارد عن النبي محمد (ﷺ) عند علماء الأصوليين "اعلم أن خبر الرسول صلى الله عليه وسلم في اصطلاح الأصوليين على ثلاثة أقسام. الأول المتواتر وهو الخبر الذي رواه قوم لا يتوهم توافقهم على الكذب عادة، ويدوم هذا الحد من قرن الرسول (ﷺ) إلى يومنا هذا، فيكون آخره كأوله وأوله كآخره، وأوسطه كطرفيه. يعني يستوي فيه جميع الأزمنة من أول ما نشأ ذلك الخبر إلى آخر ما بلغ إلى الناقل الأخير، كنقل القرآن والصلاة الخمس، وأنه يوجب علم اليقين كالعيان علماً ضرورياً" (٤)، فما نقله قوم عن قوم يسمى تواتراً بشروط لا بد ان تتوفر في هؤلاء الصدق، واستمرارية هذا النقل من زمن النبي محمد (ﷺ) إلى يومنا هذا، وهذا الأمر ينطبق على القرآن الكريم؛ بكونه منقول نقلاً متواتراً، وهذا النقل أعطاه اليقين بصدوره، وصحة ما جاء فيه "النقل إما متواتر يفيد القطع أو آحاد يفيد الظن" (٥)، لهذا قال: "عامّة أهل السنة يكون ذلك إجماعاً، ويكون حجّة، فإن ما هو حجّة في حقنا إن

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ١/ ١٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٢٧٥.

(٣) التعريفات، ٩٧.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٧٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ١٧٩٩.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

كَانَ مِنَ اللَّهِ يُوحَى بِالرُّوحِ الْأَمِينِ، وَقَدْ تَوَاتَرَ نَقْلُهُ فَهُوَ الْكِتَابُ" (١).

ت- اثبات تواتر نقل القرآن الكريم:

إنَّ الحديث إذا ثبت نقله بالتواتر فإنه يفيد اليقين بصحة صدوره، ويكون حجةً، وهذا الأمر ينطبق على القرآن الكريم لما ورد في تعريفه بأنه منقول بالتواتر، عُرف القرآن الكريم بتعاريف متعددة من المتقدمين والمتأخرين فمن المتقدمين ما أورده الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بقوله: " وحد الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة، نقلاً متواتراً، ونعني بالكتاب القرآن المنزل" (٢) كذلك قال ابن قدامه (ت ٦٢٠هـ): " وكتاب الله هو كلامه... وهو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً" (٣)، وعرفه الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) بقوله: " حد الكتاب اصطلاحاً فهو الكلام المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً" (٤)، وما يهمنا مما سبق قولهم "المنقول نقلاً متواتراً".

وهذا الأمر أشار إليه المتأخرون من العلماء أمثال العطار (ت ١٤٠٣هـ) عرفه بقوله: " وحي الله المنزل على النبي محمد (ﷺ) لفظاً ومعنى وأسلوباً، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر" (٥)، أما السيد الحكيم (ت ١٤٢٤هـ) عرفه بقوله: "القرآن الكريم هو الكلام المعجز المنزل وحيّاً على النبي (ﷺ) المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته" (٦)، أما الفضلي (ت ١٤٣٥هـ) فقال: " هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء (ﷺ) باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً" (٧)، وبهذا وافق العلماء المتأخرين ما تقدمهم من العلماء بكون القرآن الكريم منقول نقلاً متواتراً عن النبي محمد (ﷺ).

ونلاحظ مما تقدم تواجح أقوال العلماء بورود عبارة "النقل بالتواتر" للقرآن الكريم وهذا الأمر يدل على صحة ما نقل في القرآن من سور وآيات كريمة بدأت بسورة الفاتحة وختمت بسورة الناس، وأيضاً هذا التواتر أفاد العلم "التواتر ما جاز حصول العلم به لكثرة رواته وذلك أن العلم لا يحصل في العادة إلا إذا

(١) الكليات، الكفوي، ٤٣.

(٢) المستصفى من علم الأصول، ٨١.

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر، ٢٦٦/١.

(٤) ارشاد الفحول: ٢٩.

(٥) موجز علوم القرآن، ١٧.

(٦) علوم القرآن، ١٧.

(٧) دروس في أصول فقه الإمامية، ١٣٨/ ١.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

كثرت الرواة" (١).

الأمر الآخر فإن الخبر المتواتر يدل على صدق المنقول من قبل جماعة حتى بلغ حد التواتر بالنقل، وهذا ما أشار إليه الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ) بتعريفه للخبر المتواتر إذ يقول: "وهو ما بلغت رواته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطؤهم على الكذب واستمر ذلك الوصف في جميع الطبقات حيث يتعدّد بأن يرويه قوم عن قوم" (٢)، كما عرفه البهائي (ت ١٠٣٠هـ) بقوله: "فان بلغت سلسله في كلّ طبقه حدّاً يؤمن معه تواطؤهم على الكذب فمتواتر.." (٣)، أما المحقق القمي (ت ١٣٥٩هـ) فقال: "خبر جماعه يؤمن تواطؤهم على الكذب عادةً وإن كان للوازم الخبر دخل في إفادة تلك الكثرة، العلم" (٤)، وقد عُرف أيضاً بأنه: "ثقل جمع كبير من الناس عن جمع آخر يستحيل اتّفاقهم على الكذب، من أوّل السند إلى آخره، وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الأدلّة التي تُبيّن تواتره، منها: قال تعالى: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنسَى﴾ (٥) وقال -عزّ وجلّ- أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٦)، ولا يتمّ حفظ القرآن الكريم إلّا بالتواتر" (٧).

فنقل القرآن الكريم بالتواتر هو من باب الدليل النقلي الدال على صحة صدوره ونقله جيل بعد جيل كما انزل على صدر النبي محمد (ﷺ)؛ لأن "الدليل النقلي" وهو الدليل العقلي غير المباشر. ويقال له: "الدليل السّمعي". فهو في حقيقته دليل عقلي إلا أنه غير مباشر. وبيان ذلك أن كلا الدليلين: "العقلي" و "النقلي" في مجال الاعتقاد، فلا بد من القطع واليقين. فأما الأول فواضح، وأما الثاني فلأن النقل هنا هو المتواتر، والتواتر إنما عضده العقل وأيّده، إذ منكر المتواتر كمن أنكر نسبه إلى أبيه وأمه. فالولد قد اجتمع الناس على أنه ابن فلان وابن فلانة، وهذا يحدث القطع في نسبه. فلا يتعقل أنه اكتفى بأن أخبره الأبوان أنه ابنهما. وهذا معنى أنّ الدليل النقلي هو دليل عقلي غير مباشر. والقطع في المتواتر إنما هو من جهة العدد، غير أن الاستدلال به إنما هو من باب التصديق. فالدليل القاطع إنما يؤتى به لينصب دليلاً على المسألة وهو يعني أن النصّ هو الدليل، هذا بخلاف الاستدلال للأحكام، إذ يؤتى

(١) الفروق اللغوية، العسكري، ٢٢٦.

(٢) الرعاية في علم الدراية، ٦٢.

(٣) الوجيزة في علم الدراية، ٤.

(٤) قوانين الأصول، ١/ ٤٢١.

(٥) سورة الأعلى، آية: ٦.

(٦) سورة الحجر، آية: ٩.

(٧) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ٣١٠-٣١٣.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

بالنص على أنه يحتوي على الدليل" (١).

وبذلك يمكنني القول إنّ الخبر المتواتر ما تبلغ الكثرة في رواته مبلغا لا يمكن أن نتصور تواطؤهم على الكذب، وهذه الكثرة موجودة في جميع طبقاته كونه ينقل عن قوم لقوم آخرين أو مجموعة عن مجموعة أخرى، وهذه الكثرة بالنقل واتصافهم بعدم الكذب أفاد حصول العلم واليقين بصدقه وصحة مصدره، وعليه فما ينطبق على الحديث المتواتر ينطبق على القرآن الكريم فكون الأول قد وصف بأن ناقله لا يكذبون وهم جماعة لا أشخاص معدودين فلا يوصفون بالكذب، وهذا النقل يفيد ويولد بحصول العلم واليقين، فإنّ القرآن الكريم قد نقل بالخبر المتواتر بين المسلمين جماعة عن جماعة وقوم عن قوم، ومجموعة عن مجموعة لا يمكن اتصافهم بالكذب تكون النتيجة أن ما وجد في القرآن الكريم يجعله مرجعا ومؤسسا لجميع العلوم التي تنبثق منه وعلى رأسها علوم القرآن الكريم.

٣- الأحاديث الشريفة الدالة على مرجعية القرآن الكريم:

وردت الكثير من الأدلة الروائية التي تدل على مرجعية القرآن الكريم وبأنه يُرجع إليه في الامور المفصلية مما يجعله المرجع الاول في تأسيس العلوم وخصوصا علوم القرآن الكريم، فضلا عن دلالة الروايات على ان القرآن الكريم مصان من التعريف أو وجود أي نقص أو زيادة فيه، وهذا ما سيتم اثباته بعرض بعض الروايات على سبيل المثال لا الحصر، وهي:

(١) الروايات الدالة على التمسك بالقرآن الكريم إلى يوم القيامة:

ويعدّ "حديث الثقلين" من أهم الأحاديث في هذا الباب وهو الدليل الوافي بأن التمسك بالقرآن الكريم مع الغترة الطاهرة خير دليل على اعتبار القرآن الكريم المرجع الاساس والحاكم على جميع الامور.

ورد الحديث في مصادر الشيعة والسنة، إذ ورد في أصول الكافي قال النبي محمد (ﷺ): "...إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا-كتاب الله عزّ وجلّ وأهل بيّتي عترتي أيها الناس اسمعوا وقد بلغت إنكم سترّدون عليّ الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين، والثقلان كتاب الله جلّ ذكره وأهل بيّتي" (٢)، اما في مصادر السنة فقد أورده النسائي في سننه بان النبي محمد (ﷺ) قال: "كأنّي قد دعيت

(١) معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال، ١٥٢/١.

(٢) الكافي، الكليني، ٢٩٤/١. يُنظر: بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦ / ٣٧٣ / باب ٤٢ نص أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعليهم السلام...، ٣٧٣. مجمع البحرين، الطريحي، ٣ / ٣٩٥ / (عتره)...، ٣٩٥. وسفينة البحار، عباس القمي، ٦ / ١٣٨ معنى العترة...، ١٣٨ = وإلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف، البيهقي الحائري، ١ / ١٨٥، الفرع الخامس إخبار النبي والأئمة بأعيان الأئمة وأسماهم عليهم السلام من طرق الخاصة...، ١٨٥. ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي، ٧ / ١٠٨، المعنى...، ١٠٠. ومستدرک الوسائل ومستنبط المسائل / الخاتمة، الطبرسي، ٥ / ٧٦ / [٢٥١] رنا -والى غياث بن إبراهيم:....، ٧٢. وعوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، عبد الله البحراني، (مستدرک سيدة النساء إلى الإمام

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" (١).

ودلالة النقل الأول بعدم الافتراق عن العترة حتى يرد الحوض يوم القيامة دليل على مرجعية القرآن الكريم وحاكميته على كل العصور والازمان، وفيه الرد الحاسم على كل من يقول أن هناك تحريف في القرآن الكريم "يعدّ هذا الحديث في غاية الاعتبار في الردّ على ادعاء تحريف القرآن، وبإمكاننا أن نستدلّ به من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: جاء في هذا الحديث في روايات معتبرة: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما فلن تضلّوا بعدي أبداً (٢)، ويدلّ التعبير «مخلف فيكم» على أنّ النبي (ﷺ) سوف يغيب عن الناس، إلّا أنّه يخلف شيئين بدلاً منه بين الأمة: أحدهما كتاب الله بأجمعه لا قسم منه. والجملة الاسمية تفيد الثبات والدوام. وفضلاً عن ذلك فالعبارات في ذيل هذه الروايات نفسها (روايات الثقلين) تدلّ بوضوح على استمرار هذا التنبؤ والوعد الضمني لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى يوم القيامة.

الجهة الثانية: صرّح في هذا الحديث بلزوم التمسك بالقرآن في كل زمان، والاعتقاد بالتحريف ينفي هذا التمسك من الناحية العملية.

الجهة الثالثة: إنّ القول بالتحريف ينفي حجّية ظواهر القرآن واعتبارها، فهو ينفي التمسك بالتالي، ولا شكّ في أنّ السقط، أو تبديل أقسام من نصّ ما، يجعل من غير الممكن فهم ذلك النصّ بشكل واضح، ومن ثمّ تصبح حجّيته وقابليته للاحتجاج غير ممكنة، فقد تكون الحجّة في المقطع المحذوف أو الذي طرأ عليه التغيير، أو كانت القرينة عليه فيهما (٣) (٤).

فإنّ التمسك حتى ورود الحوض خير دليل على صحة ما جاء به القرآن الكريم؛ وكونه معصوماً

الجواد / ١٧-الحسين ع / ١١٨ / الأخبار: الصحابة والتابعين...، ١١٦. وتفسير نور الثقلين، عبد علي الحويزي، ٤ / ٢٧١ [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٥ الى ٥٢...، ٢٦١. والبرهان في تفسير القرآن، البحراني، ٤ / ٤٤٥، [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٣ الى ٣٥]...، ٤٤٢.

(١) سنن النسائي الحديث ٨١٤٨. ويُنظر: مسند أحمد بن حنبل، أحمد ابن حنبل، ٤٩٢/٥، رقم ١٨٧٨٠. والمطالب العالية، ابن حجر، رقم ١٨٧٣. وسنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ٢١٩/٢. وطبقات ابن سعد، ١ / ١٩٤. والمعجم الكبير، الطبراني، ٦/٣، رقم ٢٦٧٨. ومصابيح السنة، ٤، ١٩٠ رقم ٤٨١٦. وجامع الأصول، ١ / ٢٧٨ رقم ٦٦.

(٢) يُنظر: فضائل الصحابة، احمد بن حنبل، ٢/٥٨٥، ح ٩٩٠، السنن الكبرى، النسائي، ٧/٣١٠، ح: ٨٠٩٢. المعجم الكبير، الطبراني، ٤/١٥٤، ح ٤٩٢٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٢/١٥٠.

(٣) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٣/١؛ البيان، الخوئي، ٢١١-٢١٤؛ دائرة المعارف قرآن كريم: ٦ / ٣٢٨.

(٤) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ري شهري، ١ / ٢١٩.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

من الخطأ والزيادة والنقصان، والا لما امر الرسول محمد (ﷺ) من التمسك به جنب على جنب مع العترة، وهذا خير دليل على مرجعية النص القرآني وحاكميته على جميع العلوم.

(٢) الروايات التي جعلت القرآن الكريم معياراً لتقييمها من حيث الصحة وعدمها:

هناك بعض الروايات أشارت بجعل القرآن الكريم المعيار الاوحد في تقييم الرواية والحكم عليها " اعتبرت بعض الروايات القرآنَ معيارَ التمييز بين الروايات المعتبرة وغير المعتبرة. وتشهد هذه الروايات المعروفة بـ «روايات عرض الأخبار على القرآن» بنحو التزامي بأنَّ أيَّ تحريف لم ينفذ في القرآن" (١)، وجعل هذه الروايات مرجحة للقبول من عدمه بواسطة عرضها على القرآن الكريم دلت على أن النص القرآني نصاً مصاناً من اي تحريف؛ كونه جُعل حكماً ومرجحاً لقبول الرواية من عدمه.

وعليه نقول بأنه "قد جاءت هذه الطائفة من الروايات بنحو واسع في المصادر الحديثية للشيعة، وبنحو محدود في مصادر أهل السنة الحديثية، وعلى سبيل المثال فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) نقلاً عن النبي (ﷺ): فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ" (٢) (٣)، فهذه الرواية واضحة بأن يتم عرض ما ورد عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) على القرآن الكريم كميزان لقبولها أو ردها، وهذا الامر رهين مطابقة الرواية ما ورد في النص القرآني، فإنَّ "الفرضية المسبقة لضرورة عرض الأحاديث على القرآن تقتضي أن يكون القرآن -الذي هو المعيار للتمييز بين الروايات المعتبرة من غيرها -مصوناً من كل نقص وانتحال وتصرف، وبعبارة اخرى: إنَّ القرآن هو معيار تمييز الروايات الصحيحة، وإذا نفذ التحريف إلى القرآن فإنَّ من غير الممكن التيقن من أنه سالم بنفسه، ولا معنى لإرجاع الأحاديث إلى المعيار الذي لا نعلم سلامته، وهكذا فلو كان غير مصون من النقصان والتحريف، لما كان بإمكانه أن يكون مقياساً مطلقاً للأحاديث المشكوك فيها، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار سعة حجم الأحاديث، وعدم ضبط المواضيع والأنواع المقتضية للشك في الروايات، فإنَّ أيَّ نقصان في القرآن من شأنه أن يضرَّ بالإطلاق المشار إليه في كون القرآن مقياساً لسلامة الأحاديث؛ وبناءً على ذلك فإنَّ الدلالة واضحة لهذه الطائفة من الأحاديث ولا مجال للشك فيها" (٤).

إذن جعل القرآن الكريم معياراً ومقوماً للروايات الواردة عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) خير دليل على سلامة القرآن الكريم من أي تحريف، بالإضافة إلى أنه سالم من أي زيادة أو نقصان فيه، والنتيجة أنه

(١) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ري شهري، ١/ ٢١٧.

(٢) يُنظر: الكافي، الكليني، ١ / ٦٩؛ وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٧ / ١١٠.

(٣) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ري شهري، ١/ ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٢١٨.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

نص معجز بأسلوبه وآياته وسوره، فالنتيجة ان القرآن الكريم مرجعا مهماً في تصحيح السنة النبوية، وعليه فهو من باب أولى يكون مرجعا لبقية العلوم لا سيما علوم القرآن الكريم.

(٣) الروايات الدالة على التمسك بالقرآن الكريم عند الفتن:

هناك عدد من الفتن يمر بها الشخص المسلم فما المخرج من تلك الفتن فلقد جاءت الروايات مؤكدة على التمسك والرجوع إلى القرآن الكريم فقد ورد "عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فِي حَدِيثٍ إِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمُ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ وَ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ - وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ - وَهُوَ الدَّلِيلُ يُدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ وَهُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ وَهُوَ الْفُضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ ظَاهِرُهُ أَنْبِقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ [فيه] مَصَابِيحُ الْهُدَى وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ وَدَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ فَلْيَجُلْ جَالٍ بَصَرَهُ وَلْيَبْلُغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ وَيَتَخَلَّصُ مِنْ نَشَبٍ فَإِنَّ التَّقَرُّ حَيَاةَ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَبِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ فَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ التَّحُّصِ وَ قَلَّةِ التَّرْبُصِ" (١)، فالرجوع عند الفتن للقرآن الكريم من أجل الخلاص من الفتنة أو الوقوع فيها خير دليل على أن القرآن الكريم خير حكم وخير مرجع يُحتكم إليه ما يدل على صحة جميع سوره وآياته، وهذا الامر يستنتج من أمر النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بالرجوع إليه عند وقوع الفتن.

وكذلك هناك حديث اخر يدل على الرجوع للقرآن الكريم وهو: " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): «... قَالَ رَسُولُ (صلى الله عليه وآله): الْقُرْآنُ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتَبْيَانٌ مِنَ الْعَمَى، وَاسْتِقَالَةٌ مِنَ الْعَثْرَةِ، وَنُورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَضِيَاءٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَعِصْمَةٌ مِنَ الْهَلَاكَةِ، وَرُشْدٌ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَيَانٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَفِيهِ كَمَالٌ دِينِكُمْ، وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِلَى النَّارِ»." (٢)؛ فوصف القرآن الكريم بهذه الصفات

(١) الكافي، ٥٩٧/٤ / كتاب فضل القرآن.....، ٥٨٩، ويُنظر: الكافي، كتاب العقل والجهل، ح ٣٤، بسند آخر عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السلام، من قوله: «فإن التقر حياة قلب البصير» مع اختلاف يسير و زيادة في أوله. تفسير العياشي، ١ / ٢، ح ١، عن جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى قوله: «و دليل على المعرفة لمن عرف» مع اختلاف يسير الوافي، ٩ / ١٧٠١، ح ٨٩٦٢؛ الوسائل، ٦ / ١٧١، ح ٧٦٥٧، من قوله: «إذا التبتت عليكم الفتن». وسائل الشيعة / ١٧١/٦ / ٣ - باب استحباب التفكير في معاني القرآن وأمثاله ووعده ووعيدته وما يقتضي الاعتبار والتأثر والاتعاظ وسؤال الجنة والاستعاذة من النار عند آئيتها...، ١٧٠. الوسائل، ٦ / ١٧١، ح ٧٦٥٧، من قوله: «إذا التبتت عليكم الفتن».

(٢) الكافي، ٤ / ٥٩٩ / كتاب فضل القرآن...، ٥٨٩. ويُنظر: تفسير العياشي / ١ / ٥ / في فضل القرآن فيه ١٨ حديثاً...، ٢. وشرح الكافي-الأصول و الروضة (للمولى صالح المازندراني) / ١١ / ١٥ / ح ٨، ١٤. والوافي / ٩ / ١٧٠٣ / ...، ١٧٠٣. وتفسير الصافي / ج ١ / ١٦ / المقدمة الأولى في نبذ مما جاء في الوصية بالتمسك بالقرآن وفي فضله...، ١٥. والفصول المهمة في أصول الأئمة (تكملة الوسائل) / ١ / ٤٩٩ / باب ٧ - ان كل واقعة تحتاج إليها الامة لها حكم شرعى معين و لكل حكم دليل قطعي مخزون

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

الهدى والتبيان والاستقالة ونور وضياء وعصمة ورشد وبيان وبلاغ وكمال الدين، وما عدل شخص من القرآن الا وكانت النار مثواه كل هذه الصفات تدل على عظم هذا القرآن الكريم، ومزياه التي لا تعد ولا تحصى التي يُستنتج منها أنه المرجع والحاكم في كل الازمان والاوقات، ولهذا فقد "ذكر في روايات معتبرة أنّ على المسلمين الرجوع إلى القرآن عند حدوث الفتن، وليس لهذه الروايات أي قيد، فهي تأمر المسلمين بنحو عام ومطلق بالرجوع إلى القرآن، ويمكن اعتبار هذا النوع من الروايات من الدلائل الروائية على عدم تحريف القرآن، فلو كانت هناك إمكانية لتحريفه، فلا يمكن حينئذٍ اعتباره بنحو مطلق ودون قيد ملجأً للمسلمين في كلّ الفتن في حين ابتلي بالفتنة هو نفسه" (١)

يتضح مما تقدم بيانه في اثبات مرجعية القرآن الكريم أثبتت " أنّ مرجعية القرآن - والتي أكدت عليها الأخبار المتواترة عن النبي (ﷺ) المتضمنة لوصيته بالتمسك به والأخذ بآياته و عرض الروايات على كتاب الله -، تؤكد أنّ كل نظر ديني يجب أن ينتهي إلى القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء، وأنّ المعارف القرآنية يمكن أن ينالها الباحث بالتدبر والبحث، وأنّ جميع ما نقل عن النبي (ﷺ) - في تفسير القرآن - يمكن استفادته من الكتاب، إذ لو توقّف ذلك على بيان النبي (ﷺ) لكان من الدور الباطل وهو ظاهر، ومن هنا تكون أهمية دور النبي (ﷺ) في تعليم الناس وبيان ما يدلّ عليه القرآن بنفسه، فشان النبي (ﷺ) في هذا المقام هو التعليم فحسب، والتعليم إنّما هو هداية المعلم الخبير ذهن المتعلم وإرشاده إلى ما يصعب عليه فإنّما التعليم تسهيل للطريق وتقريب للمقصد، لا ايجاد للطريق وخلق للمقصد" (٢)، فكل علم لا بد ان يبدأ من القرآن الكريم وينتهي به لانه المرجع الاساس والحاكم الاعلى على كل العلوم؛ كون " أنّ القرآن كتاب لا يقبل نسخا ولا إبطالا ولا تكميلا ولا تهديبا، ولا أي حاكم يحكم عليه أبدا. وذلك أن ما يقبل شيئا منها لا مناص من كونه يقبل نوعا من التحوّل والتغيّر بالضرورة، وإذا كان القرآن لا يقبل الاختلاف، فليس يقبل التحوّل والتغيّر، فلا يقبل نسخا ولا إبطالا ولا غير ذلك، ولازم ذلك أنّ الشريعة الاسلامية مستمرة إلى يوم القيامة" (٣).

مما تم بيانه ينجلي للباحث أنّ القرآن الكريم يعدّ الأصل الأول في وضع جميع فروع العلوم التي تؤلف ولا سيما العلوم التي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً ومنها علوم القرآن، الأمر الاخر أنه المرجع والمصدر الأول للدين الإسلامي؛ فهو مصدر الكليات الشرعية التي ينهل منها علماء الدين علومهم بالاستناد لهذه

عند الأئمة عليهم السلام يجب على الناس طلبه منهم عند حاجتهم اليه... ٤٨٠.

(١) معرفة القرآن على ضوء الكتاب و السنة، محمد محمدي ري شهري، ١ / ٢١٨.

(٢) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ٣ / ٩٦-٩٨. يُنظر: التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية، احسان امين، ٤٤٣.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، ٥ / ٢٠-٢١.

الفصل الثالثالمبحث الأول: مرجعية القرآن الكريم

الكليات، فأصبح القرآن الكريم المرجع الأعلى الذي ينبثق منه التشريع والتقنين والتأليف، وعليه فالقرآن الكريم بجميع سوره وآياته أصل الأصول، ومرجع المراجع، والحاكم غير المحكوم، والمؤسس الأول للمفاهيم والاصطلاحات، ونصه أسس وقنن لهذه المفاهيم والاصطلاحات.

كل ذلك دفع الباحث بالارتكاز على النص القرآني والتأمل فيه بتحديد مفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته، التي فيما بعد وضعها علماء علوم القرآن وقرنت به تحت مسمى "علوم القرآن"، ومعرفة مدى مدخلية النص القرآني في وضعها، وهذا ما سوف يتم الكشف عنه بحول من الله تعالى وقوته في هذا الفصل.

المبحث الثاني

التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

المدخل:

تم بيان معنى المفهوم في التمهيد من هذه الأطروحة، واتضح أنّ أهل العلم ومنهم علماء علوم القرآن أوردوا بالمفاهيم ما أطلقوه على مجموعة العنوانات المرتبطة بعلوم القرآن من خلال المفهوم الذي أشار إليه النص القرآني، والنص القرآني جاء بمفاهيم متنوعة وكثيرة وظفت لتشمل جميع مجالات الحياة، والباحث هنا لا يريد من المفاهيم العموم؛ بل التي وظفت لتصبح علماً أو مبحثاً خاصاً بعلوم القرآن التي أشار إليها العلماء بأنها علم أو مبحث مع عدم ورودها في النص القرآني بالمصطلح الصريح، ومعرفة مدى ملائمتها لرؤية النص القرآني فيها؛ والسبب في ذلك أنّ النص القرآني هو المؤسس للمفاهيم العامة والخاصة كما تقدم بيانه في المبحث الأول من هذا الفصل من أنّ مرجعية القرآن الكريم ثابتة بالعقل والنص فكل من لم يستند للنص القرآني في وضع مفاهيمه ومصطلحاته خصوصاً لعلوم القرآن فقد اجتهد أمام النص القرآني، وهذا مما لا يجوز له إلا إذا كان ممن أجاز الله تعالى لهم بيانه.

وهذه العلوم لها اهتمام بموضوع واحد هو "القرآن الكريم"، ولهذا أطلق المهتمون والباحثون في الشأن القرآني على هذه المباحث اسم "علوم القرآن"^(١)، فعلوم القرآن موضوعها النص القرآني، ومعنى ذلك أنّ مباحث علوم القرآن تُستنتج وتنبّت من حيث إشارة القرآن الكريم إليها، وما سيبحث في هذا المبحث هو ما أشار إليه النص القرآني بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح كل ذلك بما يخدم النص القرآني في بيان معانيه والفاظه، ومعرفة مدى مدخلية النص القرآني في تأسيسه.

أنّ هناك عدداً من المفاهيم التي تناولها النص القرآني، وقد عُدّت من علوم القرآن ومباحثه التاريخية المهمة التي خدمت النص القرآني في إيضاحه وبيان آياته، وهذه المفاهيم التي سيتم دراستها من الباحث التي وردت في مؤلفات علماء علوم القرآن التي سيحاول الباحث الوقوف على مدى مدخلية النص القرآني في تأسيسها كعلوم تابعة للنص القرآني، والتي ستقع تحت مطلبين هما:

(١) يُنظر: علوم القرآن، الحكيم، ١٩-٢٠.

المطلب الاول: مفاهيم علوم القرآن من القرآن الكريم:

هناك مفاهيم عدة لعلوم القرآن أشار إليها النص القرآني بالمفهوم بمعنى عدم الإشارة إليها باللفظ الصريح، وكما هو معلوم أن المفهوم هو الكلي الموجود في الذهن الذي ينطبق على مصاديق خارجية، وذلك يعني أن القرآن الكريم أورد من خلال سياقه الفاظ دلت بالمفهوم على وجود علوم أو مباحث ممكن أن تسمى بمسميات تلائم المفهوم المشار إليه في النص القرآني، ومن هذه المفاهيم هي:

(١) مفهوم الظاهر والمؤول:

من المفاهيم التي أشار إليها النص القرآني، والتي تم الاستدلال عليها من معنى الآيات القرآنية من حيث وضوح دلالاتها من عدم وضوحها، فما كانت دلالتها واضحة فهي ظاهرة المعنى، وأما عدم الوضوح فلا بد من تأويله، وهذا المفهوم يدرس اللفظ من حيث الاحتمال لمعنى معين أو لا، فإنّ " اللفظ الذي جعل موضوعاً لمعنى، فإما أن يكون محتملاً لغير ذلك المعنى، وإما أن لا يكون، فإذا كان اللفظ موضوعاً لمعنى ولا يكون محتملاً لغيره فهذا هو النص، وإما إن كان محتملاً لغيره فلا يخلو: إما ان يكون احتمالاً لأحدهما راجحاً على الآخر، وإما ان لا يكون كذلك، بل يكون احتمالاً لهما على السواء؛ فان كان احتمالاً لأحدهما راجحاً على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح (ظاهراً) وبالنسبة إلى المرجوح (مؤولاً)، وإما ان كان احتمالاً لها على السوية كان اللفظ بالنسبة إليهما معا (مشتركاً) وبالنسبة إلى كل واحد منهما على التعيين (مجملاً) فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه ان اللفظ إما ان يكون (نصاً) أو (ظاهراً) أو (مؤولاً) أو (مشتركاً) أو (مجملاً). أما (النص) و (الظاهر) فيشتركان في حصول الترجيح، إلا أنّ النص راجح مانع من الغير، والظاهر راجح غير مانع من الغير، فهذا القدر المشترك هو المسمى (بالمحكم)؛ وأما المجمع والمؤول فهما مشتركان في أنّ دلالة اللفظ عليه غير راجحة وان لم يكن راجحاً لكنه غير مرجوح، والمؤول مع أنّه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد (١)، فهذا القدر المشترك هو المسمى (بالمتشابه)؛ لأنّ عدم الفهم حاصل في القسمين جميعاً، وقد بينا أنّ ذلك يسمى متشابهاً، إما لأنّ الذي لا يعلم يكون النفي فيه متشابهاً للإثبات في الذهن، وإما لأجل أنّ الذي يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم، فأطلق لفظ المتشابه على ما لا يعلم إطلاقاً لاسم السبب على المسبب" (٢)؛ وقد لخص السيد الحكيم (ت ١٤٢٤هـ) كلام الرازي (ت ٦٠٦هـ) بقوله: "اللفظ

(١) يقصد بالدليل المنفرد: "الدليل والقرينة الخارجية المنفردة عن الكلام واللفظ" علوم القرآن، الحكيم، هامش ١٧٢.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٧/١٨٠. ويُنظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/٢. ومفهوم النص، نصر حامد ابو زيد، ١٨٠.

وأصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، ٢٤٨.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

بحسب دلالاته على المعنى ينقسم إلى أربعة أقسام:

- (أ) النص: وهو ما كانت دلالاته على المعنى بالشكل الذي لا تقسح مجالا لاحتمال معنى آخر.
- (ب) الظاهر: وهو ما كانت دلالاته على المعنى بشكل راجح مع احتمال معنى آخر.
- (ت) (المشترك) و (المجمل): وهو ما كان دالا على معنيين بشكل متساو.
- (ث) المؤول: وهو ما كان دالا على المعنى بشكل مرجوح، فهو عكس الظاهر.

و(المحكم): ما كانت دلالاته على المعنى من القسم الاول والثاني لوجود الترجيح فيهما. و(المتشابه): ما كانت دلالاته على المعنى من القسم الثالث والرابع لاشتراكهما في أنّ دلالة اللفظ فيهما غير راجحة، وإنما سميا متشابهة لعدم حصول فهم المعنى فيهما" (١)، وزاد السيد الحكيم (ت ١٤٢٤هـ) بأنّ هناك ملاحظتين بقوله: "ويمكن أن نلاحظ على هذا الاتجاه بالملاحظتين التاليتين:

١ - إنّنا انتهينا من دراستنا الآية الكريمة إلى ضرورة الالتزام بأنّ التشابه المقصود فيها هو: التشابه في تجسيد صورة المعنى، و تحديد مصداقه، لا التشابه في علاقة اللفظ بالمعنى بقريئة اخذ مفهوم الاتباع في التشابه، و هو لا يتحقق في موارد الاجمال اللغوي.

٢ - وحين نساير الفخر الرازي، و نصور التشابه بسبب علاقة اللفظ بالمعنى، لا نجد هناك ما يبرر حصر نطاق التشابه في هذه العلاقة فحسب، بل يمكننا أن نتصور سببا آخر للتشابه وهو: التشابه بسبب تجسيد صورة المعنى و تحديد مصداقه. والفخر الرازي بتقسيمه السابق يحاول أن يغلق علينا هذا الطريق، حيث لا يتصور التشابه إلاّ من زاوية علاقة اللفظ بالمعنى، مع أنّه يمكن ان يتصور ايضا في علاقة المعنى بتشخيص مصداقيه الواقعية" (٢)، وهاتان الملاحظتان تكشفان بأنّ النظر لا ينحصر بين اللفظ والمعنى بل يتعداه إلى المصاديق الواقعية التي تكشف بوجود معانٍ ممكن تصورهما من السياق اذا طبق على مصاديق خارجية، وهذا الامر يؤكّد أن اللفظ سواء كان ظاهراً أو مؤولاً فإنه يكون مفهوما ينطبق على مصاديق متعددة في الخارج سواء يدل عليه المعنى أو غيره.

وبالرجوع إلى تعريف الظاهر الذي ذكره الباحث في المبحث الثاني من الفصل الأول من الاطروحة^(٣)، وتوصل الباحث فيه أنه وجد بالمفهوم في النص القرآني؛ وتبيّن أن اللفظ الذي يوضع لمعنى، فإما أن يكون محتملاً معنى مغاير لذلك المعنى، أو لا يكون، فاذا كان اللفظ الذي وضع لمعنى غير محتمل لغيره فهذا "النص"، أما إذا كان محتملاً معنى آخر فهنا أما أن يكون أحد الاحتمالين راجحاً

(١) علوم القرآن، الحكيم، ١٧٢ - ١٧٣. ويُنظر: محاضرات في علوم القرآن، محمد علي تسخيرى، ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٧٣.

(٣) يُنظر: ص ٧٣ - ٧٤ من الاطروحة.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

على الآخر فيسمى اللفظ "الظاهر"، وإذا كان الاحتمالين متساويين فيسمى بـ "المؤول" بالنسبة إلى المرجوح^(١)، لهذا فإن النص القرآني تارة يكون الدلالة فيه على الاحكام قطعية باللفظ الذي لا يحتمل الا معنى واحد، وتارة أخرى ظني الدلالة بأن اللفظ لا يخلو من الاحتمالات في الدلالة، وعليه فدلالة الالفاظ في الكتاب لا تكون بدرجة واحدة في الإفهام، فإن هناك ألفاظاً لا تخضع لاجتهاد أو التأويل؛ كونها صريحة الدلالة فيفهم المراد منها^(٢) التي تدل على نصيب الزوج من تركة زوجته، ومنها ما يقبل التأويل وفيه يكون باب الاجتهاد مفتوح في الفهم واستنباط الحكم الشرعي مثلاً، وأما النصوص ذات الدلالة النصية التي دلت على معنى، وتحتمل بدلالاتها على معنى آخر، وهنا مع وجود الاحتمال لا يمكن القطع بمدلول احد المعاني على مراد النص فلا تكتسب القطعية ببيان النص^(٣).

إنّ النص القرآني أورد الالفاظ الظاهرة والمؤولة التي بينت أن هناك آيات تكون الفاظها واضحة وبيّنة المعنى، فمن ناحية الظاهر فالمعنى الراجح يكون هو أقرب المعاني، أما المؤول بعكسه فإنّ المعنى الراجح بعيد، ومعنى ذلك وجود وضوح في بعض الحالات، وفي بعضها الآخر غموض كون أن "إن المنطوق يؤدي إلى مفهوم بدلالة الألفاظ، ولكن المفهوم من الألفاظ قد يدل على معنى آخر وراءه، وتتم هذه الدلالة اما بالموافقة واما بالمخالفة. مثال دلالة الموافقة قوله تعالى: "فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ" فالمنطوق هنا يدل على النهي عن قول "أف" للوالدين، وهذه الدلالة تدل "بفحوى الخطاب" على تحريم ضربهما، ذلك لأنّ النهي عن الضيق منهما بالكلام "أف" يتطلب بطريق الأولى النهي عن ايذاءهما. وهذه الدلالة الثانية ليست ناتجة عن منطوق الكلام ولكنها ناتجة عن دلالة هذا المنطوق أو عن "المفهوم". ومثال آخر هو قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" فالمنطوق يدل على حكم من يأكل مال اليتيم ظلماً، وهذه الدلالة الناتجة عن المنطوق تدل "بلحن الخطاب" على تحريم الإحراق؛ لأنّه مُساوٍ للأكل في الاتلاف.

والنوع الثاني من دلالة المفهوم هو ما يدل بالمخالفة وذلك في حالة أن يكون المنطوق دالا على مفهوم محدد لغويا بالوصف أو الحال أو الظرف أو العدد، فيكون المفهوم المحدد دالا على نفي الحكم عن غيره، أي عن غير الموصوف، بطريق المخالفة، مثال ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا" فالمفهوم من هذا المنطوق وجوب التبين في خبر "الفاسق"، وهذا المفهوم يدل

(١) يُنظر: دروس في القواعد التفسيرية، علي اكبر سيفي، ١٥١/٢.

(٢) أي: قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ... وَ لَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ». سورة النساء، الآية: ١٢.

(٣) يُنظر: أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الشبلي، ٩٣. وقواعد التفسير لدي الشيعة والسنة، محمد فاكسر ميدي، ١٧٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

على "أن غير الفاسق لا يجب التبيين في خبره، فيجب قبول خبر الواحد العدل" (١) " (٢)، وهذا الشيء يكشف أن الآيات القرآنية في بعضها جاءت بألفاظ دلت من حيث المفهوم على الموافقة، أو المخالفة من حيث الدلالة، وهذا يكشف على أن المعنى الظاهر أو المؤول ورد بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح مما أعطى للفكر أو الاستنباط المساحة الواسعة في اعطاء مصاديق للنص بأن يحمل مفهوماً آخر غير الذي أشارت إليه اللفظة سواء وافق المفهوم الوارد بالنص كلفظة "أف" التي أعطت بالمفهوم أن الضرب ممنوع وحرام للوالدين، أو يكون المفهوم للفظه يعطي معنى مخالفاً كلفظة "الفاسق" الذي يتبين من كلامه بأن "غير الفاسق" لا يتم التبيين في كلامه.

الأمر الآخر الدال على أن "الظاهر والمؤول" أشار إليهما النص القرآني بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح هو ما تم استنباطه من النص القرآني بأن هنا النص ظاهر المعنى أو مؤول من خلال السياق القرآني الوارد فيه اللفظة، كون الظاهر "هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، فهو يشترك مع النص في أن دلالاته في محل النطق، و يختلف عنه في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره، والظاهر يفيد معنى عند الإطلاق مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً" (٣)، وجاء أيضاً أن المعنى هو: "الظاهر وهو ما احتمل معنيين، ولكن أحدهما يسبق إلى الفهم عند الإطلاق" (٤)، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)، فإن "الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصِرَنَّهُ اللَّهُ﴾" (٦)، وعليه فإن الباغي يطلق على الجاهل، ويطلق على الظالم، ولكن إطلاقه على الظالم أظهر وأغلب، فهو إطلاق راجح، والأول مرجوح" (٧)، وكقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيصِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَجِيصِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّوِّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (٨)، فإن الطهر له معنيان

(١) يُنظر: الاتقان، السيوطي: ٣٢/٣. هذا الانتقال من «المفهوم» إلى دلالاته سواء بالموافقة أم بالمخالفة وهو ما يطلق عليه الفقهاء «الاستنباط» وهو باب لاستثمار الأحكام الفقهية من النصوص بدلالة «المفهوم». ويُنظر: أمثلة لذلك: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٦-٤/٢، ٦-٤، ١٩-٢١.

(٢) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ١٨٠،

(٣) موسوعة علوم القرآن وآداب حملته في سؤال وجواب، اسلام درباله، ٢٩٤.

(٤) نفحات من علوم القرآن، محمد احمد معبد، ٨٨.

(٥) سورة البقرة، جزء من الآية: ١٧٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢ / ٢٠٥. يُنظر: نفحات من علوم القرآن، محمد احمد معبد، ٨٨.

(٧) موسوعة علوم القرآن وآداب حملته في سؤال وجواب، اسلام درباله، ٢٩٤.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

"لانتقطاع طهر وللوضوء والغسل غير أن الثاني أظهر" (١)، فهناك معنيان للطهر الاول انتقطاع دم الحيض والثاني الوضوء والغسل، فالثاني راجح، أما الاول مرجوح فدلالة المعنى الثاني أظهر دون الاول (٢)، وعليه فالبغي مفهوم يدل على "الجاهل أو الظالم" الا أن هناك ترجيح لهذا المفهوم من خلال السياق بأنه يدل على "الظالم" بالدلالة الراجحة، أما ظاهر مفهوم يدل على "انتقطاع الدم أو الوضوء والغسل" الا أن دلالتها من خلال السياق تدل على "الوضوء والغسل" بالدلالة الراجحة لا المرجوحة، وهذا الامر يدل على أن النص أشار إلى الظاهر بالمفهوم لا بالمصداق.

أما المؤول فإن معناه "هو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، فهو يخالف الظاهر في أن الظاهر يحمل على المعنى الراجح، حيث لا دليل يصرفه إلى المعنى المرجوح، أما المؤول فإنه يحمل على المعنى المرجوح؛ لوجود الدليل الصارف عن إرادة المعنى الراجح، وإن كان كل منهما يدل عليه اللفظ في محل النطق" (٣)، وعُرف أيضاً "المؤول وهو ما حمل على المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح؛ فهو عكس الظاهر تماما" (٤)، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْفَضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مَنِ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٥)، فانه "يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون آدمي له أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق، وكقوله: {وكل إنسان أزمانه طائر في عنقه} يستحيل أن يشد في القيامة في عنق كل طائع وعاص وغيرهما طير من الطيور فوجب حمله على التزام الكتاب في الحساب لكل واحد منهم بعينه" (٦)، وعليه فهو "محمول على الخضوع و التواضع وحسن معاملة الوالدين. لاستحاله أن يكون للإنسان أجنحة" (٧)، وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٨)، وذلك لأنه "يستحيل حمل المعية على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك وحمله إما على الحفظ والرعاية أو على القدرة والعلم والرؤية كما قال تعالى: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}" (٩)، فيكون "منطوق هذه الآية صرف إلى المعنى المرجوح وهو العلم، والقدرة، والرعاية، العناية، ولم يحمل على

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٠٦.

(٢) يُنظر: موسوعة علوم القرآن وآداب حملته في سؤال وجواب، اسلام درياله، ٢٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ٢٩٤.

(٤) نفحات من علوم القرآن، محمد احمد معبد، ٨٨.

(٥) سورة الاسراء، الآية: ٢٤.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٠٧. ويُنظر: نفحات من علوم القرآن، محمد احمد معبد، ٨٨.

(٧) موسوعة علوم القرآن وآداب حملته في سؤال وجواب، اسلام درياله، ٢٩٤. ويُنظر: هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين غنايه،

١٩٠/٤.

(٨) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٩) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٠٥ - ٢٠٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

المعنى الراجح وهو المصاحبة، والمرافقة، والمعية، والقرب للذات الإلهية، ودليل الصرف هو استحالة المعية للذات الإلهية^(١)، فالمعنى المؤول واضح في هاتين اللفظتين "الجناح" و "معكم" لكونهما صرفاً السياق إلى المعنى الراجح ففي اللفظة الأولى إلى الخضوع والتواضع للوالدين، وفي الثانية العلم والرعاية والقدرة لاستحالة ترجيح المعنى الظاهر عليهما، فالمؤول "هو اللفظ القرآني الذي يصرف إلى المعنى المرجوح لوجود دليل يصرفه عن المعنى الراجح. فالمؤول يستحيل حمله على ظاهره فيصرف إلى معنى آخر يعينه السياق. فالمؤول لا يؤخذ بمعناه الظاهري فهو مرجوح، في حين أنّ معناه الذي يعينه السياق هو الراجح واللفظ نفسه يكاد ينطق به. فالمؤول يشترك مع الظاهر في أنّ كلاهما دلالة في محل النطق، أي أنّ كلاهما يدلّ عليه اللفظ في محل النطق، إلاّ أنّه يختلف عنه في أنّ الظاهر يحمل على المعنى الراجح حيث لا دليل ولا قرينة يصرفانه إلى المعنى المرجوح. أمّا المؤول فإنّه يحمل على المعنى المرجوح لوجود الدليل الصارف له إلى المعنى المرجوح"^(٢).

وبالرجوع إلى علماء الأصول الذين عرفوا الظاهر بتعاريف منها "هو ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل، وهو الذي يسبق إلى العقول لظهوره موضوعاً فيما هو المراد"^(٣)، كما عرفه أبو إسحاق المروزي^(٤) بقوله: "الظاهر لفظ معقول يبتدر إلى فهم البصير بجهة الفهم منه"^(٥)، في حين أن الباقلائي^(٦) قد ضيق الدائرة في تعريف "الظاهر": "هو لفظة معقولة المعنى، لها حقيقة و مجاز، فإن أجريت على حقيقتها كانت ظاهراً و إذا عدلت إلى جهة المجاز كانت مؤولة"^(٧)، فيلاحظ أنّ الاختلاف لديهم بالشكل لا بالمضمون لهذا كان هناك شبه اتفاق على أنّ التعريف للظاهر هو "اللفظ الذي يدل على معناه بصيغته من غير توقف على قرينة خارجية تبيّنه، مع احتمال طروء التخصيص و التأويل و قبول النسخ"^(٨)، وهذه التعاريف تؤيد ورود "الظاهر والمؤول" مفهوماً في القرآن الكريم بحيث استفاد علماء

(١) هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ١٩٠/٤.

(٢) المصدر نفسه، ١٩٠/٤.

(٣) أصول السرخسي، ١٦٣/١.

(٤) هو إبراهيم بن أحمد المروزي، من فقهاء المذهب الشافعي، ذكر الإمام النووي الاتفاق على عدالته وتوثيقه في روايته ودرايته. كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة، شرح المختصر وصنف في الأصول، عمل على نشر المذهب الشافعي في العراق توفي رحمه الله بمصر سنة ٣٤٠ هـ. يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ١/ ٢٧-٨٢.

(٥) يُنظر: تفسير النصوص، محمد اديب صالح، ١٣٩.

(٦) وهو أبو بكر محمد بن الطيب من كبار علماء المالكية وفقهائهم له مصنفات كثيرة أشهرها الإبانة وشرح للمع وإعجاز القرآن، والتمهيد، والمقنع وكشف الاسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية توفي رحمه الله سنة ٤٠٣ هـ ببغداد. (الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، ٢/٦٣).

(٧) تفسير النصوص، محمد اديب صالح، ١٣٩.

(٨) المصدر نفسه، ٨٨.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الاصول منه فوظفوه في مؤلفاتهم؛ لكون معناه في الخارج له مصاديق متنوعة، لهذا منهم من قال: "والقدر المشترك بين النصّ والظاهر هو المُحكّم، والمُشترك بين المُجمل والمؤوّل هو المُتشابه" (١)، كون "الانتقال من المعنى الأولي الظاهر، إلى المعنى الباطن المكتسب بالتدبّر والتأمّل، يعطي لفهم الآية القرآنية أبعاداً إضافية واسعة وعالية المرام، وهي لا تقع في عرض المعنى الظاهر بل في طوله، فإن إرادة الظاهر لا تنفي إرادة الباطن، كما إن إرادة الباطن لا تراحم إرادة الظاهر" (٢).

ويخلص الباحث لما تم ايراده أن بعض الآيات القرآنية اوردت بعض المفاهيم القرآنية، وذلك من خلال الآيات التي تم ايرادها انفاً، وهذا المفهوم حدد مصاديق تلك الالفاظ الواردة في النص القرآني، فإنّ بيان معنى الالفاظ القرآنية كشف على وجود مفهوم "الظاهر والمؤول" في النص القرآني، وأن الآيات القرآنية لم تورد هذا الموضوع على نحو المصداق والمصطلح الصريح بل تم الاشارة إليه ببعض الالفاظ التي جعلت من العلماء يستنبطون ويجتهدون في بيان دلالات الالفاظ، الامر الذي يتطلب الدقة في تحديد مصاديق هذا المفهوم، لأنه بما أنه ورد بالمفهوم في النص القرآني فإن المجال رحب وواسع أمام العلماء بالاجتهاد والاستنباط لبيان النص القرآني، وهذا ما يستنتجه الباحث من أن للنص القرآني المدخلية الاولى في التقنين وهكذا علم تابع إلى علوم القرآن، فهو المرجع الأول والأساس التي تتفرع منه سائر العلوم.

(٢) مفهوم العام والخاص:

إنّ مفهوم "العام والخاص" الذي أشارت إليه الآيات القرآنية بالمفهوم من دون الاشارة الصريحة إليه بالمصطلح ورد في بعض الآيات القرآنية التي دلت بسياقها على العموم في الخطاب القرآني، ومن أجل الوقوف على وروده مفهوماً لا بد من الرجوع للمعنى اللغوي الوارد فيهما -العام والخاص-، والباحث اشار إلى معناه في اللغة والاصطلاح في المبحث الثاني من الفصل الاول من الاطروحة (٣) التي نجدها دلت على معانٍ متعددة، فمنهم من قال إنّها تدل على الطوّل والعلو والكثرة، وعند القول أن النبات استوى على عمومته بالمعنى على تمامه، (٤)، والشيء الذي يبلغ المواضع كلها فهو عام (٥)، وعند القول "عم الشيء" أي شمل الجماعة كلهم بعمومه (٦)، وهذا التعدد في المعاني يعطي للفظ "العام" الدلالات المتعددة بالمعنى، والنص القرآني يُحمل عليه فقط معنى الشمول لجميع المواضع والافراد؛ لان " العام

(١) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٤٧/١. يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدى حجار، ١٣٥.

(٢) القرآن في الاسلام، محمد حسين الطباطبائي، ٤١.

(٣) يُنظر: ص ٧٠-٧١ من الاطروحة.

(٤) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٥/٤. ولسان العرب، ابن منظور، ٤٢٦/١٢.

(٥) يُنظر: العين، الخليل، ٩٤/١.

(٦) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ١٩٩٢-١٩٩٣. ولسان العرب، ابن منظور، ٤٢٦/١٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

كل ما أشير إليه بأدوات العموم ك - "من"، "ما"، "جميع"، "أل التعريف" إلخ، فما سبقه بعض الحروف والأدوات والصيغ يكون عاماً، وما لم يسبق بذلك أو استثنى منها استثناءً، فهو الخاص^(١)، فالعام له صيغته المخصوصة، التي تستغرق كل ما صلح لها من دون حصر، أما الخاص فهو خلاف العام فهو يختص بطبيعة أو فرد من جهة الخصوص^(٢)، فقد ورد في اللغة أنه مأخوذ من الخصوصية إذا اختص شيء بفلان^(٣)، فإذا اختص فلان بأمر فهو منفرد به^(٤)، فما يقابل العام الخاص فالعام شامل لجميع أفرادها بالحكم، أما الخاص فمنفرد بالحكم وخاص به فلا يتعدى لغيره.

ويخلص الباحث إلى أنّ "العام والخاص" الوارد في النص القرآني قد دل عليه السياق القرآني التي وردت فيه، واستتجت بأنه ورد بالمفهوم لا باللفظ الصريح، وهذا الورود بالمفهوم في النص القرآني لمصلحة تقتضي هذا الورود؛ هي بيان السياق لكلمات القرآن الكريم "مما لا ريب فيه أنّ الآيات القرآنية نزلت من لدن الحكيم الخبير بمقتضى المصلحة المرجوة، ولما كانت الظروف المحيطة تتأثر بها تلك المصلحة، ولتغير هذه الظروف فلا بد من التدرج في بيان المراد لا أن المراد يتفاوت، فيجاء البيان عاماً ثم تتجلى خصوصياته أو تشخصاته، ولذلك لا بد من الفحص عن المخصص، وهذا من وجوه الحكمة في العام والخاص، كما قد يتوقف تخصيص العام على المعصوم وذلك للإرجاع إليه بوصفه قائداً منصوباً من الله تعالى، وغير ذلك من المصالح التربوية والاجتماعية، هذا مضافاً إلى أنّ بعض مفادات البيان الإلهي عامة شاملة للجميع ولا يتناولها التخصيص. فمباحث العام والخاص مباحث جليلة وثرية بمادتها، لا بد للمشتغل بالتفسير من ضبط حدود العام والخاص، ليتسنى له معالجة الدلالات القرآنية على وفق أسس ضابطة للعملية التفسيرية"^(٥)؛ فالعام والخاص يُبين مراد الله تعالى ويبين دلالات العام والخصوص مما يعني أنّ "العام والخاص" لم يردا بالمصطلح، بل وردا بالمفهوم المشعر لوجودهما من خلال النص القرآني. ولعدم وروده بالمصطلح أكد العلماء على ضبط تعريفهما "العام والخاص" كل ذلك مخافة الاختلاط في الفهم لمفهومهما مع غيرهما^(٦)، كما انه يجب عدم القول بالعام والعمل به الا بعد الفحص عن مخصص له، والسبب لكون العام نادراً يبقى على عمومته من دون تخصيص في النص القرآني^(٧)،

(١) مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن، د. محمد حسين علي الصغير، مجلة مآب: ع ٢ / ص ٩.

(٢) يُنظر: الإتقان، السيوطي، ٤١/٢.

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/١٥٢.

(٤) يُنظر: العين، الخليل، ١٣٤/٤. والصحاح، الجوهري، ١٠٣٧/٣. ولسان العرب، ابن منظور، ٢٥/٧.

(٥) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٥.

(٦) يُنظر: المستصفى، الغزالي، ٢٢٤.

(٧) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٥٤.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

وهذا الامر يدل على أن "العام والخاص" عُرف الفاظ النص القرآني الدالة على العموم لا من وروده بالمصطلح المباشر.

إنَّ من الأمور التي دلت على أنَّ "العام والخاص" وردا بالمفهوم بأن "العام" يكون متبعاً في حال لم يتم دليل التخصيص^(١)، فإنَّ اللفظ إذا كان شاملاً للأصناف والافراد حُمِل في هذه الحالة على "العموم"؛ كون فائدته أعم^(٢)، وهذه الأمور تدل على أنَّ "العام والخاص" يستنتج من النص القرآني كونه ورد بالمفهوم الذي يدل على العموم أو الخصوص من خلال سياق الآية.

ومَّا تقدم يتضح أنَّ السياق هو الذي يبين أنَّ هذه الآية عامة أو خاصة، مما يدل على عدم ورود لفظ العام باللفظ الصريح وكذلك "الخاص"، بل أكثر من ذلك فبعض الآيات وردت عامة إلا أنها أريد بها معنى الخاص كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣)، فقد جاء في بيان "القرآن" الذي هو لفظ "عام" معنى "خاصاً" وهو الصلاة^(٤)، أو العكس يأتي اللفظ "خاصاً" ويراد به العموم كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٥)، فان الخطاب وأن كان خاصاً بالنبي محمد (ﷺ) الا أن المعنى عام يشمل جميع الامة^(٦)، وفي بعض الحالات يرد اللفظ في النص القرآني "عاماً" ويفسر بذكر بعض معانيه وانواعه فإن صح هذا الوجه أو ذلك من وجوه "العام" فلا يجب الاقتصار عليه^(٧)، ومثال ذلك لفظة "القوة" التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٨)، إذ إن لها تطبيقات كثيرة^(٩)، كما أن هناك موارد كثيرة عطف بها "الخاص" على "العام" من أجل افادة التفضيل والاهتمام أو خصوص الخطاب؛ لان العام يراد به عدة أمور منها التشريف والتأكيد والتعظيم، والتغليظ، والتغليب،

(١) يُنظر: الإتيان، السيوطي، ٥٢/٢.

(٢) يُنظر: فقه القرآن، الراوندي، ٣٨٨/٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٤) يُنظر: معاني القرآن، النحاس، ١٢٢/٣. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٥.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٦) يُنظر: تفسير الآلوسي، الآلوسي، ١٤٨/٩. والأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٥.

(٧) يُنظر: فقه القرآن، الراوندي، ١٥٧/١.

(٨) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٩) يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

والتقريع، والتنزيه^(١)، التي ذكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) جملة من هذه الموارد^(٢).

وعليه لابد من المفسر والمبين لألفاظ القرآن الكريم من توحي الحذر في بيان معاني ألفاظ النص القرآني بأن يورد معنى يمكن أن يفسر بغير المعنى الذي جاء به، ونتيجة ذلك يقع القارئ بالوهم، ويترتب على ذلك البيان المفسدة في الحياة الدنيا والآخر^(٣).

مما تقدم يرى الباحث أنّ علم الخاص والعام قد ورد بالمفهوم في النص القرآني، ومدخلية النص في بيانه من خلال السياق القرآني بأن وردت ألفاظ دلت على "العموم والخصوص" بل أكثر من ذلك فإن الآية تدل على العموم ويراد بها الخصوص والعكس صحيح كما تقدم إيراده كل ذلك يؤكد أنّ "العام والخاص" لم يرد بالمصطلح الصريح بأن تشير الآية إلى أنّها عامة أو خاصة بوجود إحدى اللفظتين، مما جعل باب الاجتهاد مفتوحاً أمام العلماء في تحديد ما هو عام مما هو خاص.

الامر الآخر أنّ هناك من يتوهم أن "العام والخاص" من مباحث علم الأصول وأنها ليست من علوم القرآن، وهذا الشيء خاطئ؛ لأن النص القرآن أشار إلى هذه المفاهيم قبل "أصول الفقه"، ويمكن القول أنّ الأسبقية في التدوين كانت لعلم "أصول الفقه" إلا أن هذا الامر لا يجوز بالقول بالأسبقية^(٤)، أنّ "العام والخاص وبقية علوم القرآن كانت متداولة في العملية التفسيرية قبل ظهور علم أصول الفقه، إلا أنّ الأصوليين كانوا الأسبق في التدوين المستقل، حيث تناولوا هذه المصطلحات من وجهة أصولية، لذا قد يتوهم بعض المنتبعين تاريخ تدوين العلوم الإسلامية أنّ الأصل في هذه العلوم "علوم القرآن" أنها مباحث أصولية لأسبقيتها في التدوين، إلا أنّ ذلك لا يعني أن هذه المباحث لم تكن قبل التدوين الأصولي لها مباحث قرآنية؛ لأنّ المفسرين شرعوا بها ابتداءً منذ الصدر الأول للإسلام^(٥).

إنّ البحث في "العام والخاص" كان بارزاً في آيات الاحكام، وقد ظهر واضحاً في "علم اصول الفقه" عند استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها، ألا أنه من جهة أخرى ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالآيات التي اعتنت بالقصص والاعخبار، والتي بينت أموراً أخرى غير الاحكام الشرعية التي منها أخذ العبرة والفائدة البيانية منها، ومثال ذلك التخصيص الوارد في الاخبار التي فيها عموم وتأثر بها المعنى من دون التصريح بعموم النص أو خصوصيته إلا أنّ الاستقادة جاءت من سياق النص القرآني^(٦).

(١) يُنظر: الانتقان، السيوطي، ٤٨/٢، و ٩٢-٨٨.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ١٣٧/١. ٤٧-٤٨ و ٨٩-٨٨ و ١٠٠ - ١٤١.

(٣) يُنظر: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٥.

(٤) يُنظر: تعليقات على العام والخاص، مساعد الطيار، ٥. الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٣.

(٥) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٣٣.

(٦) يُنظر: المصدر نفسه، ٣٣٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ويرى الباحث أنّ البيان الأخير للعام والخاص بورودهما مفهومي بالنص القرآني جعل من علوم القرآن متعددة الوظائف، أنّ جميع العلوم تنتظم وتتطوق من النص القرآني فأصول الفقه أعتد في تأسيسه على مباحث الالفاظ التي منها "العام والخاص"، وكذلك سائر العلوم الاخرى كعلم الفلسفة والكلام، التي كشفت عن أنّ علوم القرآن قد وظفت مع بقية العلوم فأصبحت كالعلوم المشتركة في نشأتها وتأسيسها، كل ذلك يكشف عن عمق المفاهيم القرآنية في تشعبها و مرونتها بأن تنطبق على علوم أخرى، وهذه الأمور تؤكد أنّ علم "الخاص والعام" الذي أصبح مصطلحاً في علوم القرآن أو سائر العلوم الاخرى بأنّه قد ورد مفهوماً بالنص القرآني، وأن مدخلية النص القرآني لها المدخلية الأولى والأخيرة بإيراده كمفهوم مما جعل منه مرجعاً ومؤسساً لهذا العلم كل ذلك بسبب وروده بالمفهوم التي أعطى المصاديق المتعددة له في الخارج بأن ينطبق على النص القرآني وعلى غيره من العلوم الاخرى، وبهذا البيان يتضح مدى مدخلية النص القرآني في تحديد هذا المفهوم والتأسيس والتقنين له من خلال السياق القرآني لبعض الآيات القرآني، حتى أصبح هذا العلم من أهم العلوم التي تبين مراد الله تعالى من النص القرآني.

(٣) مفهوم علم لغة القرآن:

اللغة العربية تعدّ الركن الأساس من أركان الشخصية العربية خصوصاً، والشخصية المسلمة عموماً، فهي لغة القرآن الكريم، التي اصطفاها واختارها الله تعالى من بين كل اللغات؛ لتكون وعاء ولغة خاتم كتبه السماوية، ولغة خاتم أنبيائه والمرسلين محمد (ﷺ)، وهي باقية ما بقي القرآن الكريم، وخالده بخلوده، فهي لغة حية بحياة القرآن الكريم، وعلوم القرآن صدرت من هذا الكتاب ومن هذه اللغة الخالدة؛ كونها أبحاثاً متعلقة بالقرآن الكريم.

القرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصيحة، وهذا الأمر تؤكد أفاظه التي نزلت به، وناسبت اللغة العربية المكان الذي نزل به وهو شبه الجزيرة العربية بين قبيلة تكلمت وعُرفت بفصاحتهم وبلاغتهم وأشعارهم التي بقيت شاهداً لتطورهم اللغوي إلى يومنا هذا؛ لأنّ اللغة (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)^(١).

فالنص القرآني من النصوص التي نزلت باللغة العربية، واللسان العربي، وقد تطرق الباحث إلى معنى اللغة في المعاجم العربية في المبحث الثاني من الفصل الأول من الاطروحة^(٢)، وتبين أن المعنى اللغوي يدل على اللسان بكونها مجموعة من الأصوات التي يعبر بها كل مجموعة أو قوم أو مدينة على

(١) الخصائص، ابن جني، ٢٣/١.

(٢) يُنظر: ص ٨٠ وما بعدها من الاطروحة.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

اغراضهم، وهي على وزن "فعللة" مأخوذة من "لغوت" بمعنى تكلمت، واللغو يأتي بمعنى النطق^(١)، وإذا تكلم شخص بلغة قومه يسمى "لسان القوم"^(٢)، ومعنى ذلك أنّ اللغة عبارة عن لسان يصدر أصوات يتم التواصل بها بين قوم محددين، ويتميزون بها عن غيرهم، فما ينطق به يسمى لغة، وهذا الامر يُثبت أن الالفاظ التي جاء بها النص القرآني أشار لمفهوم اللغة بذكر الفاظها فيه.

أما من جهة المعنى الإصلاحي فلم يبتعد عن المعنى اللغوي من كونها تعبير يستخدمه قوم يُحقق اغراضهم^(٣)، واللغة ذلك المخزون الذهني الذي يُعبر به عن طريق الالفاظ التي بدورها توصل المعنى المراد فهي من الظواهر الاجتماعية وظيفتها نقل المفاهيم الذهنية إلى الخارج الغرض منها التواصل، ولها قواعدها وانظمتها الخاصة، وبها أنفرد الإنسان عن سائر المخلوقات^(٤)، والنص القرآني بوصفه نصاً سماوياً، ومؤسساً للمفاهيم الذهنية نقلها عن طريق الأصوات والالفاظ التي وردت في آياته وسوره. وبناءً على ما تقدم بيانه من معنى اللغة تدلُّ لغة القرآن على عربية أفاظها، وأنه أشار إلى علم اللغة بالمفهوم ليشمل جميع علوم اللغة العربية من فصاحة وبلاغة وصرف وقواعد، ويُعبر عن هذه اللغة بجارج اللسان في النص القرآني التي وصفها جل شأنه وقد وصف القرآن الكريم هذا اللسان بقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٥)، فقد وصفت هذه الآية اللسان بأنه لسان عربي مبين "أي ظاهر في عربيته أو مبين للمقاصد تمام البيان و الجار و المجرور متعلق بنزل أي أنزله بلسان عربي مبين".^(٦)، وهذا الامر يقطع الطريق أمام من يشكك بعربية النص القرآني "لئلا تبقى حجة لأحد ولا عذر، فإنّ القرآن أنزل بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ... فهذا القرآن نازل بلسان عربي فصيح، خال من الإبهام، للإنداز والإيقاظ، ولا سيما أنه نزل في محيط يتذرّع أهله بالحجج الواهية، نزل بليغا واضحا... هذا اللسان العربي هو أكمل الألسنة و اللغات وأغناها أدبا ومقاما. والجدير بالذكر أن أحد معاني "عربي" هو ذو الفصاحة والبلاغة- بقطع النظر عن كيفية اللسان، وكما يقول الراغب (ت ٥٠٢هـ) في المفردات: "العربي: الفصيح البين من الكلام"^(٧)، وفي هذه الصورة فإنه ليس المعول على لسان العرب، بل الأساس صراحة

(١) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٥/ ٢٥١ - ٢٥٢. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٨٣٠.

(٢) يُنظر: مختار الصحاح، الرازي، ٢٨٢.

(٣) يُنظر: التعريفات، الجرجاني، ١٩٢.

(٤) يُنظر: محاضرات في علم اللسان، ترجمة عبد القادر قنيني، ٢٣.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(٦) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٥/٣٢٠.

(٧) المفردات، ٥٥٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

القرآن ووضوح مفاهيمه" (١)، أما لماذا نزل القرآن بلسان النبي محمد (ﷺ)؛ "لأن الله ينزل وحيه على كل نبي بلسان قومه ليكون ذلك سببا لوعيتهم له من خلال وعيتهم لمعاني هذه اللغة، ليكونوا الطليعة الأولى التي تحمل الرسالة للأخريين من موقع فهمهم للإسلام و وعيتهم لتعاليمه و تفاعلهم مع مفاهيمه" (٢)، فإن الآية دلت على نزول القرآن عربياً ولسان النبي محمد (ﷺ) العربي، وفيها إشارة بأن النص القرآني نزل باللغة العربية مفهوماً وترجمة بالألفاظ عربية فصيحة.

فالنص القرآني وصف اللسان العربي ب "المبين"، وهذا وصف بأحد الآت اللغة، والمبين هو افصح الالفاظ في اللغة العربية، وهذا التفاضل في اللغة العربية لا يقع بغيرها من اللغات، وقد بين النص القرآني هذا البيان والوضوح، والعلة من نزوله عربياً في قوله تعالى: ﴿قَدْ آتَيْنَاكَ عَرَبِيًّا عَفْوًا وَعِوَجًا لِّعَلَّاهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٣)، ومعنى ذلك "أي: هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك" (٤)، وعليه فالبيان الكامل لا يحصل الا باللسان العربي، وهذا الامر يدل على أن سائر اللسان دون العربية في البيان، وهذا الوصف يدل على أن النص القرآني أشار بالمفهوم لا المصطلح الصريح لهذا العلم بأن بين ان القرآن الكريم عربي النزول ولسانه عربي يعلو على جميع اللسان التي سبقته، أو عاصرتة أو تأتي بعده فلا لسان يعلو على اللسان العربي.

يتضح مما تقدم بأن الله تعالى شاء بحكمته أن يكون النبي محمد (ﷺ) عربي الأصل واللسان، وأن العرب من يخاطبون بالرسالة الإسلامية، وأن لغتهم هي اللغة الرسمية للدين الإسلامي والقرآن الكريم؛ ليكون لساناً يخاطب به جميع العالم، فتكون اللغة العربية واللسان العربي عالمياً.

فاللغة العربية باقية وخالده بخلود القرآن الكريم، واللسان العربي كذلك؛ لأنه السبيل وأداة التواصل بين العبد وربيه، وهو محفوظ مدى الازمان والدهور، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٥)، وبهذا البيان المتقدم يثبت أن النص القرآن وظف آياته والفاظه باللغة العربية، وجعل اللسان الناطق بهن لساناً عربياً موصوفاً بالبيان والفصاحة من خلال المفهوم العام للغة العربية. وأشار النص القرآني إلى أن هذا القرآن عربي بنزوله بأكثر من آية كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٤٦١/١١.

(٢) من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ١٦١/١٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٩٦/٧.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤)، وغيرها من الآيات (٥)، وتدل بآئته "جعل الله عز وجل القرآن المنزل على النبي المرسل محمد (ﷺ) عربياً؛ لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزله بلسانهم، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب في باديتها وقرائها العربية" (٦)، وعليه "من هنا ينشأ اعتزازنا بلغة العرب، لا لأنها لغة لجنسنا ولبني جلدتنا، ولكن لأنها اللغة التي نزل بها كتاب ربنا، والتي تحدث بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن ثم لزمنا التمسك بها، ولزمنا بثها، ونشرها من غير استحياء ولا استتكاف" (٧)، وأما سبب نزوله عربياً "يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنًا عربياً على العرب؛ لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم؛ ليعقلوه ويفقهوا منه" (٨)، والسبب الآخر أن العرب "هم أسرع الناس قبولاً للحق والهدى؛ لسلامة طباعهم من عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المُنَهَيِّئِ لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد، وسوء الملكات" (٩). كل ما تقدم أثبت نزول القرآن عربياً، فأشار إلى أن اللغة الذي نزل بها هي العربية، وقد بين النص القرآني ورودها بالمفهوم لتشمل جميع فنون اللغة العربية، ولهذا نشأ علم اللغة الذي أصبح أحد أهم مباحث علوم القرآن.

لقد أشار النص القرآني إلى عربية القرآن الكريم بحيث أنه "أقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠). وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٤) سورة فصلت، الآية ٣.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٧. وسورة الزخرف، الآية: ٣.

(٦) تهذيب اللغة، الأزهرى، ٢/٢١٩.

(٧) يُنظر: سلسلة التفسير، مصطفى العدوي، ٦/٢٤.

(٨) جامع البيان، الطبري ١٥/٥٥١.

(٩) مقدمة ابن خلدون، ٧٥.

(١٠) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاقٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ
بَعِيدٍ ﴿١﴾ (٢)، وهذا الامر يدل على أن جميع ما ورد في النص القرآني من الفاظ عربي الأصل أو
أنه معرب خضع لمقاييس، وموازن اللغة العربية، فلا يشكل على النص القرآني بأنه أعجمي لورود
بعض الالفاظ كـ "استبرق" و "سندس" وغيرها بأنها أعجمية؛ كون هذه الالفاظ وأمثالها أما أن تكون
مشتركة بين العرب والعجم، أو أن العرب استخدموها استخداماً واسعاً بحيث أصبحت تنسب إليهم لا
بأصلها بل باستعمالها "ولم نستكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة
الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها، كما قد وجدنا اتفاق كثير منهم فيما قد علمناه من الألسن
المختلفة؛ وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس" (٣)، وعليه فلا مجال للطعن بعربية القرآن الكريم،
ولو كانت تمثل طعناً للنص العربي لما تركها علماءنا من دون بحث وتفصيل.

ومن الأمثلة التي تدل على أن اللغة جاءت بالمفهوم الذي ينطبق على مصاديق كثيرة لعلوم اللغة
العربية من أنه جاء رجل من هذيل، فقال له ابن عباس: "ما فعل فلان؟ قال: مات وترك أربعة من الولد
وثلاثة من الورا، فقال ابن عباس: فَبَشَّرْنَاها بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (هود: ٧١) قال: ولد
الولد" (٤)، وهذا الأمر يدل على أن النص القرآني قد طابق أساليب العرب في الكلام، والاشارات البلاغية
فيه، وهناك مواقف وبيانات كثيرة واستشهادات من ابن عباس بينها ابن الانباري (ت ٣٢٨هـ) في كتابه
"الوقف والابتداء" (٥)، الذي قال فيه: "دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على
القرآن بالشعر، و أنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن، وليس كذلك، وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف
الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال: إِذَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (يوسف: ٢)، وقال تعالى: بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (الشعراء: ١٩٥)، وقال ابن عباس: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من
القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم، فالتمسوا معرفة ذلك" (٦)، فالقرآن خاطب العرب بلغتهم
وعلومها سواء الشعر أو النثر، أو البلاغة والفصاحة، لهذا قال ابن عباس الشعر ديوان العرب فإذا
خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك ثم إن كان
ما تضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفي فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين وإن كان ما يوجب العلم

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٢) الرسالة، محمد بن ادريس الشافعي، ٤٦-٤٧.

(٣) جامع البيان، الطبري ١/١٥٠.

(٤) أخرجه ابن الأنباري في الإيضاح، ٧٣/١، الحديث (١١١)، ويُنظر: الدر المنثور، السيوطي، ٣/٣٤١.

(٥) يُنظر: الإيضاح في الوقف والابتداء، ٧٦/١-٩٩.

(٦) المصدر نفسه، ١/٩٩-١٠١.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

لم يكف ذلك بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهد من الشعر " (١).
ومن الأمور الدالة على أن النص القرآني أشار إلى علم اللغة بالمفهوم بأن جعل له مصاديق متعددة بين الفاظ آياته، لهذا " ينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطابي عن أبي العالية "أنه سئل عن معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥)، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر، قال الحسن: مه يا أبا العالية! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تقوتهم، ألا ترى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾" (٢)! فلما لم يتدبر أبو العالية حرف "في" و"عن" تنبّه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: "في صلاتهم"، فلما قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الذَّهَابُ عَنِ الْوَقْتِ، وَلِذَلِكَ، قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ (الزخرف: ٣٦) أَنَّهُ مِنْ عَشَوْتِ أَعْشَوْتِ عَشَوًا: إِذَا نَظَرْتَ، وَغَلَطُوهُ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا مَعْنَاهُ يَعْرِضُ (٣)، وَإِنَّمَا غَلَطَ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ عَشَوْتِ إِلَى الشَّيْءِ وَعَشَوْتِ عَنْهُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ (٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ (القصص: ١٠) قَالَ: "فَارِغًا مِنَ الْحُزْنِ، لَعَلَّمَهَا أَنَّهُ لَمْ يَغْرُقْ؛ وَنَه: "دَمُ فَرَاغٍ"، أَي لَا قُوْدَ فِيهِ وَلَا دِيَةَ"، وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ (٥): "أَخْطَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْمَعْنَى؛ لَوْ كَانَ قَلْبُهَا فَارِغًا مِنَ الْحُزْنِ عَلَيْهِ لَمَا قَالَ [تَعَالَى]: لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا (القصص: ١٠) لِأَنَّهَا كَادَتْ تَبْدِي [بِهِ]" (٦)، لِهَذَا فَمِنَ الْمَهْمِ الْإِطْلَاعَ عَلَى عُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِجَمِيعِ فُرُوعِهَا، لِأَنَّ عِلْمَ اللُّغَةِ مِنَ الْعُلُومِ الْخَطِرَةَ "هَذَا الْبَابُ عَظِيمُ الْخَطَرِ؛ وَمِنْ هُنَا تَهَيَّبَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ، وَتَرَكَوا الْقَوْلَ فِيهِ حَذْرًا أَنْ يَزَلُوا فَيَذْهَبُوا عَنِ الْمُرَادِ؛ وَإِنْ كَانُوا عُلَمَاءَ بِاللِّسَانِ فَفَقَهَاءَ فِي الدِّينِ. وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ وَهُوَ إِمَامُ اللُّغَةِ - لَا يَفْسِرُ شَيْئًا مِنْ غَرِيبِ الْقُرْآنِ، وَحَكِي عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: شَغَفَهَا حُبًّا (يوسف: ٣٠) فَسَكَتَ وَقَالَ: هَذَا فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلًا لِبَعْضِ الْعَرَبِ فِي جَارِيَةِ لِقَوْمٍ أَرَادُوا بَيْعَهَا: أَتَبِعُونَهَا وَهِيَ لَكُمْ شَغَافٌ! وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا. وَلِهَذَا حَثَّ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٩٧/١.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير عند تفسير سورة الماعون الحديث رقم (٣٤٤٣)، وأخرجه ابن المنذر (ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٤٠٠/٦).

(٣) يُنظَرُ: قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ، ٣٩٧-٣٩٨ وَعَزَا هَذَا الْقَوْلَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ، وَيُنظَرُ: قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي الْمَجَازِ، ٢٠٤/٢. وَمَعَانِي الْقُرْآنِ، الْفَرَاءِ، ٣٢/٣.

(٤) مجاز القرآن، ٢/٩٨.

(٥) هو ابن قتيبة، ويُنظَرُ: قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الْغَرِيبِ: ٣٢٨-٣٢٩.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
تعلم إعراب القرآن وطلب معاني الغريب منه^(١)، واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها
تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد
المعنيين والمراد [المعنى] الآخر^(٢).

أن ما تقدم ذكره وأن أثبت أن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم هي العربية إلا أن الباحث يرى أن
ما أشار إليه النص القرآني وكانت له مدخلية فيه هو مفهوم علم لغة القرآن الذي يفتح الباب أمام العلماء
بتطبيق جميع علوم اللغة العربية على النص القرآني من أجل بيانه، ومعرفة مقصوده ودلالاته، فإن
للنص القرآني المدخلية في التأسيس لهذا المفهوم الذي فتح الباب أمام العلماء بأن ينهلوا من علومه
المتنوعة لبيان معانيه ومقصوده من أيراد الفاظ متنوعة تدخل في أنواع متعددة من علوم اللغة.

(٤) مفهوم المجمل والمفصل:

مفهوم "المجمل والمفصل" لم يصرح به النص القرآني بالمصطلح الصريح بل جاء استنتاجاً من
بعض النصوص القرآنية التي أوردته مفصلاً تارة ومجماً تارة أخرى من خلال اللفظ القرآني الذي دلَّ
على أنّ اللفظ هذا مفصل أو مجمل، ويعدّ هذا المفهوم القرآني من الأساليب والطرق المهمة في بيان
مفردات النص القرآني، وأتخذة كثير من العلماء في بيان النص القرآني من طريق تفسير القرآن بالقرآن
بمعنى تفسير المجمل بما جاء مفصلاً في النصوص القرآنية، والمجمل يتنوع في إيراد النص القرآني
فتارة يدل على الأحكام الشرعية وتارة أخرى في غيره من الأحكام العقائدية والأخلاقية وغيرها، فهناك
كثير من النصوص القرآنية فصلت وبيّنت ما أجمل في مواضع من القرآن الكريم عن طريق مقابلة ما
اجمل بما فصل من الآيات، وهذا من أصح الأساليب التفسيرية والبيانية لتوضيح مراد الله تعالى.

ومن أجل الوقوف على مدخلية النص القرآني في تحديد هذا المفهوم لعلوم القرآن لابد أولاً من
الرجوع إلى الأصل اللغوي والاصطلاحي لهما، إذ تم بيان هذا الأمر بشيء من التفصيل في المبحث
الثاني من الفصل الأول من هذه الأطروحة^(٣)، فالمجمل معناه الإبهام وعدم التفصيل، والتفريط، والجمع
بعد التفريق، ومن ناحية الكلام ما أجمل بحيث لا يفهم معناه تفصيلاً^(٤)، فالمعنى اللغوي تعدد للمجل
وجعلته مفهوماً يحمل عدة معانٍ، وما يهمنا من هذه المعاني الاجمال بالكلام بحيث لا يفهم لعدم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، ٢/٢٣٩. وابن أبي شيبه والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبها». كنز العمال، ١/٦٠٧، الحديث (٢٧٨١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٢٩٤ - ٢٩٥.

(٣) يُنظر: ص ٨٢-٨٣ من الأطروحة.

(٤) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٥/١٧٩٠ - ١٧٩١. ولسان العرب، ابن منظور، ١١/١٢٨. والمصباح المنير، الفيومي، ١/١١٠.
والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٩٧٩. والفروق اللغوية، العسكري، ٥٨. والمعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ١/١٣٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

التفصيل فيه، فلا تتضح دلالاته فيحتاج إلى تفصيل من المتكلم لإفهام السامع.

في حين نجد المفصل يقابل المجلد لغوياً، فهو يدل على القطع، والفظام عند فصل الرضيع عن أمه بالرضاعة، ويطلق على الفصل بين المعاني من خلال التبيين، والفصل بين الأشياء بمعنى التمييز بينها^(١)، والمعنى المراد هنا هو التفصيل بالكلام ببيان المراد منه من خلال التفصيل به بذكر جميع حيثياته ودلالاته فلا يحتاج السامع إلى الإفهام بعكس المجلد الذي يحتاج إلى إفهام.

وعليه يرى الباحث أنَّ المعنى اللغوي المراد من الإجمال هو عدم وضوح دلالات النص لعدم التفصيل، أما المفصل فهو ما اتضح من كلام ببيان تفصيلاته، وهذا المعنى الوارد مفهوماً في النصوص القرآنية بوجود بعض من الآيات جاء سياقها مجملاً بحاجة إلى تفصيل في موضع آخر من القرآن الكريم، أو من السنة النبوية كونها المبين لما أجمل من النص ولم يبينه القرآن الكريم، أما المفصل فهو ما يقابل المجلد؛ بوصفه واضح الدلالة والمعنى من خلال التفصيل الوارد في السياق، كل هذا الكلام جاء بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح لهذا العلم، وقد بينه السياق القرآني في مواضع أخرى سواء من النص القرآني نفسه، أو من السنة النبوية المطهرة.

أما من ناحية الاصطلاح في تعريف مفهوم "المبين والمجلد" فلم يبتعد عن المعنى اللغوي المراد بأن المجلد ما خفي معناه، والمفصل ما وضح معناه^(٢)، أو أن المعنى للمجلد كل ما لا يقف على المراد منه من قبل السامع إلا ببيان من المتكلم^(٣)، ومعنى ذلك أن المجلد لا يعرف المراد من المتكلم أما المفصل فيعرف المراد من المتكلم فلا يحتاج السامع إلى بيان أكثر بعكس المجلد الذي يحتاج فيه إلى بيان.

فما خفي معناه ولم يفهمه السامع يكون مجملاً بحيث يحتاج إلى بيان من المتكلم، وعليه يكون خفي الدلالة والمعنى، أما المفصل أو المبين فهو ما يفهم معناه لوجود التفصيل فيه من قبل المتكلم فيكون واضح الدلالة والمعنى، فلا لبس فيه من جهة السامع، كما جاء بأن معنى المجلد ما لم تتضح دلالاته وهو واقع في النص القرآني، والمبين عكسه^(٤)، فما ترك من دون إيضاح فهو مبهم ومجلد وما رُفِعَ ابهامه فهو مبين ومفصل^(٥).

(١) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ٥/ ١٧٩٠-١٧٩١. والمصباح المنير، الفيومي، ٢/ ٤٧٤. ومختار الصحاح، الرازي، ٢٦٢.

(٢) يُنظر: التعريفات، الجرجاني، ٢٠٤. وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٤٩٤. التعريفات الفقهية، البركتي، ٥٩.

(٣) يُنظر: الكليات، الكفوي، ٤٢. وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٢/ ١٤٧٤. التعريفات الفقهية، البركتي، ١٩٥ - ١٩٦.

(٤) يُنظر: التبيين الطوسي، ٨/ ٢٤٩. و فقه القرآن، الراوندي، ١/ ٧ و ٣٢٠، ٢/ ٨٢. والبرهان، الزركشي، ٢/ ١٨٣. و الانتان، السيوطي،

١٠/ ٢ و ٤٩-٥٤. وتفسير الألوسي، ١/ ٢٤٧ و ٢/ ١٢٧. وتيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ٣٤. وأضواء البيان، الشنقيطي،

١٨٤/٥. ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ٣٠٩.

(٥) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ١٥٠.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ومن هذا المنطلق يتبين أن النص القرآن قد أورد هذا العلم بوصفه مفهوماً يحتمل معاني متعددة مالم يتم بيانه في النص القرآني نفسه أو السنة النبوية لا غير "المجمل لا يبينه ويعطي معناه الا الشارع المقدس؛ ولا يزول إبهامه إلا بعد الرجوع إلى القرآن الكريم، أو السنة النبوية الصحيحة، أما المفصل ممكن أن يبينه غير الشارع المقدس" (١)، ومن أجل فهم المراد فإن "المجمل: فهو الذي اختفى المراد منه بنفس لفظه حتى بينه الشارع؛ نحو لفظ "الصلاة" معناها في اللغة: الدعاء. وبين الشارع المراد منها حين أمرنا بها في قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بيئها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله وفعله، وأمرنا قائلاً: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (٢)، وهنا الكلام يبين أن هذا العلم ورد بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح؛ لأنّ اللفظ المجمل إذا أطلق في النص القرآني لا بد من الرجوع فيه إلى القرآن نفسه من أجل البيان أو السنة النبوية كما في المثال المتقدم من كون الصلاة لفظ يطلق على الدعاء في اللغة، إلا أن الاستخدام القرآني لهذه اللفظة جعلها تدل على معنى الصلاة المعروفة التي يصلحها المسلم بالحركات المعروفة، وهذا ما بينته السنة النبوية المطهرة، فالنص القرآني لم يصرح أنه هذا العلم يحمل عنوان الإجمال أو التفصيل الا أنه فهم من خلال السياق ببيان الألفاظ المجملة.

ومن أجل إثبات أن هذا العلم ورد بالمفهوم بالنص القرآني لا بالمصطلح الصريح سيعمد الباحث بإيراد بعض الشواهد القرآنية على سبيل المثال لا الحصر الدالة على وجود هذا المفهوم في النص القرآني الذي بينه السياق القرآني في موضع آخر؛ بمعنى هناك آيات أوردت الفاظ مجملة بُيّنت وفصلت في موضع آخر كقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (٣)، فلفظة "أنعمت" جاءت في سياق هذه الآية مجملة من دون تبين منه سبحانه وتعالى من هم المشمولون بهذا الانعام الذين شملوا بهذه العناية والرحمة والفضل والانعام من الله تعالى بحيث اهدتوا إلى صراط مستقيم الموصل إلى الحق تعالى، فاستحقوا الحياة الدائمة والنعيم الابدي الذي لا يزول، وهذا الاجمال قد رفع في موضع آخر من النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٤)، بأن أجمع جمع من المفسرين (٥) أن هذا البيان في سورة الناس قد رفع وبين الإجمال في سورة الفاتحة، وهذا يدل على أن المجمل والمفصل ورد

(١) هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، ٤/١٨١.

(٢) الأصولان في علوم القرآن، أ.د. محمد عبد المنعم القيوعي، ٣٥٩.

(٣) سورة الفاتحة، جزء من الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٥) يُنظر: جامع البيان، الطبري، ١/٧٦. والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١/٤٢. والكشاف، الزمخشري، ١/٦٩. والتفسير الكبير،

الرازي، ١/٢٦٠. وأضواء البيان، الشنقيطي، ١/٣٥-٣٦. والميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١/٣٠.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

مفهوماً بينه السياق من خلال حمل المفصل أو المبين على المجل.

الامر الآخر الدال على أن "المجل والمفصل" وردا مفهوماً هو أن السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ)

وهو من الأعلام المحققين الشيعة في العصر الحديث لم يتفق مع ما ذهب إليه المفسرون من أن الاجمال

في سورة الفاتحة في لفظة "أنعمت" فصلته وبينته الآية في سورة النساء لهذا ذهب أن الاجمال بينته آية

أخرى هي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿١﴾، وقد علل هذا البيان وحمل

المبين في سورة مريم على المجل في سورة الفاتحة بقوله: "بعد أن أثبت تبارك وتعالى بأنه هو المستحق

للحمد والثناء بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ (الفاتحة: ٢-٤)

لَقَدْ عَابَدَهُمْ قُلُوبُهُمْ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ (الفاتحة: ٥).

ثم أشار تعالى إلى أحوال البشر بعد إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإتمام الحجة عليهم، وأنهم قد

انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من شملته العناية الإلهية والنعم القدسية، فاهتدى إلى الصراط المستقيم، فسلكه إلى مقصده

المطلوب وغايته القصوى، ولم ينحرف عنه يميناً ولا شمالاً.

الثاني: من ضل الطريق فانحرف يميناً ويسيراً إلا أنه لم يعاند الحق، وإن ضل عنه لتقصيره، وزعم

أن ما اتبعه هو الدين، وما سلكه هو الصراط السوي.

الثالث: من دعاه حب المال والجاه إلى العناد فعاند الحق ونازبه، سواء أعرف الحق ثم جده أم

لم يعرفه. ومثل هذا - في الحقيقة - قد عبد هواه، كما أشار سبحانه إليه بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ

هُوَهُ ﴿الجاثية: ٢٣﴾.

وهذا الفريق أشد كفرةً من سابقه، فهو يستحق الغضب الإلهي بعناده زائداً على ما يستحقه بضلاله.

وبما أن البشر لا يخلو من حب الجاه والمال، ولا يؤمن عليه من الوقوع في الضلال، وغلبة الهوى

ما لم تشمله الهداية الربانية، كما أشير إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا

مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿النور: ٢١﴾.

لئن الله عبده أن يطلبوا منه الهداية، وأن يقولوا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ (الفاتحة: ٦ - ٧) فالعبد يطلب من ربه الهداية المختصة

بالمؤمنين، وقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة: ٢١٣﴾.

(١) سورة مريم، الآية: ٥٨.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ويسأله أن يدخله في زمرة من أنعم عليهم وفي السالكين طريقهم، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (١٩: ٥٨). وأن لا يسلك طريق الطائفتين الزائغتين عن الهدى: " الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ " (١).

أما الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فقد بين الأسباب التي جعلته يرتضي بأن بيان الآية سورة النساء بدل سورة مريم للفظة "أنعمت" في سورة الفاتحة بقوله: أسباب ارتضائه لآية سورة النساء بدلاً من آية سورة مريم، المبينة والموضحة لآية سورة الفاتحة فقال: "فان قيل: فهلا فسرها آية مريم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، قيل لا نسلم أولاً أن هذه الآية في النبيين فقط لقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وقوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ وهذا تصريح بالأنبياء وغيرهم. وكيف وقد ذكرت مريم وهي صديقة على أحد القولين! ولو سلم أنها في الأنبياء خاصة، فهم بعض من أنعم الله عليهم، وجعلهم في آية النساء صنفاً من المنعم عليهم، فكانت آية النساء من حيث هي عامة أولى بتفسير قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولأن آية مريم ليس فيها إلا الإخبار بأن الله انعم عليهم، وذلك هو معنى قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ والرغبة إلى الله تعالى في الثبات عليها، هي نفس الطاعة لله ولرسوله، فإن العبد إذا هدى إلى صراط المستقيم، فقد هدى إلى الطاعة المقترضية أن يكون مع المنعم عليهم وظهر بهذا أن آية النساء أمس بتفسير سورة الحمد من الآية التي في سورة مريم" (٢)، والباحث يذهب إلى مذهب إليه السيد الخوئي ويوافق له للأسباب التي ذكرها، كونه أصاب فيما قصد إليه(٣).

ومن هذا المنطلق والاختلاف الحاصل في نقل المبين على المجمل في سورة الفاتحة بأن تحمل على سورة النساء أم سورة مريم يؤكد ما ذهب إليه الباحث من أن هذا العلم ورد بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح؛ لأنه لو ورد بالمصطلح الصريح لحمل المجمل على المبين بلا خلاف إلا أن رجوع القضية للمفهوم والاختلاف بالمصاديق الخارجية يعطي نتيجة أن "المجمل والمفصل" مفهوم ينطبق على مصاديق كثيرة تخضع للاجتهاد والاستنباط من قبل العلماء، وعليه لا بد من القول أن للنص القرآني

(١) يُنظر: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٤٢٣-٤٢٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٩٥/٢-١٩٦.

(٣) يُنظر: تفسير القرآن بالقرآن (دراسة منهجية)، د. فاضل النعيمي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

المدخلية الأساس في الإشارة لهذا العلم، وعلى العلماء اتباع الطريق الذي رسمه القرآن الكريم في بيان ما أجمله بالحمل على ما فصله.

والمثال الآخر قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١)، ففي هذه الآية ورد اجمال في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، لأن هناك تردداً في النفي لرؤية الخالق تعالى أصلاً؛ والسبب أن الله تعالى لا يُرى بالابصار، أو أنه يرى، وهنا الله سبحانه وتعالى خالف جميع المخلوقات والموجودات، وكذلك بين الحصر والاحاطة والتحديد دون أصل الرؤية، كما تدرك سائر المخلوقات والموجودات، وأن الخالق تعالى أورد هذا الشيء بالآية في سياق التمدح، والمعلوم أن المدح يكون في الصفات الثبوتية، والنفي يكون في حال تضمن أمراً وجودياً^(٢)، ووسيلة إزالة ورفع هذا الاجمال هو ما دلّ عليه النص القرآني الذي فسر من خلال السياق هذا الاجمال الذي يعدّ من القرائن المنفصلة اللفظية، في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾^(٣)، فمعنى الآية "هم ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم، وبصره بهم، فذلك قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾"^(٤)، وأن النفي للإدراك في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فأن المسلمين يرونه، والله تعالى يدرك الابصار في الدنيا والآخرة، والسبب أن الله تعالى أخبر بذلك، واستثنى منه من خلال قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾^(٥)، كما نقل عن ابن عباس^(٦)، وهناك آيات أخرى استدلت بها من ثبت الرؤية، والتي تعدّ رافعة للإجمال في سورة الانعام، ما ورد عن الكافرين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿٧﴾﴾^(٧)، فالمعنى أن الله تعالى عندما حُجب عن الكفار خزيًا لهم دلّ العكس بأن الابصار يرونه تعالى وجهه قال الطبري (ت ٣١٠هـ): "وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحب، فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه يومئذ محجوبون كما قال جل ثناؤه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿٧﴾﴾ [المطففين: ١٥]"^(٨)، وهذه المسألة من المسائل

(١) سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

(٢) يُنظر: التبيان، الطوسي، ٢٢٣/٤. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥٤/٧-٥٥. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/٢١٦.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٧/٢٩٩.

(٥) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.

(٦) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥٤/٧. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/١٦١.

(٧) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٨) جامع البيان، الطبري، ٧/٣٠٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

العقدية المختلف فيها بين المذاهب الإسلامية وهي رؤية الله تعالى من عدمه في يوم القيامة فمنهم من أثبتها، ومنهم من نفاها، والباحث مع الرأي النافي لرؤية الله تعالى كونه تعالى قال في محكم كتابه المجيد: ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

فيتبين من المثال الاخير أن "المجمل والمفصل" ورد مفهوماً في النص القرآني مما جوز للبعض حمله على مصاديق متعددة حتى وأن كانت هذه المصاديق مخالفة للعقيدة التي أشار إليها القرآن الكريم، فعدم الإشارة بالمصطلح الصريح لبعض الآيات أوقع جملة من العلماء في المحذور العقدي من خلال حمل المجمل على المفصل، وهذا الحمل والبيان مرفوضاً عقائدياً.

ويخلص الباحث إلى أن النص القرآني له المدخلية في تحديد مفاهيم علوم القرآن وتحديدها والتأسيس لها بجعلها مرجعاً يرجع له سواء في بيان النص القرآني، أو الاستقادة منه لسائر العلوم، وهذا الامر واضح جلي لمفهوم "المجمل والمفصل" في علوم القرآن.

(٥) مفهوم المطلق والمقيد:

ورد المطلق والمقيد بالمفهوم أيضاً في النص القرآني، وقد أشار إليهما القرآن الكريم من بعض الآيات، ودلّ عليهما السياق التي وردا به، وكون هذا العلم ورد مفهوماً لا مصطلحاً في النص القرآني لا بد من بيانه بالرجوع إلى المعاجم اللغوية من أجل بيان معنى الاطلاق والتقييد المراد بالنص، وقد تم بيان ذلك بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الاول في هذه الاطروحة^(٢) كل ذلك من خلال الاخذ بما يلائم المعنى الوارد في النص القرآني، فقد جاء في المعنى اللغوي للمطلق بأنه مأخوذ من الشروع والارسال، أما المقيد فهو مأخوذ من الحبس والمنع والتضييق^(٣)، فما يلائم النص القرآني هو الشروع في الاطلاق بحيث يكون الحكم شاملاً لجميع الافراد، والتضييق في المقيد بان يقيد الحكم ببعض المقيدات التي تخرجه من الاطلاق إلى التقييد فيضيق الحكم.

فاذا رجعنا إلى الاقدمين نجد أنهم عرفوا المطلق بتعاريف تكشف عن قاعدة كلية متى ما انطبقت دلت على اطلاق اللفظ، فعندما يُعرف بأنه ما شاع في جنسه^(٤)، فقد عرفه الأمدي (ت ٦٣١ هـ) بقوله:

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) يُنظر: ص ٨٨-٨٩ من الاطروحة.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٢٠/٣ (مادة: قيد).

(٤) شرح التلويح على التوضيح، صدر الشريعة، ٦٣/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

"المطلق هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه"^(١)، فكل لفظ شائع يكون مطلقاً فالملاحظ لهذا المفهوم القرآني أنّ معناه قد شاع في جنسه، وما يقابله يكون مقيداً^(٢)، وهذا الشياح بالمعنى أشار إليه النص القرآني بواسطة السياق الذي دلّ على أنّ المعنى مشاع في هذه الآية أو تلك، كون المطلق "هو ما دل على فرد أو أفراد شائعة بدون قيد مستقل لفظاً"^(٣)، فما لم يقيد من اللفظ يكون مطلقاً وهذا ما وُجد في النص القرآني بأن يأتي اللفظ غير مقيد في السياق القرآني؛ لأنّ المطلق "اللفظ الخاص الذي لم يقيد بقيد لفظي يقلل من شيوعه"^(٤)، فكل التعاريف أعطت للمطلق التعريف بالمفهوم لا من حيث المصاديق الخارجية، بمعنى وجود قاعدة كلية للمطلق فعند انطباقها على النص يحكم بكونه مطلقاً، وفي عدم وجودها يكون مقيداً، فكل لفظ دلّ على ماهية غير مقيدة بشيء يقلل من شيوعتها^(٥)، فالملاحظ على من عرف الاطلاق فقد بينه بالمفهوم الذي ينطبق على مصاديقه، وبتعريفهم جعلوه مصطلحاً، الا أنه بالرجوع للنص القرآني نجد أن هذا الامر لم يشر إليه النص القرآني بالمباشر، بل أشار إليه بالمفهوم الذي يستنتج من السياق.

أما بالنسبة للمقيد فقد وُضعت له ضابطة تفرقه عن المطلق وهي الوصف بأمر زائد عن حقيقة الشيء المشاع^(٦)، لهذا فهو يقابل المطلق بأن يدل على ماهية مقيدة بقيد من قيودها أو فيه دلالة تدل على تقيده^(٧)، وهذا ما يراه السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ هـ) فكل ما تصورت معنى فيه وصفاً أو حالة فهو مقيد، أما إذا تصورته من دون وصف أو حالة معينة فهو مطلقاً، فبين الاطلاق والتقييد خصوصية زائدة عن طبيعة الشيء إن وجدت فهو مقيد وإلا فهو مطلق^(٨)، وعرفه من المعاصرين محمد أديب الصالح بقوله: "هو اللفظ الذي يدل على الماهية بقيد يقلل من شيوعه"^(٩).

إنّ مفهوم الإطلاق والتقييد بهذا المعنى قد وُجد في النص القرآني وكان للقرآن الكريم المدخلية والمنطلق في تأسيسه؛ لأنّ بعض الآيات أشارت للمطلق وأخرى أشارت للتقييد من دون التصريح بهما الا أن السياق القرآني والمعنى والبيان للآيات كشف عن هذا المفهوم، وكما هو معلوم أن النص القرآني

(١) الأحكام، الأمدي، ٢/٣.

(٢) اصول الفقه، محمّد رضا المظفر، ١: ١٧١.

(٣) أصول الفقه، الخصري، ٢٣٩.

(٤) أصول التشريع الإسلامي، الشيخ علي حسب الله، ٢٢٥.

(٥) يُنظر: تفسير النصوص، الدكتور محمد أديب الصالح، ٧١٩.

(٦) يُنظر: روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة ٢/٢١٩.

(٧) يُنظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، ٢٧٨.

(٨) دروس في علم الأصول السيّد محمّد باقر الصدر، ٢/٢٠٦.

(٩) تفسير النصوص له، محمد أديب الصالح، ٧٢٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ساير لغة العرب وأساليبهم في الكلام فلا بد من وجود إطلاق وتقييد فيه قطعاً، فلا بد من العناية والتسليم بوجود هذا المفهوم في القرآن الكريم وحمل المطلق على التقييد، وهذا يتطلب التمييز بينهما من أجل الوصول إلى البيان الصحيح للآيات القرآنية، فلا بد من الاعتناء بهذا العلم الذي يتطلب الفهم الصحيح لهما، الذي يأخذ بأيدينا إلى الفهم الصحيح لمراد الله تعالى من النص القرآني^(١)، لهذا نجد أن السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) أكد تأثير المقيد على المطلق فيكون المقيد قرينة للتصرف في ظهور المطلق، كما أنه لا فرق بين تقدم المقيد أو تأخره على المطلق^(٢)، هذه الأمور تكشف عن أهمية هذا المفهوم ووجوده في النص القرآني إلا أن المنتبغ لآيات القرآن الكريم لا يجد التصريح المباشر بهذا العلم إلا أن النص القرآني كشف عنه من خلال مدخلية هذا المفهوم في بيان معاني الألفاظ القرآنية التي وردت مطلقة أو مقيدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر للمطلق الذي هو كثير في النص القرآني قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(٣)، لفظة (أزواجاً) جاءت مطلقة من دون كل وصف لها، وهي بهذه الاطلاق تشمل الزوجة المدخول بها أو غير المدخول بها، فعند بيان هذه الآية يؤخذ الحكم على اطلاقه بأن الرجل الذي يموت يجب على زوجته أن تعتد سواء التي دخل بها أم لا فتعتد عدة الوفاة "أربعة أشهر وعشراً"^(٤)، ومن المطلق أيضاً قوله تعالى: ﴿ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٥)، ففي قوله تعالى "فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ" جاءت لفظة "أيام" مطلقة غير مقيدة، لكونها لم توصف بزمن أو شرط كالمتتابع مثلاً، كما أنه لا يوجد نص قرآني آخر في موضع آخر من القرآن الكريم يقيد هذا الاطلاق بأن من يفطر في شهر رمضان لمرض أو لسفر بأن يقضي ما أفطره من الايام بالمتتابع، فالسياق القرآني بإطلاق اللفظة أعطى المكلف الحرية بالقضاء سواء متتابع أو متفرق، فلا مجال لبيان هذا القضاء إلا على حمل المطلق على اطلاقه^(٦)، وهذان النصان القرآنيان يكشفان على وجود مفهوم المطلق في النص القرآني، ولا بد من الإحاطة به

(١) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكور مبيدي، ٢٠٠.

(٢) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ٣١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٤) يُنظر: حاشية ابن عابدين، ٥١٠/٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٦) التفسير بالرأي، محمد حمد زغلول، ٢٧٧.

من أجل تشخيصه وبيان النص الذي ورد به الإطلاق.

أما من التقيد ووروده في النص القرآني فهو كثير أيضاً فعلى سبيل المثال في آية الظهر فقد ورد في كفارته قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ۗ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۗ﴾^(١)، والتقيد هنا هو تقيد صيام الشهرين بالتتابع فقد وصف هذا الصوم بالتتابع، والمعنى أنه لا يجوز صيام الشهرين متفرقات أو متقطعات فلا بد من التتابع بهما لوجود قيد التتابع، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۗ﴾^(٢)، فاللفظ المقيد هنا "الدم" وصف بالمسفوح وبهذا الوصف لم يكن مطلقاً، بل قصره على بعض أنواع الدم لا مطلق الدم، وهنا الحكم يكون الدم المحرم هو المسفوح فلا يشمل الدم المتبقي في الذبيحة بعد الذبح التذكية الشرعية^(٣)، فهذين المثالين من النص القرآني ورد فيهما التقيد موصوفاً بوصف زائد عن حقيقة اللفظين نفسيهما، فالتتابع في كفارة آية الظهر وصفت بهذا الوصف الزائد على حقيقة الشهرين نفسيهما، وأيضاً لفظة "السفوح" في الآية الثانية جاءت وصفاً زائداً على حقيقة الدم نفسه، فاللفظان مقيدان ويجب العمل بتقيدهما ما لم يدل الدليل على إطلاقهما، بمعنى يدل الدليل على إلغاء القيد^(٤).

مما تقدم ينبغي للباحث أن "المطلق والمقيد" وردا مفهوماً في النص القرآني وكان للنص القرآني مدخلية في هو الكشف عنهما من خلال السياق المبين للألفاظ التي وردت في بعض الآيات التي بينت أن هناك في القرآن الكريم ألفاظاً لا بد أن تحمل على الإطلاق والشيوع في جنسها، وهناك من الألفاظ ما خرجت عن حقيقتها من خلال الوصف فوردت مقيدة للفظ، وهذا الأمر تدل على أن النص القرآن قد أسس لها المفهوم في القرآن الكريم ووضع له القواعد إلا أنه لم يورده باللفظ الصحيح بأن يقول هنا اللفظ مطلق أو مقيد فكان هذا الشيء استنتاجاً لما تقدم بأن القرآن جاء بلغة العرب في الجزيرة العربية التي حوت من الإطلاق والتقيد الكثير فناعم النص القرآني هذه اللغة فجاء بألفاظ مطلقة تارة ومقيدة تارة أخرى. والباحث أورد هذا البيان والاقوال في "المطلق والمقيد" والامثلة القرآنية لهما من أجل إثبات أن هذا العلم قد وجد في النص القرآني وأشار إليه في بعض آياته إلا أنه أوردته بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح

(١) سورة المجادلة، الآية: ٤.

(٢) سورة الانعام، الآية ١٤٥.

(٣) يُنظر: تفسير النصوص، ٧٢٨.

(٤) التفسير بالرأي، محمد حمد زغلول، ٢٧٨.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
فيكون للنص القرآني المدخلية الأولى في تقنين هذا العلم والتأسيس له بجعله علماً من علوم القرآن التي
لها المدخلية الكبيرة في بيان مراد الله تعالى من الفاظ القرآن الكريم.

(٦) مفهوم المكي والمدني:

المكي والمدني من المفاهيم النابعة من النص القرآني، والتي نبعت من استنتاج النص القرآني،
فالنص القرآني حوى جميع المفاهيم التي ترفد المنظومة المعرفية في بيانه وتفسيره، ومفهوم "المكي
والمدني" أحد هذه الروافد التي تيسر الفهم الصحيح له، لهذا عدَّ "المكي والمدني" من المباحث القرآنية
المهمة، وعليه حاول علماء علوم القرآن الإحاطة به وبيانه ووضع الضوابط الدالة عليه، لهذا شغل هذا
المفهوم أذهان العلماء والمفسرين مدة طويلة، وأخذ حيزاً واسعاً في مضمار العلوم التي أشار إليها النص
القرآني، إذ أولى المفسرون عناية كبيرة بدراسته والبحث فيه وتتبع الآيات المكية والمدنية ومحاولة حصرها
بدقة متناهية ضمن معايير وضوابط خاصة.

فمن أجل إثبات مدخلية النص القرآني في التأسيس لهذا المفهوم لابد من التطرق إلى المعنى
الاصطلاحي للفظ "المكي والمدني"، وقد تم التفصيل في بيان المعنى اللغوي في المبحث الثاني من
الفصل الأول من هذه الأطروحة^(١)، وقد جاء بأن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة^(٢)، فهو اصطلاح
أطلقه علماء علوم القرآن على السور والآيات التي نزلت في مكة المكرمة بالفترة الزمنية للدعوة الإسلامية
في مكة، وعند مقابلة هذا المصطلح مع النص القرآني نرى أنّ النص القرآني لم يشر إلى هذا المعنى
باللفظ الصريح، إنما دلّ السياق أو الروايات على تحديدها، أما المدنية فعرف اصطلاحاً بما نزل خطاباً
لأهل المدينة المنورة^(٣)، أو هو اصطلاح أطلقه العلماء على السور والآيات التي نزلت في الفترة الزمنية
للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، فما نزل من القرآن الكريم في مكة يسمى بالسور والآيات المكية،
وما نزل منهما في المدينة تسمى بالآيات والسور المدنية، وهذا المعنى كما يلاحظ اصطلاحاً من قبل
العلماء قائم على الروايات وما نُقل من أحداث ووقائع صاحبت زمن النزول تبعها بعد ذلك استنتاج
بتحديد من العلماء من كونها مكية أو مدنية مما يدل أنها وردت بالمفهوم في النص القرآني؛ كون النص
القرآني لم يشر في السياق الكلامي لآياته ان هذه الآية مكية أو مدنية.

لو رجعنا إلى أقوال العلماء لوجدنا في المكي والمدني تفصيلاً وآراء وضوابط للمعنى الاصطلاحي،

(١) يُنظر: ص ٩٠-٩١ من الأطروحة.

(٢) يُنظر: البرهان في تفسير القرآن، البحراني، ١/١٨٧، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٩/١. ومناهل العرفان في علوم القرآن،
الزرقاني، ١/١٩٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٩/١. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ١/١٩٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم من قبيل إطلاق الاصطلاح ومستنده، وقد تم بيان هذا الأمر في المبحث الثاني من الفصل الأول من الاطروحة^(١)، حيث تم ذكر الآراء في المعنى الاصطلاحي لـ "المكي والمدني" وخلاصة ما توصلت إليه أن العبرة في تحديد المكي والمدني عند علماء علوم القرآن هو زمن النزول فأن كان قبل الهجرة فهو مكي وأن نزل بغير مكة، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وان نزل بمكة أو غير مكة، وهنا يُلاحظ أن العلماء اتخذوا من زمن النزول معياراً لتحديد "المكي والمدني"، لكنّ النصّ القرآني لم يشر إلى هذا الفهم في تحديد "المكي والمدني"؛ لكونه لم يذكر هذا المعيار بالنص الصريح، أو أشار إلى النصوص القرآنية وحددها باللفظ الصريح بأنها مكية أو مدنية، فيكون هذا الامر استنباطياً من قبل العلماء، وهو رأي من عدة آراء.

ومن المعلوم أنّ هذا التبيان في بيان التعريف الاصطلاحي لـ "المكي والمدني" يجعل منه مفهوماً أشار إليه القرآن الكريم، وبينه العلماء واختلفوا في تعريفه فجعلوا له عدة تعاريف كل حسب النظرة أو الضابطة التي وضعها له، في حين نجد بعض العلماء من رجح بين هذه الاصطلاحات بمرجحات، ورفض الباقي لأسباب قدمها أيضاً، لهذا نجد أنّهم رجحوا الاصطلاح الثالث وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وآله سلم إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وبهذا الترجيح للتعريفات الاصطلاحية التي ذكرت لمفهوم "المكي والمدني" يتوصل الباحث إلى أن النص القرآني قد أورد "المكي والمدني" بالمفهوم لا المصطلح الصريح، والسياق القرآني لبيان الآيات وضح وبين زمن ومكان نزول الآيات مما أعطى المساحة الواسعة للعلماء بالاجتهاد وابداء الرأي في بيان هذا المفهوم وحصره بمعنى راجح عن بقية المصطلحات والتسميات كل حسب اجتهاده ودراسته للأحداث التي نزل بها النص القرآني، فإنّ "المكي والمدني" كان مفهوماً لا مصطلحاً تم وروده في النص القرآني فلم يتم الإشارة إليه بالمصطلح الصريح فيه؛ لأنه لو تم الإشارة إليه بالنص الصريح لما اختلف في بيانه وتحديده، وهذا الأمر ما يصبو إليه الباحث بأن النص القرآني له المدخلية الأولى في تحديد مفاهيم علوم القرآن، وهو المؤسس الأول لها.

(٧) مفهوم الوجوه والنظائر:

من المفاهيم التي أشار إليها النص القرآني مفهوم "الوجوه والنظائر" وأفصح عنها السياق القرآني من خلال بيان بعض الالفاظ التي أشارت إلى هذا المفهوم، وذلك من خلال بيان بعض الالفاظ

(١) يُنظر: ص ٩٤ من الاطروحة.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

المتشابهة بالألفاظ الا أنها تدل على معانٍ مختلفة تختلف حسب السياق التي وردت فيه. ومن أجل إثبات أنّ "الوجوه والنظائر" وردت كمفهوم في النص القرآني يتبن ذلك من خلال الرجوع إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لهما، وقد تم بيان هذا الامر في المبحث الثاني من الفصل الأول للأطروحة (١)، وقد تبين هناك أن معنى الوجوه في اللغة أن الوجوه جمع لوجه ويقصد بها الكلام الطريق أو السبيل الذي يقصده الشخص، أما وجه كل شيء المستقبل، أما المعنى اللغوي للأشياء فمفرده شبه أو شبيه بمعنى المثل، والنظير جمع نظائر بمعنى المثل فيقال: نظير الشيء بمعنى مثله. ونتيجة ما تقدم للمعنى اللغوي التقارب بالمعنى كون المعنى يدل على التماثل والتشابه بين الأفعال والأقوال والأشياء، وهذا الامر واضح جلي في الفاظ القرآن الكريم بوجود الفاظ تشابهت باللفظ واختلفت بالمعنى.

أما من جهة المعنى الاصطلاحي فيقصد به أن اللفظة الواحدة في النص القرآني تكررت بنفس الحروف الا أن معناه يتغير بتغير السياق الواردة فيه، فهو اتحاد الكلمة من جهة اللفظ، والاختلاف من جهة المعنى ومعنى ذلك هو الاتحاد الكلمة الواحدة باللفظ، والاختلاف بالمعنى، فإنّ الذي يهم بأن النص القرآني أورد الفاظاً في مواضع متعددة بلفظ واحد وحركة واحدة، غير أن المعاني تختلف من موضع لآخر.

كما جاء أن معنى الوجوه لفظ مشترك أُستعمل في معاني عدة، والنظير شابه الالفاظ المتوائمة بأنها الفاظ كلية تنطبق على أفرادها سواء التي في الذهن أو في الخارج بالسوية (٢)، ومعنى ذلك أن الوجوه تعتمد على تعدد المعاني، والنظائر على الاتفاق والتشابه والتماثل (٣)، وكلاهما "يدور حول محور واحد؛ وهو اتحاد اللفظ وتعدد المعنى" (٤).

وخلاصة القول لما سبق أن كان يدل على شيء فإنّه يدل على أنّ النص القرآني جاء بألفاظ متحدة لمعانٍ متعددة، مما يدل أيضاً أن للنص القرآني المدخلية الواضحة والمؤثرة في تحديد هذا المفهوم من الإشارة إلى مصاديقه الخارجية -الالفاظ التي وردت في النص القرآني التي دلت على الوجوه

(١) يُنظر: ص ٩٥-٩٦ من الاطروحة.

(٢) يُنظر: البرهان، الزركشي، ١/١٩٣. والاتقان، السيوطي، ١/٤٤٥. ومفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبرى زاده، ٢/٤١٥. وكشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ٢/١٣٩١. والوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوى محمد العوا، ٤٤ - ٤٧.

(٣) يُنظر: الاتقان، السيوطي، ١/٤٤٥.

(٤) الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف شرجي، ٣٩٩. وللدكتورة هند شلبي دراسة وافية حول تعريف الوجوه و النظائر ممثلة برسوم بيانية في مقدمتها لكتاب يحيى بن سلام، التصاريف، ١٧-٢٤، وقد نقل ذلك عنها علي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم، ٤/ ٢٥٣-٢٥٤.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

والنظائر - التي بينت أن النص القرآني أورد هذا العلم بالمفهوم لا اللفظ الصريح، وقد استدل العلماء بالمصاديق الواردة في النص القرآني وأسس هذا العلم ليكون علما من علوم القرآن.

والأمر الآخر الذي يدل أن "الوجوه والنظائر" وردت بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح أن هناك بعض الالفاظ القرآنية وردت باللفظ نفسه الا أن معانيها متعددة ومتنوعة حسب السياق الذي وردت فيه، ومن الالفاظ التي جاءت بلفظ واحد ومعانٍ متعددة لفظة "أمة" التي جاءت في " القرآن على تسعة أوجه أشهرها خمسة:

١- (القوم)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ (١).

٢- (الملة) كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ﴾ (٢).

٣- (المدة) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُؤُا إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۗ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۗ﴾ (٤).

٤- (الإمام) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۗ﴾ (٥).

٥- (الخلق من كل جنس) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتًا لَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۗ﴾ (٦) (٧).

والمثال الثاني لفظة "الأهل" فأنها "تأتي في القرآن على ثمانية أوجه أشهرها سبعة:

(١) سورة النحل، الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٣) سورة هود، الآية ٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٦) سورة الانعام، الآية: ٣٨.

(٧) الموسوعة القرآنية المتخصصة، محمود حمدي زقزوق، ٦٠٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

- ١- (ساكنو القرى) كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (١).
- ٢- (قرآء التوراة و الإنجيل) كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٢).
- ٣- (الأصحاب) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٣).
- ٤- (الزوجة و الأولاد) كما في قوله تعالى: ﴿ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٤).
- ٥- (القوم و العشيرة) كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنَ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنَ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (٥).
- ٦- (المختار له) كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٦).
- ٧- (المستحق) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (٧) (٨).

وبناءً على ما تم ذكره من لفظتين على سبيل المثال لا على سبيل الحصر يخلص الباحث إلى أنّ "الوجوه والنظائر" قد ورد في النص القرآني كمفهوم لا كمصطلح صريح، وقد أشار إليه النص القرآني من خلال السياق الذي وردت فيه الالفاظ التي تدل على أن هناك ألفاظاً قرآنية وردت بلفظ واحد الا

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٤) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٦) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٧) سورة المدثر، الآية: ٥٦.

(٨) الموسوعة القرآنية المتخصصة، محمود حمدي زقزوق، ٦٠٤.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

أنها تدل على معانٍ متعددة كلٌ بحسب المعنى الذي يتبين من خلال السياق القرآني، وبهذه الحالة يكون النص القرآني له المدخلية الأساسية في التأسيس لهذا المفهوم من خلال ايراد المصاديق له، والتي استخرجها العلماء من خلال تطبيق معنى مفهوم "الوجوه والنظائر" الذي بينوه من خلال التعريف له، والاصطلاح له تحت هذه التسمية.

المطلب الثاني: مفاهيم تاريخ القرآن من القرآن الكريم:

في المطلب الأول من هذا المبحث تم بيان مفاهيم علوم القرآن التي أشار إليها النص القرآني بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح، وأسس لها، وهنا الكلام بمفاهيم التي ترجع إلى "تاريخ القرآني" أشار إليها النص القرآني بالمفهوم أيضاً، فأن هناك من العلوم والمباحث التي حواها القرآن الكريم أشارت إلى "تاريخيته"، فعلم "تاريخ القرآن" في النشأة والتكوين للقرآن الكريم، والمراحل التي مر بها من حيث الوحي وكيفية نزوله، وأسباب هذا النزول، وكيفية تدوينه، فإنه علم يختص ببعض علوم النص القرآني التي تشير بوجود أحداث تاريخية مرّ بها النص القرآني من بدأ نزوله إلى كتابته وجمعه، والباحث هنا يريد أن يسلط الضوء على أن هناك من العلوم التي أشار إليها النص القرآني تابعة لمصطلح "تاريخ القرآن" وبعضها تابع لمصطلح "علوم القرآن"، وهناك من جعل جميع العلوم تابعة لمصطلح "علوم القرآن"، وما سيتم الكشف عنه هنا هو ايراد المباحث التي أشار إليها النص القرآني بالمفهوم ومندرجة تحت مصطلح "تاريخ القرآن"، وقد تم التوسع في هذا المطلب في الفصل الأول المبحث الثالث من هذه الأطروحة^(١)، وقد اتضح في حينه أن "تاريخ القرآن" مرتبط بنزوله وما يرتبط بها من علوم "نزل القرآن بأرقى صور الوحي، وتأريخ نزوله يمثل تأريخ القرآن في حياة النبي (ﷺ)، وهو تأريخ يستغرق ثلاثة وعشرين عاماً^(٢)"^(٣)، وأن هذه الفترة الزمنية تمثل تاريخ القرآن باجمعها، فحقة نزول القرآن تمثل تاريخ الاسلام كله من ضمنها نزول القرآن، وما يرتبط منها بأبحاث تاريخية من اسباب نزوله، ووحيه، وجمعه، وترتيبه.

ملخص ما تقدم أن "تاريخ القرآن" شمل علوماً عدة احاطت بتاريخيه، والباحث هنا سيدرس المفاهيم

(١) يُنظر: ص ١٠٣-١٠٤ من الأطروحة.

(٢) هنالك عدة أقوال في مدة نزول القرآن؛ فقيل. عشرون، أو ثلاث وعشرون، أو خمس وعشرون سنة. وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته (ﷺ) بمكة بعد النبوة، فقيل عشر سنوات، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة. ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة إنها عشر. (يُنظر: الزركشي، ٢٣٢/١. فإذا علمنا أنه (ﷺ) أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وعمره ثلاث وستون سنة، ترجح أن تكون مدة الوحي ثلاثة وعشرين عاماً.

(٣) تاريخ القرآن، الدكتور محمد الصغير، ٣٣.

التي أشار إليها النص القرآني التابعة لتاريخ القرآن لا لعلوم القرآن، وهذه المفاهيم هي:

(١) علم أسباب النزول:

هذا العلم وأن لم يذكر باللفظ والمصطلح الصريح كعلم لتاريخ القرآن الا أنه يستنتج من النص القرآني كون أن هناك آيات قرآنية ارتبط نزولها بحدث في زمن نزول النص القرآني أو بسبب سؤال وجه إلى النبي محمد (ﷺ)^(١)، لهذا جاء بأن معنى "أسباب النزول" الاستبيان أو السؤال أو الحاكية أو الحادثة التي من أجلها نزلت بعض من الآيات القرآنية لأجلها^(٢)، وقد عُبر عن هذا العلم بتسمية "أسباب التنزيل" أيضاً^(٣)، كما أطلق عليه أيضاً "أسباب نزول القرآن"^(٤)، لهذا كان لهذا العلم الأثر المهم في بيان ألفاظ القرآن الكريم، فعد من العلوم الي يجب على المفسر العلم بها^(٥).

والنص القرآني زاخر بآيات تبين بين طياتها، وتكشف أن هناك سبباً أو حادثة أو سؤالاً نزلت من أجله هذه الآية أو تلك وعلى سبيل المثال في السؤال الذي يكون سبباً لنزول الآيات التي جاءت مجيبة لسؤال وجه للنبي محمد (ﷺ)، وقد تنوعت الأجوبة فمنها ما كان جواباً لسؤال ماضٍ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(٦)، وفي بعضها السؤال عن شيء حاضر كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٧)، أو عن مستقبلٍ نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٨)،^(٩)، ومما لا شك فيه أن "سبب النزول" أمرٌ واقعيٌّ مفروغٌ منه بأن الآية قد نزلت بسببه، فأن هذا العلم لا يخضع ولا يدخل في باب الاجتهاد والرأي، لهذا جاء "لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب"^(١٠)، وعليه يعتمد هذا العلم بالشكل الأساسي على النقل الصحيح لا على العقل، ومعنى ذلك أن الطريق الوحيد لمعرفة سبب النزول هو ما نُقل صحيحاً عن الصحابة الذين عاصروا زمن

(١) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ٦٨. ومباحث في علوم القرآن والحديث، عبد المجيد مطلوب، ٥٨ - ٥٩.

(٢) يُنظر: أسباب النزول القرآني، غازي حسين عناية، ١٣.

(٣) يُنظر: بحار الأنوار، المجلسي، ٩٠ / ٤.

(٤) يُنظر: تفسير الحبري، الحبري، ٩١.

(٥) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ١٠٥.

(٦) سورة الكهف آية: ٨٣.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٥٨.

(٨) سورة النازعات، آية: ٤٢.

(٩) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: ٧٧/١، وعلوم القرآن، عبد الرحيم فرغل البليني: ٣١.

(١٠) أسباب النزول، الواحدي، ٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم النزول، وشاهدوا وعاشوا الوقائع والاحداث^(١)، فالنتيجة لا مجال للاجتهد وإبداء الرأي المنفرد في هذا العلم، وعليه لا بد من التحري عن الروايات التي نقلت الاحداث التي أحاطت بنزول النص؛ لان النبي محمد (ﷺ) حذر من الاخذ بالروايات من دون تحرٍ صحيح وذلك ما أخرجه الواحدي بسنده عن ابن عباس عن النبي محمد (ﷺ) أنه قال: "انقوا الحديث إلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم، فليتبوأ مقعده من النار"^(٢)، فلا بد من التحري بنقل ما روي من أحداث أحاطت بالنص القرآني وخصوصاً روايات "أسباب النزول".

ومما تقدم يرى الباحث أنّ "أسباب النزول" وردت على نحو المفهوم في النص القرآني كونه ينطبق على كل ما نزل بالنص القرآني بسبب سواء لحادثة أو بيان لسؤال أو استبيان، فهو مفهوم ينطبق على مصاديق متعددة في النص القرآني، وأنه لم يرد بالمصطلح الصريح المباشر فأصبح أمراً يعتمد في أثباته على من حُوطب بالقرآن الكريم ووكل إليه أمر بيانه وهو النبي محمد (ﷺ) واهل البيت (عليهم السلام)، والخوض في هذا المفهوم وتخصيصه يعتمد بالشكل الأكبر على الاحداث التاريخية التي أحاطت نزول النص ونُقلت على الالسن من قبل الرواة لهذه الاحداث التي فيها الصحيح والفاقد التي يتطلب من ناقل هذه الأحداث التقصي الدقيق عن الحادثة وما يحيط بها كل ذلك من اجل إصابة الواقع الصحيح للحادثة التي يبنى عليها فهم النص القرآني.

الأمر الآخر أنّ هذا المفهوم يعتمد على ما نقل من روايات عن رسول الله (ﷺ) ولا سيما إذا كان سبب النزول هو سؤال وجه للنبي محمد (ﷺ) من أجل الإجابة عليه كما تقدم في ذكر بعض الآيات ك السؤال عن "الروح وقيام الساعة" وغيرها، وهذا الامر يعتمد على علم الحديث في التقصي عن صحة الرواية من فسادها فيعتمد ما صح منها ويرفض ما دونها.

ويخلص الباحث هنا أنّ للنص القرآني مدخلاً كبيراً في تحديد هذا العلم وتأسيسه وتقنينه، فإنّ النص القرآني أشار لهذا العلم أولاً إلا أن الإشارة إليه كانت بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح.

(٢) مفهوم جمع القرآن الكريم:

من المفاهيم التي أوردها النص القرآني، وأشار إليها من خلال السياق القرآني للآيات هو: مفهوم "جمع القرآن الكريم"، فالنص القرآني لم يشر إليه بالمصطلح الصريح وإنما دلت الآيات القرآنية بالمعنى بأن القرآن مجموع في زمن النبي محمد (ﷺ)، وهذا المفهوم أفردت به مؤلفات مختلفة تحت مسمى "جمع

(١) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/ ٨٦-٨٧. ودراسات في أصول التفسير، د. محسن عبد الحميد، ٣٨.

(٢) أسباب النزول: ٤، وأخرجه الترمذي: باب الذي يفسر القرآن برأيه: ٢٩٥١، ١٩٩/٥، ومسند الإمام أحمد: باب مسند عبد الله بن

عباس: ٢٩٧٦، ٣٢٣/١. وقال الترمذي: حديث حسن

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

القرآن" (١)، كما ألقت كتب مختلفة في اختلاف المصاحف (٢).

كما أن مفهوم جمع القرآن من المباحث التاريخية المهمة التي وضعت اللبنة الأولى لدراسة كل علم يحيط بهذا المفهوم من رسمه وتنقيطه وغيرها "إن دراسة تاريخ كتابة القرآن الكريم وجمعه تعتبر الخطوة الأولى في أية محاولة لدراسة الرسم المصحفي، لأن مثل تلك الدراسة ستعطي البعد التاريخي لظاهرة الرسم عامة، وتجعل تتبع مراحل تطوره والمحاولات المتلاحقة لتكميله وفهم ظواهره ومشكلاته أمراً أكثر تحديداً ووضوحاً. وتاريخ كتابة القرآن جزء من تاريخ القرآن عامة، وهو تاريخ واسع، لأنه - في الواقع - تاريخ الدعوة الإسلامية من يوم نزل الوحي بالقرآن على رسول الله (ﷺ) إلى أجيال بعد ذلك، ولسنا نهدف - هنا - إلى تناول جميع أبعاد ذلك التاريخ، وما تضمنه من أحداث وإنجازات عظيمة، نعمت البشرية - ولا تزال تتعم إلى اليوم - بها" (٣)، والباحث يقتصر على إثبات ورود هذا العلم بالمفهوم في النص القرآني.

وعليه من أجل بيان أنّ "جمع القرآن" من المفاهيم التي أشار إليها النص القرآني لا من المصطلحات المباشرة، وذلك بالرجوع إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للجمع الذي فصلت القول فيه في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذه الأطروحة (٤)، والذي تبين في محله أنه يقصد به الضم بمعنى ضم الشيء بعد تفريقه، فالمعنى اللغوي يدل على جمع الشيء المتفرق بضمه إلى بعضه فيصبح واحداً، وهو المعنى المراد هنا.

(١) يُنظر: «جمع القرآن» لمحمد فريد حامد، وهو بحث مقدم إلى جامعة الأزهر، كلية أصول الدين عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م. و«جمع القرآن» مقال لمحمد باقر الحكيم في مجلة الرسالة الإسلامية بالعراق، س (٤)، ع (٩)، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

(٢) يُنظر: «اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق» لعبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي، ت ١١٨ هـ (الفهرست: ٣٩). و«اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة»، الكسائي، علي بن حمزة. (ت ١٨٩هـ) (الفهرست: ٦١). و«اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف»، الفراء، أبي زكريا يحيى بن زياد، (ت ٢٠٧هـ) (الفهرست: ٦١). و«اختلاف المصاحف وجامع القراءات، المدائني، أبي الحسن علي، (ت ٢٢٨هـ)، (الفهرست: ٦١). و«اختلاف المصاحف»، خلف بن هشام، (ت ٢٢٩هـ) (الفهرست: ٦١)، و«اختلاف المصاحف»، أبي حاتم السجستاني، سهل بن محمد (ت ٢٤٨هـ)، (الفهرست: ٩٣). و«غريب المصاحف»، الوراق، أبي بكر محمد بن عبد الله، (ت ٢٤٩هـ)، (الفهرست: ٣٧). و«كتاب المصاحف والهجاء»، محمد بن عيسى الأصبهاني، (ت ٢٥٣هـ)، (الفهرست: ٣٩). و«كتاب المصاحف» أو «اختلاف المصاحف، عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) طبع بتحقيق المستشرق جفري آرثر في لندن ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م بالاشتراك مع المطبعة الرحمانية بالقاهرة، وأعدت تنضيد حروفه من جديد دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. و«كتاب المصاحف»، ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار، = (ت ٣٢٧هـ)، (كشف الظنون، ١٧٠٢/٢). و«اللطائف في جمع هجاء المصاحف»، ابن مقسم أبي محمد بن الحسن بن يعقوب، (ت ٣٥٤هـ)، (معجم الأدباء، ١٥٣/١٨). و«كتاب المصاحف»، ابن أشتة الأصبهاني أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة اللوذري، (ت ٣٦٠هـ)، (بغية الوعاة، ١٤٢/١).

(٣) رسم المصحف، غانم قدوري، ٧٥.

(٤) يُنظر: ص ١٠٨-١٠٩ من الأطروحة.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

أما المعنى الاصطلاحي فأن له عدة تعريفات منها الجمع بمعنى الحفظ، والثاني: الجمع بمعنى الكتابة وتسجيله في أوراق، والثالث حفظه في الصدور، والمعنى المراد هنا جمعه بمعنى كتابته في الصحف والأوراق، وهذا المعنى أشار إليه النص القرآني بالمفهوم لا بالمصطلح كما سيأتي بيانه.

أما المعنى الأول لمصطلح "الجمع" بأنه: محفوظ بالصدور فإنه من الامور المسلم بها؛ لأن القرآن الكريم نزل منجماً على فترات من الزمن استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، وهذه المدة هي مدة نزول الرسالة الإسلامية والوحي الإلهي، والنبى محمد (ﷺ) كان اذا نزل عليه شيء من القرآن الكريم فإنه (ﷺ) يقوم بتبليغه ويبينه للمسلمين من أجل العمل به وتطبيق منهم، بعدها يتلقاه الصحابة بالحفظ والقراءة، فقد روى كليب (١) قال: "كنت مع علي (ﷺ) فسمع ضجتهم في المسجد يقرءون القرآن، فقال: طوبى لهؤلاء... (٢)، بعدها يأمر (ﷺ) الصحابة بتعليم من يلتحق بالإسلام بعدهم، وهذا ما جاء عن "عبادة بن الصامت (٣) قال: كان رسول الله (ﷺ) يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن" (٤)، كما جاء ايضا عن عبادة بن الصامت قال: "كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي (ﷺ) إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع بمسجد رسول الله (ﷺ) ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم؛ لئلا يتغالطوا" (٥).

وبهذه الطريقة رغب النبي محمد (ﷺ) المسلمين بحفظ القرآن الكريم وحثهم على تعليمه وتدرسه، وبهذا نشطت حركة قراءة القرآن الكريم وتعليمه وحفظه، فكان المسلمون شديدي العناية بالقرآن الكريم من خلال حفظه كاملاً عن ظهر قلب وهم الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) وأبي بن كعب، وسعد بن عبيد بن النعمان، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وثابت بن زيد بن النعمان، وعبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت (٦)، وغيرهم من الحفاظ للقرآن الكريم، وهذه الروايات يستفاد منها بأن الصحابة كام عندهم اهتمام بالغ بحفظ القرآن وتلاوته وفهمه وتعليمه.

(١) كليب: الجهني ويقال الحضرمي معبود في الصحابة له ثلاثة أحاديث. ولقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أربعة أسماء بلفظ، = كليب فاخترت لك المعبود من الصحابة والله أعلم [٤٤٧/٨]. كليب الجهني أو الحضرمي صحابي قليل الحديث، تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٤٦٢، رقم/ ٥٦٥٠.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، ٢/٢٨٨، رقم ٤٠٢٥.

(٣) عبادة ابن الصامت ابن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد المدني أحد النقباء بدرى مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون وقيل عاش إلى خلافة معاوية قال سعيد ابن عفير كان طوله عشرة أشبار. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٢٩٢، رقم/ ٣١٥٧.

(٤) مسند أحمد، ٥/٣٢٤. يُنظر: القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، سيد هاشم الموسوي، ٤٦.

(٥) مناهل العرفان، الزرقاني، ١/٢٤١.

(٦) يُنظر: الفهرست، ابن النديم، ٣٠.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

أما الامر الآخر بأن الجمع بمعنى الكتابة والتدوين، فإنه من الثابت بين المسلمين أن النبي محمد (ﷺ) جعل له كتاباً للوحي لا يكتبون سوى القرآن الكريم^(١). وقال زيد بن ثابت^(٢): "كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"^(٣)، وبهذا المعنى تدل الروايات على أن القرآن تم جمعه في زمن النبي محمد (ﷺ)، والباحث هنا ليس في طور إثبات متى تم جمع القرآن الكريم، بل في إثبات أن النص القرآني أشار للجمع بالمفهوم لا بالمصطلح الصريح، ولو أشير بالمصطلح لما وقع الخلاف في تحديد زمن جمعه، والنتيجة أن الله تعالى حفظ النص القرآني من أي تحريف وضياح "أنَّ الحقائق التاريخية تدحض شبهات التحريف التافهة. فقد كان العشرات من جيل الصحابة يحفظون القرآن عن ظهر قلب، وأنَّ القرآن كان مجموعاً ومدوناً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قطع من الجلد أو الجريد أو اللخاف أو العصب... الخ." (٤)

وهناك أمر لابد من الإشارة إليه بأن لفظة "جمع" وردت في النص القرآن في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قُرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾، فَإِنَّ الْجَمْعَ هنا كما تقدم في المعنى الاصطلاحي له بأنه يدل على الحفظ^(٦)، لهذا جاء بأن معنى الآيات "قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ يَعْنِي: لا تعجل بقراءة القرآن، من قبل أن يفرغ جبريل - عليه السلام - من قراءته و روى سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا نزل عليه القرآن، تعجل به للحفظ فنزل: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ يَعْنِي: حفظه في قلبك و قُرْآنَهُ يَعْنِي: يقرأ عليك جبريل، حتى تحفظه فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ يَعْنِي: إذا قرأ عليك جبريل فاقراً أنت بعد قراءته و فراغه وقال محمد بن كعب: فاتبع قراءته، يعني: فاتبع حلاله و حرامه " (٧)، ومعنى ذلك " إِنَّ عَلَيْنَا حَفْظَهُ فِي قَلْبِكَ، و تَأْلِيفَهُ عَلَى مَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ، و أَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْسِيهِ إِيَّاهُ، كما قال تعالى (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى) (٨) فلم ينس النبي (ﷺ) شيئاً حتى مات. وعن ابن عباس في معنى هذه

(١) يُنظر: تاريخ اليعقوبي، ٢/٨٠. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢/٣١٣.

(٢) زيد ابن ثابت ابن الضحاك ابن لودان الأنصاري النجاري أبو سعيد وأبو خارجه صحابي مشهور كتب الوحي قال مسروق كان من الراسخين في العلم مات سنة خمس أو ثمان وأربعين وقيل بعد الخمسين. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٢٢٢، رقم/ ٢١٢٠.

(٣) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/١٧٢.

(٤) القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، سيد هاشم الموسوي، ٤٧.

(٥) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٩.

(٦) يُنظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ١١٧. وعلوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ١١١.

(٧) تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ٣/٥٢٢. يُنظر: التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم، الطبراني، ٦/٣٩٤.

(٨) سورة الأعلى، الآية: ٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الآية قال: "كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعالج من التَّنزِيلِ شِدَّةً، كان إذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه و شفثيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي مخافة أن لا يحفظ، فأُنزل اللهُ عليه الآية: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ"^(١))، وكذلك جاء بأن معنى "قوله" إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" قال ابن عباس والضحاك: معناه أَنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ، وقراءته عليك حتى يمكنك تلاوته. وقال قتادة: معناه إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ وتأليفه على ما نزل عليك. وقال ابن عباس- في رواية اخرى- إن معناه أَنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ مِنْ حَالِهِ وَ حَرَامَهُ بِذِكْرِهِ لَكَ. وقال قتادة: معناه نذكر أحكامه ونبين لك معناه إذا حفظته. وقال البلخي: الذي اختاره أَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا أَرَادَ قِرَاءَةَ الْعِبَادِ لِكِتَابِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لان ما قبله وبعده يدل على ذلك، وليس فيه شيء يدل على انه القرآن، ولا على شيء من أحكام الدنيا، وفي ذلك تقرير للعبد وتوبيخ له حين لا تتفعله العجلة"^(٢))، فالمعنى الحفظ لا كتابة وتدوين القرآن الكريم فلفظة "الجمع" دلت على منى الحفظ وعدم النسيان.

وهناك مسألتان لابد من الاشارة إليهما ف "المسألة الأولى: كلمة على للوجوب فقوله: إِنَّ عَلَيْنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَالْوَجِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، أما على مذهبا فذلك الوجوب بحكم الوعد، وأما على قول المعتزلة: فلأن المقصود من البعثة لا يتم إلا إذا كان الوحي محفوظا مبرا عن النسيان، فكان ذلك واجبا نظرا إلى الحكمة.

المسألة الثانية: قوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ معناه علينا جمعه في صدرك و حفظك، و قوله: وَ قُرْآنَهُ فيه وجهان أحدهما: أن المراد من القرآن القراءة، وعلى هذا التقدير ففيه احتمالان أحدهما: أن يكون المراد جبريل عليه السلام، سيعيده عليك حتى تحفظه والثاني: أن يكون المراد إنا سنقرئك يا محمد (ﷺ) إلى أن تصير بحيث لا تنساه، و هو المراد من قوله: سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى [الأعلى: ٦] فعلى هذا الوجه الأول القارئ جبريل عليه السلام، وعلى الوجه الثاني القارئ محمد (ﷺ) والوجه الثاني: أن يكون المراد من القرآن الجمع و التأليف، من قولهم: ما قرأت الناقة سلاقط، أي ما جمعت، و بنت عمرو بن كلثوم لم تقرأ جنينا، وقد ذكرنا ذلك عند تفسير القرء، فإن قيل: فعلى هذا الوجه يكون الجمع و القرآن واحدا فيلزم التكرار، قلنا: يحتمل أن يكون المراد من الجمع جمعه في نفسه وجوده الخارجي، ومن القرآن جمعه

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: باب ما جاء في القرآن: ١ / ٢٠٢ - ٢٠٣. والإمام أحمد في المسند: ٦ / ٢٥٧. والبخاري في الصحيح: كتاب التفسير: الحديث (٤٩٢٧) و ٤٩٢٩ و ٥٠٤٤. والطبراني في المعجم الكبير: ١١ / ٣٦٢: الحديث (١٢٢٩٧).

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١٠/١٩٦. ويُنظر: الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، ١٠/٨٧. ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ١٠/٦٠٠. وتفسير الجلالين، محمد بن احمد المحلى، ٥٨٠. وتفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ٢٩/٣٢٣. وتفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي، ٢٩/١٥١.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

في ذهنه وحفظه، وحينئذ يندفع التكرار" (١)، فالمعنى لايشير إلى مصطلح الجمع بمعنى الكتابة للقرآن الكريم بل لمعنى الحفظ والتيسير، وهنا إشارة لمفهوم "الجمع" لا المصطلح.

أما لفظة "قرآنه" الواردة في النص القرآني فمعناها "هاهنا مصدر كالفرقان والرجحان، والضميران للوحي، والمعنى لا تعجل به إذ علينا أن نجتمع ما نوحيه إليك بضم بعض أجزائه إلى بعض وقراءته عليك فلا يفوتنا شيء منه حتى يحتاج إلى أن تسبقنا إلى قراءة ما لم نوحه بعد. وقيل: المعنى إن علينا أن نجتمع في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وأن نثبت قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت ولا يخلو من بعد. وقوله: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" أي فإذا أتممتنا قراءته عليك وحيا فاتبع قراءتنا له واقرا بعد تمامها. وقيل: المراد باتباع قرآنه اتباعه ذهنيا بالإنصات والتوجه التام إليه وهو معنى لا بأس به. وقيل: المراد فاتبع في الأوامر والنواهي قرآنه، وقيل: المراد اتباع قراءته بالتكرار حتى يرسخ في الذهن وهما معنيان بعيدان" (٢)، وعليه فلا إشكال في الجمع بينهما بالرغم من أن سياق الآيات اللاحقة يؤيد التفسير الأول أي المشهور (فتدبر)... وبالتالي لا تقلق على جمع القرآن، نحن نجتمعه ونتلوه عليك بواسطة الوحي. ثم يقول تعالى: فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثم يضيف: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ. فيكون جمع القرآن وقراءته لك و تبيينه وتفصيل معانيه بعهدتنا، فلا تقلق على شيء، فالذي أنزل الوحي هو الذي يحفظه، وأما ما يعهد إليك هو اتباعك له وإبلاغك الرسالة للناس، وعن بعضهم أن المراد من الجمع ليس الجمع في لسان الوحي، بل جمعه في صدر النبي (ﷺ) وقراءته على لسانه أي لا تعجل إن علينا أن نجتمعه في صدرك ونثبت قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت. على كل حال فإن هذه العبارات تؤيد التفسير الأول، وهو أن الوحي النازل بواسطة جبرئيل عليه السلام عندما كان يهبط على النبي (ﷺ) ليقرا عليه القرآن كان (ﷺ) وسلم يكرر الآيات بسرعة لئلا ينساها. وهنا جاء الأمر من الله أن أهدأ واطمئن فإنه تعالى هو الذي يجمع الآيات ويبينها. وهذه الآيات تبين ضمنا أصالة القرآن، وحفظه من أي تغير وانحراف، لأن الله تعالى عهد بجمعه و قراءته وتبيينه" (٣).

فجمع القرآن الوارد في الآية القرآنية لايدل على معنى الكتابة بين الدفتين، وإنما يدل على الحفظ والفهم للنبي محمد (ﷺ) لما ينزل عليه من الآيات القرآنية، وهذا الامر لا ينفي أن "جمع القرآن" لم يرد كمفهوم في النص القرآني، وإنما اورده لبيان أن الجمع بمعنى الكتابة ورد كمفهوم من خلال الآيات التي أشارت على أن القرآن موجود وقد أشارت إليه بعض النصوص القرآنية له كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، ٧٢٨/٣٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١١٠/٢٠.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢١٨/١٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الْكِتَابُ لَارِيْبٍ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيْرًا﴾ (٢)، التي تشير إلى أن القرآن الكريم مكتوب ويشار إليه.

الامر الاخر الذي يدل على جمع القرآن في زمن النبي (ﷺ)؛ كون الدلائل التاريخية تؤيد وتؤكد أن الإمام علي (عليه السلام) وبعض الصحابة الكبار كان يُطلق عليهم لقب "كتاب الوحي" (٣)؛ لأن النبي (ﷺ) كان عند نزول القرآن عليه يدعو كتبة الوحي من أجل تدوين ما نُزل عليه، ويرشدهم أيضا إلى موضع هذه الآيات النازلة بأن توضع في أي سورة مقررة (٤)، وكذلك ما يدل على الجمع في زمن النبي محمد (ﷺ) ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) أنه أمر علياً (عليه السلام) بجمع القرآن وقال: "يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه" (٥)، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم كان مكتوباً في عهد النبي (ﷺ) الا أنه في صحف وقراطيس متفرقة فلم يجمع بين دفتين على ما هو عليه الآن، بل أن الأدوات المستخدمة في كتابته هي بدائية كالعُسب واللخاف والرقاع والاقتاب (٦) وغيرها مفرقاً، وما يدل على كتابته أيضا ما نقل عن الخليفة الثاني قبل أسلامه بأن وجد في بيت أخته صحف وقراطيس مكتوب فيها شيئاً من القرآن الكريم التي حينما قرأها أسلم (٧)، هذه الأمور تدل على جمع القرآن الكريم في زمن نزول النص القرآني.

وقد يعزى سبب عدم التدوين الشامل والكامل للقرآن الكريم هو توقع استمرار الوحي الإلهي على النبي (ﷺ) وعدم انقطاعه، الا أنه بعد وفاته (ﷺ) انقطع الوحي بعد ذلك جُمع ما كان متفرقاً بين

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٩.

(٣) كتاب الوحي: هو مصطلح كان يطلق على بعض الصحابة الخالص ممن اجتباهم النبي لتدوين الوحي النازل عليه وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مقدمتهم، وأبي بن كعب وزيد بن حارثة وغيرهم وقد اختلف المسلمون في عددهم حتى زاد عددهم عن الأربعين رجلاً. يُنظر: تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، ٤٨.

(٤) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢١٦/١.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٨٩ / ٤٨.

(٦) معنى هذه المصطلحات هي:

١- العسب: "والعسب من النخل: جريدة مستقيمة دقيقة يكشط حوصها". العين، الخليل، ١ / ٣٤٢.

٢- اللخاف: "هي الحجارة". يُنظر: العين، الخليل، ٤ / ٢٦٥.

٣- الرقاع: "وهو جمع رقعة وهو الورقة أو الخزقة تستعمل للكتابة" الصحاح: الجوهري، ٣ / ١٢٢١.

٤- الاقتاب: "جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه". يُنظر: العين، الخليل، ٥ / ١٣١.

(٧) يُنظر: تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، ٤٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
الدفنتين (١).

ويخلص الباحث لما تم ايراده أن "جمع القرآن" الذي هو علم من تاريخه وأحد مباحثه الهامة قد ورد بالمفهوم في النص القرآني، وأشار إليه من خلال بعض الآيات الدالة على وجوده، بعدها جاءت الروايات الواردة عن النبي محمد (ﷺ) التي دلت على أن القرآن الكريم مجموع ومكتوب، مما يدل على التوافق بين الإشارات القرآنية على تدوينه، والروايات النبوية على كتابته والإشارة إليه، وعليه يكون النص القرآني مؤسساً لهذا العلم، ومشيراً له ولتدوينه وكتابته، ولو أشير بالمصطلح الصريح لجمعه لما وقع الاختلاف في زمن تدوينه وكتابته، إلا أن المتتبع لآيات القرآن الكريم سوف يجد الإشارات الواضحة لمفهوم الجمع في زمن نزول النص القرآني والوحي الإلهي دون غيره من الأزمنة اللاحقة بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) إلا أن الابتعاد عن النص القرآني والروايات الصريحة أبعد الكثير من قول كلمة الفصل الصحيحة بأن الجمع أو الكتابة قد أكتمل في زمن النبي محمد (ﷺ).

(٣) أما ما يخص القراءات القرآنية التي عدت من علوم "تاريخ القرآن" إلا أن القرآن الكريم لم يوردها لا بالمفهوم ولا بالمصطلح الصريح فإنه "من الواجب أن نقرر هنا أن وجود القراءات القرآنية الآن أصبح من تاريخ القرآن، يهتم به النحويون، والمفسرون، والمؤرخون للفترة الأولى من الحياة الإسلامية، وليس صحيحاً أن القراءات تعتبر من النص القرآني، فهناك فرق بين القرآن والقراءات، وهما في الواقع يمثلان حقيقتين متغايرتين، فالقرآن هو ذلك النص المنزل بوساطة الوحي على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، والثابت بالتواتر ثبوتاً قطعياً لا ريب فيه، وأما القراءات فهي روايات ووجوه أدائية، منها المتواتر ومنها الصحيح، ومنها الضعيف، ومنها الموضوع، وهي بذلك تغاير القرآن تغايراً كبيراً؛ لأنها تتعلق باللفظ لا بالتركيب" (٢)، وعليه فمبحث القراءات من المسائل التي ترتبط بالنص القرآني؛ كونها خاضعة لمسألة تاريخية تختص بالروايات الواردة عن النبي (ﷺ).

وكذلك من خلال الرجوع للمعنى الاصطلاحي للقراءات القرآنية نجد أنه مسألة تاريخية لم يشر لها النص القرآني بأنها متعددة قد عُرفت بأنها الطرق التي يلفظ بها النص القرآني ونطق بها النبي محمد (ﷺ) وقرئت في حضرته (ﷺ) أو عرضت عليه (ﷺ) ومن ثم أجازها للصحابة، وبدورهم نقلوها عنه (ﷺ) إلى التابعين، ومن ثم تلقاها تابع بعد تابع (٣)، فهي مسألة نقلت بالروايات التاريخية لهذا فقد عُرفت بأنها

(١) يُنظر: موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، ٩٧/١ - ٩٨.

(٢) تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ٤٠.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣١٨/١، والانتقان، السيوطي، ٢٢٢/١، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، د.

صاحب ابو جناح، ١٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

العلم بالكيفية التي أُدبت بها كلمات النص القرآني واختلافها كلها معزوة للنقل^(١)، كما جاء بأنها الاختلاف في الفاظ الوحي التي ذكرت في الكتابة للحروف سواء بكيفيتها أو تثقيها أو تخفيفها وغيرها^(٢)، ومن المعلوم أن هذا الاختلاف جاء عن طريق الرواية التي هي في مجال الاخذ والرد، وليس للنص القرآني دخل فيها؛ كونها راجعة للنقل التاريخي، كما جاء بأنها مجموعة الروايات القرآنية والطرق المنقولة بالأسانيد الروائية التابعة إلى تلاوة النص القرآني ورسمه^(٣)، فإنَّ مسألة "القراءات القرآنية" مسألة تخص الجانب التاريخي للنقل الروائي للطرق التي نُقل بها النص القرآني، فهي مسألة تابعة لـ "تاريخية القرآن"، والتي لم يكن للنص القرآني بالإشارة إليها لا من جهة المفهوم ولا المصطلح الصريح.

فإنَّ مسألة "القراءات القرآنية" مسألة خلافية بين العلماء إلا أن هناك أمر مهم هو أنه لا بد من التفريق بين القرآن الكريم والقراءات "اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد (ﷺ) للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما... أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور وقيل بل مشهورة... والتحقق أنها متواترة عن الأئمة السبعة أما تواترها عن النبي (ﷺ) ففيه نظر فإنَّ إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة"^(٤)، فإنَّ تواترها أن وجد فإنه راجع إلى العلماء لا إلى النبي محمد (ﷺ) لهذا قال الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) في مناهله "يبالغ بعضهم في الإشادة بالقراءات السبع ويقول: من زعم أن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقله كفر لأنه يؤدي إلى عدم تواتر القرآن جملة. ويعزى هذا الرأي إلى مفتي البلاد الأندلسية الأستاذ أبي سعيد فرج بن لب وقد تحمس لرأيه كثيرا وألف رسالة كبيرة في تأييد مذهبه والرد على من رد عليه. ولكن دليله الذي استند إليه لا يسلم له فإنَّ القول بعدم تواتر القراءات السبع لا يستلزم القول بعدم تواتر القرآن. كيف؟ وهناك فرق بين القرآن والقراءات السبع بحيث يصح أن يكون القرآن متواترا في غير القراءات السبع أو في القدر الذي اتفق عليه القراء جميعا أو في القدر الذي اتفق عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب قراء كانوا أو غير قراء"^(٥)، فإنَّ تواتر القرآن الكريم في النقل لا يستلزم تواتر القراءات؛ لكونها خاضعة لآراء العلماء، والرواية التاريخية، لهذا نجد أن السيد الخوئي يرى بأنها مسألة خلافية تابعة لما نقل تاريخيا بالقراءات فأورد

(١) يُنظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، ٣.

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣١٨/١.

(٣) يُنظر: في قراءات القرآن، عبد الحلیم النجار، ١٦٠.

(٤) البرهان، الزركشي، ٣١٨-٣١٩. ويُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٢٧٣.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/ ٤٣٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الأدلة على بطلانها وعدم تواترها^(١)، كما نجد أن السيد الشهيد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩ هـ) يورد الأدلة على صحة قراءة واحدة وهي قراءة حفص عن عاصم؛ لكونها أفضل القراءات، وافصحها، ولوجود دليل معتبر من نسبتها لصاحبها، ووجود دليل على امضائها من الإمام المعصوم، وهذا دليل على وجودها في زمنهم (صلوات الله عليهم اجمعين)^(٢)، لهذا فقد "استقر أمر النص الكريم في زماننا على هذا الالتزام بقراءة حفص عن عاصم القارئ الكوفي، وهي التي صدرت بها تقريبا كل طبعات المصحف في جميع أنحاء العالم، ما عدا الطبعة التي صدرت بقراءة ورش عن نافع، وهي شائعة في الشمال الإفريقي، وقد تكون هناك طبعة للمصحف على قراءة الدوري عن أبي عمرو في السودان. وإنا لنرى أن من مصلحة المسلمين أن يقرؤوا القرآن بطريقة أدائية واحدة، وأن تنتهي حالة هذا الاختلاف الشكلي، التي لا تؤدي إلى أي خير، ولا تحمل أي معنى، اللهم إلا تعدد طبعات الكتاب الكريم، وقد حاول بعض المغرضين أن يثيروا الشكوك حول تعدد القراءات، وكأنها تعدد في نسخ القرآن، وكأن اعتماد مصحف واحد هو إهمال لبقية المصاحف التي يتوهم هؤلاء المغرضون وجودها، وهو كلام يقترب بصاحبه من باب الخروج من حظيرة الدين، إذا كان يدعى الإسلام، ولذلك نرى أن التثام شمل المسلمين حول المصحف المنتشر بقراءة حفص عن عاصم هو قطع لدابر هذه الفتنة، التي يروج لها بعض العلمانيين في حربهم للإسلام، فقد صار الدين لدى الكثيرين رقيقا لا يثبت أصحابه أمام أمثال هذه الشبهات"^(٣).

مما تقدم فإن مسألة "القراءات القرآنية" خلافية بين العلماء لخضوعها للرواية التي هي في مجال الأخذ والرد، فلا مجال لورودها في النص القرآني، **والامر الآخر أن إيرادها من قبل علماء علوم القرآن؛ بأنها مبحث من مباحث علوم القرآن؛ لأنّ هناك من العلوم التابعة للقرآن الكريم فيما لو أخذنا بالمعنى الإضافي لعلوم القرآن فإنها " تشير إلى طوائف المعارف المتصلة بالقرآن سواء أكانت تصورات أم تصديقات على ما عرفت وجه اختياره في مدلول لفظ العلم في عرف التدوين العام. وإنما جمعت هذه العلوم ولم تفرد لأنه لم يقصد إلى علم واحد يتصل بالقرآن. إنما أريد شمول كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه. وينتظم ذلك علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني وعلم إعجاز القرآن وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلم غريب القرآن وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك"^(٤)، فإنّ كل علم يخدم النص القرآني تم إيراده وجعله من علوم القرآن سواء أشار إليه النص القرآني أم لا**

(١) يُنظر: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ١٩٤ وما بعدها.

(٢) يُنظر: منة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد الشهيد محمد صادق الصدر، ٥٠/١.

(٣) تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ٤٠.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٢٣/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

"أن لفظ علوم القرآن يراد بمعناه الإضافي ما يشمل العلوم الدينية والعربية ونفيدك هنا أن هذا اللفظ نقل من ذلك المعنى الإضافي ثم جعل علما على الفن المدون وأصبح مدلوله بعد النقل وهو علم غير مدلوله قبل النقل وهو مركب إضافي ضرورة أن هذا الفن ليس هو مجموعة العلوم الدينية والعربية بل هو غيرها وإن كان مستمدا منها ومأخوذا عنها ويمكن أن نعرفه بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك. وموضوعه القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف. بخلاف علوم القرآن بالمعنى الإضافي فإن موضوعه هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه. وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي. فعلم القراءات مثلا موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه وهلم جرا"^(١).

واستناداً لما ذكر فلا ورود لـ "القراءات القرآنية" بالمفهوم وكذلك بالمصطلح الصريح فلا مدخلية للنص القرآني في التأسيس لهذا المبحث القرآني، فيكون خاضع لاجتهاد العلماء في وضعه.

ويخلص الباحث في نهاية هذا المبحث أنّ النص القرآني كان له المدخلية بالإشارة إلى بعض مفاهيم علوم القرآن، أو تاريخيته التي كشف عنها السياق القرآني، أو الروايات الواردة عن النبي محمد (ﷺ) كما في علم أسباب النزول أو المكي والمدني، والباحث يرى أنّ علماء علوم القرآن أوردوا هذه المفاهيم كعلوم أو مباحث أو مصطلحات تابعة لما يسمى بـ "علوم القرآن" فمنهم من أكثرها وزاد عليها ومنهم من جعلها مصطلحاً أورد له تعريفاً خاصاً بيّن فيه معناها، وهذه المصطلحات كانت مسألة نظر بين العلماء؛ لأنّ كلّ عالم يضع تعريف للمصطلح بما يراه مناسباً للمفهوم الوارد في القرآن، وهم بذلك خصصوا ما جاء مفهوماً عاماً في النص القرآني، ومنهم من توسع بالمفهوم من خلال جعل عدة تعاريف له، أو وضع الشروط له، والانواع.

ونهاية القول إنّ ما وضعه العلماء من علوم لعلوم القرآن أن كان لما أشار إليه النص القرآني فإنه لا بد من أن يوافق نظرة النص القرآني له، ويتبين ذلك من خلال الرجوع إلى من أنزل عليه النص القرآني النبي محمد (ﷺ) من أجل بيانه وفهمه، أما إذا خضع لاجتهاداتهم فهي محل نظر بين الاخذ والرد، وهذا ما يصبوا إليه الباحث في هذه الاطروحة من أن النقاش مفتوح في "مصطلحات علوم القرآن" التي وضعت من قبل العلماء فلا قدسية لها، وأن المفاهيم التي تم ايرادها فيه سواء التي كانت من "علوم القرآن" أو من "تاريخ القرآن" كان للنص القرآني المدخلية الاولى في بيانها وتوضيحها، وأن النص القرآني

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١ / ٢٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثاني: التأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
أسس لهذه المفاهيم مما حدا بعلماء علوم القرآن من جعلها مباحث ومصطلحات في مؤلفاتهم، والباحث يرى أنّ النص القرآني أشار لها بوصفها مفاهيم، وما على العلماء سوى الاستنتاج والاجتهاد في وضع المصطلحات لكي يناسب ما أورده النص القرآني، والأمر الآخر أنّ الباحث في هذا المبحث أثبت ما أورده النص القرآني بالمفهوم التي خضعت فيما بعد لاجتهادات العلماء.

المبحث الثالث

التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

المدخل:

القرآن الكريم المؤسس الأول للمصطلحات، ومنه انبثقت وانتزعت جميع المصطلحات العلمية، ومنها مصطلحات علوم القرآن، فكان للنص القرآني الأثر الأول في الإشارة لها، والتأسيس لها، وما يصبو إليه الباحث في هذا المبحث هو الإشارة إلى مصطلحات "علوم القرآن" و "تاريخ القرآن" التي وردت باللفظ الصريح في آيات كتابه الكريم، وعليه سيكون هذا المبحث مكون من مطلبين هما:

المطلب الأول: مصطلحات علوم القرآن من القرآن الكريم:

هنا سيتم إيراد المصطلحات التي أشار إليها النص القرآني باللفظ الصريح لا على نحو العموم، بل بما يختص بعلوم القرآن، والتي اتخذها علماء علوم القرآن بعد ذلك مباحث لعلوم القرآن في مؤلفاتهم، والباحث هنا في طور إثبات مدى مدخلية النص القرآني في تحديد هذه المصطلحات، وفرزها وتحديدها بأنها مصطلحات لعلوم القرآن لا مفاهيم، وعليه سيتم الإشارة إلى هذه المصطلحات على النحو الآتي:

(١) مصطلح أسماء القرآن، وصفاته، وخواصه:

من الأمور التي أشار إليها النص القرآني بالمصطلح لا المفهوم ما يخص القرآن الكريم من أسماء وصفات حيث أنها وردت في القرآن الكريم، وأشار إليها، وهي كثيرة من حيث ورودها في النص القرآني، وهذه الكثرة دعت بعض العلماء بأفراد مؤلفات مستقلة لدراسة هذا المصطلح^(١)، وما يهمنا هنا ما ورد من أسماء وصفات للقرآن الكريم في النص القرآني، من أجل التعرف على مدى مدخلية النص القرآني بالإشارة إلى هذا المصطلح، الأمر الآخر أنه "يجب علينا - ونحن نتلو القرآن و نتدبره - أن نلاحظ هذه الصفات والسمات، وأن نقف طويلاً أمام الآيات التي تعرضها، وأن نعيشها بكامل كياننا

(١) وممن أُلّف فيه: علي بن أحمد التجيبي الحرالي. وذكر الزركشي أن الحرالي أنهى أساميّه إلى نيفٍ وتسعين، وأورد الزركشي خمسة وخمسين اسمًا نقلها عن أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك. يُنظر: البرهان في علوم القرآن، ١/٢٧٣. وقد أوردتها أيضًا السيوطي. يُنظر: الإتيان، ٢/٣٣٦. وقال الفيروز آبادي: "ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسمٍ نسوقها على نسقٍ واحدٍ"، لكنّه أورد ثلاثة وتسعين اسمًا من القرآن للقرآن. يُنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/٨٨. يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ٥/١٧٥. ومن المعاصرين: صالح بن إبراهيم البليهي، أُلّف كتاب: "الهدى والبيان في أسماء القرآن" فذكر ستّة وأربعين اسمًا؛ لاعتقاده أنّ بعض هذا العدد - إن لم يكن أكثره - أوصافٌ للقرآن وليست بأسماءٍ، ومع هذا فإنّه لم يستبعد أن يكون بعض ما ذكره هو من أوصاف القرآن وليس من أسمائه. يُنظر: "الهدى والبيان في أسماء القرآن، ٤١-٤٤.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

وكافة مشاعرنا ودقائق حياتنا.. إن الله سبحانه يريد أن يعرّفنا بكلامه العظيم في كتابه الكريم، وأن نلاحظ الحياة المباركة فيه، وأن نعيش هذه الحياة في ظلاله... ولذلك عرض لنا طائفة من أسماء القرآن وصفاته وخصائصه وسماته... فلنقبل عليها بوعي وتدبر وتفاعل، لنعرف طبيعة هذا القرآن ومهمته ودوره ورسالته... لأنه لا أحد أعلم بكلام الله من الله سبحانه... وإنّ تفضّل الله علينا بتعريفنا على كتابه لهو نعمة سابغة، ورحمة باهرة، علينا أن نقابلها بالتوجه إلى الله سبحانه بالحمد والشكر، والإخلاص، والحب، والإقبال على كتابه الكريم بالتدبر والتدقّق والالتزام والتطبيق، لنعرف طعم الحياة، ونتذوق ألوانها و مظاهرها" (١)، وعليه فلا بد من الالتفات إلى هذا المصطلح، والتمعن فيه، وعليه سوف أتطرق لهذا المصطلح على النحو الآتي:

(أ) أسماء القرآن الكريم:

إنّ ورود أكثر من اسم للقرآن الكريم (٢) من الأمور التي أشار إليها النص القرآني بالمصطلح الصريح كلفظ "الكتاب" في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣)، و"الفرقان" في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَآنَا لَهُمْ حَافِظُونَ﴾ (٥)، وهذه الكثرة وإن اختلف في عددها إلا أنها تدل على شرفية المسمى وكماله، ف"اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها؟!، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته" (٦)، وهذه التسميات جاءت مخالفة لما عرفه العرب في عصر النزول "سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمي العرب كلامهم على الجملة والتفصيل. سمي جملته (قرآنا) كما سموا ديوانا وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن، صلاح عبد الفتاح خالدي، ٢٠.

(٢) يُنظر: مقدمة تفسير الطبري، ٣٤/١. والإتقان، السيوطي، ١٤٣/١-١٦٣. النوع السابع عشر، معرفة أسمائه وأسماء سوره. ومفتاح السعادة، طاش كبري، ٣٥٥/٢، علم معرفة أسمائه وأسماء سوره. وكشف الظنون، حاجي خليفة، ٨٩/١. وترتيب العلوم، المرعشي، ٢١٩. وأبجد العلوم، القنوجي، ٤٩٠/٢، علم معرفة أسماء القرآن وأسماء سوره. وأسماء القرآن، مقال: حسن حسين، في مجلة الأزهر، ج ١٧، ع ٩ عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٤٦ م. والهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح البليهي، رسالة جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض (معجم مصنفات القرآن، ٢٦٨/٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٦) يُنظر: بصائر نوي التمييز، الفيروزآبادي، ٨٨/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

كالبيت وآخرها فاصلة ككافية" (١)، وهذا الامر يدل على عظمة القرآن الكريم، وتميزه عن بقية الأساليب الأدبية الموجودة في زمن نزوله أو بعدها، وهذه الإشارات لتسميات القرآن الكريم بأسماء مختلفة يُستنتج منها أنّ أسماء القرآن الكريم وردت بالمصطلح الصريح، وتلبست به، والنتيجة أنها خاصة به دون غيره، كما أن "وصف الله تعالى كتابه القرآن الخالد بأسماء وأوصاف عديدة لا يرادف أيّ منها الآخر، بل كلّ منها يعرض لنا مظهراً من هذا الكتاب، وكلّ اسم أو وصف للقرآن هو في الحقيقة شهادة على كماله، ودليل على جماله، وعلامة على مرتبة من مراتبه التي لا حصر لها" (٢).

أما معرفة هذا المبحث أو المصطلح فله أهمية عظيمة؛ لأنّه "من شأن معرفة أسماء القرآن الكريم وأوصافه أن تسلط الضوء على جانب من أسراره اللانهائية، وتفصح عن الأهداف التربوية لتعاليمه، وتزيد تبعاً لذلك من مستوى معرفته والانتفاع منه. ولذلك بحث كثير من المفسرين والباحثين في القرآن منذ القدم موضوع "أسماء القرآن وصفاته" إلى جانب تفسير القرآن وعلومه (٣)، وتحديث الباحثون القرآنيون المعاصرون -في مقالات مستقلة وعديدة- عن أسماء القرآن الكريم وأوصافه (٤) (٥)، وبالرجوع إلى مصطلح "أسماء القرآن الكريم" نجد أن العلماء من المهتمين بالشأن القرآني قد أوردوا كثيراً من أسمائه مع كونهم لا يتفقون على عدد معين، فنجد أن ابي الفتح الرازي (ت ٥٥٤ هـ) ذكر نحو (٤٣) اسماً (٦)، أما الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ذكر (٣٢) اسماً (٧)، والقاضي شيدلة (ت ٤٩٤ هـ) ذكر (٥٥) اسماً التي نقلها عنه الزركشي والسيوطي، وقاما بالتحدث عن الأسباب التي تسمى القرآن الكريم بها (٨)، كما أن الحرالي (ت ٦٣٧ هـ) قال: "كان له كتاب في هذا الموضوع، وعدّ للقرآن أكثر من تسعين اسماً" (٩)، أما ابن عربي (ت ٦٥٦ هـ) فقد

(١) الإتيان، السيوطي، ١٤٣/١. ويُنظر: البرهان، الزركشي، ٢٧٣/١.

(٢) يُنظر: تفسير الملاصدرا: ٢٣ / ٦.

(٣) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١٧/١؛ مجمع البيان، الطبرسي، ٨٢/١؛ الزريعة، الطهراني، ١٧ / ٢٣٣؛ تفسير الطبري: ١ / ٤١؛ تفسير الفخر الرازي، ١٥/٢؛ المحرر الوجيزاين عطيه، ٥٦/١؛ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٧٣/١. الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٥٠/١. كشف الظنون، حاجي خليفة، ١ / ٨٩.

(٤) وكمثال على "أسماء القرآن"، مكتوب الإسلام، علي حجّتي الكرمانى، السنة ٦، رقم ١٣؛ تاريخ القرآن، محمود راميار؛ "أسماء القرآن وصفاته من وجهة نظر الكتاب والسنة" محمد إحسانيفر، حديث الفكر، العدد الثاني، خريف وشتاء، ٨٥؛ "أسماء القرآن الكريم وألقابه"، السيد محمد باقر حجّتي، ميراث جوادان، السنة ٣، العدد ٣ و ٤؛ "أهمية وتاريخ البحث في صفات القرآن وأسمائه" أبو القاسم عين بور، بينات، السنة ٢، رقم ٥.

(٥) معرفة القرآن على ضوء الكتاب و السنة، محمد محمدي ريشهري، ٧٣/١.

(٦) يُنظر: روض الجنان، ٨ / ١.

(٧) يُنظر: تفسير الفخر الرازي: ١٤-١٨ / ٢.

(٨) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٧٦-٢٨٢. والإتيان في علوم القرآن: ١ / ٥٠-٥٧.

(٩) البرهان في علوم القرآن، ١ / ٢٧٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ذكر الكثير من أسماء القرآن الكريم^(١)، وهناك من الباحثين القرآنيين يرى أن القرآن الكريم لا تتعدى أسماءه الخمسة أسماء، والباقي صفات نحو كلمة "كريم" في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٢)، التي هي وصف للقرآن، وعليه فلا يمكن جعلها "أسما" للقرآن الكريم، وكذلك لفظة "مبارك" في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٣)، التي عدوها اسماً من أسماء القرآن الكريم^(٤)، وهذا الخط راجع إلى عدم التفريق بين "الاسم" و "الصفة" بالمعنى الذي دعا الفريق الأول إلى أن يذكر هذه الأعداد بأنها أسماء للقرآن الكريم^(٥)؛ لأن "اسم العلم" هو: "الاسم الذي يكون مسماً معيناً دائماً من دون وجود أي قيد"^(٦)، الذي له عدة تقسيمات من الاعتبارات المختلفة التي منها: "أولاً: الاسم والكنية واللقب. ثانياً: المرتجل والمنقول. فاللقب: اسم يطلق على المسمى لمدحه أو ذمه، والكنية: اسم مركب يطلق على الشخص من باب الاحترام تجنباً لذكر اسمه، ويبدأ دوماً بكلمة «الأب» أو «الأم» أو «الابن» أو «البنات»^(٧)، وعُرف بأنه الاسم العلم الذي ليس له لقباً أو كنية^(٨)، وجاء أيضاً أن "العلم «المرتجل»: هو العلم الذي ليس له خلفية الاستعمال إلا في العلمية الفعلية، والعلم المنقول: هو الذي استخدم سابقاً لمسمى آخر ثم استعمل للمسمى الفعلي و أصبح علماً. وللمسمى السابق في العلم المنقول أقسام، من جملتها: الصفة مثل «الحارث»، والمصدر مثل «الفضل»، واسم الجنس مثل «الأسد»، والجملة مثل: «تأبّط شراً»^(٩)، وعليه "يمكن لكل أقسام الاسم أن تتبدل إلى علم منقول؛ ولذلك فإن ما ذكره الباحثون القرآنيون ك «اسم» للقرآن يمكن أن يكون في الأصل أحد هذه الأقسام، سوى الكنية"^(١٠).

وبالرجوع إلى أسماء القرآن الكريم نجد أن الطبري (ت ٣١٠هـ) لم يذكر إلا أربعة من أجل التفريق بين ما هو اسم وما هو صفة، ومن أجل أن يفرق بين الاسم وأقسامه المتقدمة، وهذه الأسماء هي "القرآن" و"الكتاب" و"الفرقان" و"الذکر"^(١١)، وذكر خصوص هذه الأسماء "الشيخ الطوسي" (ت ٤٦٠هـ)،

(١) يُنظر: رحمة من الرحمن، ١ / ٨ - ١٠.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.

(٤) التسهيل، ابن جزي الكلبي، ١ / ٥.

(٥) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ريشهري، ١ / ٧٤.

(٦) شرح ابن عقيل، ١ / ١١٨.

(٧) المصدر نفسه، ١ / ١١٩.

(٨) يُنظر: المصدر نفسه، ١ / ١١٩.

(٩) المصدر نفسه، ١ / ١٢٥.

(١٠) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد محمدي ريشهري، ١ / ٧٣.

(١١) يُنظر: تفسير الطبري، ١ / ٤١-٤٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

و"الطبرسي" (ت ٥٤٨هـ) (١)، في حين نجد أنّ الألوّسي (ت ١٢٧٠هـ) لم يأخذ إلاّ باسمين هما "القرآن" و"الفرقان"، وأكد أنّ الاسماء الأخرى في الحقيقة تعود إليهما (٢)، في حين أنّ محمد النهاوندي (ت ١٣٣٠هـ) أنّ "القرآن" فقط أسم، والباقي أما صفات أو القاب (٣)، أما الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) يقول: أنّ للقرآن الكريم خمسة أسماء، ولا يوجد له أي اسم آخر (٤)، وأعتبر بعض الباحثين القرآنيين المعاصرين أنّ "القرآن" فقط اسم، وما تبقى صفات (٥)، أما الدكتور الخمساوي فقال: أنّ للقرآن الكريم "تسع وتسعون" اسماً قد اشتقت من "اثنان وسبعون" مادة لغوية (٦)، في حين نجد الشيخ البليهي أورد "ست واربعون" اسماً (٧)، فإنّه لا يوجد عدد متفق عليه لأسماء القرآن الكريم في النص القرآني، والباحث هنا سيقصر على ذكر خمسة أسماء للاختصار، وإثبات المطلوب على النحو الآتي:

(١) القرآن: في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَاتُّكِمُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨).

ومن المعلوم أنّ «القرآن» هو أشهر أسماء الكتاب السماوي للنبيّ محمد (ﷺ)، بل هو اسمه الأصلي، وقد جاءت هذه الكلمة سبعين مرّة في القرآن، إلاّ أنّ أربعا منها جاءت بمعنى آخر غير القرآن الكريم، وذلك في الآيتين (١٧ و ١٨) من سورة القيامة، ومرّتين في الآية (٧٨) من سورة الإسراء. وهناك اختلاف كبير بشأن مادّة «القرآن» ومعناه، فمن جملة ذلك: هل هذه الكلمة مشتقة أم جامدة وهل هي مصدر أم وصف؟ وما إلى ذلك (٩)، وهناك اتفاق بين علماء الفريقين أنّها كلمة عربية مهموزة مشتقة من مادة "ق ر أ"، وهي مصدر بمعنى وصف (١٠)، بعدها تحولت إلى اسم للكتاب المنزل على النبي محمد

(١) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، ١ / ١٨. ومجمع البيان: ١ / ٨٢. والمحرر الوجيز، ١ / ٥٦.

(٢) يُنظر: تفسير الألوّسي، ١ / ٩.

(٣) يُنظر: نفحات الرحمن، ١ / ٥٩-٦٠.

(٤) يُنظر: مناهل العرفان، ١ / ٧-٨.

(٥) يُنظر: أسماء وألقاب القرآن الكريم، السيد محمد باقر حجتّي، التراث الخالد، السنة ٤، العدد ١، ١٩.

(٦) يُنظر: أسماء القرآن الكريم في القرآن، ٥.

(٧) يُنظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن، ٤٤.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٩) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١ / ٥٠-٥١. وعلوم القرآن عند

المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ١ / ٤٠-٤١:

(١٠) يُنظر: تفسير الطبري، ١ / ٦٤. وأسماء وألقاب القرآن الكريم، السيد محمد باقر حجتّي، التراث الخالد، السنة ٤، العدد ١، ١٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

(ﷺ) بنمط "العلم المنقول" الا أنهم اختلفوا في معناها البعض يعدها مأخوذة من "قرأ" التي تعني التلاوة (١)، والبعض الآخر يعدها بمعنى "الجمع" للحروف والآيات والسور التي جُمعت في القرآن الكريم، ونقل ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) (٢)، وأبو الفتوح الرازي (ت ٥٥٢هـ) (٣)، وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) (٤) هذين الرأيين، وذكروا أسماء من قال بهما وأدلتهم، والباحث لا يريد الاطالة بذكرهم، كما أن بعض الباحثين والمهتمين بالشأن القرآني عند دراستهم للأسماء والصفات الاخرى أكدوا على أنه لا يوجد اسم آخر للكتاب المنزل على النبي محمد (ﷺ) الا "القرآن" (٥)، وعليه فالقرآن مأخوذ من القراءة التي هي مصدر، وهذا الامر يُستدكر فيه الوحي الذي تكفل بصونه من كل زيادة أو نقصان، فلم يتكفل فقط بكتابه فقط، أو الحفظ، بل أبعد من ذلك بأن وافق نقله المتواتر حفظه وكتابه (٦)، فهو الاسم الحقيقي للقرآن الكريم؛ لأنّ الاسماء الأخرى أوصافاً في الحقيقة (٧)، ومن الشواهد التي تؤكد هذا الرأي بأنها الكلمة المستخدمة في أغلب آيات القرآن الكريم، واستخدمت أيضاً في أغلب روايات أهل البيت (عليهم السلام) جاء عن الامام زين العابدين (عليه السلام) بقوله: "وَحَصَّنَهُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي الْمُوْحَاةِ إِلَيْهِ وَأَسْمِيَّتَهُ الْقُرْآنَ وَأَكْنِيَّتَهُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" (٨).

كل هذه الشواهد تؤكد على ورود لفظ "القرآن" بالمصطلح الصريح بأنها اسم من أسماء القرآن الكريم، وأنّ النص القرآني له المدخلية في تحديدها.

(٢) الفرقان: في قوله تعالى: ﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (٩).

لفظة "الفرقان" مأخوذة من الفعل الثلاثي "ف ر ق"، وهي مصدر جاءت بمعنى أسم فاعل، ومعناه التفريق أو الفصل بين شيئين (١٠)، وسمي القرآن الكريم بها؛ لأنه يفرق بين "الحق والباطل" (١١)، وهي أبلغ بالتعبير من لفظة "الفرق"؛ لأنها تشير إلى خصوصية النص القرآني؛ باعتبارها تستخدم في

(١) يُنظر: تفسير الطبري: ١ / ٦٤، تفسير الثعالبي، ١ / ١٥٠-١٥١.

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز، ١ / ٥٦.

(٣) يُنظر: روض الجنان، ١ / ٨.

(٤) يُنظر: تفسير الفخر الرازي، ٢ / ٢١٣؛ البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ١ / ١٧-١٨.

(٥) يُنظر: تحليلية في أسماء وألقاب القرآن الكريم، السيد محمد باقر حجتى، محاضرات ومقالات: مجموعة ١، ١٦٧.

(٦) يُنظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ١٣. ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ١٧.

(٧) يُنظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى الكلبي، ١ / ٧.

(٨) يُنظر: الاقبال، ابن طاووس، ١ / ٤٩٠.

(٩) سورة ال عمران، الآية: ٤.

(١٠) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠ / ٢٩٩-٣٠٠. ومفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني، ٦٣٣.

(١١) يُنظر: تفسير الفخر الرازي، ٢ / ١٦. وتفسير البيضاوي، ٣ / ٢١٥. وروض الجنان، ابو الفتوح الرازي، ١ / ١٠.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

"التفريق بين الحق والباطل" (١)، ويقول الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ): " وَالْفُرْقَانُ هُوَ الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا سَمَّاهُ فُرْقَانًا لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ " (٢)، وهذا ما نقل عن السيوطي (ت ٩١١هـ) (٣)، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك -التفرقة بين الحق والباطل- بأنه يعم جميع نواحي الحياة "وسمَّاه الفرقان لما تضمّنه من فارق بين الحقّ والباطل والهدى والضلال، بل بما فيه من تفرقة بين نهج في الحياة ونهج، وبين عهد للبشرية وعهد، فالقرآن يرسم منهاجا واضحا، ويمثّل عهدا جديدا، فرقان ينتهي به عهد الطفولة ويبدأ به عهد الرشد، وينتهي به عهد الخوارق المادية ويبدأ به عهد المعجزات العقلية، وينتهي به عهد الرسالات المحليّة الموقوتة ويبدأ به عهد الرسالة العامة الشاملة" (٤)، فقد جاء في الحديث القدسي في مخاطبة الله تعالى نبيه موسى (ﷺ): "وَلَأَنْزَلَنَّ عَلَيْهِ قُرْآنًا فُرْقَانًا شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ نَفْثِ الشَّيْطَانِ" (٥)، كما أنه لا بد من الإشارة إلى أنه "وقد ذكر القرآن الكريم «الفرقان» في سبع آيات (٦) لا يراد منها القرآن إلا في آيتين (٧)، واستخدم اسم «الفرقان» للقرآن في الكثير من الروايات، خاصة عندما يذكر القرآن إلى جانب الكتب السماوية الأخرى" (٨)، وهناك من العلماء المفسرين ممن عدها من الأسماء الرئيسية للقرآن الكريم امثال الطبري (ت ٣١٠هـ) (٩)، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) (١٠)، وأبي الفتوح الرازي (ت ٥٥٦هـ) (١١)، والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) (١٢)، إلا أن صاحب المفردات عدها مطلقة بمعنى "كلام الله" (١٣)، وبعضهم الآخر اعتبرها بمعنى "كل شيء" (١٤)، أو أنها شاملة لكل كتاب سماوي (١٥)؛

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصف.

(٢) التوحيد، ٢١٧. ويُنظر: معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ١/٧٦.

(٣) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١/١٨٣. ٢/١٧. ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ٢/٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٢٥٤٧.

(٥) الكافي، الكليني، ٨ / ٤٤، ح ٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٥٣ و ١٨٥، وسورة آل عمران، الآية: ٤، وسورة الأنفال، الآية: ٤١ و ٢٩، وسورة الأنبياء، الآية: ٤٨، وسورة الفرقان، الآية: ١.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤. وسورة الفرقان، الآية: ١.

(٨) يُنظر: الخصال، الشيخ الصدوق، ٤٥٧، ح ١. وعلل الشرائع، الصدوق، ١٦١، ح ٣. وكتاب من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٤ / ١٧٧ ح ٥٤٠٣. ومسنّد ابن حنبل: ٣ / ٢٧٦، ح ٨٦٩٠ و ٣٨٨، ح ٩٣٥٦. وسنن الترمذي: ٥ / ١٥٥، ح ٢٨٧٥.

(٩) يُنظر: تفسير الطبري، ١ / ٤٢.

(١٠) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، ١ / ١٧.

(١١) يُنظر: روض الجنان، ١ / ٨.

(١٢) يُنظر: تفسير الفخر الرازي، ٢ / ١٦.

(١٣) مفردات ألفاظ القرآن، ٢ / ٦٣٤.

(١٤) يُنظر: مجمع البحرين، الطبرسي، ٣ / ١٣٨٧؛ تاج العروس، الزبيدي، ١٣ / ٣٩٦.

(١٥) يُنظر: تفسير البيضاوي، ٣ / ٢١٥؛ والبحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، ٢ / ٣٩٤.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

كونها تفرق بين "الحق والباطل"، ويُلاحظ أنها استعملت للكاتب السماوية الاخرى إشارة إلى الكتاب السماوي المنزل على النبي موسى (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)، (٣)، وجاء عن "رسول الله (ﷺ) لَمَّا سُئِلَ: لِمَ سُمِّيَ الْفُرْقَانُ فُرْقَانًا؟ لِأَنَّهُ مُنْفَرِقُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، انزَلَتْ فِي غَيْرِ الْأَلْوَابِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الصُّحُفِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ نَزَلَتْ كُلُّهَا جُمْلَةً فِي الْأَلْوَابِ وَالْوَرَقِ" (٤)، فإن استعمالها في النص القرآني جعلها أسم خاص بالقرآن الكريم أشير إليه بالمصطلح الصريح؛ بكونه اسم من أسماء القرآن الكريم.

(٣) الكتاب: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

لفظة "الكتاب" مأخوذة من مادة "ك ت ب"، وهي اسم مفعول، جاء في معناها عند علماء اللغة الجمع والضم بين شيئين، أو عدة أشياء، والايجاب والخيطة، والكتابة، وغيرها من المعاني (٦)، ومن العلماء المعاصرين في اللغة يرون أن معناها الأصلي هو التثبت الخارجي لما قصد من الاشياء، والتقرير، الا أنه غير مكتسب للصورة الخارجية بعد، نعم قد يحدث الجمع والكتابة والتقرير، والايجاب، وغيرها من المعاني وغيرها، وهذه المعاني كلها تؤدي بالمصداق إلى معنى واحد (٧)، وسمي القرآن كتاباً؛ "لأنه يسجل ويجمع بين دفتيه المعاني والكلمات والمقاصد غير المكتوبة" (٨)، وأن القرآن الكريم سمي كتاباً؛ لأنه مجموع في سطور؛ كون الكتابة ما جُمع من الحروف ورسمت فأصبحت ألفاظاً (٩)، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم سمي كتاباً؛ لأنه يجمع الآيات والسور بين دفتيه، أما سبب التسمية فلأن "إن القرآن الكريم يجمع بشكل خاصّ وبلغ أنواع الآيات والأحكام والقصص والأخبار والعلوم، وما يناسب المعنى اللغوي لـ «الكتاب» هو (الجمع)، وهذه الكلمة تلتقي من حيث المعنى مع كلمة «القرآن» التي

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٤٨.

(٣) يُنظر: معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٧٨/١.

(٤) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ٤٧٠، ح ٣٣. ويُنظر: الاختصاص، المفيد، ٤٤، وبحار الأنوار، المجلسي، ٣٠٤/٩، ح ٨. ومعرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٣٤/١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٦) العين، الخليل، ٣٤٢/٥. ومفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ٦٩٩؛ لسان العرب، ابن منظور، ٦٩٨/١، مجمع البحرين، الطريحي، ٣ / ١٥٤٩.

(٧) يُنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفى، ٢١ / ١.

(٨) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٧٨/١.

(٩) يُنظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ١٣. ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ١٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

تتضمن هي أيضاً معنى «الجمع» إلا أنّ كلمة القرآن تشير إلى شمولية الوحي المحمّدي بالنسبة لكتب الأنبياء السابقين أو العلوم، وكلمة «الكتاب» إلى شمولية الكتاب الإلهي للآيات والأحكام والقصص والأخبار والعلوم^(١)، وجاء بأن سبب تسميته بالكتاب، كونه تكوّن من حروف مكتوبة، بأن أخذ به الجمع، فالكتاب هو الصحائف أو الصحيفة التي ضُبطت بها مجموعة من المعاني عن طريق كتابتها بالقلم أو الطباعة أو غيرها^(٢)، كما أنّ هناك مجموعة من الروايات تؤكد على أن الكتاب أسم للقرآن الكريم فعن "رسول الله (ﷺ): إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ النَّقْلِينَ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"^(٣)، وقول "الإمام عليّ (عليه السلام): عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ"^(٤)، كذلك ورد عن "الإمام الباقر (عليه السلام): إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ، وَأَحْسَنُ الْقَصَصِ"^(٥).

وقد "ورد لفظ «الكتاب» بأشكال مختلفة مثل: المعرّف بالألف واللام^(٦) والنكرة^(٧)، والموصوف^(٨) والمضاف إليه^(٩) والجمع^(١٠) أكثر من ٢٥٠ مرّة في القرآن، وأكثر من ذلك في الروايات، حيث لها الحصّة الأكبر من الاستعمال بعد كلمة «القرآن» للإشارة إلى القرآن^(١١)، وذكر أكثر المفسرين أنّ "الكتاب" من الاسماء الرئيسية للقرآن الكريم^(١٢)، إلا أنّها إذا استخدمت في القرآن فلا بد من القرينة الصارفة "مقالية أو مقامية" إلى القرآن الكريم؛ لان لفظة "الكتاب" وردت في النص القرآني شاملة لبقية الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي

(١) " أسماء وألقاب القرآن الكريم "السيد محمد باقر حجتى التراث الخالد": السنة ٣، العددان ٣ و ٤، ص ٢٤.

(٢) الميزان، السيد الطباطبائي، ٢٦٥/٧.

(٣) كمال الدين، الصدوق، ٢٣٤ ح ٤٤ عن زيد بن أرقم. ويُنظر: الأمالي، الطوسي، ٥٤٨ ح ١١٦٨، عن أبي ذر عن الإمام عليّ (عليه السلام) عنه (عليه السلام)، تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٤٢٦ عن الامام الرضا (عليه السلام) عنه (عليه السلام) وص ٤٥٨ عن الإمام الهادي (عليه السلام) عنه (عليه السلام) بزيادة «لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما» بعد «أهل بيتي»، بحار الأنوار، المجلسي، ٢٣ / ١٣٣، ح ٦٩؛ المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ٣ / ١٦١ ح ٤٧١١، عن زيد بن أرقم وليس فيه «وعترتي»، مسند ابن حنبل، ٤ / ٣٧، ح ١١١٣١، المعجم الكبير، الطبراني، ٣ / ٦٥، ح ٢٦٧٨ كلاهما عن أبي سعيد الخدري نحوه، كنز العمال، المتقي الهندي، ١ / ١٨٦، ح ٩٤٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦. يُنظر: أعلام الدين، الحسن بن الحسن الديلمي، ١٠٤، بحار الأنوار، المجلسي، ٩٢ / ٢٣، ح ٢٤.

(٥) الكافي، الكليني، ٣ / ٤٢٣، ح ٦، عن محمّد بن مسلم.

(٦) يُنظر: سورة البقرة، الآية: ٢.

(٧) يُنظر: سورة النساء، الآية: ١٥٣.

(٨) يُنظر: سورة النمل، الآية: ١، وسورة فصلت، الآية: ٤١.

(٩) يُنظر: سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(١٠) يُنظر: سورة سبأ، الآية: ٤٤، وسورة البينة، الآية: ٣.

(١١) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ٧٨/١.

(١٢) يُنظر: تفسير الطبري، ٤٢/١، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١ / ١٧؛ تفسير الفخر الرازي، ١٦ / ٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

نَبِيًّا ﴿١﴾، التي تحدث بها السيد المسيح (ﷺ) عن كتابه المنزل عليه وهو "الانجيل" (٢).

وقد "روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام؛ فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً؛ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجتمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحافظ بالإسناد الصحيح المتواتر. وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية؛ اقتداءً بنبيها، بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز" (٣).

وبهذا يكون مصطلح "الكتاب" ورد في النص القرآني؛ بكونه اسماً من أسماء القرآن الكريم التي أوردها القرآن الكريم باللفظ الصريح.

(٤) الذكر: جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤)، جاء أن "الذكر" مصدر مأخوذ من الجذر الثلاثي "ذك ر" ووردت في اللغة بمعانٍ متنوعة كالشرف والذكر سواء "القلبي أو اللساني"، وبمعنى العزة (٥)، والمعنى الرئيسي لها "التذكر مقابل النسيان والغفلة" (٦)، وعليه "كلما كان المراد منها هو القرآن الكريم وردت بمعنى المذكر. وقد استخدم القرآن الكريم هذه الكلمة مئتين وستين مرة (٧)، حيث كان المراد في عشرين منها القرآن الكريم، ومنها آية الحفظ الشهيرة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٨) (٩)، وجاء بأن أغلب المفسرين للفظة "الذكر" بأنها في عداد الأسماء الرئيسية للقرآن الكريم، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة لا مجال لذكرها لكن من بينها أن القرآن الكريم يذكر العبد المسلم بالأحكام والفرائض، أو أنه شرف وعظمة لكل من آمن به (١٠)، وجاء بأن سبب التسمية "... وأما الذكر فلياً فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية. والذكر أيضاً الشرف، قال الله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ

(١) سورة مريم، الآية: ٣٠.

(٢) يُنظر: معالم المدرستين، مرتضى العسكري، ٢ / ١٣-١٤.

(٣) يُنظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ٤١.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٥) يُنظر: العين، الخليل، ٥ / ٣٤٦. ومفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني، ٣٢٨. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢ / ١٠٧١-١٠٧٢.

(٦) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفى، ٣ / ٣١٨.

(٧) يُنظر: مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ٣٤٧-٣٤٨.

(٨) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٩) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ١ / ٨٠.

(١٠) يُنظر: تفسير الطبري، ١ / ٦٤ - ٦٨. ومجمع البيان، الطبرسي، ١ / ٤١. والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١ / ١٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ولَقَوْمِكَ)، أي شرف، لأنه بلغتهم" (١)، كما جاء بأن الذكر اسم من أسماء القرآن الكريم بما ورد "عنه (ﷺ): «كِتَابُ اللَّهِ... هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ» (٢)، كذلك قال: "الإمام الباقر (عليه السلام) - في قول الله عز وجل: «فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (٣) -: الذِّكْرُ الْقُرْآنُ" (٤)، كما نقل تفسير القمّي عن "أبي الجارود عن الإمام الباقر (عليه السلام) - في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ» (٥) -: يَعْنِي الْقُرْآنَ الَّذِي «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ» (٦)، قال: لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ قَبْلِ التَّوْرَةِ، وَلَا مِنْ قَبْلِ الْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَأَمَّا «مِنْ خَلْفِهِ» لَا يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابٌ يُبْطِلُهُ" (٧)، وكلها تؤكد أن الذكر هو أحد أسماء القرآن الكريم، استناداً لما ذكره فإن النص القرآني أشار إلى مصطلح "الذكر" باللفظ الصريح المباشر بأنه اسم من أسماء القرآن الكريم.

(٥) المصحف: في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٨).

المصحف يرجع إلى الجذر الثلاثي "ص ح ف"، وهو صيغة اسم مفعول، ومعناه مجموعة الأوراق التي تم جمعها في موضع واحد (٩)، وهذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم بهذا اللفظ إلا أنها وردت بلفظ "الصُّحُف" التي تعني قطعة الورق أو الجلد التي يكتب عليها (١٠)، ووردت هذه المادة بهذا المعنى في "ثمان آيات من القرآن الكريم" (١١)، وهذه الآية هي التي أشارت بوضوح إلى القرآن الكريم. ومن الباحثين من يقول: إِنَّ "المصحف" هو الاسم الأول للقرآن الكريم، وتُقل أن الصحابة بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) عندما اجتمعوا من أجل اختيار اسم للقرآن الكريم كانت من بيّن الاقتراحات

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٥١. ويُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١. والنكت والعيون، الماوردي، ٢٣/١-٢٤.

(٢) سنن الترمذي: ٥ / ١٧٢، ح ٢٩٠٦. يُنظر: سنن الدارمي، ٢ / ٨٩٣، ح ٣٢١١، إعجاز القرآن، الباقلائي، ١٨٥ كلّها عن الحارث الأعور عن الإمام عليّ (عليه السلام)، كنز العمال، المنقي الهندي، ١ / ١٧٥، ح ٨٨٧؛ تفسير العياشي، ١ / ٣، ح ٢ عن الحارث الأعور عن الإمام عليّ (عليه السلام) عنه (ﷺ)، بحار الأنوار، المجلسي، ٩٢ / ٢٤، ح ٢٥. ومعرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٣٤/١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٤) تفسير العياشي، ٢ / ٢٦٠، ح ٣٢، عن محمد بن مسلم. وبصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ٤١ / ١٤ و ٤٣ / ٢٧، كلاهما عن بريد بن معاوية، بحار الأنوار، المجلسي، ٢٣ / ١٨١، ح ٣٧.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٧) تفسير القمّي، ٢ / ٢٦٦. يُنظر: بحار الأنوار، المجلسي، ٩ / ٢٣٤، ح ١٢٨.

(٨) سورة البينة، الآية: ٢.

(٩) يُنظر: العين، الخليل، ٣ / ١٢٠. ولسان العرب، ابن منظور، ٩ / ١٨٦.

(١٠) المصباح المنير، الفيومي، ٣٣٤. والصحاح، الجوهري، ٤ / ١٣٨٤.

(١١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ٤٠٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

"المصحف" إذ لم يكن قبل ذلك اسم لكتابهم^(١)، وهذه اللفظة كانت متداولة عند عرب الجاهلية، حيث كانوا يطلقون على الأشعار في الجاهلية بـ "المصاحف"^(٢)، كما أن "المصحف" كان يطلق على مجموع ما كتب من السور والآيات، التي ظهرت بعد وفاة النبي (ﷺ)، التي كتبها المسلمون بين الدفتين في إطار الكتاب^(٣)؛ والسبب أن ما كان ينزل على النبي محمد (ﷺ) عن طريق الوحي كآيات وسور تسمى "القرآن"^(٤)، والوجود الكتابي أو المادي للقرآن الكريم يسمى "المصحف"، والدليل على ذلك الروايات التي عدت "قراءة القرآن من المصحف" سبباً لقوة البصر^(٥)، أو أن النظر إليه عبادة^(٦)، أو الروايات التي بينت كيفية التعامل بالأحكام من حيث الصورة الكتابية أو المادية للقرآن الكريم، مثل: "الجُنُبُ وَالْحَائِضُ يَفْتَحَانِ الْمُصْحَفَ مِنْ وَرَاءِ الثُّوبِ وَيَقْرَأُونَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شَاءُوا إِلَّا السَّجْدَةَ"^(٧)

والأقوال كثيرة كما تقدم في عدد أسماء القرآن الكريم وما ذكر، أثبت ورود هذا العلم مصطلحاً في النص القرآني، و"لم تدرك النكته الكبرى، والتي تنطبق أكثر فأكثر في حق القرآن إذ أريد به - بالإضافة إلى إيصال الوحي إلى البشرية - أن تكون كل كلمة فيه مشيرة إلى أقصى حدّ ممكن إلى المعنى المراد، ومؤثرة في عملية التربية الكبرى، فكيف يكون اختيار اللفظ مثلاً لأنه مقروء أو لأنه تقترن مقاطعة فيه، وهل هناك كتاب لا تقترن مقاطعه؟! وعذر هؤلاء أنهم بحثوا عن أصل الاشتقاق اللغوي غافلين عن هذا التناسب المحتم"^(٨)، إذ إن "بين أسماء القرآن الكريم الكثيرة اشتراك وامتنياز، فهي تشترك في دلالتها على ذات واحدة هي القرآن الكريم نفسه ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالاته على معنى خاص، فكل اسم للقرآن يدل على حصول معناه فيه، فتسميته مثلاً بالهدى يدل على الهداية فيه، وتسميته بالتذكرة يدل على أن فيه ذكرى، وهكذا"^(٩).

ومما تقدم ينكشف أن أسماء القرآن الكريم متنوعة فيتضح للباحث أن مصطلح "أسماء القرآن الكريم" قد ورد باللفظ الصريح لمجموعة من الألفاظ التي أدت معنى واحداً هو أن النص القرآني المتداول

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ٢٨١-٢٨٢. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١ / ٥١ و ١٨٥ و ٢٠٥. غرائب

القرآن، النيسابوري، ١ / ٢٩. ومعالم المدرستين، مرتضى العسكري، ٢ / ١٤. وتاريخ القرآن، محمود راميار، ١٠-١١.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبري، ٢ / ٥٠٠، وتاريخ القرآن، محمود راميار، ١٠.

(٣) يُنظر: أسماء القرآن، علي حجة تي كرمانى، ٤٢١.

(٤) يُنظر: معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ١ / ٨٢.

(٥) يُنظر: الكافي، الكليني، ٢ / ٦١٣.

(٦) يُنظر: المصدر نفسه، ٢ / ٦١٤.

(٧) يُنظر: تهذيب الأحكام، الطوسي، ١ / ٣٧١، المعتمر، محمد آصف، ١ / ١٨٧، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١ / ٤٩٤.

(٨) محاضرات في علوم القرآن، محمد علي تسخيرى، تنظيم المدارس في الخارج، قم المقدسي، ١٤٢٤ هـ. ٢٦.

(٩) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي، ١٢٣.

الآن هو الكتاب أو القرآن المنزل من الله تعالى على صدر النبي محمد (ﷺ).

(ب) صفات القرآن الكريم: وردت في القرآن الكريم صفات خاصة بالنص القرآني، وعليه تتبين

هذه الاوصاف من الذكر الصريح لبعض الصفات، ويبينها السياق القرآني بأن النص القرآني يحمل الصفة هذه أو تلك كما في قوله تعالى: ﴿فَرَوَانَاَ عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١)، فالنص القرآني قد أشار إلى صفة سلامة القرآن الكريم من أي أعوجاج، قال النسفي (ت ٧١٠هـ): "غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف، ولم يقل مستقيما؛ للإشعار بألا يكون فيه عوج قط، وقيل: المراد بالعوج الشك"^(٢)، كذلك قال السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "قرآنا عربيا غير ذي عوج أي: جعلناه قرآنا عربيا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصا على العرب. غير ذي عوج أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه؛ لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته"^(٣)، فمن صفاته عدم وجود الخلل أو النقص بأي وجه من الوجوه.

وجاءت هذه الصفة في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(٤)، حيث جاء في بيانها "ولم يجعل له عوجا، أي: لم يجعل في القرآن عوجا، أي: لا اعوجاج فيه ألبتة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المعاني، أخباره كلها صدق، وأحكامه عدل، سالم من جميع العيوب في ألفاظه ومعانيه، وأخباره وأحكامه؛ لأن قوله: «عوجا» نكرة في سياق النفي، فهي تعم نفي جميع أنواع العوج. وما ذكره جل وعلا هنا من أنه لا اعوجاج فيه، بينه في مواضع أخر كثيرة، كقوله: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون﴾ * قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]، وقوله: ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ [الأنعام: ١١٥]، فقوله: «صدقا» أي: في الأخبار، وقوله: «عدلا» أي: في الأحكام، وكقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢]، والآيات بمثل هذا كثيرة جدا"^(٥).

فدل على أن للنص القرآني صفات بينها السياق القرآني، وهي كثيرة يكتبها الباحث بالإشارة إلى

بعض الآيات القرآني فقط فمنها للموعظة والشفاء والهدى، والرحمة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدَّ

(١) سورة الزمر: الآية ٢٨.

(٢) تفسير النسفي، ٣/ ١٧٨.

(٣) تفسير السعدي، ٧٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١.

(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، ٣/ ١٩٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، والخير والحسنات في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلْنَا قُلُوبًا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾، كتاب مبين في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٣﴾.

(ت) **خواص القرآن الكريم:** فقد أورد النص القرآني الكثير من الخصائص التي أنفرد بها النص القرآني، ومن هذه الخصائص بأنه لا يجوز نسبه إلا إلى الله تعالى لفظاً ومعنى وتزيلاً كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾، التي تبين أن ما جاء به النبي محمد (ﷺ) ليس من عنده بل أن جميع ما يتلفظ به النبي (ﷺ) فهو وحى من الله تعالى، والقرآن الكريم وحى الإلهي "يقول تعالى ذِكْرُهُ: وما ينطقُ مُحَمَّدٌ بهذا القرآنِ عن هَوَاهُ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى يَقُولُ: ما هذا القرآنُ إِلَّا وَحْيٌ من الله يوحيه إليه" (٥)، فإنَّ القرآن الكريم لا يجوز أن يُسب لغير الله تعالى فاللفظ والمعنى من الله تعالى.

وهذه إحدى الخصائص التي أختص بها القرآن الكريم، وأشار إليها النص القرآني، واوردها الباحث على سبيل المثال لا الحصر، وعدم الإطالة لكثرة خواص القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِي تَقْشَعْرِمَةٌ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى مِنَ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٦﴾، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٧﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٨﴾، إلى غيرها من الآيات القرآنية.

ويستخلص الباحث أن أسماء القرآن الكريم وصفاته وخواصه من العلوم التي أشار إليها النص القرآني بالمصطلح الصريح، من خلال ذكر أسماء صريحة للقرآن الكريم، وكذلك ذكر صفات وخواص خاصة بالنص القرآني فقط، وعليه يخلص الباحث ظان للنص القرآني مدخلية في وضع هذا المصطلح والاشارة إليه؛ فيعدّ النص القرآني المؤسس لهذا المصطلح.

(١) سورة يونس: الآية ٥٧.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢.

(٤) سورة النجم، الآيات: ٣-٤.

(٥) تفسير ابن جرير، ٢٢/٨. يُنظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٣/٧.

(٦) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٧) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

(٨) سورة الاسراء: الآية ٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

(٢) مصطلح علم الامثال: الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا

الْعَالِمُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

من العلوم المهمة التي أشار إليها النص القرآني "مصطلح الأمثال القرآنية"؛ لـ " أن هذه الامثال تسهل إدراك وهضم كثير من المفاهيم، ولها وقع وتأثير يفوق النصيحة الموعظة ان هذا المثل لا يختص بعقيل وفي ذلك الزمن والعصر فحسب بل انه مثل للجميع وفي كل العصور والازمنة. ولهذا الغرض استخدم القرآن الأمثال" ^(٣)، فالأمثال تساعد على فهم كثير من الموضوعات القرآنية، والامثال القرآنية صالحة لكل زمن، والملاحظ أيضا أن الامثال القرآنية تعددت في النص القرآني لتشمل أكثر من علم، إذ " تعددت موارد الأمثال القرآنية في العلوم باعتبارها، فوردت في علم البلاغة باعتبارها دالة على بلاغة القرآن وما ورد فيه من أنواع التمثيل والتشبيه، وما امتازت به من قصر عبارتها وعمق دلالتها. ووردت الأمثال القرآنية في علم علوم القرآن باعتبارها أحد الأوجه التي نزل القرآن الكريم بها. ووردت الأمثال القرآنية في علم أصول الفقه من حيث ما تضمنته من الدلالة على إلحاق النظر بنظيره، وإعطاء شبيه الشيء حكم الشيء، وتقريب المعقول بالمحسوس، وهذا هو معنى القياس" ^(٤)، وما يهمننا هنا هو الامثال التابعة لعلوم القرآن التي كان للنص القرآني المدخل الأساس في تأسيسها بإيرادها باللفظ الصريح في آياته المباركة.

إنَّ ورود الامثال في النص القرآني له أهمية وغاية، "وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فان النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفرد من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبّه وثمرته" ^(٥).

فالأمثال تساعد على فهم المراد من النص القرآني، ومن ثم إيصاله إلى ذهن السامع؛ لـ "إن

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٣) أمثال القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ١٥.

(٤) القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية، وليد بن علي حسين، ٢٦٠.

(٥) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

التمثيل أطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامح الابي، كيف لا، وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازها لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف" (١)، ومن هنا تبرز الأهمية لضرب الامثال في النص القرآني، لأن "الأمثال في القرآن الكريم تؤدي دوراً مهماً ومؤثراً على القلوب والعقول؛ وذلك لما لها من قوة جذابة حيث إنها محببة إلي القلوب والعقول علي حد سواء. ومن ثم يجمع المثل القرآني بين التأثير القلبي والتأثير العقلي، وهذا الدور يلعب لمعانا بارزا عندما تقرأ في القرآن مشهدا مؤثرا فإنك تجده في صورة مثل وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٢)، وعندما تقرأ هذه الآيات حاول قدر ما تستطيع أن تتسائل مع قلبك، ما مدي تأثيره بهذه الآية التي أنت في صورة مثل؟! عندئذ تجد عجا... تجد النفوس تستجيب والعقول تعي وتفهم والقلب يتأثر.. وهذا دأب الأمثال في القرآن بصفة خاصة" (٣)، فعندما يستجيب العقل ويفهم القلب ويتأثر بالنص القرآني يتحقق المراد من أيراد الامثال في النص القرآني؛ كون "الأمثال في القرآن تقرب الصورة إلى الأفهام فتعيها القلوب وتستوعبها العقول فهما وتأثرا وتدبرا؛ وذلك لأن المثل القرآني يقرب الصورة إلى الأذهان ومن ثم تستقر فلا تتسي وهذا عين التأثير المرجو من هذه الأمثال القرآنية، وهذا قوله الله تعالى: ﴿... وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤) " (٥).

وبناءً على ما تقدم فإن "مصطلح الامثال القرآنية" قد أورده النص القرآنية في كثير من آياته، وهذه دلالة واضحة على التأسيس الاصطلاحي لهذا العلم، إذ "دلّت غير واحدة من الآيات القرآنية على أنّ القرآن مشتمل على الأمثال، وأنّه سبحانه ضرب بها مثلاً للناس للتفكير والعبرة، قال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦)، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على وجود الأمثال في القرآن، وإنّ الروح الأمين نزل بها، وكان مثلاً حين النزول على قلب سيد المرسلين، هذا هو المستفاد من الآيات. (٧)، فعليه أن مصطلح "علم الأمثال"

(١) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

(٣) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مصطفى سعيد مصطفى خليل، ١٨٣.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٥) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مصطفى سعيد مصطفى خليل، ١٨٣.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٧) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

تم ايراده بالنص القرآني، وباللفظ الصريح الدال على وجوده المشعر لمدخلته فيه بالإشارة إليه، وهذا ما يصبو إليه الباحث من أنّ المصطلح ورد في القرآن الكريم، وأن للنص القرآني المدخلة في تحديده.

والأمر الآخر الدال على التصريح بمصطلح علم الأمثال أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وكان العرب يستخدمون الأمثال في أشعارهم وكلامهم ونثرهم، ولهم مقاصد في إيراده، ف "من المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، ولقد كانت العرب تستعمل الأمثال في كلامها، وكانوا يقصدون من وراءه الشيء الغريب المدهش العجيب في صورته وحقيقته، وهذا أمر معروف عنهم لا يحتاج إلى كثرة بيان، وتعليقهم في استعمالهم للمثل أنه يقرب المعاني ويضعها في صورة مثيرة أمام السامع لها، بل إنها تؤثر بطريق الأولى لأنها كثيراً ما كانت تفعم بالدليل؛ لأنها لم تصنع أمثالها عبثاً بل لأسباب أوجبتها ودواع اقتضتها الحياة آنذاك، ومن ثم أصبح المثل كالعلامة التي يعرف بها الشيء المضروب له المثل" (١)، فالنص القرآني أورد هذا العلم من أجل الاستفادة منه بالبيان والافهام للألفاظ المباركة، وبهذا يكون قد أشار إليه باللفظ الصريح بجعله مصطلحاً قرآنياً خاصاً بالقرآن الكريم له مدلولات وعلامات، كل ذلك لإيصال المعنى المراد.

وبالرجوع إلى المعاجم العربية نجدها أعطت معاني مختلفة للمثل كالصفة والنظير والعبارة، وكل شيء يصلح مثلاً لغيره (٢)، وجاء أيضاً أن "المِثْل - بالكسر والتحريك - الشبه، والجمع أمثال؛ والمِثْل - محرّكة - الحجة، والصفة؛ والمثال: المقدار والقصاص، إلى غير ذلك من المعاني" (٣)، فعلماء اللغة جعلوا من "المثل" مفهوماً يصدق على عدة معانٍ كما تقدم، فإنّ للفظ معنى واحد أو معنيين، أما الباقي فهي صور أو مصاديق لمفهوم المثل، كما أشار ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بقوله: "«مثل» يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال بمعنى واحد. وربما قالوا: «مثيل كشيء»، تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً، قتله قوداً، والمعنى أنّه فعل به مثلاً كان فعله. والمِثْل: المِثْل أيضاً، كشيء وشبهه، المثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يذكر موزى به عن مثله في المعنى. وقوله: مَثَلٌ به إذا نكّل، هو من هذا أيضاً، لأنّ المعنى فيه إذا نُكِّل به: جعل ذلك مثلاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه. والمثلاث أيضاً من هذا القبيل، قال الله تعالى: «وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَاتُ» (٤) أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله، وواحدتها: مُثْلٌ (٥)، لكن من المحتمل

(١) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مصطفى سعيد مصطفى خليل، ١٨٣.

(٢) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٢/١٣.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤٩/٤.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٦.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٩٦/٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ان تدل اللفظة على معنى الوصف أو الصفة، وقد يكون هذا الاستعمال لهذين المعنيين أما على نحو الحقيقة، أو المجاز كما أشار ابن منظور لذلك^(١)، لهذا يقول الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "إن ظاهر كلام أهل اللغة أن المثل هو الصفة، ولكن المنقول عن أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) أن المثل بمعنى الصفة غير معروف في كلام العرب، إنما معناه التمثيل"^(٢)، وجاء أيضاً أن "المثل يُستعمل على ثلاثة أوجهٍ بمعنى الشبيه وبمعنى نفس الشيء وذاته وزائدة والجمع أمثال ويوصف به المذكر والمؤنث والجمع فيقال هو وهي وهما وهم وهن مثله. وفي التنزيل {أَنْزَلْنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} [المؤمنون: ٤٧] وَحَرَجَ بَعْضَهُمْ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] أَي لَيْسَ كَوَصْفِهِ شَيْءٌ وَقَالَ هُوَ أَوْلَى مِنَ الْقَوْلِ بِالزِّيَادَةِ لِأَنَّهَا عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ وَقِيلَ فِي الْمَعْنَى لَيْسَ كذَاتِهِ شَيْءٌ كَمَا يُقَالُ مِثْلَكَ مَنْ يَعْرِفُ الْجَمِيلَ وَمِثْلَكَ لَا يَعْرِفُ كَذَا أَي أَنْتَ تَكُونُ كَذَا... وَالْمِثْلُ بِفَتْحَتَيْنِ وَالْمِثِيلُ وَرَأْسُ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَقِيلَ الْمَكْسُورُ بِمَعْنَى شَبْهِهِ وَالْمَفْتُوحُ بِمَعْنَى الْوَصْفِ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا أَي وَصَفًا"^(٣)، فمعنى الوصف للمثل لا ينطبق على الذات المقدسة؛ لأنه لا يوصف "وأما قوله سبحانه: «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» فمعناه أنه منزّه من أن يوصف بصفات مذمومة وقبيحة كالظلم، قال سبحانه: «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»^(٤). وفي الوقت نفسه فهو موصوف بصفات محمودة. فكل وصف يستكرهه الطبع أو يردعه العقل فلا سبيل له إليه، فهو قدرة لا عجز فيها، وحياة لا موت معها إلى غير ذلك من الصفات الحميدة، بخلاف ما يقبله الطبع فهو موصوف به. وقد أشار إلى ذلك في غير واحد من الآيات أيضاً، قال: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٥)، وقال: «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»^(٦)، فالأمثال منها دانية ومنها عالية فإنما يثبت له العالي بل الأعلى^(٧)، ومنه يعلم أن الأمثال إذا كان جمع مثل - بالسكون - فالله سبحانه منزّه من المثل و الأمثال، وأما إذا كان جمع مثل - بالفتح - بمعنى الوصف الذي يحمد به سبحانه، فله الأمثال العليا، والأسماء الحسنى كما مر^(٨)، أما في غيره فتأتي بمعنى الوصف، وتأتي بمعنى الشبه والشبيه؛ لهذا يُفهم بأن المقصود بالمثل "عبارة عن قول يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره"^(٩)، كذلك جاء

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢٢/١٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤٩٠/١.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، ٥٦٣/٢.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٥) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٦) سورة طه، الآية: ٨.

(٧) يُنظر: الميزان، السيد الطباطبائي، ٢٤٩/١٢.

(٨) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ٨.

(٩) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبي الطيب القنوجي، ٦٢/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

المعنى اللغوي بمعنى النظير والتشبيه^(١)، وما ساوى الشيء وقدر بنفس قدره^(٢)، كذلك يأتي بمعنى العبرة^(٣)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾^(٤)، والمعنى "عبرة يعدّ بها المتأخرون"^(٥)، فالمعنى اللغوي أعطى معاني متنوعة، وما يلائم المثل في القرآن الكريم هو الاعتبار، وهذا الأمر يعني أنّ المعاجم اللغوية أشارت إلى لفظة "المثل" كمفهوم متعدد المعاني، فيكون وروده في النص القرآني بعيد أن يحمل جميع المعاني اللغوية الواردة في مصاديقه فيحتمل سوى معنى واحد من حيث الامثال التي ضربها الله تعالى في كتابه المبين من أجل الاتعاظ والعبرة وفهم مقصده تعالى، فيكون النص القرآني أشار إلى معنى "المثل" بالمصطلح لا بالمفهوم.

أما من حيث المعنى الاصطلاحي فقد جاء أن المثل هو: "عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره... والمثل يقال على وجهين: أحدهما: بمعنى المثل. نحو: شبه وشبهه، ونقض ونقض. قال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف الشيء. نحو قوله: مثل الجنة التي وعد المتقون [الرعد/ ٣٥]. والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعية للمشابهة،... والمثال: مقابلة شيء بشيء هو نظيره، أو وضع شيء ما ليحتذى به فيما يفعل"^(٦)، فالمعنى الشبه والمثيل والصفة، والمقابلة مع النظير، وما وضع ليحتذى به، ويرى الباحث أن الأخير هو المقصود.

وقد عرف السيوطي (ت ٩١١ هـ) الأمثال بأنها "حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف"^(٧)، ومعنى ذلك أن الأمثال أقوال تتضمن معنى، مع الإيجاز باللفظ وحسن التشبيه، فإنّ المثل القرآني متميز بأن الحوادث غير متخيلة به فقد "امتازت صيغة المثل القرآني بأنّها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أُعيدت مكررة تمثيلاً، وضرب موردتها تنظيراً، وإنّما ابتدع المثل القرآني ابتداءً دون حذو احتذاه، وبلا مورد سبقه فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة

(١) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٩٦/٥-٢٩٧.

(٢) يُنظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ٤٢٠.

(٣) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦١٢/١١. وتأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ٤٩٦.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٦.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٦١٢/١١.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ٧٥٩ - ٧٦٠.

(٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ٤٨٦/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

في الأداء والتركيب والإشارة" (١)، فالمثل القرآني لا يشابه بالاصطلاح الأمثال الأخرى لا لفظاً ولا معنى، وهو " ليس من قبيل المثل الاصطلاحي، أو من سنخ ما يعادله لفظاً ومعنى، الفقر بالأمثال بمضمونه، بل هو نوع آخر أسماه القرآن مثلاً من قبل أن نعرف علوم الأدب «المثل»، ومن قبل أن تسمي به نوعاً من الكلام المنثور و تضعه مصطلحاً له. بل من قبل أن يعرف الأدباء «المثل» بتعريفهم" (٢)، فلا يوجد وجه شبه بين الأمثال القرآنية والأمثال الأخرى، فيكون المصطلح الذي أشار إليه القرآن الكريم متميزاً عن غيره من الأمثال، فلا شبهة له؛ والسبب "أن المثل عبارة عن كلام أُلقي في واقعة مناسبة اقتضت إلقاء ذلك الكلام، ثم تداولت عبر الزمان في الوقائع التي هي على غرارها، كما هو الحال في عامة الأمثال العالمية. وعلى هذا فالمثل بهذا المعنى غير موجود في القرآن الكريم، لما ذكرنا من أن قوام الأمثال هو تداولها على الألسن وسريانها بين الشعوب، وهذه الميزة غير متوفرة في الآيات القرآنية. كيف وقد أسماه سبحانه مثلاً عند النزول قبل أن يعيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقرؤها للناس ويدور على الألسن، فلا مناص من تفسير المثل في القرآن بمعنى آخر، وهو التمثيل القياسي الذي تعرّض إليه علماء البلاغة في علم البيان وهو قائم بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز" (٣)، وبهذا التمييز يتضح ورود مصطلح "المثل القرآني" في النص القرآني بمقومات تجعله يختلف عن غيره من الأمثال الواردة في غيره من العلوم، فيثبت أن "علم الأمثال القرآني" ورد في النص القرآني.

وجاء "أن الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس بخلاف المعاني المعقولة فإنها مجردة عن الحس ولذلك دقت ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجرباً مسلماً عند السامع، وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفي إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب فالمرغب في الإيمان مثلاً إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه، وفيه أيضاً تبكيت الخصم وقد أكثر تعالى في القرآن" (٤)، فضرب الأمثال لإظهار ما خفي من معنى على السامع، وهو نوع من أنواع التشبيه المفهم للغير بأبهي صورة.

وبناءً على ما تقدم فإن كان مصطلح الأمثال في النص القرآني "من خصائص القرآن ومن أهم وسائله في تعليم الدين والتبصير بعواقب الأمور وفي تحليل نفسية الإنسان وطبيعة المجتمع، وحركة

(١) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٨.

(٢) الصورة الفنية في المثل القرآني، الدكتور محمد حسين الصغير، ٧٢.

(٣) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، ١٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤٨٨/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

التاريخ الديني والإنساني؛ وقد ورد ذكر المثل في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١)، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢) " (٣)، وهذا اللفظ الصريح للفظة أكد ورودها مصطلحاً بارزاً في النص القرآني، وأكد أن لها أهمية بالغة؛ لان "معرفة الامثال مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن" (٤).

فمصطلح "الأمثال القرآنية" من المصطلحات التي أشار إليها النص القرآني كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٥)، وهذا النوع من الذكر الصريح للفظة "المثل" في القرآن الكريم من أكثر الموارد وروداً في النص القرآني، وهو المعنى المراد من الامثال في القرآن الكريم؛ لأنه يعد من الامثال القياسية^(٦)، فالمثل القرآني "ذو تأثير قوي من خلال الصورة التي يرسمها ويقربها حيث يجسد المعاني وكأنها صورة تنبض بالحياة، فتفوح منه رائحة زكية طيبة تملأ القلوب والأسماع تأثراً و تدبراً"^(٧)، فخير تجسيد للمعاني هو من خلال المثل، و "المثل يلتفت به المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح وهذا كله يجري في أقل من لمح البصر و من ثم يحدث التأثير الشديد بأي القرآن الكريم، وهذه الحركة النفسية البارعة للمثل القرآني لها ما لسائر الحركات من تجديد و تنبيه و نشاط، علاوة علي أن المثل القرآني يمتاز بخلاسته وبلاغته ورشاقته موقعه، وحسن تأثيره في القلوب، وروعة تأثيره علي العقول؛ كل هذا يجعله ذا أثر واضح، ومن ثم فإن أثره يبرق في وجود السامعين ونظراتهم، أو على الأقل فإنك تجد أن نفوسهم وسرائرهم تبتسم له وتهش وتبش لعذوبته"^(٨)، فبالمثل ارتياح نفسي واستئناس بالذكر الحميد، وهو أمر محبب فيسري إلى القلوب والعقول، وهذا ما مهده له النص القرآني من ذكر الامثال، والأمر الآخر أن "الأمثال تصور للناس الفرق بين الإيمان والشرك، وما هو حق وما هو باطل، والفرق بين حال الشرك وسوء اختياره، وفساد اتجاهه وحال المؤمن وطمأنينة نفسه، وتقرب لنا الأمثال المعاني على نحو يحفز المتأمل إلى الرغبة في الخير

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٧.

(٣) القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي، محمد محمد ابوليله، ٣٢٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٨٤٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٦) يُنظر: البرهان، الزركشي، ١/٤٨٦. والإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/١٠٢٧. ومعترك الأقران، السيوطي، ١/٣٥٣-٣٥٦.

(٧) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مصطفى سعيد مصطفى خليل، ١٨٤.

(٨) تذكرة الدعاة، الأستاذ البهي الخولي، ٦٦.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم والعزوف عن الشر، ويدعوه إلى الاستقامة في العقيدة، وفي الفكر وفي العمل، وبحثه على اجتناب الباطل والنفور من اعوجاج الفكر والمسلك" (١).

وخلاصة القول لما تم ذكره إنَّ "الامثال القرآنية" من المصطلحات التي تسهم في بيان المعنى القرآني، وهي من الأساليب الناجحة في رسم سلوك الفرد، ومن الوسائل التي تصف حال الإنسان المؤمن والكافر سواء في الحياة الدنيا أم الآخرة بألفاظ قليلة ومفهومة لعامة الناس، وكذلك فإن النص القرآني له المدخلية الأولى والمؤسسة في تحديد هذا المصطلح من خلال أيراده باللفظ الصريح في كثير من آياته المباركة، والباحث يرى أن مصطلح "الامثال القرآنية" من المصطلحات التي بينها النص القرآني، وأشار إليها، وحددها، وأسس لها بأن تكون علماً أو مبحثاً من مباحث علوم القرآن الكريم.

(٣) مصطلح علم الآيات والسور: اللتان وردتا باللفظ الصريح كالآتي:

(أ) الآيات التي وردت فيها لفظة "سورة" قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ نُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُذَمُّهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَغْزَوْا إِنِّي اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَأَنَّ الْإِنْسَانَ بِاللَّهِ وَجْهًا مَع رَسُولِهِ اسْتَعْذَرَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ (٦).

(ب) الآيات التي وردة فيها لفظة "آية" قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧)، من المصطلحات التي أشار إليها النص القرآني مصطلح "الآيات" والسور القرآني الذي ذكر باللفظ الصريح كما تقدم من الآيات، وهو من العلوم المهمة المرتبطة بنزول القرآن، وجمعه، وترتيبه، وهو دلالة على اعجازه؛ لان الحكمة من ترتيب القرآن على شكل سور متتابعة

(١) أمثال ونماذج بشرية من الكتاب الكريم، د. محمد على طاحون، ١٨٤/٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٠.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

فهذا الامر وحدة آية ومعجزة من الله تعالى^(١)، وهذا الشيء يجعل من هذا المصطلح أو العلم أو المبحث من الامور المهمة التي يجب الاهتمام بها؛ كونها تعبر على أنّ كل سورة لها طابعها الخاص المتناغم مع غيرها من السور، وهذا الترتيب فيه إشارة "إلى أنّ كلّ سورة نمط مستقل: فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم، إلى غير ذلك. وسوّرت السور سورا طولا وأوساطا وقصارا، تنبئها على أنّ الطول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه"^(٢)، فأعجازه بجميع سور وآياته، وهذا المصطلح أشير إليه باللفظ الصريح من الله تعالى مؤكداً بأنّ اللفظ الصريح له في النص القرآني فيه من الإشارات المهمة لترتيب القرآن الكريم، وهذا الترتيب نمط من أنماط إعجازه، إذ "إن ترتيب السور في السياق الترتيلي الذي هو بين دفتي المصحف الذي عليه الأمة جمعاء إنما هو مظهر من مظاهر إعجازه البياني، وأنّ تناسبه المعجز ليس بالمحصور في تناسب نظمة التركيب المائل في بناء الجملة، بل هو أيضا متحقق على كماله في نظمه الترتيبي المائل في علاقات الجمل بعضها ببعض في بناء المعقد، وعلاقات المعاهد بعضها ببعض في بناء السورة، وعلاقات السور بعضها ببعض في بناء البيان القرآني العظيم كله مفتتحاً بسورة "الفاتحة" ومختتماً بسورة "الناس"^(٣)، وكل هذه الامور تكشف وتأسس أنّ "مصطلح الآيات والسور القرآنية" من العلوم التي أسس لها النص القرآني، وأشار إليها باللفظ الصريح قاطعاً الطريق أمام كل مشكك بأن سور القرآن الكريم، وآياته شابته ما كان سائداً في عصر نزوله من الشعر والنثر والكلام الفصيح، والقصيدة، لهذا فقد سمى الله تعالى "جملته قرآنا كما سمى العرب جملة كلامهم ديوانا وسمى بعضه سورة كقصيدة وسمى بعض السورة آية كالبيت وسمى آخر السورة فاصلة كقافية"^(٤).

بناءً على ما تقدم ف "مصطلح الآيات والسور القرآنية" يثبت وروده في النص القرآني باللفظ الصريح سواء لـ "الآية" كما في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٥)، التي فيها إشارة واضحة بان القرآن الكريم نزل على شكل آيات، كما نجد أن هناك

(١) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢٦٤-٢٦٥، ومناهل العرفان، الزرقاني، ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٣١/١.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩٩/٤.

(٤) الأتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١٧٨/١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

اشارات متعددة لـ "مصطلح السورة" باللفظ الصريح في مواضع متعددة كما في قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا إِيَّاتِ اللَّهِ مُحْجِرٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٣)، وغيرها التي تثبت ورود المصطلحين باللفظ الصريح.

ومن الرجوع إلى المعنى اللغوي لكل مصطلح تثبت الإشارة لكلا المصطلحين فقد ورد أن معنى الآية في اللغة "العلامة، والآية: من آيات الله، والجميع: الآي. وتقديرها: فَعَلَةٌ. إنَّ الألف التي في وسط الآية من القرآن، والآيات العلامات هي في الأصل: ياء، وكذلك ما جاء من بناتها على بنائها نحو: الغاية والزاية وأشباه ذلك ... فلو تكلفت اشتقاقها من (الآية) على قياس علامة معلمة لقلت: آية مأية قد أُبَيِّتَ فاعلم إن شاء الله"^(٤)، فهي العلامة والغاية والزاية، وجاء أن معناها الجماعة كما نقول: "حَرَجَ القَوْمُ بِأَيَّتِهِمْ، أَي: بِجَمَاعَتِهِمْ... وَمِنْهُ آيَةُ القُرْآنِ، لِأَنَّهَا جَمَاعَةٌ حُرُوفٍ، وَالْجَمْعُ آيٌ، وَإِيَاةُ الشَّمْسِ ضَوْءُهَا، وَهُوَ مِنْ ذَاكَ، لِأَنَّهُ كَالْعَلَامَةِ لَهَا"^(٥)، كما جاء أن معناها "والآية: العلامة... والآية: العبرة، وجمعها آي... الآية من الآيات والعبر، سميت آية كما قال تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات؛ أي أمور وعبر مختلفة... وقوله عز وجل: وجعلنا ابن مريم وأمه آية، ولم يقل آيتين لأن المعنى فيهما معنى آية واحدة، قال ابن عرفة: لأن قصتهما واحدة؛ لأن الآية فيهما معا آية واحدة، وهي الولادة دون الفحل؛ ولو قيل آيتين لجاز لأنه قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذكر ولا أنثى من أنها ولدت من غير فحل، ولأن عيسى، عليه السلام، روح الله ألقاه في مريم ولم يكن هذا في ولد قط، وقالوا: افعله بآية كذا كما تقول بعلامة كذا وأمارته؛ وهي من الأسماء المضافة إلى الأفعال"^(٦)، فالمعنى اللغوي متعدد، فمنه العلامة والغاية والجماعة، والعبرة، وهي تنطبق على لفظة "الآية" الواردة في النص القرآني حسب السياق التي تجيء فيه. وبالرجوع إلى النص القرآني نجد أنها أطلقت على معانٍ متنوعة فمنها المعجزة كما في قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧)،

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٤) العين، الخليل، ٨ / ٤٤١.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ / ١٦٨-١٦٩.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ١٤ / ٦٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

وبمعنى العلامة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ (١)، ومعنى ذلك "علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكر لك" (٢)، وجاءت بمعنى العبرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (٣)، ومعناها أيضا الأمر العجيب في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رُفُوفِ ذَاتِ قُرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٤)، وبمعنى البرهان والدليل كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِن آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٦)، بمعنى البراهين والدلائل الدالة على عظمة الخالق تعالى، وهذه المعاني والاطلاقات ممكن أن يستلزم بعضها البعض الآخر (٧)، وهذا الاختلاف بالمعاني بينه السياق القرآني، وعليه فلفظة "آية" جاءت بمعانٍ متنوعة، إلا أن الباحث في طور اثبات مصطلح الآية الذي يعني الحروف التي كونت الكلمات فأصبحت جملاً متتابعة بمعنى مجموعة الحروف التي تكون الآية القرآنية.

أما المعنى الاصطلاحي لـ "الآية" فهو "قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة وأصلها العلامة ومنه: {إن آية ملكه} لأنها علامة للفضل والصدق أو الجماعة لأنها جماعة كلمة. وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها. وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدى بها. وقيل: لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عما بعدها .. يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن" (٨)، وجاء بأن "الآية: هي العلامة، تعلم الكلام الذي قبلها من الذي بعدها، وتفصلهما، وكل آية لذلك تبين من أختها و تنفرد، والعرب يقولون «بيني و بين فلان آية» - أي علامة، ومن ذلك قوله تعالى: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (٢٤٨) (البقرة)، يعنى علامة ملكة؛ وسميت آية، لأنها مجموعة حروف تكوّن معنى بذاته، كقوله تعالى: قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

(١) سورة ال عمران، الآية: ٤١.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٣٦/٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٢.

(٦) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٧) يُنظر: مناهل العرفان، الزرقاني، ٣٣٨-٣٣٩. واتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، ٤٢٩/١-٤٣٠.

(٨) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٦٦-٢٦٧. ويُنظر: الاتقان، السيوطي، ٢٣٠/١. ومدخل الى تفسير القرآن، د. عدنان محمد

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

(١١٨) (البقرة)، كما نقول خرج القوم بأياتهم أي بمجموعهم. والآية هي العجبية يعجز البشر عن الإتيان بمثلها كقوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ (١٢) (الإسراء)^(١)، فَإِنَّ الْآيَةَ "هي في القرآن: مجموعة من الكلمات تتكون من حروف، وقد تكون الكلمة وحدها آية، مثل والفجر، والضحي، والعصر، وكذلك الم، وطه، ومدھامتان".^(٢)، وعرفت "الآية القرآنية" قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدأ أو مقطع مندرج في سورة. وأصلها العلامة. ومنه إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ [البقرة: ٢٤٨]؛ لأنها علامة للفضل والصدق. أو الجماعة، لأنها جماعة كلمة. وقال غيره: الآية طائفة من القرآن، منقطعة عما قبلها وما بعدها. وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، وعلى عجز المتحدى بها. وقيل: لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها. قال الواحدي: وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية، لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن. وقال أبو عمرو الداني^(٣): لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله: مُدْهَامَتَانِ [الرحمن: ٦٤]. وقال غيره: بل فيه غيرها، مثل: وَالنَّجْمِ، وَالضُّحَى، وَالْعَصْرِ، وكذا فواتح السور عند من عدّها^(٤)، وعليه فهي مجموعة من الكلمات أو كلمة واحدة منقطعة عن الآية الأخرى بفاصلة مكونة مع غيرها من الآيات السورة كثرة آياتها أم قلت، وهذا واضح بأن النص القرآني في كل سورة تكون من عدة آيات فيكون هذا دليلاً على ورود مصطلح "الآية" في النص القرآني باللفظ الصريح.

أما مصطلح "السورة" فقد جاء بأن معناها في اللغة بأنها في بعض الحالات تهمز وفي بعضها الآخر لا تهمز فمن همزها جعل معناها مأخوذ "من سؤر الكأس" والمعنى ما يتبقى بداخله من شراب، فيكون معنى "السورة القرآنية" بأن كل سورة بقية منه، أما من لم يهمزها فإن معناها مأخوذ من "سورة الأسد" التي تعني القوة، ومعنى ذلك أن السورة أكثر قوة من الآية، أو أنها مأخوذة من "السورة" التي تعني الجماعة، والمعنى أن السورة اشتملت على مجموعة من الآيات، وتأتي بمعنى "سور المدينة"، أو ما طال من البناء، وتجمع على "أسوار"، ومعنى ذلك أن السورة القرآنية محيطة بالآيات والحروف والكلمات كما يحيط السور ما في داخله، أما معنى الارتفاع؛ فلكونها كلام الله تعالى، وأيضا تدل على "المنزلة الرفيعة" و "الفضل والشرف" و "العلامة والرتبة"، فإن لكل سورة في القرآن الكريم منزلة وفضل ورفعة وشرف ومنزلة، وكل سورة من القرآن الكريم درجة ومنزلة ورتبة يقضى من خلالها إلى غيرها،

(١) موسوعة القرآن العظيم، عبد المنعم حنفي، ٢٤/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٤/١.

(٣) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢٦٨/١.

(٤) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٣١/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

لهذا جاء "سميت السورة من القرآن سورةً لأنها دَرَجَةٌ إلى غيرها" (١)، وعليه تكون "السورة القرآنية" في اللغة شاملة لجميع ما ذكر بالمعنى اللغوي، وهي صفات لها يُرْف بها قدرها ومنزلتها عن بقية المصاديق للمعاني الاخر، وبهذه المعاني تكون المصطلح الواضح للمعنى اللغوي للفظة "السورة" المنفردة.

أما من جهة التعريف الاصطلاحي فقد عُرفت بأنّها: "قرآن يشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات" (٢)، وقيل بأنّها: "طائفة مستقلة من آيات القرآن؛ ذات مطلع ومقطع" (٣)، وقيل أيضاً: "الطائفة المترجمة توقيفياً، أي: المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي (ﷺ)" (٤)، وعليه يمكن القول بأنّ المعنى الاصطلاحي يكون: "طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم، ذات فاتحة وخاتمة، بترتيب من النبي (ﷺ) مسماة باسم خاص" (٥)، وقال تعالى عن سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦)، أو أنها قطعة من القرآن الكريم (٧)، وبهذا يكون معناها القطعة التي انفصلت من القرآن الكريم (٨)، كما جاء أيضاً أن "السورة: من السور كقوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَهَا بَابٌ﴾ الحديد: ١٣، وهو المرتفع من الأرض، والسورة هي التي ارتفعت إلى المنزلة الشريفة، ومن يقرأها يشرف على ما لم يكن يحيط به من علوم ومعارف. ثم هي سورة و الجمع سور كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ﴾ (١٣) (هود)، لتمامها و كمالها، و العرب تسمى الناقة التامة سورة." (٩)، كما جاء "السورة: مجموعة من الآيات، كقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٠)، لها وحدة عضوية تحكمها، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً﴾ (١١)" (١٢)، ومعنى ذلك أنها التي اشتملت على مجموعة من الآيات المحددة واستقلت عن غيرها من السور باسم خاص، ومعنى ذلك مما

(١) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٨٤/٤. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٠٥/٣. والمحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٢٧٣/٢. وجمهرة اللغة، ابن دريد، ٣٩٣/١. وتاج العروس، الزبيدي، ٢٩٧٤. والكلبيات، الكفوي، ٧٧٨-٧٧٩. والمعجم الوسيط، ٩٥٨/١. وبصائر نوي التميز، الفيروزآبادي، ٨٥٨٤/١ - ٢٨٤/٣.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١٨٣/١. والفرائد الغوالي على شواهد الأمالي، السيد المرتضى، ١٨٥.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٥٠/١.

(٤) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ١٨٣/١.

(٥) يُنظر: المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين طه، ١/١٨٤.

(٦) سورة النور، الآية: ١.

(٧) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢٦٣/١.

(٨) يُنظر: ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/١. والاتقان، السيوطي، ٥٢/١.

(٩) موسوعة القرآن العظيم، عبد المنعم حنفي، ٢٤/١.

(١٠) سورة النور، الآية: ١.

(١١) سورة محمد، جزء من الآية: ٢٠.

(١٢) موسوعة القرآن العظيم، عبد المنعم حنفي، ٢٤/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

تقدم يخلص الباحث إلى أنّ "السورة القرآنية" مجموعة من الآيات القرآنية المستقلة فيها بداية ونهاية، ومسماة باسم خاص من قبل النبي محمد (ﷺ) لتمييزها عن غيرها من السور.

مما تقدم يمكن التعبير بأنّ السورة تشتمل على عدد من الآيات "ويؤيده التعبير ب «السورة» التي معناها مجموعة آيات متعدّدة مترتّبة مشتملة على غرض واحد أو أغراض متعدّدة مرتبطة في نفس الكتاب العزيز في مواضع متكرّرة، سيّما الآيات الواقعة في مقام التحدي؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣). وكذا في لسان النبي الأكرم (ﷺ) والأحكام المترتّبة على السورة، كوجوب قراءتها في الصلاة الفريضة بعد حكاية الفاتحة واستحبابها، ومثل ذلك لا يلائم تفرّق الآيات وعدم وضوح كون كلّ واحدة منها جزءاً من أجزاء السورة التي هي جزء لها كما لا يخفى" (١).

وينجلي للباحث أنّ هناك أهدافاً من وجود هذه الآيات والسور القرآنية التي جعلت من المفسرين يهتمون بها من أجل مساعدتهم على فهم المعنى القرآني، إذ "إنّ لالتفات إلى أهداف السور والآيات أثر بالغ في فهم وتفسير الآيات، ومن هنا كان هذا الموضوع مورد عناية بعض المفسرين والكتّاب في القرآن، فكان من عادة العلامة الطباطبائي في الميزان والشيخ مكارم الشيرازي أن يذكر أهداف السورة قبل البدء بتفسيرها" (٢).

والنتيجة النهائية التي يصل إليها الباحث أنّ مصطلح "الآيات والسور القرآنية" من المباحث المهمة التي أوردها النص القرآني، وجعلته ميسراً للفهم والقراءة؛ لأنّه موزعاً على عدد من السور والسور نفسها تحتوي على مجموعة من الآيات، كل ذلك ساعد القراء والباحثين على الغوص في مكنونات هذا الكتاب المبين، وأكد هذا التوزيع عمق المعجزة الإلهية للنص القرآني بترتيبه وتوزيعه، وتيسيره للقراءة والفهم، كما أنه خالف جميع النصوص المكتوبة سواء في زمن نزوله أو الوقت الحاضر والمستقبل كذلك من رسم طريقة مميزة في إيراد كلماته وجمله بآيات وسور متفرقة متناسقة ذات وحدة موضوعية واحدة، وأثبتّ مما تقدم بيانه أن مبحث "الآيات والسور القرآنية" ورد بالمصطلح لا المفهوم في النص القرآني، وأنّ للنص القرآني المدخلة الأولى في وجوده واطهاره، فكان النص القرآني مؤسساً لهذا المصطلح الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بكلمات وجمل النص القرآني.

(١) أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، ٥٨٧.

(٢) مدخل إلى علم التفسير (دروس منهجية)، هاشم عبد النبي ابو خمسين، ٩٥.

(٤) مصطلح (علم التأويل): الذي ورد في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

من المصطلحات التي كان للنص القرآني مدخلية في تأسيسها "علم التأويل"؛ وذلك من إيراده في النص القرآني بمواضع متنوعة، فمن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ وَيَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلٍ قَدْ جَاءتِ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢)، ومعنى ذلك "أي بالحق فيما أخبروا به وأنبؤوا أن الله هو مولاهم الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن النبوة حق، وأن الدين حق، وأن الله يبعث من في القبور، وبالجملة كل ما يظهر حقيقته يوم القيامة من أنباء النبوة وأخبارها"^(٣)، والتأويل هنا لم يظهره النص بالمعنى الظاهر، بل بالمعنى الباطن للآية.

وتكررت لفظة "التأويل في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، فمنهم من يقول: "إن التأويل في الآية هو الخارج الذي يطابقه الخبر الصادق كالأمور المشهودة يوم القيامة التي هي مطابقات (اسم مفعول) أخبار الأنبياء والرسول والكتب. ويرده: أن التأويل على هذا يختص بالآيات المخبرة عن الصفات وبعض الأفعال، وعن ما سيقع يوم القيامة، وأما الآيات المتضمنة لتشريع الأحكام فإنها لا تشملها على الإنشاء لا مطابق لها في الخارج عنها، وكذا ما دلَّ منها على ما يحكم به صريح العقل كعدة من أحكام الأخلاق فإن تأويلها معها، وكذا ما دلَّ على قصص الأنبياء والأمم الماضية فإن تأويلها على هذا المعنى يتقدمها من غير أن يتأخر إلى يوم القيامة مع أن ظاهر الآية يضيف التأويل إلى الكتاب كله لا إلى قسم خاص من آياته. ومثلها قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)، والآيات كما ترى تضيف التأويل إلى مجموع الكتاب"^(٦)، فالتأويل هو شكل الكتاب العزيز كله فلا اختصاص بالتأويل؛ لأن "التأويل من الأول وهو الرجوع فتأويل المتشابه هو المرجع

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٤/٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٦) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٤/٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الذي يرجع إليه، وتأويل القرآن هو المأخذ الذي يأخذ منه معارفه" (١)، فإنَّ "التدبر في آيات القيامة يعطي أن المراد هو ذلك أيضا في لفظة التأويل في قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ الآية، وقوله تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ» الآية» فإن أمثال قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»: ق- ٢٢، تدل على أن مشاهدة وقوع ما أخبر به الكتاب وأنبا به الأنبياء يوم القيامة من غير نسخ المشاهدة الحسية التي نعهدها في الدنيا كما أن نفس وقوعها والنظام الحاكم فيها غير ما نألفه في نشأتنا هذه، وسيجيء مزيد بيان له، فرجوع أخبار الكتاب والنبوة إلى مضامينها الظاهرة يوم القيامة ليس من قبيل رجوع الإخبار عن الأمور المستقبلية إلى تحقق مضامينها في المستقبل" (٢)، فإذا أردنا أن نأخذ من معارف القرآن فعلينا في بعض الحالات أن نرجع إلى التأويل؛ لأنه أحد مصادر المعرفة للنص القرآني.

وقد وردت لفظة التأويل في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ أَلْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣)؛ لأنه "ذكر بعضهم أن التأويل هو الأمر العيني الخارجي الذي يعتمد عليه الكلام، وهو في مورد الأخبار المخبر به الواقع في الخارج، إما سابقاً كقصص الأنبياء والأمم الماضية، وإما لاحقاً كما في الآيات المخبرة عن صفات الله وأسمائه ومواعيده وكل ما سيظهر يوم القيامة، وفي مورد الإنشاء كآيات الأحكام المصالح المتحققة في الخارج كما في قوله تعالى: «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»: إسرء- ٣٥، فإنَّ تأويل إيفاء الكيل وإقامة الوزن هو المصلحة المترتبة عليهما في المجتمع وهو استقامة أمر الاجتماع الإنساني. وفيه... أن ظاهر هذه الآية: أن التأويل أمر خارجي وأثر عيني مترتب على فعلهم الخارجي الذي هو إيفاء الكيل وإقامة الوزن لا الأمر التشريعي الذي يتضمنه قوله. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَ زِنُوا الآية، فالتأويل أمر خارجي هو مرجع و مآل لأمر خارجي آخر فتوصيف آيات الكتاب بكونها ذات تأويل من جهة حكايتها عن معانٍ خارجية (كما في الإخبار) أو تعلقها بأفعال أو أمور خارجية (كما في الإنشاء) لها تأويل، فالوصف وصف بحال متعلق الشيء لا بحال نفس الشيء" (٤)، فالتأويل ورد في القرآن الكريم عاما بأن يعمَّ كل ما يُخبر به في الخارج سواء قصص أنبياء أو أمور أخلاقية، أو صفات الخالق أو أمور إنشائية، كل ذلك يدل على أنَّ مصطلح التأويل ورد باللفظ الصريح ليشمل القضايا الاخبارية أو

(١) المصدر نفسه، ٢٤/٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٧/٣.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٣٥.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٥/٣.

وهناك تأويل خاص كما في قصة النبي موسى (ﷺ) مع الخضر (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (٢)؛ لأن "التأويل و إن كان هو المرجع الذي يرجع ويؤول إليه الشيء لكنه رجوع خاص لا كل رجوع، فإن المرئوس يرجع إلى رئيسه و ليس بتأويل له، والعدد يرجع إلى الواحد وليس بتأويل له، فلا محالة هو مرجع بنحو خاص لا مطلق. يدل على ذلك قوله تعالى في قصة موسى والخضر (ع): «سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا»: الكهف- ٧٨، و قوله تعالى: «ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا»: الكهف- ٨٢، والذي نبأه لموسى صور وعناوين لما فعله (ع) في موارد ثلاث كان موسى (ع) قد غفل عن تلك الصور والعناوين، وتلقى بدلها صوراً و عناوين أخرى أوجبت اعتراضه بها عليه، فالموارد الثلاث: هي قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا»: الكهف- ٧١، وقوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقَتَلَهُ»: الكهف- ٧٤، وقوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ»: الكهف- ٧٧. والذي تلقاه موسى (ع) من صور هذه القضايا وعناوينها قوله: «أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا»: الكهف- ٧١، وقوله: «أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا»: الكهف- ٧٤، وقوله: «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا»: الكهف- ٧٧. والذي نبأ به الخضر من التأويل قوله: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا، وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ»: الكهف- ٨٢، ثم أجاب عن جميع ما اعترض عليه موسى (ع) جملة بقوله: «وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي»: الكهف- ٨٢، فالذي أريد من التأويل في هذه الآيات كما ترى هو رجوع الشيء إلى صورته وعنوانه نظير رجوع الضرب إلى التأديب ورجوع الفصد إلى العلاج، لا نظير رجوع قولنا: جاء زيد إلى مجيء زيد في الخارج" (٣).

وهذا التأويل لأمر خاص حدث في قصة النبي موسى (ﷺ) مع الخضر (ﷺ) وما جرى فيها فإن

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٥/٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

التأويل كان لأحداث خاصة حدثت لا مطلق الاحداث، وهذا يدل على أنَّ التأويل جرى بعكس من يفهم من النص الظاهري، وعليه فالتأويل لأمر مخفية غير ظاهرة في النص القرآني كما " يقرب من ذلك ما ورد من لفظ التأويل في عدة مواضع من قصة يوسف (ع) كقوله تعالى: «إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»: يوسف- ٤، و قوله تعالى: وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا»: يوسف- ١٠٠، فرجوع ما رآه من الرؤيا إلى سجود أبويه وإخوته له وإن كان رجوعاً لكنه من قبيل رجوع المثال إلى الممثل، وكذا قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرٍ يَابِسَاتٍ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ، وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ»: يوسف- ٤٨. وكذا قوله تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِينَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ إِلَى أَنْ قَالَ: يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»: يوسف- ٤١. وكذا قوله تعالى: «وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»: يوسف- ٦١، وقوله تعالى: «وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»: يوسف- ٢١، وقوله تعالى: «وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»: يوسف- ١٠١، فقد استعمل التأويل في جميع هذه الموارد من قصة يوسف (ع) فيما يرجع إليه الرؤيا من الحوادث، وهو الذي كان يراه النائم فيما يناسبه من الصورة والمثال، فنسبة التأويل إلى ذي التأويل نسبة المعنى إلى صورته التي يظهر بها، والحقيقة المتمثلة إلى مثالها الذي تتمثل به، كما كان الأمر يجري هذا المجرى فيما أوردناه من الآيات في قصة موسى و الخضر (ع)، وكذا في قوله تعالى: «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَأَحْسِنُ تَأْوِيلًا الآية: إسرء- ٣٥ " (١).

أما التأويل الوارد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾، يتبين أنه يشتمل على:

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٧/٣.

(٢) سورة ال عمران، الآية: ٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

"أولاً: أن كون الآية ذات تأويل ترجع إليه غير كونها متشابهة ترجع إلى آية محكمة.

وثانياً: أن التأويل لا يختص بالآيات المتشابهة، بل لجميع القرآن تأويل، فللآية المحكمة تأويل

كما أن للمتشابهة تأويلاً.

وثالثاً: أن التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل للألفاظ، بل هو من الأمور الخارجية العينية،

واتصاف الآيات بكونها ذات تأويل من قبيل الوصف بحال المتعلق، وأما إطلاق التأويل وإرادة المعنى

المخالف لظاهر اللفظ، فاستعمال مولد نشأ بعد نزول القرآن لا دليل أصلاً على كونه هو المراد من

قوله تعالى: وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْآيَةَ، كما لا دليل على أكثر المعاني المذكورة

للتأويل... قوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، ظاهر الكلام رجوع الضمير إلى ما تشابهه، لقربه كما

هو الظاهر أيضاً في قوله: وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وقد عرفت أن ذلك لا يستلزم كون التأويل مقصوراً على

الآيات المتشابهة. ومن الممكن أيضاً رجوع الضمير إلى الكتاب كالضمير في قوله: مَا تَشَابَهَ مِنْهُ.

وظاهر الحصر كون العلم بالتأويل مقصوراً عليه سبحانه وأما قوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، فظاهر الكلام

أن الواو للاستيناف بمعنى كونه طرفاً للترديد الذي يدل عليه قوله في صدر الآية: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ، والمعنى: أن الناس في الأخذ بالكتاب قسمان: فمنهم من يتبع ما تشابهه منه ومنهم من يقول إذا

تشابه عليه شيء منه: آمناً به كُلاًّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وإنما اختلفا لاختلافهم من جهة زيغ القلب ورسوخ

العلم^(١)، ويتضح أن "التأويل" لا يكون من المفاهيم التي أشار إليها النص القرآني بل هو من

المصطلحات الواردة في النص القرآني، فيتضح أن للنص القرآني المدخلية في تحديد هذا المصطلح،

والتأسيس له كونه ورد في مواضع متعددة في النص القرآني.

الأمر الآخر أن التأويل عكس التفسير فإنَّ التفسير للمعنى الظاهري، أما التأويل للمعنى الخفي

المستند لدليل؛ لأنَّ "التأويل" صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لدليل فيكون هنا

بالمعنى الأصولي، فإذا فسّر قوله تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ^(٢) بإخراج الطير من البيضة، فهو

التفسير، أو بإخراج المسلم من الكافر فهو التأويل، وهناك أقوال أخرى لا عبرة بها، وهذه كلها

اصطلاحات لا مشاحة فيها، إلا أن اللغة والآثار تشهد لمقول الأول، لأنَّ التأويل مصدر أوله إذا أرجعه

إلى الغاية المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراد منه المتكلم به من المعاني، فساوى

التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول^(٣)، فهو بيان للمعنى غير

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٧/٣.

(٢) سورة الانعام: الآية ٩٥.

(٣) علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ٢١٢ / ٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الظاهر من النص "التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه" (١)، فهو بيان بغير اللفظ النازل فيه فلا يؤخذ على ظاهر اللفظ، بل لابد من تأويل المعنى الظاهري.

فبيان اللفظ من معنى محتمل لا معنى ظاهري هو التأويل الاصطلاحي، فالتأويل غير التفسير، فلا مطابقة بالمعنى؛ لأنَّ "التفسير أعمّ من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل. وكثيرا ما يستعمل في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.. التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجّه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة" (٢)، وهناك أيضاً فرق بين "التأويل" و "البيان" بأن: "التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة، والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض" (٣)، فما لا يفهم من معنى من الوهلة الأولى هو تأويل، أما البيان فأن معناه مخفي على البعض دون الكل.

ويّضح للباحث ممّا تقدم أنّ علم "التأويل" ورد في النص القرآني، وأشار إليه بالمصطلح الصريح، وأن هناك اختلافاً بينه وبين التفسير؛ كونه يبين ما خفي من معنى، بعكس التفسير الذي يبين المعنى الظاهري، وللنص القرآني المدخلية والأثر، والأساس في تقنين علم "التأويل"، وهو من العلوم المهمة التي أشار إليها النص القرآني في آياته، وقد استفاد علماء علوم القرآن من هذا المصطلح فجعلوه مبحثاً من مباحث علوم القرآن، والباحث لا يريد الخوض في الخلاف القائم بين العلماء في بيانه، وهل كونه يختلف التأويل عن التفسير أم لا!، فما أسس إليه الباحث هنا مدخلية النص القرآني بالإشارة لهذا المصطلح، وتحديده؛ كونه ورد مصطلحاً لا مفهوماً في النص القرآني.

(٥) مصطلح علم التفسير: الذي ورد بالنص الصريح في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ

بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ (٤).

علم التفسير ورد باللفظ الصريح في القرآن الكريم، ولمعرفة مراد النص القرآني من هذه اللفظة ومعناها لابد من الرجوع إلى الجذر اللغوي لها والمعاني التي وردت فيه عند علماء اللغة التي قالوا بأنها تأتي بمعنى البيان والابانة والتفصيل، والايضاح، والكشف (٥)، والمعاني تدور حول رفع الغموض عن

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١١ / ٣٢ - ٣٣.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١ / ٤٩٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ٤٧.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(٥) يُنظر: العين، الخليل ٧/٢٤٧. ومقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٥٠٤. ومفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ٤٨٢. والمنجد في

اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف اليسوعي، ٥٨٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

اللفظة؛ ليصبح واضحاً جلياً للسامع، وهذا الأمر هو المطلوب وأشار إليه النص القرآني.

فاللفظة ارتبطت بما يرفع الإبهام عن اللفظة أو السياق القرآني؛ ليكون مفهوماً واضحاً للسامع، فيتحقق المطلوب الذي نزل به النص القرآني بأن من يسمعه ويفهمه من دراسته وبيان ألفاظه، وهذا الأمر - أي الإفهام والتوضيح - لابد من الرجوع فيه لمن حُوطب بالنص القرآني وهو النبي محمد (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام)، كون كل ما كان يصدر من النبي محمد (ﷺ) من أقوال أو أفعال يُؤخذ بها؛ لأنها كانت "تتلقى منه بما يوحي إليه من القرآن وبيّن بقوله و فعله بخطاب شفوي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس" (١)، والباحث يريد إثبات مدخلية النص القرآني التأسيسية لهذا المصطلح.

هذا من ناحية المعنى اللغوي، أما من ناحية التعريف الاصطلاحي للفظه التفسير التي أشارت بأن المعنى هو: بيان دلالات الالفاظ، وأحكامها وبيان معانيها حال التركيب (٢)، فهو ذلك العلم الذي يُعرف به من أنزل على صدر النبي محمد (ﷺ) من القرآن الكريم فيتبين معناه، وتُستخرج أحكامه، إلا أن هذا الأمر لا يتأتى إلا من أحاط بعلوم متعددة أشار إليها علماء علوم القرآن (٣)، فالتفسير بقدر هذا المعنى من بيان وتوضيح لمراد الله تعالى في كتابه الكريم وافق ما أشار إليه النص القرآني.

فالمصطلح القرآني أشار إلى أن المعنى هو الكشف والبيان بتوضيح معنى الآيات القرآنية (٤)، وهذا المعنى للمتقدمين من العلماء، وللمعنى نفسه ذهب المتأخرون من العلماء إلا أن منهم من زاد بأن المعرفة بقدر الطاقة البشرية (٥)، وهذا التعريف وإن وافق المعنى اللغوي إلا أنه لابد من تحديد الشخص الذي بإمكانه بيان المعاني القرآنية؛ لأن معظم العلماء قالوا بأن المعنى هو الكشف والبيان والتوضيح ورفع اللثام عن المعنى القرآني، ومعرفة دلالة النص القرآني (٦)، فبقدر هذا المعنى يوافق المعنى الاصطلاحي لمصطلح "التفسير" ما جاء بالنص القرآني.

فالمعنى الاصطلاحي هو رفع الإبهام واللثام عن النص القرآني، وهذا المعنى أشار إليه الأعلام في بيان لفظه التفسير الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٧)، التي

(١) المقدمة، ابن خلدون، ٣٥٩. وينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في مدارس اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ٢٧.

(٢) يُنظر: البحر المحيط، ابن حيان الغرناطي الاندلسي، ١٠/١.

(٣) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٣/١.

(٤) يُنظر: التعريفات، الجرجاني، ٨٧.

(٥) يُنظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١٤/١.

(٦) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٩/١.

(٧) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
بينها الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) بقوله: "أي بأحسن تفسيراً مما يأتونك به وأجود معاني"^(١)، وفسرها
الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) بقوله: "وضع التفسير موضع المعنى؛ لأن التفسير هو الكشف عما يدل
عليه الكلام"^(٢)، وفسرها أيضاً السيوطي (ت: ٩١١هـ) بقوله: "أحسن تفصيلاً"^(٣)، فكل المعاني تشير
إلى المعنى الاصطلاحي فقط لمعنى التفسير الذي وافق المعنى اللغوي بالمعنى من كشف وبيان
وإيضاح.

واستناداً لما سبق يثبت أن النص القرآني أسس لمصطلح التفسير بمعنى البيان والكشف والإيضاح
لآيات القرآن الكريم، وهو بهذا القدر يلائم المعنى ما جاء به الاعلام سواء المعنى اللغوي أو
الاصطلاحي، أما ما يزيد على هذا المعنى من تحديد المفسر ووضع شروطه واتجاهات التفسير وأنواعه
فإن هذه الأمور تخرج المعنى الاصطلاحي للتفسير إلى مفهومه، وهذا الأمر يخالف نظرة القرآن الكريم
لمعنى "التفسير"، فعلم التفسير من المصطلحات التي أسس لها النص القرآني، وأشار إليها باللفظ
الصريح، فما اصطحة علماء علوم القرآن سبقهم النص القرآني بالإشارة إليه؛ كون النص القرآني أرشدهم
إليه، فيتضح ويتبين أن النص القرآني له المدخلة الأولى في تحديد هذا المصطلح بإشارته المباشرة له
باللفظ، ومطابقة نظرة القرآن لما جاء من بيان معناه سواء في اللغة أو الاصطلاح.

(٦) مصطلح (القصص القرآني): الوارد في قوله تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٤).

اعتمد القرآن الكريم أساليب متنوعة ومتعددة كلها تصب في هدف واحد هو إيصال الرسالة
الإسلامية السماوية إلى الناس أجمع، فتارة يعتمد أسلوب صرب الامثال، وتارة أخرى أسلوب الحوار،
وتارة أخرى أساليب تربوية وتوجيهية ونفسية وأخلاقية، وغيرها من الأساليب، ومنها أسلوب القصة القرآنية
لأن "للقصة أثرها المباشر في النفوس واكد في التربية والتعليم مما لو كان الكلام عارياً عن شواهد
وأمثال. ذلك أن النفوس تهفو إلى معرفة ما بين الأحداث وعللها وأسبابها من ربط. وكذا بينها وبين
النتائج المترتبة عليها من علاقة وثيقة. فلو أن المتكلم أبان وجه العلل والأسباب، وكشف عن النتائج
الحاصلة بشكل مستدل متين، ووضع يده على مواضع العبر منها وذوات الاعتبار، لكان قد اقترب من

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٤٨٩/٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي، ٦٥١/٢.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ٤٧٤/١. وينظر: تفسير القرآن العظيم الجليلين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي،
وجلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، ٢٥٤/٦.

(٤) سورة يوسف: الآية: ٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

غايته في تأثير النصح والإرشاد، في أقرب طريق وأفضل أسلوب مؤثر" (١).

فمصطلح القصة القرآنية من المصطلحات المهمة الذي أشار إليه النص القرآني ونص على وجوده في أكثر من آية، ومنها الآية التي تم ذكرها أعلاه (٢)، وما يصبو إليه الباحث هو إثبات مدخلية النص القرآني في إثبات مصطلح القصة القرآنية من خلاله، وقد بينت المعنى اللغوي للقصة في الفصل الأول المبحث الثاني من هذه الأطروحة (٣)، فتبين هناك أن القصة بمعنى الخبر، وما يورد من كلام، ومأخوذة أيضاً من تتبع الأثر، والخبر المتتابع.

إنّ مدلول القصة يحمل معانٍ متنوعة ومتعددة، لهذا نجد من قيد هذه المداليل بقوله: "الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من عبرة، فيه شيء من التطويل في الأداء" (٤)، وهذا المعنى ممكن أن ينطبق على القصص القرآني بوصفها أخباراً وقعت في الماضي فيها من العبر ما فيها، ومنها المطول ومن الأقصر بالذكر داخل النص القرآني، وبهذا المعنى فإن النص القرآني أشار إلى مصطلح القصة بمدلوله المقيد.

أما من حيث الاصطلاح فإنّ معنى القصة هي حوادث وقعت في الماضي تكون مخفية عن الشخص المخبر بها، وهي مأخوذة من تتبع الخبر، أو تتبع الأثر؛ لأنّ القاص يذكر الخبر شيئاً فشيئاً (٥)، فالمعنى اتّباع الأثر، وذكر الكلام تباعاً شيئاً فشيئاً، وهذا ما أورد النص القرآني بذكر القصص شيئاً فشيئاً بحسب الأحداث التي نقلها، وهنا إشارة لمصطلح القصص بذكر المفردة باللفظ الصريح، وذكر قصص مختلفة حسب ما يقتضيه السياق القرآني.

أما تعريف القصة القرآنية فهو ما نقله النص القرآني من أخبار القرون الماضية، وما حدث للأمم السابقة من أجل أخذ العبرة والاطلاع على ما مرّ بهم من أحداث، فيطلع القارئ على نتيجة من أطاع الخالق تعالى، وعلى نتيجة من خالفه (٦)، فالقصة القرآنية تنقل ما وقع من أخبار وأحداث في القرون الأولى التي سبقت الإسلام، وكل ما وقع في أحداثها من صراعات بين قوى الحق والباطل، أو بين النور والظلام (٧)؛ فالقصة القرآنية ليس فقط أخبار عن ما وقع للأمم في الماضي وإنما أخبار عن تشريعات

(١) التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفت، ٤٤٤/٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣.

(٣) يُنظر: ص ٧٨ من الأطروحة.

(٤) بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، ٤١.

(٥) يُنظر: علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، ٣/٣٩٢.

(٦) يُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/٣٢٠. و المفردات، الراغب الاصفهاني، ٤٠٤.

(٧) يُنظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ٤٠.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الأمم السابقة، فالقرآن الكريم يشتمل على تتبع آثار ما سبق، ونقل للوقائع، وسرد تاريخي^(١)، كل ذلك نقله النص القرآني في بعض آياته الكريمة.

فالقصة القرآنية تختلف عن القصص البشرية؛ لاشتمالها على خصائص تميزها عن غيرها، من المصدقية والشمولية، والجاذبية، والاختلاف بطريقة العرض والبيان "شمولية في الموضوع، وعلو في الهدف، وتنوع في المقصد والغرض، ووضوح في الإعجاز"^(٢)، فمدلولها مغاير لغيرها من القصص لذلك؛ "كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات، والهدأة، والقادة، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه، من آراء، ومعتقدات، وأعمال.." ^(٣)، ولقد "أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة"^(٤)، فإن "القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم"^(٥)، حتى في تكرارها فائدة؛ لأن "تكرير القصص الواقعة في القرآن كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام. وفي تكرير القصص فوائد. منها أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة وهي عادة البلغاء. ومنها أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة. ومنها أن الدواعي لا تتوفر على نقلها لتوفرها على نقل الأحكام، فلذا كررت القصص دون الأحكام"^(٦)، ففوائد القصة كثيرة، والباحث ليس في طور إيراد فوائدها بقدر إثبات مدخلية النص القرآني بإيراد مصطلح "القصة".

وخلاصة القول إن النص القرآني أورد مصطلح القصة باللفظ الصريح، وأشار إليه في آياته، وأسس له مبحثاً من مباحث علوم القرآن، وقد أورد قصصاً متنوعة سواء شملت حياة الانبياء (ﷺ)، أو الأمم الماضية، وأن نقل بعض الأحداث التاريخية، كل ذلك من أجل الهدف السامي للدين الإسلامي وهو هداية البشر بأساليب متنوعة ومتعددة في النص القرآني ومنه القصة القرآنية، فإن الباحث توصل أن للنص القرآني المدخلية في تحديد هذا المصطلح في القرآن الكريم، وهذا ما يصبو إليه.

(٧) مصطلح (علم الناسخ والمنسوخ): الوارد في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ٣٠٦.

(٢) الدعوة إلى الله تعالى، محمد بن إبراهيم التويرجي، ١٤٦.

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ٧.

(٤) المصدر نفسه، ٧.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ١/ ٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ١/ ٥٠٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

مِثْلَهَا لَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّجَ الْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِرُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

من المباحث المهمة في علوم القرآن مبحث "الناسخ والمنسوخ" لما له علاقة وثيقة بالنص القرآني، إذ " لا يجوز لأحد يقرأ كتاب الله عز وجل إلا بعد أن يعرف الناسخ منه والمنسوخ لأنه إن جهل ذلك أحل الحرام وحرّم الحلال وأباح المحظور وحظر المباح" (٤)، وهو من المصطلحات التي أشار إليها النص القرآني باللفظ الصريح كما تقدم من الآيات، كما أنّ "النسخ كباقي المصطلحات يعد مفهوماً اسلامياً خاصاً بالفكر والتراث الاسلامي، وما دام كذلك كان بديهيًا أن نجد له جذورا داخل أروقة ومفاصل الاصول العامة التي تتشكل منها تلك الحضارة (القرآن والسنة)" (٥)، فإنّه من المصطلحات القرآنية التي أصبحت مفهوماً ليشمل بقية العلوم الأخرى.

وقد بيّن الباحث المعنى اللغوي والاصطلاحي للنسخ في الفصل الأول المبحث الثاني في الاطروحة (٦)، وتبين في محله أن المعنى هو إزالة عمل كان يعمل به، أو رفع شيء وأثبت شيء غيره، ويأتي بمعنى الاعدام وإبطال الشيء وإزالته (٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّجَ الْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِرُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٨).

كما يأتي بمعنى نقل وتحويل الشيء مع البقاء في نفسه، كما في نقل الميراث من قوم إلى قوم، وأيضا مثل نسخ الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩)، ويقصد بها نقل الاعمال إلى كتاب ومن الكتاب إلى غيره (١٠)، فالمعنى اللغوي متعدد ومتنوع كالإبطال، والتحول، والانتقال، ورفع شيء وأثبت شيء مكانه، والمعنى الملائم للنص القرآني هو رفع حكم كان يُعمل به في زمن ما بحكم آخر مع بقاء الآية المنسوخة، ومعنى ذلك رفع الحكم لا التلاوة.

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٤) كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، احمد بن محمد النحاس، ٢٦٢.

(٥) بحوث نظرية في اصطلاحات علوم القرآن وأثرها في الفكر الإسلامي، ساجد صباح العسكري، ٦١.

(٦) يُنظر: ص ٩٣-٩٤ من الاطروحة.

(٧) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٤٤٠٧.

(٨) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٩) سورة الجاثية: الآية ٢٩.

(١٠) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٤٤٠٧.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

أما من جهة المعنى الاصطلاحي الوارد في النص القرآني فقد جاء في بين النسخ الوارد في سورة البقرة (١) بأنه إزالة أثر التكليف الموجه في الآية مع بقاء رسم الآية (٢)، كما أن هناك لفظ مرادف للنسخ وهو الابدال الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ كَثُرُوا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)، فلا زوال للآية نفسها بل هو زوال للحكم، أو تبديل للحكم لا غير، وعليه " في الحقيقة الناسخ هو الله عز وجل، وقد يطلق لفظ الناسخ مجازا على الحكم الشرعي، أو على المعتقد لنسخ الحكم، أو على النص الناسخ نفسه" (٤).

ومن العلماء المفسرين من أبقى على التعريف اللغوي للنسخ كما ورد عن الطبري (ت ٣١٠ هـ) فيقول: "نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره" (٥)، وهذا التعريف مقارب لما ذهب إليه الأصوليون، في حين نجد الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) قد قيده بالحكم الشرعي بقوله: "... واما الناسخ فهو كل دليل شرعي يدل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه" (٦)، واورده الرازي (ت ٦٠٦ هـ) بقوله "هو النقل والتحويل" (٧)، كما قال الجنازدي (ت ١٣٢٧ هـ): "والنَّاسِخُ بالنَّسخِ الكَلِّي في القرآن هو الآية التي نسخت حكماً ثابتاً في شريعة أخرى أو في هذه الشريعة، والمنسوخ هو الآية التي نسخ حكمها الثابت في الشريعة، والنَّاسِخُ بالنَّسخِ الجزئي هو الآية التي تعلق حكمها بشخص ورفعت عنه حكماً آخر، والمنسوخ بهذا النَّسخ هو الآية التي نسخ حكمها عن هذا الشخص، ويقال: النَّاسِخُ لِلَّتِي تَعَلَّقَتْ بِشَخْصٍ، والمنسوخ لِلَّتِي لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهَذَا الشَّخْصِ، فالنَّاسِخُ بالنَّسخِ الجزئي لا يكون إلا في المتشابهات" (٨)، أما السيد الخوئي (ت ١٤١١ هـ) فعرفه بقوله: "هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع، وهذا الأخير كما في نسخ القرآن من حيث التلاوة فقط. وإنما قيدنا الرفع بالأمر الثابت في الشريعة ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجاً، كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان،

(١) الآية: ١٠٦.

(٢) يُنظَر: الميزان، السيد الطباطبائي، ٢٤/١-٢٥. علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة و المعارف القرآنية، ٥٧٤/٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠١.

(٤) الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، الدكتور وهبة الزحيلي، ٢٣١/٢.

(٥) جامع البيان، ١٠/١٠٤.

(٦) التبيان، ١٢/١.

(٧) مفاتيح الغيب، ٣/٢٢٦.

(٨) بيان السعادة، ١/١٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

وارتفاع وجوب الصلاة بخروج وقتها، وارتفاع مالكية شخص لماله بسبب موته، فان هذا النوع من ارتفاع الأحكام لا يسمى نسخاً، ولا إشكال في امكانه ووقوعه، ولا خلاف فيه من أحد^(١)، والنسخ هنا عام سواء بالحكم التكليفي أو الوضعي، أو في المناصب الالهية كون الله سبحانه وتعالى هو المشرع.

وقد بين السيد الخوئي أن الحكم إذا ثبت في القرآن ثم دلّ الدليل بأن السنة النبوية المتواترة أو الاجماع القطعي الذي يكشف عن رأي المعصوم بصدوره عنه فمثل هذا النسخ لا إشكال في وقوعه عقلاً ونقلًا، ومثله إذا نُسخ الحكم الوارد في القرآن الكريم بنص من القرآن الكريم نفسه ناظر إلى الحكم المنسوخ ومبينة سبب رفعه كما في آية النجوى، أما إذا لم تكن الآية الناسخة ناظرة إلى الحكم السابق ولا مبينة لسبب الرفع فمثل هذا النسخ لا يقع في النص القرآني^(٢)، فإنّ النسخ وارد في النص القرآني، والباحث هنا لا يريد الخوض في الخلاف في عدد الآيات الناسخة والمنسوخة بين العلماء بقدر إثبات أن هذا المصطلح قد ورد في النص القرآني.

وبناءً على ما تقدم ثبت أن النص القرآني قد أسس لمصطلح النسخ من إيراده باللفظ الصريح الدال على معناه الاصطلاحي، وكذلك بإيراد بعض الآيات القرآنية الدالة على وجود هذا العلم، وبهذا البيان يتضح مدخلية النص القرآني في تحديد هذا المصطلح والاشارة إليه باللفظ الصريح مما جعله أن يكون مبحثاً من مباحث علوم القرآن.

(٨) مصطلح (المحكم والمتشابه): الذي ورد في النص القرآني باللفظ الصريح في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

إنّ مصطلح "المحكم والمتشابه" من المصطلحات التي أشار إليها النص القرآني باللفظ الصريح، والتي بينها من سياق الآية السابقة بأنّ هناك من آيات محكمة واخرى متشابهة، فهي من العلوم التي لها صلة وثيقة بالنص القرآني، فان "للنص علاقة وثيقة بالمحكم والمتشابه، بل هو المحكم والمتشابه بعينه"^(٤)، وهذا يعني أن النص القرآني قسم الآيات الواردة في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام، وهي:

(١) كل آياته محكمة، وأشار إلى هذا الشيء في قوله تعالى: ﴿الرَّكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ

(١) البيان في تفسير القرآن، ٢٧٦.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ٢٨٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٤) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ٢٠٠/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾، وهذا الامر منوط في بيانه إلى من خوطب بالقرآن الكريم وهم محمد وال محمد (عليه السلام)، " والنكتة في ذلك هو أن القرآن قد وصف نفسه بأنه كله مُحْكَمٌ لقوله تعالى: الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ (هود: ١)، ومن الواضح أن إحصاءه كلياً إنما بلحاظ قراءة المعصوم، وهذا المعنى يُفسره لنا المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) وهو يُخاطب قتادة: (ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به) (٢) " (٣)، والمعنى أن كل القرآن محكم إذا نظرنا إلى أن معنى الاحكام بأن يوجد الشيء كله محكماً لا يوجد فيه أي خلل (٤)، وهذا الشيء راجع إلى فهم الآيات من نظرة المعصوم لها؛ لان هذا النوع من "الفهم لا يقع فيه التشابه، فالقرآن بلحاظ فهم المعصوم محكم كله" (٥)، وهذا المعنى واللحاظ ينطبق على جميع آيات القرآن الكريم، فصحَّ أن يوصف بأنه جميع آياته محكمة، وهذا الأمر يعني أن النص القرآني أشار إلى مصطلح "المحكم" في هذه الآية.

(٢) كل آياته متشابهة، وهذا ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٦﴾، فهو كله متشابه وذلك بلحاظ القارئ للنص غير المتخصص به " أن القرآن كله متشابه؛ لقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) (الزمر: ٢٣)، وهو متشابه كله بلحاظ القارئ غير المتخصص" (٧)، لكون التشابه مأخوذاً من المثل الذي يقصد به الشبه (٨)، فعندما نقول أمر فيه شبهة يعني وقع فيه الالتباس، والمتشابهات بمعنى المتماثلات، وأمور متشابهة أي فيها مشكلة، والتشبيه بمعنى التمثيل (٩)، ومن معاني التشابه ما وافق بعضه بعضاً (١٠)، ومعنى ذلك " أن الآيات تماثل بعضها بعضاً من حيث أنها تجسد الخطاب الإلهي بما له من خصائص متوافقة في النهج، فلا تتناقض في مدلولاتها. ومنه ما يعني التباس المعنى" (١١)،

(١) سورة هود، الآية: ١.

(٢) الفروع من الكافي: ٣١٢/٨، حديث: ٤٨٥.

(٣) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ٢٠٠/١.

(٤) يُنظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ١٤.

(٥) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٣.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٧) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ٢٠٠/١.

(٨) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣/٥٠٣.

(٩) يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤/٢٨٦.

(١٠) يُنظر: البرهان، الزركشي، ٢/٧٤..

(١١) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

وهنا الافهام هو " فهم عامة الناس من أهل اللسان، وهذا المستوى غالبه متشابه ملتبس " (١)، وبهذا اللحاظ يكون النص القرآني أشار إلى مصطلح "المتشابه" في النص القرآني، إلا أنه بلحاظ الناظر إلى غير المتخصص في علومه.

(٣) بأن آياته فيها المحكم وفيها المتشابه، وأشار إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢)، فإنها تدل على أن " بعض القرآن مُحكم وبعضه مُتشابه؛ لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ... (آل عمران: ٧)، وهذا بلحاظ القارئ المُتخصّص، فهو مهما بلغت مراتب تخصصه فإن القرآن الكريم سيبقى فيه ما هو مُتشابه له، وهنا تكمن الحاجة لوجود الإمام المعصوم عليه السلام، ومن هنا نفهم أيضاً ذيل الآية السابقة وهو:.. فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. " (٣)، والمقصود هنا من الافهام هو "فهم العلماء - من دون المعصوم - وهذا المستوى يقع فيه نحوان من الفهم: المحكم والمتشابه، فما كان الطريق إلى فهمه ضرورياً أو يقينياً فهو محكم، وما كان الطريق في فهمه ظنياً فهو متشابه" (٤)، وهذه الآية صريحة وواضحة بأنها أشارت وأست لمصطلح "المحكم والمتشابه" باللفظ الصريح من جمعها في نص واحد " فهذه الآية صريحة في وجود كلا القسمين في القرآن الكريم وهي كالقرينة على المراد في الآيات الأخر التي يظهر منها أن القرآن كله محكم " (٥)، إلا أن معرفتهما راجعة إلى المتخصص في الشأن القرآني، ودراسته، وبيّنت الآية أن في خاتمتها الحاجة إلى وجود الامام المعصوم في بيان ما تشابه من النصوص القرآنية.

وملخص ما تم تقسيمه للآيات التي أوردت مصطلح "المحكم والمتشابه" كل لفظة على حده بأنه " يكون المراد من قوله تعالى: "أحكمت آياته" هو أن آيات القرآن كلها محكمة، لا خلل فيها، لا لفظاً ولا معنى. فالمقصود بالإحكام إيجاد الشيء محكماً. والمراد من قوله تعالى "كتاباً متشابهاً" هو أن الآيات القرآنية بجملتها يشبه بعضها بعضاً ويمثله في الأحكام وحسن النظم، ويؤيد ذلك ما في كتب اللغة من

(١) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، ٢٠٠/١.

(٤) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ٣٢٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم معاني الحكم والشبه^(١)، ومن ذلك نشأ المصطلح، فهو في الاصطلاح: يطلق على ما اتضح معناه وظهر لكل عارف باللغة، وعلى ما كان مصوناً من النسخ أو التخصيص، أو منهما معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، وما طابق لفظه معناه. ويقابله بكلٍ من هذه المتشابهة^(٢) " (٣).

ويرى الباحث ممّا تقدم ايراده أن النص القرآني فيه الإشارة الأولى لمصطلح "المحكم والمتشابه"؛ لوروده في نصه المبارك باللفظ الصريح هذا أولاً، وأن علماء علوم القرآن قد أوردوا هذا العلم في مؤلفاتهم وأشاروا إليه بأنه من مباحث علوم القرآن، وهنا لا إريد الخوض بالكلام بكيفية أيراد العلماء لهذا العلم، وسيتم الكلام في هذا الأمر في المبحث الثالث من هذا الفصل بحولٍ من الله وقوته.

وفي ختام هذا المطلب يستطيع الباحث الاستنتاج بأن النص القرآني قد أسس لمصطلحات علوم القرآن من خلال الإشارة باللفظ الصريح لها، وهذا ما تم دراسته وإثباته هنا، وهذا الشيء يؤكد مدخلية النص القرآني المباشرة في تحديد مصطلحات علوم القرآن، فلا مؤسس أو مصطلح الا النص القرآني، وغيره أما مبين كما في النبي محمد (ﷺ) واهل بيته (عليهم السلام)، أو مجتهد كما في علماء علوم القرآن، والأخير قابل للنقاش؛ لان مصطلحاته قد خضعت لاجتهاداته العلمية.

المطلب الثاني: مصطلحات تاريخ القرآن من القرآن الكريم:

الكلام في المصطلحات التابعة لمصطلح "تاريخ القرآن" التي أوردتها النص القرآني، والتي له المدخلية بالإشارة إليها بالمصطلح الصريح فكما تقدم بيانه في المبحث الثالث من هذا الفصل^(٤) من أنّ العلماء قسموا العلوم التي وجدت في النص القرآن إلى "علوم القرآن" و "تاريخ القرآن"، وقد تم مناقشة هذا الرأي بأنّ منهم من أفرد هذا المصطلح -تاريخ القرآن- كعلم مستقل، ومنهم من أوردته ضمن مباحث علوم القرآن جاعلا منه جزء منها لا على نحو الاستقلالية، والباحث بيّن أن هناك مباحث تتعلق بتاريخية القرآن ولا تتعلق بعلومه، وقد أشار النص إلى مفهومين كما تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل، وهنا سيقوم الباحث بإيراد المصطلحات التابعة لـ "تاريخ القرآن" التي أشار إليها النص القرآني باللفظ

(١) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ١٩٠١/٥. والفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ١٤ و ٢٩٢. ومقاييس اللغة، وابن فارس، ٩١/٢. وابن الأثير، النهاية، ٤١٩/١. ولسان العرب، ابن منظور، ٥٠٣/١٣. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٤٨٤٩/٤. وتاج العروس، الزبيدي، ١٦١/١٦.

(٢) يُنظر: فقه القرآن، الراوندي، ٢٢١/١. والاتقان، السيوطي، ٥/٢.

(٣) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، ٣٢٣.

(٤) يُنظر: ص ١٠٣ من الاطروحة.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الصريح، وكانت له المدخلية في تحديدها، على النحو الآتي:

(١) مصطلح نزول القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمًا نَزَّلْنَا لِنَقُرَّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ (١)،

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٤).

إنَّ مسألة نزول القرآن وتنزيله من المباحث المهمة التي أشار إليها النص القرآني، إذ قال عنه الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ): "هذا مبحث مهم في علوم القرآن بل هو أهم مباحثه جميعا، لأن العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن وأنه كلام الله، وأساس للتصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأن الإسلام حق. ثم هو أصل لسائر المباحث الآتية بعد في علوم القرآن. فلا جرم أن يتصدّرها جمعا، ليكون من تقريره وتحقيقه، سبيل إلى تقريرها وتحقيقها. وإلا فكيف يقوم البناء على غير أساس ودعام؟" (٥). وتقدم الكلام أن من العلماء من يضم هذا العلم إلى علوم القرآن، ومنهم من أفرده كعلم تابع لـ "تاريخ القرآن"، وحاصل القول إن مبحث نزول القرآن الكريم من المباحث المهمة، والتي يُبنى عليه جميع العلوم الأخرى؛ لأنه يُثبت أن القرآن الكريم نزل من الله تعالى على صدر النبي (ﷺ)، وبهذا الإثبات يثبت صدور النص القرآني من جهة عليا، وعليه يقصد بالنزول بصورة عامة بأن النبي محمداً (ﷺ) تلقى القرآن الكريم من طريق الوحي الإلهي، وهذا التلقي من جهة عليا معنوية، واستعمل هذا اللفظ للدلالة على علو الجهة التي تم الاتصال بها من قبل النبي (ﷺ) التي يُعبر بها بالوحي الإلهي (٦)، وما يريده الباحث هنا إثبات أن النص القرآني ومن استعراض الآيات السابقة قد بيّن هذا المصطلح باللفظ الصريح.

ومن أجل الوقوف على المعنى المراد من "نزول القرآن" فقد تطرق الباحث إلى معناه اللغوي في

الفصل الأول المبحث الثالث من هذه الأطروحة (٧) فتبين في محله أنها مأخوذة من الهبوط من مكان

(١) سورة الاسراء: الآية ١٠٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣.

(٤) سورة القدر: الآية ١.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٣/١.

(٦) يُنظر: علوم القرآن، الحكيم، ٢٥.

(٧) يُنظر: ص ١١٠ من الأطروحة.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

عالٍ إلى منخفض، وتأتي بمعنى الحلول كما في نزول الضيف^(١)، فالنزول هو الهبوط من الأعلى إلى الأسفل، أما التنزيل فيأتي بمعنى الترتيب للشيء^(٢)، فلا نزول إلا من ارتفاع، أما نزول القرآن تنزيلاً بمعنى نزوله شيئاً فشيئاً^(٣).

ومما تقدم يتبين معنى النزول هو الحلول، وبمعنى الهبوط من الأعلى إلى الأسفل، أما التنزيل، فمعناه الترتيب، وتماشياً مع اللفظ القرآني معنى النزول هو الهبوط من جهة عليا وهي الله تعالى، والمقصود نزول القرآن الكريم، والحلول في صدر النبي محمد (ﷺ)، ولابد من الإشارة إلى أن القرآن الكريم بما أنه ليس بجسم، فلا يمكن انتقاله من مكان عالٍ إلى مكان أسفل منه، فلا يقصد المعنى اللغوي للنزول؛ كونها وردت لنزول الأشياء المادية التي لها جسم وحيز والقرآن الكريم غير ذلك، الامر الآخر أن من أنزل القرآن الكريم هو الله تعالى وسبحانه منزه من الجسمية والمكانية، وعليه فأطلاق المعنى اللغوي المادي للنزول على القرآن الكريم غير صحيح، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٤﴾﴾^(٤)، وهذا الكلام يدل على أن نزول القرآن الكريم محله هو قلب النبي محمد (ﷺ).

فالمعنى المراد من النزول حسب ما تقدم بأن النبي الاكرم محمد (ﷺ) تلقى الوحي الإلهي من جهة عليا معنوية لا مادية لهذا يقال من حيث اللغة أن القرآن الكريم نزل عليه، وذلك للإشارة بأن لفظة النزول استعملت من أجل اظهار علو الجهة التي اتصل بها النبي محمد (ﷺ)، وهذا الاتصال كان من طريق الوحي الإلهي الذي تلقى منه القرآن الكريم^(٥)، وهو يدل على حقيقة مهمة عقديّة مفادها تنزيه الخالق عن الجسمانية والمكانية التي لا تجوز على الله تعالى، فإن ما سوف يبحث عنه هو إثبات نزول القرآن الكريم على النبي محمد (ﷺ) من الله تعالى من طريق الوحي.

وهناك أمر لابد من التطرق إليه بأن من جهة المعنى اللغوي وما وجد فيه من محذور من حمل معنى "النزول" على معناه اللغوي الحقيقي، دفع علماء الاصطلاح بأن يتعدوا عن المعنى اللغوي لـ "النزول" لهذا نجد السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) يشير إلى سبب ذلك بأنه "بسبب علو مقام الله تعالى

(١) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤١٧/٥. و لسان العرب، ابن منظور، ٦٥٦/١١ - ٦٦٠. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي،

١٠٦٢. والمعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ٩١٥/٢.

(٢) يُنظر: الصحاح، الجوهري، ١٨٢٨/٥ وما بعدها. والمصباح المنير، الفيومي، ٦٠٠/٢.

(٣) يُنظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، ٨٢٧/٢.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣ - ١٩٤.

(٥) يُنظر: علوم القرآن، الحكيم، ٢٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

الرفيع، وتدني مقام عباده إلى النزول المقامي" (١)، كما أستفاد السيد مصباح اليزدي (ت ١٤٤٢ هـ) من خلال النظر إلى الكلمتين المتقابلتين "النزول الاعتباري والنزول المادي" من كلمة "النزول" الحقيقي حول القرآن الكريم (٢)، وقد أطلقوا عليه عدة تسميات منها النزول الروحاني، أو النزول الحقيقي كإشارة إلى نزول القرآن الكريم، وقد أستخدم مصطلح "النزول الروحاني" حسن المصطفوي (ت ١٤٢٦ هـ) (٣)، ووفق ما تقدم من آراء نخرج بنتيجة أن في الأمور الحقيقية غير الحسية كالقرآن الكريم، والذي تم انزاله من المقام الإلهي العالي إلى مرحلة المفاهيم واللفاظ البشرية فيكون من الأنسب والأرجح أن نُعبر عنه بالنزول الحقيقي لا الاعتباري (٤)، فإنَّ نزول القرآن الكريم من الأمور الحقيقية؛ كونه أنزل من الله تعالى على صدر النبي محمد (ﷺ) فلا يقال عن هذا النزول بأنه نزول اعتباري، وبهذا المعنى يثبت أن نزول القرآن مصطلح أشار إليه النص القرني من بعض الآيات القرآنية التي تكلمت عن نزوله من جهة عليا. أما من ناحية التعريف الاصطلاحي فلم يخرج عن معناه اللغوي بمعنى الهبوط، الا أنه يشمل الهبوط المادي والمعنوي فتكون رتبته حقيقة عالية (٥)، ومعنى ذلك أن "النزول" يدل على وجود هبوط للشيء المنزل من العالي إلى الاسفل، وهذا النزول يشمل النزول المادي والمعنوي، وهذا النزول يشمل نزول القرآن الكريم؛ كونه نزل من جهة عليا هي ساحة القدس الالهي على قلب النبي محمد (ﷺ)، لهذا عُرف "نزول القرآن" اصطلاحاً "نزوله من جانب الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الموضوع من المواضيع الرئيسية في علوم القرآن، وله بحوث واسعة النطاق في هذا الفرع العلمي" (٦)، وهذا الشيء يثبت أيضا ورود مصطلح النزول في النص القرآني باللفظ الصريح.

واستناداً لما سبق ذكره فإن النص القرآني أشار إلى نوعين من النزول هما:

أولاً: نزول حقيقة القرآن الكريم، أو روحه كما في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك في السنة الأولى من البعثة الاسلامية على قلب وصدر النبي محمد (ﷺ)، ويعبر عن هذا النزول بالنزول الدفعي بمعنى دفعة واحدة.

ثانياً: النزول التدريجي في قالب الالفاظ، وفي أطار آيات القرآن الكريم وسوره، الذي بدأ نزوله في السابع والعشرين من شهر رجب وأستمر طيلة البعثة النبوية والرسالة الإسلامية إلى أن بلغ النبي

(١) يُنظر: الميزان، الطباطبائي، ٨/٣.

(٢) يُنظر: معارف قرآنية، مصباح اليزدي، ٣٢/١.

(٣) يُنظر: التحقيق في كلمات القرآن، المصطفوي، ٩٦/١٢.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه، ٣٢/١.

(٥) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، الاصفهاني، ٧٩٩، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم، مصطفوي، ٧٨/١٢.

(٦) معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٨٩/١.

محمد (ﷺ) رسالته بالكامل^(١)،

والذي ذهب إلى هذا الرأي "الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)"^(٢)، و"الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)"^(٣)، و"العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)"^(٤)، و"محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ)"^(٥)، و"أبو عبد الله الزنجاني (ت ١٣٦٠هـ)"^(٦)، و"العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)"^(٧)، و"كثير من علماء أهل السنة"^(٨).

والدليل على نزول القرآن الكريم دفعة واحدة قوله تعالى: ﴿وَأَلَكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٩٩﴾﴾^(٩)، ومعنى ذلك أن "الهاء" في نهاية لفظ "أنزلناه" عائدة على جملة "الكتاب المبين" الذي يقصد به القرآن الكريم، ويقصد به نزوله في هذه الليلة المباركة، وهي ليلة القدر، فضلاً عن أن الله تعالى قدم القسم بـ "الكتاب المبين" الذي فيه دلالة على أن المراد جميع القرآن الكريم، وأنه نزل بأجمعه قبل هذا الوقت؛ كون القسم المذكور لا بد أن يكون القسم بجميع القرآن الكريم؛ لان القسم ببعضه خلاف للظاهر والعرف الغالب^(١٠)، وهذا الأمر يدل على أن القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة على صدر النبي محمد (ﷺ) في هذه الليلة، وهذا يعني أن القرآن أشار إلى مصطلح نزول القرآن.

ونجد أن السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) بذل جهداً في إثبات النزول الدفعي للقرآن الكريم إلا أنه يقول نزوله لا يعني النزول بهذه الألفاظ والأجزاء والفصول، بل إن للقرآن الكريم حقيقة سامية وعالية من دون هذه الألفاظ والفصول والأجزاء، وشأن هذا النزول لا يدركه عوام الناس، والقرآن الحاضر والموجود بهذه الهيئة مثال واضح لتلك الحقيقة الواضحة، وكأنه لباس لها^(١١)، إلا أنه "من جهة أخرى فالآيات التي تحدتت عن نزول القرآن في ليلة القدر استخدمت كلمة «الإنزال» التي تعني النزول الدفعي، وهو لا يمكن أن يكون في قالب الألفاظ. وكل آية من آيات القرآن تلاحظ أحداثاً خاصة ولا يعقل نزولها قبل تلك الأحداث،

(١) يُنظر: بحار الأنوار، ١٨ / ٢٥٣.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ١٨ / ٢٥٠-٢٥١.

(٣) يُنظر: تفسير الصافي، ١ / ٦٤.

(٤) يُنظر: بحار الأنوار، ١٨ / ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) يُنظر: آلاء الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ١٦٠.

(٦) يُنظر: تاريخ القرآن، الزنجاني، ٣٨-٣٩.

(٧) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢ / ١٥-١٨.

(٨) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ٢٢٨، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١ / ١١٧-١٢٣. وروح المعاني،

الالوسي، ٣٠ / ١٨٩.

(٩) سورة الدخان: الآية: ٢-٣.

(١٠) يُنظر: تفسير الطبري، ٢ / ١٩٦-١٩٨. والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، ٤ / ٣٤.

(١١) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢ / ١٨.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

فلا بدّ أن يكون المقصود من نزول القرآن الدفعي في ليلة القدر: نزول حقيقته" (١)، لهذا نجد أنّ بعضاً من تلاميذ السيد الطباطبائي يعبرون عن الحقيقة التي أشار إليها السيد بـ "روح القرآن"؛ بكون نزول القرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك نزول أجمالي لا زمني، وأن هذا النزول كان مقدمة للنزول التدريجي الزمني التفصيلي الذي يمكن أن نعبر عنه "بروح القرآن المجرد من قوالب الكلمات والسور والآيات"، فعندما وجدت هذه الروح عند النبي محمد (ﷺ) تحولت هذه الحقيقة "التي هبطت أولاً على النبي كالروح" إلى قوالب من الكلمات والالفاظ بعدها نزلت عليه (٢)، فخلاصة القول أن القرآن الكريم له نزولين الأول دفعي والثاني تدريجي، وهذا الأمر يدل على أن النص القرآني قد أثبت النزولين في آياته المباركة.

وهناك من العلماء من أشار إلى أنّ القرآن الكريم نزل أولاً بشكل دفعي في ليلة القدر بعدها استمر نزوله طوال البعثة النبوية بمناسبات مختلفة من أجل الجواب على أسئلتهم تارة، ومن أجل حل المشاكل، بالإضافة إلى طمأنة النبي محمد (ﷺ) وتثبيت فؤاده (٣)، وهذا الرأي هو محل قبول من أكثر المحققين (٤)، إلا أنه يذهب إلى عدم وجود نزول دفعي للقرآن الكريم (٥)، ومن المفكرين والمفسرين من يرى أنّ للقرآن الكريم نزولين "دفعي وتدرجي"، ومن أمثال هؤلاء "ابن العربي (ت ٦٣٨ هـ)" (٦)، كما يلحظ أن الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) يذهب إلى أنّ القرآن الكريم نزل نزولاً دفعياً في "شهر رمضان في ليلة القدر إلى البيت المعمور"، ومن هذا المكان نزل تدريجياً حسب المكان والزمان على قلب النبي محمد (ﷺ) طوال البعثة النبوية (٧)، وهذا الرأي مشابه لما ذهب إليه السيوطي (ت ٩١١ هـ) (٨)، وأشار الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) بأن للقرآن ثلاثة تنزيلات وهي:

الأول: إلى اللوح المحفوظ بدلالة الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾

(٩)، وهو وجود لا يعلم طريقته وكيفية إلا الله تعالى، ومن أنن له بالاطلاع على هذا الغيب، وهو بهذا التنزيل جملة غير مفرق؛ لكون اللفظ مطلق في ظاهره، وأن حكم التنزيل لا تعقل بتحققها في هذا

(١) يُنظر: معرفة القرآن على ضوء الكتاب والسنة، محمد ريشهري، ٩٥/١.

(٢) يُنظر: دروس من القرآن، محسن قرائتي، ٢٦ / ٦٦٨.

(٣) يُنظر: التمهيد في علوم القرآن، هادي معرفة، ١١٤/١.

(٤) يُنظر: علوم القرآن، هادي معرفة، ٦٥.

(٥) يُنظر: التمهيد في علوم القرآن، معرفة، ١١٣-١٢٤.

(٦) يُنظر: الفتوحات، ابن عربي، ٤ / ٤٠٢.

(٧) يُنظر: اعتقادات الإمامية، الصدوق، ٨٢.

(٨) يُنظر: الاتقان، السيوطي، ١ / ١٥٦.

(٩) سورة البروج، الآية: ٢١-٢٢.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
التنزيل.

الثاني: التنزيل من الله تعالى إلى السماء الدنيا بيت العزة ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (١)، وقوله تعالى من سورة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٢)، وفي سورة البقرة قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)، فقد دلت هذه الآيات على أن القرآن الكريم أنزل في ليلة مباركة واحدة، وهي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، وهذا النزول يفرق عن النزول الذي استمر طوال البعثة النبوية.

الثالث: فهو الذي نزل به جبرائيل (عليه السلام) على قلب النبي محمد (ﷺ)، وهذا التنزيل هو واسطة عقد التنزيلات، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٦﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٤)، لأنه المرحلة الأخيرة من التنزيل (٥)، كما ذهب إلى وجود تنزيلين في القرآن "السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)" (٦).

إنَّ الاختلاف بين لفظة "إنزال" ولفظة "تنزيل" فالأخيرة تدل على نزول القرآن الكريم على دفعات، أما الأولى فتدل على المعنى العام فتشمل "النزول التدريجي والنزول كدفعة واحدة"، وعليه فالفرق "بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرداً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام" (٧)، و"اختلاف العبارتين المذكورتين أعلاه إنما يعود إلى أن القرآن المجيد نزل دفعة واحدة على قلب النبي محمد (ﷺ) في ليلة القدر في شهر رمضان المبارك... وفي كل هذه الآيات استخدمت عبارة (الإنزال) التي تشير إلى نزوله دفعة واحدة. ويوجد نزول آخر تم بصورة تدريجية استغرقت (٢٣) عاماً، أي طوال فترة نبوة الرسول الأكرم (ﷺ) إذ كانت تنزل في كل حادثة وقضية آية تناسبها، وتنتقل بالمسلمين من مرحلة إلى أخرى ليرتقوا سلم الكمال المعنوي والأخلاقي والعقائدي والاجتماعي،... والذي يثير الانتباه، هو أن الكلمتين (تنزيل) و (إنزال) تأتيان أحياناً في آية واحدة

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣ - ١٩٤.

(٥) يُنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/ ٣٧-٤٠.

(٦) يُنظر: الميزان، الطباطبائي، ٢ / ١٥ - ١٨.

(٧) المفردات، الراغب، ٧٩٩.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

للتعبير عن مقصودين، كما ورد في الآية (٢٠) من سورة محمد: ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت. فكان المسلمين يطلبون أحيانا نزول السورة القرآنية تدريجياً كي يهضموا محتوياتها بصورة جيدة، لكن الضرورة كانت تستدعي في بعض الحالات نزول السورة دفعة واحدة، وخاصة السور التي تتناول مسائل الجهاد في سبيل الله، لأنَّ نزولها التدريجي كان قد يؤدي إلى سوء استغلالها من قبل المنافقين الذين كانوا يتحينون الفرص لبث سمومهم. ففي مثل هذه الحالات - كما ذكرنا - كانت السورة تنزل دفعة واحدة^(١).

واستناداً لما سبق ذكره من أثبات النزولين - الدفعي والتدريجي - بأنَّهما فيهما فائدة تعود إلى البشر اجمع؛ لكون القرآن الكريم هو كتاب هداية لجميع البشر، فإنه "لا مانع أن يضاف إليه بأن القرآن الكريم - كما يبدو من منهجيته الاستقرائية - يريد كتابة التاريخ الإنساني، بكل ما في هذا التاريخ من مفارقات و أحداث و نوازع و تطورات، والتاريخ إنما يكتب في جزئياته، ومن ضم هذه الجزئيات بعضها لبعض يتكون التاريخ بمظاهره الماضية و تطلعاته الحالية، لإنارة المستقبل وإضاءة درب السالكين، والتاريخ لا يتألف جملة واحدة، وإنما ينجم موضوعات وصوراً ومشاهد، ومن مجموعها يتشكل الأثر البارز لسمة من السمات، والقرآن إنما يعني بتاريخ الأمم والإيمان، والشعوب والهداية، فهما رزمان متلازمان، تنحصر عليه ذكر أحدهما بالآخر، حصراً عضوياً ترى فيه الكون وقضية التوحيد يشكلان خطوطاً رئيسية تنبثق منها حيثيات فرعية في النبوة والرسالة وعوالم الحياة"^(٢).

وخلاصة ما تقدم أن القرآن الكريم أشار إلى مصطلح "نزول القرآن" سواء الدفعي منه أم التدريجي على خلاف بين العلماء في بيانهما، والباحث هنا ليس في طور مناقشة الآراء المختلفة في حقيقة التنزيل أو الانزال بقدر ما يسعى إليه من إثبات ورود هذا المصطلح في النص القرآني، فمن المهم هنا أن النص القرآني أشار إلى هذا المصطلح باللفظ الصريح الذي يؤكد نزول القرآن الكريم من الله تعالى على قلب النبي محمد (ﷺ)، والذي استمر طوال البعثة النبوية، فيخلص الباحث إلى أن للنص القرآني المدخلية في إثبات هذا المصطلح ليقطع الطريق أمام المتقولين والمشككين في نزوله من الله تعالى.

(٢) **مصطلح الوحي:** الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿٣﴾.

(١) تفسير الأمل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٥ / ١٤ - ١٦.

(٢) تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، ٣٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

وردت لفظة "الوحي" باللفظ الصريح في النص القرآني، والتي أوردها العلماء وعدوها مبحثاً من مباحث علوم القرآن أو علم من علوم "تاريخ القرآن"، والباحث هنا يريد الوصول إلى مدى مدخلية النص القرآني في تحديد هذا المصطلح، فلفظة الوحي وردت بمعانٍ متعددة في النص القرآني، إذ ورد "ورد الوحي في القرآن الكريم بالإشارة إلى تعدد المصادر التي ينتسب إليها، فوجدناه يصدر عنه تعالى إلى عباده ومخلوقاته بصور وطرق مختلفة، وورد صادراً عن الشيطان بصورة وسوسة وتزيين.. إلخ بهدف إضلال الإنسان وتزييف الوحي الإلهي. ونسب إلى مصادر أخرى استنقيد بعضها من نص القرآن الكريم واستشف المفسرون بعضها الآخر من الربط بين آيات متعددة واستنتاج تلك المعاني من الروايات والأحاديث" (١)، فإن لفظة "الوحي" شملت الإنسان والحيوان والجماد، وبتعدد المعاني للفظة يؤدي بأن تكون لفظة "الوحي" الواردة في النص القرآني قد وردت بالمفهوم لاشتمالها على عدة معانٍ "منه ما يكون مكاملة بين العبد وربّه، كما كَلَّمَ الله موسى تكليماً. ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفىه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً، ولا يجد فيه شكاً. ومنه ما يكون مناماً صادقاً يجيء في تحقّقه ووقوعه، كما يجيء فلق الصبح في تبلّجه وسطوعه. ومنه ما يكون بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام: وهو ملك كريم ذو قوّة عند ذي العرش مكين، مطاع ثمّ أمين. وذلك النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها. ووحي القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي" (٢).

وهكذا فإنّ المعنى يتسع لـ "تعددت أنواع المخلوقات التي يقف إليها الوحي الإلهي، فتمثلت مواردها في الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهو ما يمثل الوحي بمعناه الحقيقي جامعاً بين العناصر اللغوية والاصطلاحية الدينية للفظ، والوحي إلى الموجودات الأخرى المتنوعة، وهنا أخذ الوحي معاني متعددة بحسب نوع الملقى إليه: ففي الوحي إلى البشر كان يأخذ معنى الوحي الإلهامي والقذف في الروح، وفي الوحي إلى الحيوانات عموماً والنحل بوجه خاص أخذ معنى الإلهام الفطري الغريزي، وفي الوحي إلى مظاهر الطبيعة أخذ معنى التسخير والسير ضمن ناموس إلهي لنظام الوجود" (٣)، إلا أنّ الباحث هنا لا يريد إثبات مسألة الوحي بصورته العامة، بل إثبات الوحي بصورته الخاصة التي معناها الوحي من قبل الله تعالى إلى أنبيائه ورسله الذي يأتي بصور مختلفة، "ثم إن ملك الوحي يهبط هو الآخر على أساليب شتى: فتارة يظهر الرسول في صورته الحقيقيّة الملكية. وتارة يظهر في صورة إنسان

(١) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ٢٦٥.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٥٦/١.

(٣) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ٢٦٥.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

يراه الحاضرون ويستمعون إليه. وتارة يهبط على الرسول خفية فلا يرى" (١)، كما "إن طرق تكليمه تعالى لعباده انحصرت في ثلاث صور رئيسية هي: الوحي الإلهامي، والتكليم بواسطة حجاب، والوحي بإرسال الرسول الملكي (ملك الوحي)، وإن الصورتين الأولى والثالثة تقع ضمنهما تفرعات وأشكال متعددة أخرى" (٢)، وبثبوت هذا الوحي تثبت جميع معاني الوحي الواردة في النص القرآني، ويثبت ورود لفظة "الوحي" بالمعنى الاصطلاحي في النص القرآني، وذلك "اعتماداً على نص الوحي الإلهي المعجز، متمثلاً في القرآن الكريم بوصفه مصداقاً وحيداً موثقاً لا يعتره شك، ومصدراً بيناً بصورة جلية مجملة أحياناً ومفصلة أخرى طرق إلقاء هذا الوحي وأنواع من يلقى إليهم، مع ملاحظة جهة العموم في لفظ الوحي هنا بشموله جميع أنواع الوحي الإلهي الوارد ذكره في القرآن الكريم على أنه ملقى منه تعالى إلى أنواع متعددة من المخلوقات بالإضافة إلى معنى الوحي الخاص بالوحي إلى الأنبياء و الرسل عليهم السلام، اعتماداً على كل ذلك يمكن استشفاف طرقه وأنواع متلقيه، ففي مورد طرق هذا الوحي تقدم الآية (٥١) من سورة الشورى أوضح تفصيل لطرق إلقاء الوحي فيما يخص البشر، إذ هي تبين طرق تكليمه تعالى لعباده بنصها على أنه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَزِيزٌ﴾ (٣). فعبّر تعالى في هذه الآية عن الوحي بالتكليم للتعميم في تناول مجمل أقسام الوحي إلى البشر لتتضمن:

١- الوحي المباشر دون وساطة بل بالإلهام والقذف في الروع.

٢- الوحي بالتكليم من وراء حجاب.

٣- الوحي بواسطة ملك الوحي المرسل إلى الأنبياء" (٤).

إنَّ هناك معنى عاماً للوحي، ومعنى خاصاً، والمقصود هنا هو المعنى الخاص، وهو الإيحاء إلى الأنبياء والرسل، وقد أشار النص القرآني إلى تعدد هذا الإيحاء "أما من حيث أنواع من يلقى إليهم الوحي الإلهي فإن آيات القرآن الكريم ناطقة بتعدد طرق واختلاف طرق وطبيعة نوع الوحي إلى كل منهم، إذ يرد ذكر الوحي الإلهي في القرآن الكريم على أنه يلقى إلى الأنواع الآتية:

(١) الأنبياء والرسل عموماً: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٥٦/١.

(٢) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ٢٦٥.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٤) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ٤٨. ويُنظر: تاريخ نزول القرآن الكريم، محمد رأفت

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿١٣٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيمًا ﴿١﴾.

(٢) **الملائكة:** قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (٢).

(٣) **الحواريين:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

(٤) **الأسباط من أنبياء بني إسرائيل:** كما أشارت الآية (١٦٣) من سورة النساء المذكورة في -١-.

(٥) **البشر العاديين:** كأم موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤).

(٦) **الوحي إلى الحيوانات:** كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٥).

(٧) **مظاهر الطبيعة من الجمادات وغيرها:** كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ نُخَبِّرُكَ بِأَخْبَارِهَا﴾ (٧) (٨).

والجدير بالذكر أنّ النص القرآني لم يبين دلالة الوحي لغير البشر، "أما في الوحي إلى غير البشر فلا نجد في القرآن الكريم ما يبين على سبيل التفصيل الظاهر الدلالة طرق هذا الوحي، كالوحي إلى الحيوانات ومظاهر الطبيعة، إلا أنّ المفسرين حاولوا أن يستفيدوا ذلك من خلال مقابلة الآيات وربطها ببعضها وتفسير بعضها بدلالة البعض الآخر، فكانت الاحتمالات في الوحي إلى غير البشر تدور في إطار: التسخير والإلهام الغريزي وما يقع ضمن ذلك" (٩).

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٣-١٦٤.

(٢) سورة الانفال، الآية: ١٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٦) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٧) سورة الزلزلة، الآية: ٤-٥.

(٨) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ٤٧-٤٨.

(٩) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، ٤٨.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

ومن الإشارة إلى معنى الوحي في اللغة والاصطلاح في المبحث الثالث من الفصل الأول في هذه الأطروحة (١) تبين في محله أنّ من الناحية اللغوية يعطي معنى الكلام أو الاعلام الخفي، ويطلق على كل ما تلقيه لغيرك من خلال الرسالة أو الإشارة أو الكتابة أو الالهام، ويشمل كل كلام خفي، ويأتي بمعنى السرعة في النقل، ويطلق على الصوت ايضاً، وكل ما يلقي من أجل التعليم (٢)، أما من الناحية الاصطلاحية فيشمل إلى الوحي الغريزي كما في النحل، والفطري كما في الايحاء إلى أم موسى (عليه السلام)، ووحى الناس بعضهم لبعض أما الشيطان فيسمى وسوسة (٣)، وهذا التعدد يشمل معاني مختلفة للوحي يحددها القياس، والنص القرآني أشار إلى هذه المعاني، وهذا يدل على أنّ مصطلح الوحي ورد في النص القرآني، وأنّ له المدخلية الأساس بالإشارة إليه ألا أن ما أريد من المعاني الواردة في النص القرآني هو الوحي للرسول والانبياء، وخصوصاً النبي محمد (ﷺ).

فالأصل اللغوي لكلمة الوحي متعدد، وقد أجملها الشيخ مصطفى بأنّها تدل في أصلها اللغوي على الاعلام والاسرار في خفاء، واشتقاقها يأتي بمعنى الالهام الذي يدل على السرعة؛ لأنّ الوحي يأتي بسرعة ويلتقي بسرعة أيضاً، أصلها الخفاء والسرعة، فالوحي هو الإعلام الخفي السريع، كما أن معناها بما يلقي على الغير (٤)، فإنّ المعاني في الأصل اللغوي متعددة من حيث الأصل والاشتقاق، ودلالاتها بحسب السياق الواردة فيه، وكما تقدم فإن المعنى المراد هو الوحي الملقى على الرسل والانبياء (ﷺ)، والذي ورد باللفظ الصريح مع غيره من المعاني مما يدل على أنّ الوحي لفظ ورد بمعانٍ متعددة في النص القرآني، ومن ضمن هذه المعاني والمصطلحات هو الوحي الإلهي على الرسل والانبياء (ﷺ)، وخصوصاً الوحي المنزل على النبي محمد (ﷺ)، وهذا الأمر واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ إِذْ وَدَّ زَوْجًا﴾ (٥).

أنّ المعاني الواردة للفظ الوحي سواء في اللغة أو القرآن الكريم تعددت، إلا أنّ جميع الأنواع - عدا الوحي الإلهي - في حقيقتها وصلتها بالوحي بمعناه الاصطلاحي لا تتعدى الأبعاد والأصول اللغوية له كالسرعة والخفاء.. إلخ، وأنها سميت بالوحي بسبب توافرها على بعض تلك العناصر اللغوية"

(١) يُنظر: ص ١١١-١١٢ من الأطروحة.

(٢) يُنظر: العين، الخليل، ٣/٣٢١. جمهرة اللغة، ابن دريد، ١/١٧٢. وتهذيب اللغة، الأزهرى، ٥/٢٩٦. والصاحح، الجوهري، ٦/٢٥١٩-٢٥٢٠. والمفردات، الراغب، ٨٥٨-٨٦٠.

(٣) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ٤٤.

(٤) الدين والوحي والإسلام، الشيخ مصطفى عبد الرزاق، ٤٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم

(١)، وهذا يدل على أنّ المصطلح المراد أثباته في هذه المبحث هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على الرسل والانبيا (ﷺ)، فإنّ النصّ القرآني نزل "بأرقى صور الوحي، وتاريخ نزوله يمثل تأريخ القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو تأريخ يستغرق ثلاثة وعشرين عاماً" (٢).

وهناك من عبّر عنه بالوحي الرسالي الذي عُرّف بأنه: "عبارة عن اتصال روحي مباشر بين الملائكة الأعلى وشخصية الرسول الباطنة. وذلك لخصائص فيه أهّلتها لهذا الاتصال الغيبيّ الفذّ. ومن ثمّ أمكنته من مكاشفات روحية صاحبة يرى من خلالها ملكوت العُلا رؤيا بالعيان من غير ما التباس ولا إبهام. ويفترق عن الإلهام بمعرفة مصدر الإيحاء معرفة ضاحية كالشمس اللائحة، على خلاف الإلهام الخافي مصدره على الشخص الملهّم. كما ويفترق عن الاستلهام النفسي بأنّ هذا انعكاس الخواطر النفسية المتركمة في النفس فتتجلّى أحياناً وربّما من غير شعور. على خلاف الوحي الرسالي المستلهم من خارج النفس، من الملائكة الأعلى من عند ربّ العالمين، معلوماً ذلك للنبيّ علماً قاطعاً لا يتردّد ولا يشك فيما أوحى إليه أنّه وحي السماء، ومن ثمّ لا يفزع ولا يتروّع على ما سنفصل الكلام فيه" (٣).

وخلاصة القول إنّ النصّ القرآني له الفضل الكبير في إعطاء معاني للفظ القرآنية، وإثراء اللغة العربية في التوسع بالمعنى، ومن هذه الالفاظ لفظة "الوحي" لما حملت من معانٍ متنوعة تحدت من السياق القرآني الواردة فيه، وفي طيات هذه الآيات معنى مراد ومصطلح مشار إليه هو "الوحي الإلهي" الذي أشار إليه النصّ القرآني باللفظ الصريح، وأسس له، وخصوصاً الوحي المنزل على صدر النبي محمد (ﷺ)، وهذا الأمر ساعد العلماء بأن يجعلوه مبحثاً من مباحث تاريخ القرآن، الباحث يرى بأنّ النصّ القرآني له المدخلية الأولى والتأسيسية لهذا العلم، مع أنّ النصّ القرآني أشار إلى المعاني الأخرى، ألا أنّ السياق كشف عن معنى لفظة "الوحي" التي وردت بمعانٍ متنوعة، ومن خلال السياق وبيانه أثبت أنّ اللفظ الصريح للفظة "الوحي" أسست لمصطلح أسمه "الوحي الإلهي".

وتماشياً مع ما تم ذكره في هذا المبحث من إيراد المصطلحات التابعة لـ "علوم القرآن" أو لـ "تاريخ القرآن" فإنّ الباحث اثبت أنّ للنصّ القرآني الدور الأول والمؤسس في الإشارة إلى هذه المصطلحات

(١) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ٢٦٥.

(٢) تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير، ٣٣. كما أنّ هنالك عدة أقوال في مدة نزول القرآن؛ فقيل. عشرون، أو ثلاث وعشرون، أو خمس وعشرون سنة. وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بعد النبوة؛ فقيل عشر سنوات، و قيل ثلاث عشرة، و قيل خمس عشرة سنة. ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة إنها عشر. (يُنظر: البرهان، الزركشي، ١/٢٣٢). فإذا علمنا أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أوحى إليه و هو ابن أربعين سنة، و توفي و عمره ثلاث و ستون سنة، ترجح أنّ تكون مدة الوحي ثلاثة وعشرين عاماً.

(٣) التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفت، ٧٢/١.

الفصل الثالث.....المبحث الثالث: التأسيس الاصطلاحي لعلوم القرآن من القرآن الكريم
باللفظ الصريح، وإنّ النص القرآني أشار إلى هذه المصطلحات لتدل على وجودها كمباحث فيه، كما
أنّ النص القرآني لم يُعرف هذه المصطلحات، وعليه لا بد من الرجوع في بيانها ومعرفة معناها إلى من
خوَّطب بالنص القرآني النبي محمد (ﷺ) وأهل بيته الاطهار (عليهم السلام).

أما العلماء فإنّ الباحث يجد أن بعضهم اتخذ من المصطلحات مفاهيم في مؤلفاتهم، وأنّ كانوا
أطلقوا عليها مباحثاً أو علوماً أو مصطلحاتٍ إلا أنّ دراستهم لهذا المصطلحات توسعت، واختلفت حتى
في بيان معنى المصطلح الواحد، ناهيك على أنّهم وضعوا شروطاً لبعض العلوم وأنواعاً ومناهج، وطرقاً،
كما نلاحظه بمصطلح "التفسير" على سبيل المثال، فإنّ المصطلحات التي أوردها النص القرآني
خضعت لاجتهادات العلماء التي هي قابلة للنقاش والأخذ والرد، وهذا ما يصبو إليه الباحث من أنّ ما
كتبه العلماء من علوم تابعة للقرآن الكريم ممكن أن تناقش، ويعاد ترتيبها، وتسميتها، وإدراج ما هو فرع
إلى الأصل الذي ينتمي إليه من المصطلحات التي ذكرت في القرآن الكريم، فلا تؤخذ المصطلحات إلا
من ثبت علمه واجتهاده في الشأن القرآني، وثبتت موضوعيته في إيرادها، وعدم انجراره خلف عقيدته
التي يؤمن بها بغية الدفاع عنها على حساب المصطلح القرآني، في نهاية المبحث يرى الباحث أنّ
وضع اللبنة الأولى لمفاهيم ومصطلحات علوم القرآن التي أشار إليها النص القرآني التي كان له المدخلية
المباشرة في تأسيسها، وهي بقدر جهده الذي توصل إليه أعاننا الله وإياكم من الخطأ والسهو برحمته
الواسعة.

الخاتمة وأهم النتائج

الخاتمة وأهم النتائج

بعد رحلة قضيتها مع النص القرآني وصلت إلى نهايتها فلا يسعني في هذه اللحظة إلا أن أسجد لله شكراً لما أفاض عليّ بدراسة كتابه العزيز، واتوسل إلى الله تعالى بأهل بيت النبي (عليه السلام) ترجمان القرآن بأن يتقبل هذا العمل والجهد اليسير، وأن ينال رضاه أولاً، ورضا النبي محمد (ﷺ) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ثانياً، ورضا وثناء الأساتذة الفضلاء.

والجدير بالذكر ان دراستي للنص القرآني في مدخليته للتأسيس المفاهيمي لعلوم القرآن ومصطلحاته دراسة تميزت بانفرادها عن سائر الدراسات القرآنية للنص القرآني - على حدود اطلاعي - فانطلقت من النص القرآني؛ بوصفه الحاكم والمؤسس لمفاهيم علوم القرآن ومصطلحاته بأن يكون الركيزة الأساسية والرافد الأول الذي لا يسبقه شيء أو رافد آخر في هذا التأسيس.

وفي ختام هذه الاطروحة، أن لي... بعد لطف الله تعالى، وفضله، أن أورد ما جنيته من ثمرات في البحث بكتاب الله عز وجل أنه أظهر نتائج، والتي يمكن ان أوجزها على النحو الآتي:

(١) يمكن القول إن العلماء استندوا إلى النص القرآني في اصطلاحاتهم لعلوم القرآن وتاريخه، الا أنه يلحظ أنهم أكثروا من العلوم، بل إنهم أدخلوا واصطلحوا علوماً بعيدة عن موضوع القرآن الكريم نفسه، فهذه الدراسة اكدت امراً مهماً بأن النص القرآني أشار إلى جميع العلوم بصورة عامة وعلوم القرآن بصورة خاصة.

(٢) القرآن الحكيم هو المرجع الأول في التأسيس لجميع العلوم، وخصوصاً علوم القرآن فلا يمكن أن تتجاوز هذا النص المقدس مع أنها خادمة له، النص القرآني معجز لجميع الأزمان والعصور، وهو يمد الدين الإسلامي بكل المعارف على مدى الازمان فلا انتهاء لمعارفه وعلومه.

(٣) القرآن الكريم نص حاكم غير محكوم، وأصل غير فرع، فلا بد من المعنيين بالشأن القرآني من الرجوع إليه، والاستفادة منه بصورة صحيحة، فهو حاكم على جميع النصوص، فلا يقاس بنص آخر على الإطلاق، ولا يُقابل مع أي نص آخر من اجل تثبيت او استنتاج علم من العلوم.

(٤) النص القرآني هو المؤسس للمفاهيم والمصطلحات ولاسيما علوم القرآن، لأنه النص المقدس الذي لا يعلى عليه ولا يقابله نص آخر.

(٥) تعددت التعريفات للمفهوم إلا انها اكدت على أنه المفردة الكلية الموجودة في الذهن التي تنطبق على مصاديق كثيرة.

(٦) المصطلح هو التعريف الخاص بأي مفردة من العلوم، وبه يخصص المفهوم، ويفرد كعلم مستقل

الخاتمة وأهم النتائج

عن سائر العلوم التي تشترك معه بالمفهوم. ولا يكون مصطلحا إلا إذا توافق عليه أكثر من عالم فيبلغ الشهرة، ولا يعارض من قبل علماء كثيرين.

(٧) تنوع العلوم التي ذكرت في القرآن الكريم؛ بوصفه كتاباً معجزاً، وإعجازه وديمومته وتفاعله مستمر إلى يوم القيامة.

(٨) التنوع في العلوم المذكورة شمل علوم القرآن فبعضها ذكرت مفاهيم في النص القرآني، وبعضها مصطلحات صريحة.

(٩) هناك من العلوم التي لم يكن موضوعها القرآن الكريم إلا أن علماء علوم القرآن عدوها من علومه، وهو أمر لابد من النظر فيه، لأن علوم القرآن موضوعها القرآن الكريم نفسه، فكل علم لا يكون موضوعه القرآن خارج عن علومه وإن ذكر في النص القرآني.

(١٠) لابد من وضع ضوابط تحكم علوم القرآن وتقيدها وفق تلك الضوابط، فلا يترك الأمر على سعته في الاجتهاد بوضع العلوم، فكل من لم يستند لهذه الضوابط فإنه جانب الصواب، ولا بد أن تؤخذ من النص القرآني نفسه، بالإضافة إلى ما صح من السنة النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

(١١) هناك عدة توظيفات لعلوم القرآن خدمة النص القرآني وبيّنت مقاصده، وهذه التوظيفات متنوعة بتنوع علوم القرآن، ولا يمكن تقسيم علوم القرآن أو تحديدها بعلم أو وظيفة دون الأخرى؛ لأن تحديدها تحديد للنص القرآني والنص القرآني غير محدد.

(١٢) قسمت العلوم التي وجدت في القرآن إلى:

(أ) علوم منبثقة من القرآن الكريم، وموضوعها القرآن، ولها علاقة بتفسير النص القرآني.

(ب) علوم مرتبطة بالقرآن بصورة غير مباشرة؛ لأن القرآن ليس موضوعها، إلا أن لها تأثيراً في العلوم المنبثقة منه.

(ت) علوم أشار إليها القرآن إلا أنها ليس من علوم القرآن ولا من تاريخ القرآن.

(الف) و (باء) هما محور الأطروحة في معرفة مدى مدخلية النص القرآني في تحديدهما كعلوم تابعة لعلوم القرآن أو تاريخه، سواء أشار إليها بالمفهوم أم بالمصطلح.

(١٣) قسم النص القرآني علوم القرآن إلى قسمين:

(أ) علوم أشار لها بالمفهوم وأوردها في آياته وبينها من خلال السياق القرآني، أو بواسطة النبي

محمد وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)؛ كونهم عدل القرآن، والمبينين له.

(ب) علوم أشار إليها بالمصطلح الصريح بإيرادها باللفظ الصريح.

فيكون النص القرآني له المدخلية في تأسيس هذه المفاهيم والمصطلحات.

(١٤) علماء علوم القرآن اجتهدوا في وضع علوم او مباحث او مسائل علوم القرآن وأكثروا فيها؛ لأنهم توسعوا فيها بجعل ما هو مصطلح مفهوم بدراستهم فوضعوا له شروطاً وتعريفات وانواعاً، وما كان من العلوم تابع لعلم جعلوا منه علماً مستقلاً، وادخلوا ما ليس موضوعه القرآن بعلوم القرآن.

(١٥) إنَّ لعلوم القرآن أثراً واضحاً في ميادين متعددة ومتنوعة لا تحد بحدود ولا يمكن القول بأن هذا التقسيم لها هو جامع مانع، وإنَّ لعلوم القرآن أثراً في فهم النص القرآني، لأنَّها مفاتيح للدخول إلى النص القرآني، وإنَّ اجتهادات علماء علوم القرآن يمكن مناقشتها والرد عليها؛ لأنها جهد بشري قابل للأخذ والرد ولكن من خلال الدليل الملزم للغير في رد الآراء.

(١٦) من أجل فهم النص القرآني وبالخصوص علومه لا بدَّ من الرجوع إلى من خطب به وأمر ببيانه وتفسيره وهو النبي محمد (ﷺ) وأهل بيته الاطهار (عليهم السلام)؛ لأنَّهم النقل الثاني الذي أوصى به النبي محمد (ﷺ) بالتمسك به، ولا يمكن التمسك بالأمرين إلا إذا كان كل واحد منها مكماً للأخر.

(١٧) يمكن القول إنَّ علوم القرآن التي موضوعها القرآن على نوعين، علوم خاصة بعلوم القرآن، وعلوم خاصة بتاريخ القرآن تعتمد على الأحداث التاريخية ودقه نقلها وإثباتها، وهذا التقسيم الذي اعتمد في الأطروحة.

وأخيراً يوصي البحث بالآتي:

(١) إعادة تقسيم علوم القرآن بما يلائم ما ذكره النص القرآني من مفاهيم لعلوم القرآن ومصطلحاته، ولتاريخ القرآن، وضم من هو متفرع إلى أصل واحد.

(٢) يمكن اعداد دراسة لعلوم القرآن تخرج بنتيجة بوضع بعض العلوم أو دمج بعضها الآخر، أو اضافة علوم لم يتم الإشارة إليها مثل علم الاخلاق الذي هو موضوعه القرآن الكريم، وبحدود علمي واطلاعي أن استاذي الدكتور فاضل مدب لديه محاضرات بهذا الشأن فبالإمكان دراسة الجانب الأخلاقي على أنه علم من علوم القرآن.

(٣) الباب مفتوح أمام المهتمين بالشأن القرآني من البحث والتوسع في توظيفات علوم القرآن؛ لأنَّ ما درسه الباحث يعد الشيء القليل؛ لأنَّ التوظيف يتعدى ما ذكر في هذه الأطروحة فعلى سبيل المثال هناك التوظيف النحوي أو اللغوي أو الاخلاقي لعلوم القرآن من خلال النص القرآن.

وفي الختام أرجو من الله تعالى ان يتقبل هذا العمل المتواضع وأن ينفعنا وغيرنا به، وأن يجعله

..... الخاتمة وأهم النتائج

في ميزان حسناتنا، ويجعله صدقة جارية الى يوم يبعثون لي ولجميع من أبدى لي المساعدة في إكمال هذه الأطروحة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين نبيه وحببيه محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

حرف الالف

- (١) أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، نشر: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٢) الاتجاه المعاصر في تدريس العلوم، فتحي الديب، ط١، دار القلم، الكويت، ١٩٨٦م.
- (٣) انتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان الأردن، ط١، ١٩٩٧م.
- (٤) الإلتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- (٥) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، الدكتور فايز محاسنة، (جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٨).
- (٦) اجود التقارير، ابو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، تقارير النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، المطبعة: الغدير - قم، نشر: منشورات مصطفىوي - قم، ط٢، ١٣٦٨هـ.
- (٧) الأحكام في أصول الأحكام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) قوبلت على الطبعة التي حققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، نشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت
- (٨) الأحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي (ت ٦٣١)، تعليق عبد الرزاق عفيفي، طبعة المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- (٩) الاختصاص، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري السيد محمود الزرندي، نشر: دار المفيد، ايران، قم، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.
- (١٠) اختلاف المصاحف وجامع القراءات، المدائني، أبي الحسن علي، (ت ٢٢٨هـ).
- (١١) اختلاف المصاحف»، أبي حاتم السجستاني، سهل بن محمد (ت ٢٤٨هـ).
- (١٢) اختلاف المصاحف»، خلف بن هشام، (ت ٢٢٩هـ).
- (١٣) اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف»، الفراء، أبي زكريا يحيى بن زياد، (ت ٢٠٧هـ).
- (١٤) اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق» لعبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي (ت ١١٨هـ).
- (١٥) اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة»، الكسائي، علي بن حمزة. (ت ١٨٩هـ).
- (١٦) اخلاق ناصري، نصير الدين الطوسي، ترجمة وتحقيق: محمد صادق فضل الله، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٨م.
- (١٧) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد ابو السعود (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، ١٩٨٣م.

المصادر والمراجع

- (١٨) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطن، نشر: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- (١٩) أساس البلاغة، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ط). ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
- (٢٠) أسباب النزول القرآني، غازي حسين عناية، بيروت - لبنان، دار الجبل، ط ١، ١٤١١هـ.
- (٢١) أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغول، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- (٢٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، دار غريب، القاهرة، مصر، د ط، ١٩٩٩م.
- (٢٣) الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي حجار، العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ١٤٣٣هـ.
- (٢٤) أسس النظام السياسي عند الإمامية تحريرات لأبحاث الشيخ محمد السيد محمد حسين الرضوي، مصطفى الإسكندري، الأميرة الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١ / ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م.
- (٢٥) أسماء القرآن الكريم في القرآن، الدكتور محمد محروس المدرس الأعظمي، جامع الكتب الإسلامية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، د.ط.
- (٢٦) الأشباه والنظائر، أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- (٢٧) الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: وتقديم محمد مطيع الحافظ، ط١، دار الفكر/ دمشق.
- (٢٨) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغيلسي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، مطابع الدار العربية للعلوم بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- (٢٩) الأصفى في تفسير القرآن، محمد محسن الفيض الكاشاني، تحقيق: محمد حسين درابي، وومحمد رضا نعيمتي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب، مطبعة مؤسسة كتاب، ط٢، د.ت.
- (٣٠) الأصولان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، نشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط٤، مزينة ومنقحة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٣١) أصول ابن مفلح، شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)، تحقيق وتعليق: د. فهد بن محمدا لسدحان، طبعة مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٣٢) أصول التشريع الإسلامي، الشيخ علي حسب الله، ط٥ (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦) الناشر: دار المعارف - مصر.

المصادر والمراجع

- (٣٣) أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري، دار فراق، قم المقدسة، ١٤٢٧ هـ.
- (٣٤) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، نشر: دار النفائس، اصدار الكتاب، ط٢، ١٩٨٦ م.
- (٣٥) أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، حقق أصوله: أبو الوفا الأفعاني، رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية (ت ١٣٩٥ هـ)، نشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند، وصورته دار المعرفة، بيروت.
- (٣٦) أصول الفقه الإسلامي: محمد مصطفى الشبلي، الطبعة الاولى، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- (٣٧) اصول الفقه في نسيجه الجديد، مصطفى إبراهيم الزلمي، دار النشر، شركة الخنساء المحدودة - بغداد، ط١، ١٩٩٩ م.
- (٣٨) أصول الفقه، د. محمد بك الخضري بك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط٣، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٨٣ م.
- (٣٩) اصول الفقه، محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣ هـ)، تحقيق: الشيخ رحمة الله رحمتي اللارائي، نشر: مؤسسة النشر الاسلامي، ط٧، ١٤٣٤ هـ.
- (٤٠) اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ هـ)، بيروت، دار الاميرة للطباعة، ط١، ٢٠٠٨ م،
- (٤١) أصول المجتمع الإسلامي، جمال الدين محمد، مصر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الاوقاف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، ١٩٩٢
- (٤٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣)، نشر: دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم، بيروت، ط٥، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م.
- (٤٣) الاعتقادات في دين الإمامية، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: عصام عبد السيد، ط٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.
- (٤٤) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مصطفى سعيد مصطفى خليل، اجالينا، القاهرة، ١٤٣٠ هـ، د.ط.
- (٤٥) إعجاز القرآن، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ)، تحقيق: احمد صقر، دار المعاف، مصر، القاهرة، ط٣، د.ت.
- (٤٦) الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، منيب طحان، دار سعدالدين، دمشق، ١٤٢٠ هـ، د.ط.
- (٤٧) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن ابي الحسن الديلمي (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، مطبعة: المهديّة، قم، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- (٤٨) الاقبال بالاعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، السيد رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر المعروف بابن طاوس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، نشر: مكتب الاعلام الاسلامي لحوزة قم العلمية، ايران، قم، ط١، ١٤١٨ هـ.
- (٤٩) الأقطاب، محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور من أعلام القرن التاسع (ت

- (٩١٠)، تحقيق الشيخ محمد الحسون إشراف السيد محمود المرعشي، ط١، ١٤١٠هـ.
- (٥٠) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر، نشر: دار الفكر - بيروت، د.ط، د.ت.
- (٥١) الإكسير في علم التفسير، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي (ت ٧١٦هـ)، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار الازاعي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، د.ط.
- (٥٢) الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، د.ط.
- (٥٣) التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفت، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٣، ١٤١٦هـ.
- (٥٤) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف، علي اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣هـ)، نشر: مكتبة الرضي، قم، مطبعة أمير، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- (٥٥) القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي، محمد محمد ابوليله، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٣هـ، د.ط.
- (٥٦) الام، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) نشر: دار الفكر/ بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- (٥٧) الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، نشر: كتابجي، ايران، طهران، ط٦، ١٤١٨هـ.
- (٥٨) الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ): تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- (٥٩) الإمام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، الدكتور: حكمت عبيد الخفاجي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٦هـ، د.ط.
- (٦٠) الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف شربجي، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢١هـ، د.ط.
- (٦١) أمثال القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم المقدسة، ١٤٢٦هـ، د.ط.
- (٦٢) الأمثال في القرآن الكريم، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٠هـ، د.ط.
- (٦٣) أمثال ونماذج بشرية من الكتاب الكريم، د. محمد علي طاحون، دار هجر للطباعة القاهرة. د.ط، د.ت.
- (٦٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، طبع ونشر دار أحياء التراث العربي، لبنان،

ط ٢، ١٤٢٦هـ.

(٦٥) الانتصار، شريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٦٦) افتتاح النص الروائي: النص والسياق، سعيد يقطين: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١م.

(٦٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

(٦٨) أوائل المقالات: محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم ابي عبدالله العكبري، البغدادي (ت ٤١٣هـ)، الناشر: دار المفيد، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٦٩) الإيضاح في الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان Kنشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

(٧٠) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي (ت ١٣٥٢هـ)، المطبعة: مطبعة العرفان - صيداء، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م.

حرف الباء

(٧١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر محمد تقي المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر دار احياء التراث العربي، لبنان، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

(٧٢) البحر الرائق، زين الدين بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي (ت ٩٧٠هـ)، منشورات محمد علي بيوضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ط)، (د.ت).

(٧٣) بحر العلوم، تفسير السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

(٧٤) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديث وعلق عليه: الدكتور محمد محمد تامر، نشر: منشورات محمد علي بيوضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٥) البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي الاندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد، أحمد النجولي الجمل، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ.

(٧٦) بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه، نشر: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٧٢م.

المصادر والمراجع

- (٧٧) بحوث مصطلحية، احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٦م.
- (٧٨) بحوث نظرية في اصطلاحات علوم القرآن وأثرها في الفكر الإسلامي، ساجد صباح العسكري، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، النجف الاشرف، د.ط، د.ت.
- (٧٩) البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة نشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٨٠) البرهان في تفسير القرآن، المحدث هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٧هـ.
- (٨١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار التراث، مصر، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- (٨٢) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، المطبعة: مطبعة الأحمدية - طهران الناشر: منشورات الأعلمي - طهران، ١٤٠٤هـ. د.ط.
- (٨٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- (٨٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، د.ط، د.ت.
- (٨٥) البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، محمد صادقي الطهراني، مكتبة محمد الصادقي الطهراني - إيران - قم، ط: ١، ١٤١٩هـ.
- (٨٦) بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)، اعداد الاساتذة: محمد بن يحيى زكريا، وحناش فضيلة، وزارة التربية الوطنية - الجزائر، ٢٠٠٨م.
- (٨٧) بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، إبراهيم بيومي، أسامة محمد القفاش، السيد عمر، إشراف علي جمعة محمد، وسيف الدين عبدالفتاح إسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٨٨) بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد الجنازدي (كنابادي) (ت ١٣٢٧هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- (٨٩) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ط٤، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥هـ.
- (٩٠) البيان في مباحث من علوم القرآن، الشيخ عبد الوهاب غزلان، مطبعة دار التأليف / ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م، د.ط.

(٩١) بين العقيدة والقيادة، اللواء الزكن محمود شيت خطاب، نشر: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

حرف التاء

(٩٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية، د.ت.
(٩٣) تاريخ القرآن، الدكتور محمد حسين الصغير (ت ٢٠٢٣م)، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، د.ط.

(٩٤) تاريخ نزول القرآن الكريم، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٢هـ.

(٩٥) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، نشر: دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٩٦) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت، ط٢٦، د.ت.

(٩٧) تاريخ الطبري، حمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٩٨) تاريخ القرآن: أبو عيد الله الزنجاني، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٦م، د.ط.

(٩٩) تاريخ القرآن العظيم، الدكتور محمد سالم محيسن، دار الاصفهاني للطباعة، جدة، ١٤٠٢هـ.

(١٠٠) تاريخ القرآن و المصاحف» لموسى جار الله روستوفدوني، طبع في بطرسبورغ بالمطبعة الإسلامية عام ١٣٢٣هـ / ١٩٣٤م.

(١٠١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي (ت ١٣٨٠هـ) طبع في جدة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م، وأعيد طبعه بتصحيح علي محمد الضباع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م.

(١٠٢) تاريخ القرآن، الدكتور عبد الصبور شاهين، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٣، ٢٠٠٧م.

(١٠٣) تاريخ القرآن، آية الله محمد هادي معرفة، ترجمة حسن الهاشمي، دار القرآن الكريم، قم، ط٢، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

(١٠٤) تاريخ القرآن، لأبي عبد الله، عبد الكريم الزنجاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

(١٠٥) تاريخ القرآن، للمروزي، جعفر بن أحمد أبي العباس، ت ٢٧٤هـ.

(١٠٦) تاريخ القرآن، للمستشرقين: نولدكه، و برحشتراسر، و برتزل، طبع في لبيزج عام ١٩٠٩ و ١٩٢٦ و ١٩٣٥م.

(١٠٧) تاريخ القرآن، محمود راميار، نشر أمير كبير، ايران، طهران، ١٣٤٥هـ / ١٩٦٧م، د.ط.

المصادر والمراجع

- (١٠٨) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)، نشر: دار صادر، سنة النشر: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، د.ط.
- (١٠٩) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدي نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
- (١١٠) التبيان في أسماء القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ايوب الدمشقي (ت ٧٥١هـ)، مكتبة المنتبي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- (١١١) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، طبع ونشر مكتب الاعلام الاسلامي، ايران، ط١، ١٤٠٩هـ.
- (١١٢) التحرير والتتوير، تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، نشر: الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٤٠٥هـ.
- (١١٣) تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ٣٣٢هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفار، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. قم. ط٢، ١٤٠٤هـ.
- (١١٤) تحفة المحتاج شرح متن المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، نشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م، د.ط.
- (١١٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي، مطبعة اعتماد، الناشر مركز نشر آثار العلامة مصطفوي، ط١، ١٣٨هـ.
- (١١٦) تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، عبد القادر شرشار، اتحاد كتاب العرب، ٢٠٠٦م، د.ط.
- (١١٧) تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء/ بيروت، ط٣، ١٩٩٢.
- (١١٨) تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية، جودت أحمد سعادة، وجمال يعقوب يوسف، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- (١١٩) تذكرة الدعاة، الأستاذ البهي الخولي، دار التراث القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، د.ط.
- (١٢٠) ترتيب العلوم، المرعشي، محمد بن أبي بكر المرعشي الشهير بساجقلي زاده (ت ١١٤٥هـ)، تحقق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، وتحقيق: رسالة ماجستير مقدمة لقسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٥هـ، نشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (١٢١) تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، خالد عبدالرحمن، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ، د.ط.

المصادر والمراجع

- (١٢٢) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- (١٢٣) التشابه والاختلاف، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م.
- (١٢٤) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، نشر: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م. د.ط.
- (١٢٥) التصور اللغوي عند الأصوليين، أحمد عبد الغفار: شركة مكنتات عكاظ، جدة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- (١٢٦) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، عبد اللطيف عبد الله عزيز البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- (١٢٧) التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
- (١٢٨) التعريف بالإسلام، مركز قطر للتعريف بالإسلام ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بقطر. د.ط، د.ت.
- (١٢٩) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ت ١٣٩٥هـ)، نشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (١٣٠) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- (١٣١) التفسير بالرأي، محمد حمد زغلول، دار الفارابي للمعارف، دمشق، ١٤٢٥هـ.
- (١٣٢) التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية، احسان امين، دار الهادي، بيروت، ١٤٢١هـ.
- (١٣٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمدهادي معرفة، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد المقدسة، ١٤١٨هـ.
- (١٣٤) تفسير ابي السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، محمد بن محمد ابوالسعود (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، ١٩٨٣م.
- (١٣٥) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، حسين بن مسعود البغوي، دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت، ١٤٢٠هـ.ق.
- (١٣٦) تفسير التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد طاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي - لبنان - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.ق.
- (١٣٧) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، (ت: ٨٦٤هـ)، وجمال الدين عبد الرحمن بن

- كمال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، نشر دار الحديث، القاهرة، ط: ١، د.ت.
- (١٣٨) تفسير الحبري، أبو عبد الله الكوفي الحسين بن الحكم بن مسلم الحبري (ت ٢٨٦ هـ)، نشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- (١٣٩) تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، (ت: ٩٧٧هـ)، نشر مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، د.ط، ت: ١٢٨٥هـ.
- (١٤٠) تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (١٤١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تفسير السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- (١٤٢) تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم نشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- (١٤٣) التفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني، (ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق: حسين الأعلمي، طبعة: مؤسسة الهادي، قم، الناشر: مكتبة الصدر، طهران، ط: ٢، ١٤١٦هـ.
- (١٤٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، (ت: ٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت.
- (١٤٥) تفسير الفخر الرازي، المسمى بـ مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
- (١٤٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، (ت: ٧٧٤هـ)، نشر دار الفكر، لبنان، د.ط، ت: ١٤٠١هـ.
- (١٤٧) تفسير القرآن العظيم، الرازي، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي الحنظلي، (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط: ٣، ت: ١٤١٩هـ.
- (١٤٨) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط: ٣، ت: ١٤٠٤هـ.
- (١٤٩) التفسير الكبير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت: ٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت،

المصادر والمراجع

ط: ٣، ت: ١٤٢٠ هـ.

(١٥٠) التفسير الكبير: تفسير القرآن العظيم، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، دار الكتاب الثقافي - اردن - اربد، ط١، ٢٠٠٨ م.

(١٥١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(١٥٢) تفسير الملا صدرا، ملا صدرا محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ)، نشر: انتشارات بيدار، قم، مطبعة، امير، ط٢، ١٣٤٤ هـ.

(١٥٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، اشراف أ.د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الشارقة، الامارات، ط١، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠ م.

(١٥٤) تفسير النسائي، النسائي؛ أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق: صبري بن عبد الرحمن الشافعي - سيد بن عباس الجليمي، نشر: مكتبة الرشد - مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. د.ط.

(١٥٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ.

(١٥٦) تفسير النصوص في الفقه الاسلامي، الدكتور محمد أديب الصالح، مطبعة جامعة دمشق، ط١، د.ت.

(١٥٧) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ١٤٣٦ هـ)، نشر: دار الفكر، دمشق، ط: ١، ت: ١٤٢٢ هـ.

(١٥٨) تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: أحمد صقر، نشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(١٥٩) تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محمك الحواري، دار البصائر، ط ١، ١٤٢٦ هـ.

(١٦٠) تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت: ٦٠٦ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ت: ١٤٢٠ هـ.

(١٦١) تفسير نور الثقلين، الحويزي عبد علي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢ هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة ونشر مؤسسة اسماعيليان، قم، ط٤، ١٤١٢ هـ.

(١٦٢) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، (ت: ١٣٩٨ هـ)، دار الكتب الحديثة، مصر، ط١، د.ت.

(١٦٣) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم

المصادر والمراجع

- الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- (١٦٤) التقرير والتجبير على التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية للإمام محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي كمال الدين بن الهمام الحنفي (ت ٨٦١هـ)، المحقق ابن أمير الحاج الحلبي (ت ٧٨٩هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- (١٦٥) التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٣، ١٤١٦هـ.
- (١٦٦) التوحيد، الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: هاشم الحسيني، نشر: جماعة المدرسين، قم، ط١، ١٣٨٧هـ.
- (١٦٧) التوظيف التربوي للقيم في القرآن الكريم، الدكتورة: فخرية بنت محمد إسماعيل خوج، جامع الكتب الإسلامية، ١٤٣٤هـ، د.ط.
- (١٦٨) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، نشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- (١٦٩) تهافت التهافت، القاضي أبو الوليد محمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٤م.
- (١٧٠) تهذيب الأحكام، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، ايران طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- (١٧١) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
- (١٧٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- (١٧٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، مكتبة النهضة العربية - لبنان - بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

حرف الجيم

- (١٧٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط - التتمة تحقيق بشير عيون، نشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، د.ت.
- (١٧٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (ت: ٣١٠هـ)، نشر دار الفكر، لبنان، د.ط، ١٤٠٥هـ.

المصادر والمراجع

- (١٧٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- (١٧٧) الجامع لجوامع العلوم، محمد مهدي النزاعي (ت ١٢٠٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- (١٧٨) الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد سبزواري، دار التعارف للمطبوعات - لبنان - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- (١٧٩) جمع الجوامع في أصول الفقه، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ)، مطبعة الكتبي، مصر، (مطبوع مع شرح المحلي عليه وحاشية البناني وتقريرات الشربيني)، ط١، ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.
- (١٨٠) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- (١٨١) جمهرة أمثال العرب، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت، د.ط، د.ت.
- (١٨٢) جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي، ايران، ط١، ١٤١٨هـ.

حرف الحاء

- (١٨٣) حاشية العلامة البناني عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي (ت ١١٩٨هـ) على شرح الجلال شمس الدين محمد بن احمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) على متن جمع الجوامع، الامام تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي (ت ٧٧١هـ)، وبهامشها: تقرير شيخ الإسلام عبد الرحمن الشربيني (ت ١٣٢٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٢٣١هـ / ١٩١٣م.
- (١٨٤) حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- (١٨٥) حاشية كفاية الأصول، الشيخ علي القوجاني (١٣٣هـ)، تحقيق: محمد رضا الدانالي، مطبعة: ستارة، قم، ط١، ١٤٣٠هـ.
- (١٨٦) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي [ج ١] - محمد بن محمود أبو رحيم [ج ٢]، نشر: دار الراية، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- (١٨٧) حادثة السؤال - بخصوص الحادثة العربية في الشعر والثقافة، محمد بنيس، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٨٨م.

حرف الخاء

المصادر والمراجع

- (١٨٨) الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، قم، ط١، ١٤٠٣هـ.
- (١٨٩) خصائص القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٩، ١٩٩٧م.
- (١٩٠) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت.
- (١٩١) الخطاب النقدي قراءة التراث تكاملية، إبراهيم أحمد ملحم، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٧م.
- (١٩٢) الخلاف، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، قم، ١٤٠٧هـ، د.ط.
- (١٩٣) الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر عبد الكريم العقل، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

حرف الدال

- (١٩٤) دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧١م.
- (١٩٥) دائرة المعارف قرآن كريم، حسن سعيد، نشر: مدرسة جهل ستون ومكتبتها العام مسجد جامع طهران، مطبعة: خوشه، طهران، ط١، ١٩٨٨.
- (١٩٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، نشر دار الفكر، بيروت، د.ط، ت: ١٤١٣هـ.
- (١٩٧) دراسات في أصول التفسير، الدكتور محسن عبد الحميد، نشر وتوزيع: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- (١٩٨) دراسات في الضبط الاجتماعي، فاروق محمد العادلي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٥م، د.ط.
- (١٩٩) دراسات في علوم القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٢٠٠) دراسة حول القرآن الكريم، محمد حسين حسيني جلالى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ، د.ط.
- (٢٠١) دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى صلاح قطب، نشر: دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، د.ط.
- (٢٠٢) دروس في أصول الدين، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، د.ط، د.ت.

المصادر والمراجع

- (٢٠٣) دروس في أصول فقه الإمامية، د. عبد الهادي الفضلي (ت ٢٠١٣م)، تحقيق ونشر: مؤسسة القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (٢٠٤) دروس في القواعد التفسيرية، علي اكبر سيفي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٢٨هـ، د.ط.
- (٢٠٥) دروس في المنهج وتفسير القرآن، لمحمد علي الراعي الأصفهاني، ترجمة: قاسم البيزاني، مطبعة زلال كوتسار، نشر: مركز المصطفى العلمي للترجمة والنشر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م، د.ط.
- (٢٠٦) دروس في علم الأصول السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، مطبعة ونشر دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- (٢٠٧) دروس في علوم القرآن، حسين جوان، أراسته، مطبعة باقري، نشر: مصادر المصادر للدراسات الإسلامية والدراسات الإسلامية، قم - إيران، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، د.ط.
- (٢٠٨) دروس في علوم القرآن، نذير حسني، مركز المصطفى (ص) العالمي للترجمة والنشر، قم المقدسة، ١٣٩٢ الهجري الشمسي، د.ط.
- (٢٠٩) دروس من القرآن، محسن قرائتي، ترجمة: لجنة الترجمة في مركز النشر، نشر: مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ.
- (٢١٠) دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، القاضي أبو حنيفة بن محمد بن منور بن احمد بن حيون المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي اصغر، نشر: دار المعارف، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- (٢١١) الدعوة إلى الله تعالى، محمد بن إبراهيم التويجري، ب.م، ط٣، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- (٢١٢) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، صحح أصله الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي، علق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٢١٣) الدولة والسيادة في الفقه الاسلامي: دراسة مقارنة، فتحي عبد الكريم، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.
- (٢١٤) الدين والوحي والإسلام، الشيخ مصطفى عبد الرزاق، دار إحياء الكتب العربية - مصر، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، د.ط.
- (٢١٥) دينامية النص الروائي، أحمد البيوري، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، ١٩٩٣.

حرف الذال

- (٢١٦) الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: جزء ١، ٨، ١٣: محمد حجي، وجزء ٢، ٦: سعيد أعراب، وجزء ٣ - ٥، ٧، ٩ - ١٢: محمد بو خبزة، نشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- (٢١٧) الذريعة إلى أصول الشريعة، السيد المرتضى علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق: دكتور أبو القاسم كرجي، دانشگاه، طهران، د.ت، د.ط.
- (٢١٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن بن علي الطهراني المعروف بأقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، اعداد: احمد بن محمد الحسيني، نشر: دار الاضواء، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- (٢١٩) نكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ) مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط١٩٤١هـ.

حرف الراء

- (٢٢٠) رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الشهير بـ محي الدين ابن العربي (ت ٦٣٨هـ)، جمع وتأليف: محمود محمود الغراب، مطبعة نصر، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، د.ط.
- (٢٢١) الرسالة، محمد بن أدریس الشافعي (ت ٢٠٤هـ): تحقيق أحمد محمد شاكر، د.ت، د.ط.
- (٢٢٢) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، مجموعة مؤلفين، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٠٥هـ.
- (٢٢٣) رسائل الشريف المرتضى، علي بن الحسين علم الهدى (ت ٤٣٦هـ)، نشر: دار القرآن الكريم، إيران، قم، ١٤٠٥هـ.
- (٢٢٤) رسم المصحف، غانم قدوري، دار عمار، عمان، ١٤٢٥هـ.
- (٢٢٥) الرعاية في علم الدراية، زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، نشر: مكتبة المرعشي النجفي، إيران، قم، ط١، ١٤٠٨هـ.
- (٢٢٦) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني اللوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- (٢٢٧) روض الجنان (و.و.روح الجنان في تفسير القرآن)، الشيخ حسين بن علي الخزاعي النيشابوري المعروف بأبي الفتوح الرازي المتوفي (ت ٥٥٦هـ)، الناشر: عبدالغفار بن عبدالواحد، -قرن ١٠ق، مخطوطة، تحقيق: محمد جعفر ياحقي ومحمد مهدي ناصح، مركز التحقيقات والدراسات الاسلامية للعتبة الرضوية، ١٣٦٥-١٣٧٦ هـ ش.
- (٢٢٨) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعلي (ت ٦٢٠هـ)، قدم له ووضع غوامضه وخرج شواهد: الدكتور شعبان محمد إسماعيل [ت ١٤٤٣هـ]، نشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- (٢٢٩) رؤى في طريق العودة، محمد علي المدرسي، مركز الحضارة للثقافة والنشر، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- (٢٣٠) رياض المسائل في بيان الاحكام بالدلائل، السيد علي الطباطبائي المحقق (ت ١٢٣١هـ)، طبعة حجرية، مؤسسة آل البيت (ع)، مطبعة الشهيد، قم، ١٤٠٤هـ.

حرف الزاء

المصادر والمراجع

(٢٣١) زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، (ت: ٩٨٨هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف، قم، ط: ١، ت: ١٤٢٣هـ.

حرف السين

(٢٣٢) السرائر، ابن ادريس أبو جعفر محمد بن منصور بن احمد (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الناشر والمطبعة: جامعة المدرستين، قم، ط: ٢، ١٤١٠هـ.

(٢٣٣) سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار مع تطبيق النصوص الواردة فيها على بحار الانوار، المحدث الخبير والمحقق الجليل عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، نشر: دار الاسوة للطباعة والنشر، طهران، ط: ٢، ١٤١٦هـ.

(٢٣٤) سلسلة التفسير، أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية المصري، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، د.ت، د.ط.

(٢٣٥) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، نشر: دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢٣٦) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

(٢٣٧) سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني (ت ١٤٤٣ هـ)، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢٣٨) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢٣٩) السنن الكبرى، الامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (ت: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: ١، ت: ١٤١١ هـ. (٢٤٠) السياسة من واقع الإسلام، صادق الحسيني الشيرازي، ياس الزهراء مطبعة سيماي كوثر، ط: ٢، ١٤١٣ هـ.

(٢٤١) سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية، محمد عزة دروزة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط: ١، ١٩٤٨ م.

(٢٤٢) السيمائية الأدبية، ميشيل أريفيه، ترجمة د. رشيد مالك ضمن كتاب (السيمائية أصولها وقواعدها)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٢ م،

(٢٤٣) سيمياء الكون، يوري لوتمان، ترجمة الدكتور عبد المجيد النوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٤م،

حرف الشين

(٢٤٤) الشاهد العقلي القرآني ودلالاته على مسائل الاعتقاد (جامع الكتب الإسلامية)، د. ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحيى، د.ط، د.ت.

(٢٤٥) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: صادق الشيرازي، مطبعة أمير، قم، انتشارات الاستقلال، طهران، ط٢، ١٤٠٩هـ.

(٢٤٦) شرح [مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى ٦٤٦ هـ)، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦ هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، وعلى حاشية الجرجاني/ حاشية الشيخ حسن الهروي الفناري (ت ٨٨٦ هـ)، وعلى المختصر وشرحه وحاشية السعد والجرجاني/ حاشية الشيخ محمد أبو الفضل الوراق الجيزوي (ت ١٣٤٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢٤٧) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢٤٨) شرح اصول الكافي، محمد صالح بن احمد السروري المازندراني (ت ١٠٨٦هـ)، تعليق: ابو الحسن بن محمد بن غلام حسين الشعراني (ت ١٣٩٣هـ)، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، نشر: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

(٢٤٩) شرح الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت ٧٧٢هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢٥٠) شرح الإمام السعد التفتازاني على الشمسية في المنطق للإمام الكاتبي، تحقيق: جاد الله بسام صالح، دار النور المبين، ط١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)،

(٢٥١) شرح التوضيح لمتن التقيح، صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود (ت ١٣٤٦هـ)، وعليه التلويح، الامام سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

(٢٥٢) شرح الحلقة الثانية كمال الحيدري، من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم علاء السالم، نشر: مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، د.ت، د.ط.

(٢٥٣) شرح العقيدة السفارينية - الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

المصادر والمراجع

- (٢٥٤) شرح الكوكب المنير = المختبر المبتكر شرح المختصر، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢ هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، نشر: مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٢٥٥) شرح الورقات في أصول الفقه، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (ت ٨٦٤ هـ)، قدّم له وحققه وعلّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة، نشر: جامعة القدس، فلسطين، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م،
- (٢٥٦) شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت: ٧١٦ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- (٢٥٧) شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى ٦٤٦ هـ)، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦ هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، وعلى حاشية الجرجاني/ حاشية الشيخ حسن الهروي الفناري (ت ٨٨٦ هـ)، وعلى المختصر وشرحه وحاشية السعد والجرجاني/ حاشية الشيخ محمد أبو الفضل الوراقى الجيزاوي (ت ١٣٤٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م،
- (٢٥٨) الشفاء، ابن سينا أبو علي الشهير بالرئيس (ت ٤٢٨ هـ)، تصدير الدكتور طه حسين باشا، مراجعة الدكتور إبراهيم مذكور، تحقيق الأساتذة: الاب قنوتى ومحمود الخضيرى وفؤاد الاهوانى، نشر وزارة المعارف العمومية، مطبعة الاميرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- حرف الصاد**
- (٢٥٩) صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، احمد بن علي القلقشندى، تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت، دار الكتب العلمية ودار الفكر، ١٩٨٧ م.
- (٢٦٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، نشر دار العلم للملايين، لبنان، ط٤، ١٤٠٧ هـ.
- (٢٦١) صحيح البخاري، الامام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، د.ط.
- (٢٦٢) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- (٢٦٣) صحيفه امام، الخميني روح الله، (ت ١٤٠٩ هـ)، نشر: مؤسسة تحرير ونشر آثار الامام الخميني، مكان النشر: إيران - طهران، ط١، ١٤٢٩ هـ.

المصادر والمراجع

- (٢٦٤) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (ت ١٤٤٢هـ)، نشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٢٦٥) الصورة الفنية في المثل القرآني، الدكتور محمد حسين الصغير (ت ٢٠٢٣م)، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، د.ت، د.ط.
- (٢٦٦) صيانة القرآن من التحريف، كمال الحيدري، نشر: مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة، د.ط، د.ت.

حرف الطاء

- (٢٦٧) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (٢٦٨) طرائق تدريس العلوم لمعاهد المعلمين، نادر سعد عبد الوهاب وآخرون، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ط١١، ١٩٩١م.

حرف الظاء

- (٢٦٩) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- (٢٧٠) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، د. صاحب ابو جناح، جامعة البصرة، ط١، ١٩٨٥م.

حرف العين

- (٢٧١) عدة الأصول، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي، ط١، ١٤١٧هـ.
- (٢٧٢) عدة الداعي ونجاح المساعي، جمال الدين احمد بن محمد بن فهد الحلبي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق: احمد الموحي القمي، نشر: دار الكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.
- (٢٧٣) العدة في الاصول، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، نشر: محمد تقي علا قبنديان، قم، إيران، ط١، ١٤١٧هـ.
- (٢٧٤) عرض الأنوار المعروف بتاريخ القرآن» (باللغة الهندية)، عبد الصمد صارم. طبع بدلهي، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، د.ط.

- (٢٧٥) العقد المنظم في أنواع الوحي المعظم، العلوي، طبعة القاهرة، ١٣٨٩هـ، د.ط.
- (٢٧٦) عقود المرجان في تفسير القرآن، نعمت الله بن عبد الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، نور وحى - ايران - قم، ط١، ١٣٨٨هـ.ش.
- (٢٧٧) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، نشر: مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- (٢٧٨) العلاماتية وعلم النص، جان ماري سشايفر تون آ. فاندريك. وآخرون، المترجم والمعدّ: منذر عياشي، نشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

المصادر والمراجع

- (٢٧٩) علل الشرائع، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، نشر: مكتبة الداوري، ايران، قم، ط١، ١٤٢٧هـ.
- (٢٨٠) علم السياسة، محمد طاهر الخاقاني، بافيان، ط١، ١٤٢٧هـ.
- (٢٨١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت / لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- (٢٨٢) علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة، عثمان طالب، بيت الحكمة، وزارة الثقافة والاعلام، تونس، ١٩٨٩م.
- (٢٨٣) علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دممدوح محمد خسارة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- (٢٨٤) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١٩٩١م.
- (٢٨٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مكتبة لبنان ناشرون - لونغمان، ط١، ١٩٧٧م.
- (٢٨٦) علوم القرآن الكريم، عبد الرحيم فرغل البليني، تحقيق الدكتور رشيد نعمان التكريتي، بغداد ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م. د.ط.
- (٢٨٧) علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٣م.
- (٢٨٨) علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، نشر: دار البصائر - القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٢٨٩) علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، مكتب الإعلام الإسلامي. مركز النشر، قم المقدسة، ١٣٧٤ الهجري الشمسي،
- (٢٩٠) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، محمد صفاء شيخ ابراهيم حقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٥هـ.
- (٢٩١) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤هـ)، دار الأعراف للدراسات والنشر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- (٢٩٢) عناية الأصول، السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي (ت ١٤١٠هـ)، النجف الاشرف، ط١، ١٣٨٤هـ.
- (٢٩٣) عناية الأصول، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
- (٢٩٤) عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني (ت ١١٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدي (ع) بالحوزة العلمية، قم، بأشراف السيد محمد بن باقر بن المرتضى الموحد الابطحي الاصفهاني، ط١، ١٤٠٧هـ.
- (٢٩٥) عوالي اللئالي العزيزة في الاحاديث الدينية، الشيخ محمد بن علي بن ابراهيم الاحسائي، تحقيق: الاغا مجتبي العراقي الناشر، انتشارات سيد الشهداء، ط١، ١٤٠٣هـ.

حرف الغين

- (٢٩٦) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- (٢٩٧) غريب المصاحف»، الوراق، أبي بكر محمد بن عبد الله، (ت ٢٤٩هـ)، د.ط، د.ت.

حرف الفاء

- (٢٩٨) الفارابي في حدوده ورسومه، د. جعفر آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط ١، سنة ١٩٨٥م.
- (٢٩٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، د.ط.
- (٣٠٠) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- (٣٠١) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبي الطيب القنوجي، المطابع الأميرية، ط ١، د.ت.
- (٣٠٢) فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، زكريا بن محمد انصاري، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.ق.
- (٣٠٣) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
- (٣٠٤) الفتوحات، الشيخ الأكبر أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بـ ابن عربي (ت: ٦٣٨هـ)، ضبطه وصححه ووضع هوامشه: احمد شمس الدين، منشورات الدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط.
- (٣٠٥) الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي، السيد المرتضى، الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى، سماحة الحجة الشيخ محسن آل الشيخ صاحب الجواهر (ت ١٣٥٥هـ)، أشرف على نشره وتحقيقه محمد حسن الجواهري، مطبعة الآداب، النجف، د.ت، د.ط.
- (٣٠٦) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، محمد صادقي تهراني، فرهنگ اسلامي - ايران - قم، ط ٢، ١٤٠٦هـ.ق.
- (٣٠٧) الفروع من الكافي، ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، (ت: ٣٢٩هـ)، ضبطه وصححه وخرج احاديثه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين، نشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.
- (٣٠٨) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د.ت، د.ط.

المصادر والمراجع

- (٣٠٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، نشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، د.ط، د.ت.
- (٣١٠) الفصول المهمة في أصول الأئمة (تكملة الوسائل)، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، نشر: مؤسسة معارف اسلامي امام رضا، مطبعة: نكين، قم، ط١، ١٤١٨هـ.
- (٣١١) الفصول في الأصول، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، نشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (٣١٢) فصول في علوم القرآن، عدنان محمد زرزور، الدار العربية للعلوم-ناشرون المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، د.ط.
- (٣١٣) فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- (٣١٤) فضائل القرآن، الرازي، احمد بن محمد بن المظفر بن المختار الحنفي (ت ٦١٣هـ)، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٠م.
- (٣١٥) فقه القرآن، الراوندي قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣)، تحقيق: احمد الحسيني ومحمود المرعشي، مطبعة الولاية، قم، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- (٣١٦) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، اشترك في التأليف: الدكتور مصطفى الخن [ت ١٤٢٩هـ]، الدكتور مصطفى البغا، علي الشربجي، نشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٣١٧) الفقه، السياسة، محمد الحسيني الشيرازي، ط٦، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٣١٨) الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، د.ط.
- (٣١٩) الفن القصصي في القرآن الكريم، احمد محمد خلف الله، سينا للنشر، لندن، ١٩٩٩م، د.ط.
- (٣٢٠) الفواتح الإلهية و المفاتيح الغيبية: الموضحة للكلم القرآنية و الحكم الفرقانية، نعمه الله بن محمود شيخ علوان، دار ركابي للنشر - مصر - القاهرة، ١٩٩٩م، د.ط.
- (٣٢١) الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، نشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٣٢٢) فهم القرآن، خالد توفيق، مؤسسة الإمام الخميني (رض) للتحليل والنشر، مؤسسة عروج للطباعة والنشر، طهران، ١٣٨٢ الهجري الشمسي، د.ط.
- (٣٢٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع

- (٣٢٤) في المصطلح النقدي، الدكتور أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٢م، د.ط.
- (٣٢٥) في المصطلح ولغة العلمي، مهدي صالح سلطان الشمري، كلية الآداب، جامعة بغداد، ط١، د.ت.
- (٣٢٦) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٩٦٦م)، دار الشروق - لبنان - بيروت، ط: ٣٥، ١٤٢٥هـ.
- (٣٢٧) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفاي وعبد الله الشريف، نشر: دار النهضة العربية - بيروت، د.ط، د.ت.
- (٣٢٨) في قراءات القرآن، عبد الحلیم النجار، جامعة القاهرة، ١٩٤٨م، د.ط.
- حرف القاف**
- (٣٢٩) قاعدة فقهية المدخل الفقهي، الدكتور أحمد الحجي الكردي، مركز الراسخوت للتأصيل الشرعي، الكويت، ودار الظاهرية، الكويت، ط١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
- (٣٣٠) القاموس الفقهي، الدكتور سعدي أبو جيب، نشر: دار الفكر. دمشق - سورية، ط٢، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- (٣٣١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م،
- (٣٣٢) قانون التأويل، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٣٣٣) القرآن الكريم و روايات المدرستين، مرتضى العسكري، المجمع العلمي الاسلامي، إيران، ١٤١٦هـ. د.ط.
- (٣٣٤) القرآن في الاسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ترجمة: السيد احمد الحسيني، نشر: مركز اعلام الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الاسلامية في ايران، مطبعة: سيهير، ايران، ١٤٠٤هـ، د.ط.
- (٣٣٥) القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، سيد هاشم الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠هـ. د.ط.
- (٣٣٦) القرآن والدراسة المصطلحية، دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- (٣٣٧) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- (٣٣٨) قواعد الأحكام في مصالح الأقامة، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، دار

- الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- (٣٣٩) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي حربي، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٩ هـ. د.ط.
- (٣٤٠) قواعد التفسير لدي الشيعة والسنة، محمد فاكر ميدي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. المعاونة الثقافية. مركز التحقيقات والدراسات العلمية، طهران، ١٣٨٥ الهجري الشمسي.
- (٣٤١) القواعد الفقهية، د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ م.
- (٣٤٢) القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.
- (٣٤٣) قوانين الأصول، القمي الميرزا أبو القاسم (ت ١٢٣١ هـ)، طبعة حجرية.
- (٣٤٤) القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية، وليد بن علي حسين، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ١٤٢٦ هـ. د.ط.

حرف الكاف

- (٣٤٥) كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، احمد بن محمد نحاس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.
- (٣٤٦) الكافي، ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، (ت: ٣٢٩ هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية - طهران المطبعة: حيدري، ط: ٥، ١٣٦٣ ش.
- (٣٤٧) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- (٣٤٨) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٣٤٩) كتاب المصاحف أو اختلاف المصاحف، عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ) طبع بتحقيق المستشرق جفري آرثر في ليند ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م بالاشتراك مع المطبعة الرحمانية بالقاهرة، وأعدت تنزيده حروفه من جديد دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. وتحقيق: محمد بن عبده، نشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٣٥٠) كتاب المصاحف والهجاء، محمد بن عيسى الأصبهاني، (ت ٢٥٣ هـ)، نكره: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٣٥١) كتاب المصاحف، ابن أشته الأصبهاني أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشته اللوزري، (ت ٣٦٠ هـ). مخطوطة. نكره صاحب كتاب: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، ١٩٤١ م، ١٤٥٩/٢.

المصادر والمراجع

- اهل البيت (ع)، نشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران طهران، ط ١، ١٣٩٧هـ/٢٠١٨م.
- (٣٦٣) كنز العرفان في فقه القرآن، الحلي المقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ)، مطبعة القضاء، النجف، د.ت، د.ط.
- (٣٦٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، نشر: مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- (٣٦٥) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تقديم: محمد هادي الاميني، مؤسسة النشر الاسلامي، التابع لجماعة المدرسين، قم، ط ١، ١٤١٩هـ.
- (٣٦٦) كيف نبني حضارتنا الإسلامية، محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين (عليه السلام)، ط ٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٠م.

حرف اللام

- (٣٦٧) لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، د.ت، د.ط.
- (٣٦٨) اللب في علوم الكتب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد سنة ٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- (٣٦٩) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- (٣٧٠) اللسانيات و الدلالة، منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ١، ١٩٩٦م.
- (٣٧١) اللطائف في جمع هجاء المصاحف، ابن مقسم أبي محمد بن الحسن بن يعقوب (ت ٣٥٤هـ)، د.ت، د.ط.
- (٣٧٢) اللغة وسيلة مكتوبة: النص، جانوس.س. بيتوفي، ضمن الموسوعة اللغوية، تحرير ن.ي. كولنج، ترجمة الدكتور محيي الدين حميدي، والدكتور عبدالله الحميدان جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
- (٣٧٣) اللع في أصول الفقه، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٣٧٤) لوازم الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، نشر: مؤسسة الخافقين ومكنتبتها - دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

حرف الميم

- (٣٧٥) المباحث الأصولية، الشيخ محمد إسحاق الفياض، د.مط، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- (٣٧٦) مباحث في علوم القرآن والحديث، عبد المجيد مطلوب، نشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.

- (٣٧٧) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٧٤م.
- (٣٧٨) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة/ مصر، ط٧، ١٩٩٥م.
- (٣٧٩) مبادئ الوصول إلى علم الأصول، العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين محمد علي النبال، منشورات مركز النشر، مكتبة الاعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ، د.ط.
- (٣٨٠) المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، بأشر تصحيحه: جمع من أفاضل العلماء، نشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ، د.ط.
- (٣٨١) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، ت: ١٣٨١هـ.
- (٣٨٢) المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، نشر: دار الأرقم - الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٣٨٣) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، د.ت، د.ط.
- (٣٨٤) مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوي للنش، طهران، إيران، ط٢، ١٣٦٥هـ.
- (٣٨٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- (٣٨٦) مجمع البيان لعلوم القرآن، أبو علي الفاضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، نشر: دار التقريب القاهرة، ١٩٧٧م، د.ط.
- (٣٨٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، د.ط.
- (٣٨٨) مجمل اللغة، ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (٣٨٩) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز (ت ١٩٩٩م)، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، نشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، د.ت، د.ط.
- (٣٩٠) المجموع في شرح المذهب، النووي أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، الطباعة والنشر، د.ت، د.ط.
- (٣٩١) محاضرات في أصول الفقه، تقرير لبحث استاذنا الافخم فقيه الامة آية الله العظمى الورع النقي السيد ابو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، فياض، محمد إسحاق الفياض، نشر: مطبعة النجف، النجف الاشراف، ١٩٦٢م. د.ط.

المصادر والمراجع

- (٣٩٢) محاضرات في علم اللسان العام، فردناند دي سوسير، ترجمة عبد القادر قنيني؛ مراجعة أحمد حبيبي، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، ١٩٨٧م.
- (٣٩٣) محاضرات في علوم القرآن، محمد علي تسخيري، تنظيم المدارس في الخارج، قم المقدسي، ١٤٢٤هـ.
- (٣٩٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمدنشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٤٢٢ هـ.
- (٣٩٥) المحصول في علم الأصول، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (٣٩٦) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية للنشر - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٣٩٧) محيط المحيط، بطرس البستاني (ت ١٨٨٣م)، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨.
- (٣٩٨) المحيط في اللغة، صاحب الكافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (٣٩٩) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (ت: ٧٢١هـ)، تحقيق: ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط:١، ١٤١٥ - ١٩٩٤ م.
- (٤٠٠) مختصر ابن الحاجب (مختصر المنتهى)، جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي (المشهور بابن الحاجب)، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، (مطبوع مع شرح العضد وحاشية التفتازاني).
- (٤٠١) مختصر أصول الخطاب السياسي الإسلامي القرآني والنبوي والراشدي، د.حاكم المطيري، (د.ت)، (د.ط)،.
- (٤٠٢) مختصر المزني، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤ هـ)، نشر: دار الفكر - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٤٠٣) مختصر مجمع البيان، فضل بن حسن الطبرسي،، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي - إيران - قم، ١٤١٣ هـ.ق.
- (٤٠٤) مداخل جديدة للتفسير، غالب حسن، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٤هـ،
- (٤٠٥) مدخل إلى علم التفسير (دروس منهجية)، هاشم عبد النبي ابو خمسين، باقيات، قم المقدسة، ١٤٣٦هـ،.
- (٤٠٦) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، نشر: دار القلم - دار الشاميه، دمشق - بيروت، ط٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- (٤٠٧) المدخل إلى علم الاجتماع، محمد الجوهري، القاهرة - مصر، ط٢، ٢٠٠٧م.

المصادر والمراجع

- (٤٠٨) مدخل إلى علم اللغة النصي، فيهفجير، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، ط١، د.ت.
- (٤٠٩) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، زتسييسلاف واورزنيك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- (٤١٠) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (ت ١٣٤٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
- (٤١١) المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط٣، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- (٤١٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، نشر: مكتبة السنة - القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- (٤١٣) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، منشورات مؤسسة الهدى، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
- (٤١٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في المدارس اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٣، ص ١٩٨٦م.
- (٤١٥) المرايا المحدبة، عبدالعزيز حمودة: سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. د.ط.
- (٤١٦) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلي قولاج، نشر: دار صادر - بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، د.ط.
- (٤١٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- (٤١٨) المسائل السروية، المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العبكري (ت ٤١٣هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الاسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ.
- (٤١٩) مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي محمد بن تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة ال البيت (ع) لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ. د.ط.
- (٤٢٠) المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (٤٢١) المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي المشهور بالغزالي، تحقيق: د. محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٤٢٢) مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ)، نشر محمد كاظم الحكيم، مطبعة الآداب،

النجف الاشرف، ١٣٤٨هـ. د.ط.

(٤٢٣) المستند في شرح العروة الوثقى، تقريراً لأبحاث الأستاذ الأعظم سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (قدس سره) (١٣١٧-١٤١٣هـ)، تأليف آية الله الشهيد الشيخ مرتضى البروجردي (ت ١٤١٨هـ)، نشر: مؤسسة الخوئي الإسلامية، ط٥، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣ م.

(٤٢٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٤٢٥) المسودة في أصول الفقه، آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية (ت ٦٥٢ هـ)، وأضاف إليها الأب،: شهاب الدين عبد الحلیم بن تيمية (ت ٦٨٢ هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية (٧٢٨ هـ)، جمعها وبيضاها: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الحراني الدمشقي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: مطبعة المدني، د.ط، د.ت.

(٤٢٦) المصاحف الكريمة في صدر الإسلام، مقال لأسامة النقشبندي في «مجلة سومر» مج (١٢) ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦ م.

(٤٢٧) مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّيَرِ وَيُسَمَّى: "المَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م،

(٤٢٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، تحقيق د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط٢، ١٩٧٧ م.

(٤٢٩) المصحف الشريف، دراسة تاريخية فنية، محمد عبد العزيز مرزوق، طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م. د.ط.

(٤٣٠) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، دار الأمان - الرباط، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٤٣١) المصطلح النحوي، عوض حمد القوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٤٣٢) مصطلحات النص المفرع في إطارها الدلالي والتراثي، حسام الخطيب، دار الثقافة والفنون، الدوحة، ط٢، ٢٠١١م.

(٤٣٣) المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، د. سعيد شبار، منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م،

(٤٣٤) المصطلحات: الأسماء والمفاهيم، ماذا أعرف؟، آلان ري، المطابع جامعة فرنسا. PUF، ط٢، ١٩٩٢م.

(٤٣٥) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر

المصادر والمراجع

- العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، نشر: دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.
- (٤٣٦) مصطلحات الفقه، علي المشكيني، قم، مطبعة الهادي، ط ١، ١٤١٩هـ.
- (٤٣٧) معارج الأصول، المحقق الحلي ابو القاسم جعفر بن الحسن الهذلي (ت: ٦٧٦هـ)، نشر مؤسسة ال البيت (ع)، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- (٤٣٨) معارف قرآنية، محمد تقي مصباح اليزدي (ت ١٤٤٢هـ)، نقله إلى العربية: محمد عبد المنعم الخاقاني، نشر ذوي القربى، قم، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- (٤٣٩) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- (٤٤٠) معالم المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، نشر قسم الدراسات القرآنية، مؤسسة البعثة، طهران، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- (٤٤١) معاني القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٩هـ.
- (٤٤٢) معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط: ١، د.ت.
- (٤٤٣) المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٤م.
- (٤٤٤) المعبر من بحار الانوار، الشيخ محمد آصف محسني، اعداد وتنظيم: الشيخ عمار الفهداوي، اشراف ومراجعة: حيدر حب الله، دار المحجة البيضاء، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- (٤٤٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٤٤٦) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٤٤٧) المعجم العربي الحديث، خليل الجر واخرون، لاروس، د.م، لاروس للنشر، ١٩٧٣م.
- (٤٤٨) المعجم الفلسفي (باللغات العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية)، د. جميل صليبيبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤م. د.ط.

المصادر والمراجع

- (٤٤٩) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، د.ت.
- (٤٥٠) معجم اللسانية، د. بسام بركة، منشورات جروس-برس، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- (٤٥١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- (٤٥٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، هانز فير: وضع ج. ملتون كوان، مكتبة لبنان، بيروت، ومكدونالد وايفانس ليمتد، لندن، ط١٩٨٠، ٣م.
- (٤٥٣) معجم المصطلحات الألسنية، د. مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- (٤٥٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.
- (٤٥٥) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلجعي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨م.
- (٤٥٦) معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال، الناشر دار الجيل/ بيروت، ٢٠٠٣م، د.ط.
- (٤٥٧) معجم مصطلحات المنطق، السيد جعفر باقر الحسيني، مطبعة بقیع، دار إعتماد، ط١، د.ت.
- (٤٥٨) معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ إسحاق، نشر دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- (٤٥٩) معجم مفردات أصول الفقه المقارن، تحسين البدری، المطبعة: نير، طهران - إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.
- (٤٦٠) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، نشر: مكتبة الآداب، القاهرة / مصر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- (٤٦١) معرفة القرآن على ضوء الكتاب و السنة، محمد محمدی ری شهری، دار الحديث، قم المقدسة، ١٣٩٣هـ. د.ط.
- (٤٦٢) المعونة في الجدل، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- (٤٦٣) مغني المحتاج، محمد بن احمد الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، نشر: دار احیاء التراث العربي، لبنان، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م. د.ط.
- (٤٦٤) مفاتيح للتعامل مع القرآن، صلاح عبدالفتاح خالدي، دار القلم، دمشق، ١٤٢٤هـ. د.ط.
- (٤٦٥) مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشر: دار الكتاب العربي، ط٢، د.ت.
- (٤٦٦) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت: ٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ت: ١٤٢٠

- (٤٦٧) مفاهيم العلوم العامة والصحة في الصفوف الاربعة الاولى، خليل يوسف وآخرون، ط ١، مطابع وزارة التربية والتعليم، اليمن، ١٩٩٥م.
- (٤٦٨) المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط ١، ١٩٩٩م.
- (٤٦٩) المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصياغة، مانويل سيليو كونسيساوا، ترجمة: محمد إبطوش، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد، عمان، ط ١، ٢٠١٢م.
- (٤٧٠) مفتاح السعادة ومصباح السيادة، احمد بن مصطفى المشهور ب الطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- (٤٧١) مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، وناصر أحمد بن النجار الدمياطي، نشر مكتبة فياض، مصر، ط: ١، ١٤٣٠هـ.
- (٤٧٢) المفسرون هيثم ومنهج، محمد علي أيازي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. هيئة الطباعة والنشر، طهران، ١٤١٤هـ. د.ط.
- (٤٧٣) مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، د. أمحمد التنبُّعي، مؤسسة مبدع- المغرب، ودار السلام- مصر، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م،
- (٤٧٤) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد ابو زيد (ت ٢٠١٠م)، نشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٦، ٢٠٠٥م..
- (٤٧٥) مفهوم النص وقراءته في الفكر العربي المعاصر، د. مسعود احمد، ٢٠١٦-٢٠١٧م. د.ط.
- (٤٧٦) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي (ت ١٣٩٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، ط ٥، ٩٩٣م.
- (٤٧٧) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- (٤٧٨) مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، حقق نصوصه وعلق عليها وخرج أحاديثه: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب للتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- (٤٧٩) مقدمة ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مطبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. د.ط.
- (٤٨٠) مقدمة في علم المصطلح، علي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م.
- (٤٨١) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، نشر: مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت.
- (٤٨٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

- القمي (ت ٣٨١ هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ط٢، د.ت.
- (٤٨٣) من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله (ت ١٩٣٥ هـ)، دار التعليق، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- (٤٨٤) المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. المعاونة الثقافية، طهران، ١٤٣١ هـ، د.ط.
- (٤٨٥) المناهج التفسيرية، جعفر سبحاني، مؤسسه امام صادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٦ هـ، د.ط.
- (٤٨٦) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: الدكتور بديع السيد اللحام، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٤٨٧) منة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد الشهيد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩ هـ)، تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، نشر: المحبين للطباعة والنشر، مطبعة: الكوثر، قم، ط ١، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١ م.
- (٤٨٨) المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين طه، نشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.
- (٤٨٩) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٤٩٠) المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف اليسوعي (ت ١٩٤٦ هـ)، نشر دار المشرق، ط ٣٩، ٢٠٠٣ م.
- (٤٩١) المنجد في اللغة، علي بن الحسن الأزدي، تحقيق: احمد مختار وضاحي عبد الباقي، القاهرة، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- (٤٩٢) منطق فهم القرآن، كمال الحيدري، دار فراق، قم المقدسة، ١٤٣٣ هـ، د.ط.
- (٤٩٣) المنطق، محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣ هـ)، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٨ هـ، د.ط.
- (٤٩٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله هاشمي خوئي (ت ١٣٢٤ ق)، ترجمة: حسن زاده آملی، حسن و كمرهاي، محمد باقر، تحقيق: ابراهيم ميانجی، نشر المكتبة الإسلامية، طهران، ١٤٠٠ هـ.
- (٤٩٥) المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي (ت ٤٧٤ هـ)، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١، ٣ م.
- (٤٩٦) منهج الفرقان في علوم القرآن، للشيخ محمد علي سلامة - مطبعة شبيرا، ١٩٣٧/١٩٣٨ م. د.ط.
- (٤٩٧) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، مراجعة وتعليق عبد الله دراز، تحقيق براهيم رمضان، ط ٣، بيروت: دار المعرفة ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م.
- (٤٩٨) الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبو عبدة

المصادر والمراجع

- مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، نشر: دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٤٩٩) مواقع العلوم في مواقع النجوم، البلقيني جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني المصري (ت ٨٢٤ هـ)، تحقيق: د. عمر سليمان الأشيقر و د. عبد الستار أبو رغبة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ط ١، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨ م.
- (٥٠٠) المواقف، عضد الدين الأيجي (ت ٧٥٦ هـ) مع شرح المواقف: للسيد علي بن محمد الجرجاني، طبع القسطنطينية، ١٢٨٦ هـ.
- (٥٠١) موجز علوم القرآن، دكتور داود العطار، منشورات نوي القربي، مطبعة سليمانزاده، قم، ط ٦، ١٣٨٩ هـ.
- (٥٠٢) موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ١٤٣٦ هـ)، نشر: دار الفكر - سورية - دمشق، الطبعة: الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها.
- (٥٠٣) موسوعة الفقه المصرية، مجموعة من المؤلفين، الصادر عن وزارة الأوقاف المصرية، د. ط، د. ت.
- (٥٠٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، الانصاري الشيخ محمد علي (معاصر)، مطبعة باقري، نشر: مجمع الفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- (٥٠٥) موسوعة القرآن العظيم، عبد المنعم حنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤ م، د. ط.
- (٥٠٦) الموسوعة القرآنية المتخصصة، محمود حمدي زقزوق، جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
- (٥٠٧) الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤ هـ)، نشر: مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ. د. ط.
- (٥٠٨) موسوعة علوم القرآن وآداب حملته في سؤال وجواب، اسلام درباله، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٧ م، د. ط.
- (٥٠٩) موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي، حلب - سوريا، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٥١٠) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ)، حققه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف - محمود محمد خليل، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- (٥١١) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، (ت: ١٤٠٢ هـ)، تصحيح وإشراف الشيخ حسين الأعلمي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ.

حرف النون

- (٥١٢) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، نشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

المصادر والمراجع

- (٥١٣) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة، أستاذ التعليم العالي الدكتور الشاهد بن محمد البوشيخي، د.ط، د.ت.
- (٥١٤) نحو منهجية قرآنية معرفية، د. طه جابر العلواني، دار الهادي، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م،
- (٥١٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، نشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٥١٦) النسخ والبداء في الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، دار الهادي، بيروت، ١٤١٨هـ، د.ط.
- (٥١٧) نسيج النص بحث ما يكون فيه الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت. ط١، د.ت.
- (٥١٨) نشر البنود على مراقي السعود، عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي، نشر: مطبعة فضالة بالمغرب، د.ط، د.ت.
- (٥١٩) النص الغائب: تجليات التناس في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- (٥٢٠) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
- (٥٢١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، نشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (٥٢٢) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، حسين خمري، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٧م.
- (٥٢٣) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ابراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - لبنان - بيروت، ١٤٢٧هـ.ق.
- (٥٢٤) نفائس الأصول في شرح المحصول، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (٥٢٥) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن عبد الرحيم النهاوندي (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات القرآنية/ مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.
- (٥٢٦) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد (ت ١٤٣٠هـ)، نشر: دار السلام - القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٥٢٧) نقل المصطلحات الترجمي إلى اللغة العربية، خديجة هناء ساحلي، رسالة ماجستير من كلية الآداب واللغات/ جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٠م - ٢٠١١م،
- (٥٢٨) النكت والعيون، تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: دار الكتب

العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- (٥٢٩) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت ٧٧٢هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٥٣٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير المبارك بن محمد الاحرزي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر احمد الراوي، ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة الاسماعيليان، قم، ط٤، ١٤٠٦هـ.
- (٥٣١) النهاية، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، نشر: قدس محمدي، قم، ١٩٦٣م، د.ط.
- (٥٣٢) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام)، شرح محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، نشر وطباعة: دار المعرفة بيروت، ط١، د.ت.

حرف الواو

- (٥٣٣) الواضح في أصول الفقه، محمد سلمان الاشقر، نشر: شركة الدار السلفية للتوزيع والنشر، الكويت، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- (٥٣٤) الوافي، محمد محسن بن مرتضى بن محمود الكاشاني المعروف بلقب الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق والمقابلة مع الاصل: ضياء الدين الحسيني العلامة الاصفهاني، نشر: مكتبة أمير المؤمنين علي (ع) العامة، اصفهان، ط١، ١٤٠٦هـ.
- (٥٣٥) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوى محمد العوّا، بتقديم الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار الشروق، مصر، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- (٥٣٦) الوجيز في تفسير القرآن العزيز (عاملى)، علي بن حسين ابن ابي جامع، دار القرآن الكريم - ايران - قم، ط١، ١٤١٣هـ.ق.
- (٥٣٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ت: ١٤١٥هـ.
- (٥٣٨) الوجيزة في الدراية، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت ١٠٣٠هـ)، نشر: المكتبة الاسلامية الكبرى، إيران قم، ١٩٧٥م.
- (٥٣٩) الوحدة التاريخية للسور القرآنية، عمران سميح نزال، دار القراء، دمشق، ١٤٢٧هـ.
- (٥٤٠) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتاب، الجزائر، ط١، ١٩٨٩م.
- (٥٤١) الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ستار جبر حمود الاعرجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- (٥٤٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث، مطبعة مهر/ قم، ط٢، ١٤١٤هـ..
- (٥٤٣) الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، الدكتور وهبة الزحيلي، نشر: جامعة دمشق/ كلية الشريعة، ط١،

٢٠١٢/هـ ١٤٣٤م.

(٥٤٤) الوظيفة التواصلية، ديفيد كريستال، موسوعة كامبردج للغة، ترجمة: د. أحمد شفيق الخطيب- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- ط١، ٢٠٠٥م.

(٥٤٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت،
(٥٤٦) ولاية فقيه (الحكومة الاسلامي)، الخميني روح الله الموسوي (ت ١٤٠٩هـ)، نشر وتحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني - الشؤون الدولية، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

حرف الهاء

(٥٤٧) هالیدی ماک ورقية حسن، التماسك بالإنجليزية، لونغمان، لندن، ١٩٧٦م.
(٥٤٨) هداية المسترشدين في شرح معلم الدين، محمد تقي الرازي (ت ١٢٤٨هـ)، تحقيق عباس القزويني، ط١، ١٢٦٩هـ.

(٥٤٩) هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي حسين عناية، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ، د.ت.
(٥٥٠) الهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح البليهي، رسالة جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
(٥٥١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: المكتبة التوفيقية - مصر، د.ط، د.ت.

الرسائل الجامعية

- (١) الاتجاهات الاصلاحية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، حسين على عبد الحكيم، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة. ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- (٢) إشكالية المصطلح اللساني والسميائي من الفرنسية إلى العربية، بن مالك أسماء، رسالة ماجستير في الترجمة، الجزائر، جامعة ابي بكر بن بلقياد-تلمسان، -٢٠١٣/٢٠١٤م.
- (٣) أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م.
- (٤) تفسير القرآن بالقرآن (دراسة منهجية)، د. فاضل النعيمي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
- (٥) جمع القرآن، لمحمد فريد حامد، وهو بحث مقدم إلى جامعة الأزهر، كلية أصول الدين عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م.
- (٦) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول، محمد بن فراموز بن علي الشهير بملاً خسرو (ت ٨٨٥هـ)، رسالة دكتوراه في اصول الفقه، دراسة وتحقيق، أحمد بن محمد بن صالح عزب، اشراف: الدكتور شعبان محمد اسماعيل، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، دار النشر: جامعة أم القرى، السعودية مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.
- (٧) وظائف علوم القرآن بين المفسرين والاصوليين، اطروحة دكتوراه، د. فاضل مدب متعب، اشراف د.

حكمت عبيد الخفاجي، جامعة الكوفة / كلية الفقه، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

المحاضرات والمقابلات

- (١) مقابلة شخصية مع استاذنا الدكتور محمد حسين علي الصغير في ٢٣ / رمضان / ١٤٢٩ هـ.
- (٢) مصطلحات اساسية في علوم القرآن، الاستاذ المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير (ت ٢٠٢٣ م)، محاضرات القيت على طلبة الدراسات العليا - الماجستير / جامعة الكوفة - كلية الفقه - ٢٠٠٦ م.

بحوث منشورة في المجالات المحكمة ومواقع الانترنت

- (١) أسماء القرآن الكريم وألقابه"، السيد محمد باقر حجتى، ميراث جوادان، السنة ٣، العدد ٣ و ٤.
- (٢) أسماء القرآن وصفاته من وجهة نظر الكتاب والسنة" محمد إحسانيفر، حديث الفكر، العدد الثاني، خريف وشتاء، ٨٥؛ "
- (٣) أسماء القرآن، علي حجة تي كرمانى، مدرسة الإسلام: السنة ٦، العدد ١٣.
- (٤) أسماء وألقاب القرآن الكريم "السيد محمد باقر حجتى، التراث الخالد": السنة ٣، العددان ٣ و ٤.
- (٥) الافتراق بين مفهومي التقييد والتخصيص، بحث للدكتور سيروان الجنابي، و مجلة مآب موارد الاتفاق.
- (٦) أهمية وتاريخ البحث في صفات القرآن وأسمائه" أبو القاسم عين بور، بينات، السنة ٢، رقم ٥.
- (٧) بلاغة الخطاب وعلم النص عالم المعرفة، صلاح فضل، العدد ١٦٤، غشت ١٩٩٢،
- (٨) تاريخ القرآن ومصاحف الأمصار وعظيم عناية هذه الأمة بالقرآن الكريم في جميع الأدوار، مقال لمحمد زاهد الكوثري، نشر في «مجلة الإسلام» س (٧)، ع (٢٥) ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.
- (٩) تحليلية في أسماء وألقاب القرآن الكريم، السيد محمد باقر حجتى، محاضرات ومقالات: مجموعة ١.
- (١٠) التربية الإسلامية وتنمية المفاهيم الدينية، وجيه مرسي أبو لبن، الموقع التربوي للدكتور وجيه المرسي أبو لبن.
- (١١) تعليقات على العام والخاص، مساعد بن سليمان الطيار، بحث منشور على موقع: www.tafsirnet.
- (١٢) توصية المنظمة العالمية للتقييس بجنيف رقم ١٠٨٧ المعدلة من قبل اللجنة الكندية الاستشارية المكونة من خبراء دائرة اللغة الفرنسية وهكذا.
- (١٣) جمع القرآن» مقال لمحمد باقر الحكيم في مجلة الرسالة الإسلامية بالعراق، س (٤)، ع (٩)، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- (١٤) الدراسة المفهوميّة، مقارنة تصوّريّة ومنهجية، سعاد كوريم، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الخامسة عشرة، العدد ٦٠، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
- (١٥) دراسة مقارنة بين امتلاك المعلمين لمفاهيم مناهج التربية الإسلامية للصف السادس الابتدائي وبين اكتساب طلبتهم لها في المدارس الحكومية ووكالة الغوث الدولية في محافظة اربد - الاردن، محمد محمود الخوالدة، ومحمد عقيل الطيبي، رسالة الخليج العربي، العدد ٢٦، السنة الثامنة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨ م.

المصادر والمراجع

- (١٦) الدليل العقلي عند السلف، عيسى النعمي: مجلة البيان: عدد (٢٩٠) بتاريخ: ٢٢/٨/٢٠١١ م.
- (١٧) صناعة المصطلح في العربية، عبد الملك مرتاض، مجلة اللغة العربية، فصلية يصدها المجلس الاعلى للغة العربية بالجزائر، عدد ٢.
- (١٨) علم معرفة أسماء القرآن وأسماء سوره. وأسماء القرآن، مقال: حسن حسين، في مجلة الأزهر، ج ١٧، ع ٩ عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٤٦ م.
- (١٩) لغة العلم المعاصر، إبراهيم مذكور، مجلة مجمع اللغة العربية الأذنى، عمان، س ١٠، ع ٣٠، ١٩٨٦ م.
- (٢٠) ما هو سبب اختلاف الأئمة في كتابة القرآن مقال لمحمد النواوي في «مجلة الإسلام» س (٤١) ع (٤٥) ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م.
- (٢١) المصطلح ومشكلات تحقيقه، د. إبراهيم كايد محمود، مجلة التراث العربي، دمشق، سنة ٢٠٠٥ م، العدد ٩٧،
- (٢٢) مصطلحات أساسية في حياة علوم القرآن: محمد حسين علي الصغير، مجلة مأب - ع ٢ - .
- (٢٣) مصطلحات اللغوية بين التعريب والتعريب، مصطفى طاهر الحيادة، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع: ٦٩، س: ٢٠٠٥، ٢٩ م
- (٢٤) مفهوم المرجعية واستعمالات الفكر العربي والاسلامي المعاصر، مجلة دراسات مصطلحية، عدد ٢، ١٤٢٣ هـ.
- (٢٥) مكتوب الإسلام، علي حجة تي الكرمانى، السنة ٦، رقم ١٣.
- (٢٦) المنهجيات المصطلحية العربية في العصر الحديث في ضوء النظرية العامة لعلم المصطلح، د. عبد اللطيف عبيد، مجلة التعريب- دمشق، ع: ٢٧، ٢٠٠٤ م.

Abstract

concluded, and because this chapter is the soul of the thesis, its pages were more than the rest of the other chapters.

Then I concluded the thesis with a conclusion in which I explained the most important findings and recommendations I reached.

The importance of the topic lies in several points, which we mention as follows:

First: The researcher seeks to prove the miraculous nature of the Holy Qur'an through the methods it came up with.

Second: Deepening the understanding among researchers in Qur'anic studies about the extent of the authority of the Qur'anic text and its authority in the matters of the sciences of the Holy Qur'an.

Third: Providing the Islamic library with a new study in its section, in terms of examining the topics of the Qur'anic sciences and proving that they were completely influenced by the Qur'anic text, as well as knowing the extent of compatibility between the meaning that God Almighty wanted from these topics, and the extent of its agreement with the meaning indicated by the scholars of the Qur'anic sciences and those who were influenced. With them.

Fourth: Clarity of the picture about the relationship between the Qur'anic text and the topics of Qur'anic sciences, as there is ambiguity about this relationship as to whether it is a positive, interactive relationship or not, and this is what made the researcher seek to uncover it.

Our last supplication is: Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon Muhammad, his noble family, his companions, and those who follow them in righteousness.

Abstract

text in defining the concepts and terminology of the Qur'an that pertain to the sciences of the Qur'an.

The thesis included three chapters, preceded by an introduction and an introductory chapter in which I defined the words and terms mentioned in the title of the thesis under the name (the conceptual framework for the title of the thesis), and after the introductory chapter there are three chapters:

The first chapter, under the title (Types of Sciences Related to the Holy Qur'an), included four sections, in the first section of which I explained the Qur'anic sciences emanating from the Holy Qur'an. As for the second section, I explained the Qur'anic sciences that are external to the Holy Qur'an and serve it. The third section was titled Sciences referred to in the Holy Qur'an. The fourth section covers the controls of the sciences of the Qur'an, in which the chapter was concluded.

The second chapter: Under the title (Utilizing the Sciences of the Qur'an in Knowing the Objectives of the Holy Qur'an), it included a preface in which I explained first: defining the functions linguistically and terminologically, and secondly: defining the purposes linguistically and terminologically, followed by the first section in which I explained the doctrinal employment of the sciences of the Qur'an, followed by the second section under the title of employment. Jurisprudence for the sciences of the Qur'an, then the third section, the political employment of sciences, and concluding the chapter with the fourth section, the social employment of the sciences of the Qur'an. In this chapter, I showed some of the sciences that were employed for the aforementioned topics for the sake of brevity first, and to pave the way for researchers and those interested in Quranic affairs to expand on the uses of the sciences of the Qur'an.

The third chapter: Under the title (The role of the Qur'anic text in defining the concepts and terminology of the Qur'anic sciences) it included an introduction to the chapter, and included three sections. The first section in which I studied the authority of the Holy Qur'an, then the second section under the title of the conceptual foundation of the Qur'anic sciences from the Holy Qur'an, then the third section. The terminological foundation of Qur'anic sciences is from the Holy Qur'an in which the chapter was

Abstract

The Holy Qur'an is the eternal Book of God and the miracle of the Prophet (PBUH) that will remain as long as the world lasts. One of the features of this book is that in clarifying everything, the Holy Qur'an was revealed in a voice on the chest of our Prophet Muhammad (PBUH), and it was not revealed in manuscript, but rather it took the breasts as its headquarters. Under its sounds and their combination there are many concepts and various signs that reveal the sciences and facts contained within it.

Accordingly, Muslim scholars have been meditating on its verses and writing about it in various fields and sciences. It is the most honorable book, containing purity of the body and soul, light of the face, and tranquility of the heart. It is one of the most honorable books ever that cannot be compared to any other book. That is why we find that studies in it have expanded and have become comprehensive of all the sciences and arts found in it, and among these sciences in particular is the "sciences of the Qur'an," which are closely and directly linked to the Qur'anic text, I wrote books and books on it, and its sciences, discussions, and terminology related to it abounded. That is why I preferred to specialize in this science by delving into this depth by revealing and explaining the role of the immortal, miraculous Qur'anic text in establishing the concepts of Qur'anic sciences and its terminology. This window is entitled to a thesis that I called (The Introduction of the Qur'anic Text in Defining... Concepts of Qur'anic sciences and terminology, an analytical study.

A question may be asked why this topic was chosen, and in place of the answer I say: The Holy Qur'an is an explanation of everything. In order to prove that the studies of the Qur'anic sciences are an extension of what was found in the Holy Qur'an, this topic was chosen to prove that what has been studied by the scholars of the Qur'anic sciences is An overflow from a pure spring, and in order to identify a set of facts and doctrinal postulates regarding the Holy Qur'an, and what we are trying to study in this thesis is to clarify the positive role of the Holy Qur'an as an immortal miraculous



Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

**((The involvement of the Qur'anic text in
defining the concepts and terminology of the Qur'anic
sciences - An analytical study))**

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences/University of
Kerbala, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in
Philosophy of Sharia and Islamic Sciences.

Written by a student

Adnan Khabit Sarhan

Supervisor

Prof. Dr Fadel Maddeb Miteb

1445 AH

2024 AD